

# حصاد دراساتي القرآنية

2016- 2005

في المؤتمرات العالمية والمجلات العلمية المحكمة

من تأليف

فضيلة الدكتور خيرالدين خوجة الكوسوفي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية المشارك

مستشار أكاديمي بمعهد تدريب قوات الدفاع الجوي الأميري القطري

وزارة الدفاع القطرية

(وكلية المجتمع، الدوحة - قطر)

وكلية الشريعة بجامعة قطر، وكلية أصول الدين بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية

بسلطنة بروناي، وكلية المجتمع بجامعة طيبة بالمدينة المنورة، وكلية معارف الوحي والعلوم

الإنسانية بكوالالمبور بماليزيا ( سابقا).

2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# إِهْدَاء

- إلى المشتغلين والمشتغلات بالقرآن الكريم وعلومه وتفسيره
- إلى الباحثين والباحثات من حملة الأعلام في الدراسات الإسلامية
- إلى أرواح مشايخي وأساتذتي الذين علموني القرآن وحب الله ورسوله
- إلى روح الوالدين الغاليين رحمهما الله وغفر لهما وأسكنهما فسيح جناته

أهدي هذه الباقة العلمية الأولى في الدراسات القرآنية

# شكر وتقدير

• للأخ الفاضل، العزيز الغالي، فاعل خير من دوحة الخير والبركة في قطر، من كان له شرف الإقتراح لجمع هذه الأعمال في هذا المجلد وتقديمها للقراء الكرام من محبي العلم والقرآن والمسلمين في مختلف بلاد العالم الإسلامي وغيره،،،

أنا لعمله شاكر ولجهده المبارك مقدر، جعل الله هذا العمل في ميزان حسناته،،  
آمين آمين آمين

الصفحة	المحتويات
18	1. نحو منهج قرآني في النقد
20	2. درس التقوى المستفاد من صيام رمضان
24	3. و ما تخفي صدورهم أكبر
28	4. ظاهرة الإرهاب و معالجته بين جهود الدبلوماسيين والآيات القرآنية والأحاديث النبوية
91	5. آداب معلم القرآن ومتعلمه - قراءة تربوية أكاديمية في: التبيان في آداب حملة القرآن، للإمام النووي رحمه الله
104	6. تفسير القرآن بأقلام العلماء الألبان في جزيرة البلقان - الإتجاه الإصلاحية في التفسير في العصر الحديث
157	7. الأسس العلمية والقواعد المنهجية لتفسير القرآن الكريم - دراسة تحليلية لمنهج الأستاذ سيد قطب رحمه الله
221	8. آيات السلم والحرب في القرآن الكريم - قراءة تحليلية في بعض التفاسير المتقدمة والمعاصرة
265	9. جهود الشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله في خدمة الدراسات القرآنية والدفاع عن القراءات ضد مطاعن المستشرقين - اغناز غولد تسيهر نموذجاً

308	10. الآداب الروحية والمبادئ الإيمانية لتدبر القرآن الكريم - قراءة تحليلية في جهود بعض المفسرين المتقدمين والمعاصرين
348	11. ظاهرة نزول القرآن الكريم منجمًا - قراءة تحليلية في الدروس والمقاصد الدينية والتربوية والاجتماعية
390	12. فضل القرآن الكريم وأثره في حفظ اللغة العربية وإثرائها
420	13. قضايا دينية اجتماعية معاصرة في ميزان القرآن - قراءة تحليلية في تفسير: في ظلال القرآن
480	14. اتجاهات التفسير في أوروبا في القرن الرابع عشر - الإتجاه الاجتماعي في تفسير القرآن عند علماء الألبان - الشيخ المفكر الحاج شريف أحمددي الكوسوفي رحمه الله
536	15. خريطة الأمن الروحي والفكري والاجتماعي في القرآن الكريم - رؤية تفسيرية معاصرة
585	16. توظيف علوم القرآن في الدعوة - علم المكّي والمدني أ نموذجاً - رؤية نقدية تطويرية معاصرة
662	السيرة الذاتية

# حصاد دراساتي القرآنية

في المؤتمرات العالمية والمجلات العلمية المحكمة

## بسم الله الرحمن الرحيم

كلمتان خفيفتان وهامتان للقارئ الكريم،،

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،  
واقتنفى أثره وسار على هداه وبعد؛ فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته،،  
أيها القراء الكرام؛ الشيوخ الأجلاء، الدكاترة والأساتذة المحترمين، الباحثين  
الفضلاء، الطلاب الكرماء والطالبات الفضليات حفظكم الله وسدد خطاكم ووقفنا  
وإياكم لخدمة كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والمسلمين، اللهم آمين.  
إنني أحمد الله إليكم أن حيب إلي حب العلم والعلماء، وحب المطالعة والقلم  
والكتابة. ثم إنني أثني لله كما يليق بجلال وجهه الكريم أن وفقني وسخرني لفقه وخدمة  
كتابه الكريم، فله الحمد جل وعلا ما دام الليل والنهار. ثم إنني أثلثُ الحمد لله عز  
وجل أن وفقني لكتابة وإعداد بعض الدراسات العلمية والتفسيرية والفكرية والتربوية  
والإجتماعية والثقافية وتقديم تلك الدراسات في مؤتمرات عالمية في مختلف البلاد  
والجامعات العالمية. وما كان لنا أن نوفق لذلك لو لا أن هدانا ووقفنا الله سبحانه  
لذلك.

وكان من تسخير الله عز وجل لنا أن سخر بعض المحسنين من عباده المخلصين  
وأهل الخير والمحبين لكتابه الكريم والمسلمين من مختلف البلاد العربية والإسلامية مثل  
دولة ماليزيا لطباعة هذه الأعمال التي كتبتها بالعربية وترجمتها إلى اللغة الألبانية  
والإنكليزية والتركية، والحمد لله أولاً و آخراً، لقد تم طباعة بعض تلك الأعمال المباركة  
على نفقة هؤلاء المحسنين من ماليزيا في المدينة المنورة عام 2009 ثم طبعت الترجمات  
في دولة مقدونيا وكوسوفا عام 2009 و 2013.



ولقد كان الهدف الرئيس أن ترى هذه الأعمال نور الطباعة والنشر أولاً، ثم أن لا تموت في أرشيف الملفات الشخصية ثانياً، وأن يستفيد طلاب العلم والمحبون للقرآن الكريم ثالثاً، وكانت نسخاً محدودة على شكل كتيبات ورسائل ذوات الصفحات المحدودة من 1 - 150 صفحة، تم إهداء أغلبها إلى المهتمين بالدراسات القرآنية والقضايا الفكرية والثقافية والتاريخية، وتم أيضاً إهداؤها إلى بعض المكتبات الجامعية في الجامعات المختلفة العالمية، ومنها مكتبة الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة وماليزيا وبروناي وقطر ونيجريا وأستراليا وغيرها من الدول، إذ لم يمكن الهدف هو التكسب من وراء ترجمة وطباعة هذه الأعمال.

وهكذا مرت السنون والأيام وتراكت أعمال أخرى وبحوث جديدة والحمد لله، ولم يخطر على بالي أن تجمع هذه الأعمال مجدداً في سفر مستقل إتماماً للفائدة وجمعاً للمادة العلمية كلها في مكان واحد وفي مجلد مستقل. وأثناء هذه السنوات العشر قبل إصدار هذا الحصاد العلمي وفقني الله عز وجل أن أنشر هذه الدراسات القرآنية والفكرية والثقافية والتربوية المحكمة وتقديمها في مؤتمرات عالمية ونشرها في مجلات علمية محكمة خلال السنوات العشر الماضية، أي منذ عام 2004 - 2016 أمام السادة العلماء والباحثين والأساتذة والدكاترة الأجلاء من مختلف البلاد والجامعات العالمية والخليجية والآسيوية، باللغة العربية والإنكليزية. وبحمد الله تبارك وتعالى وتوفيقه نالت استحسانهم واعجابهم وتم طباعتها ونشرها في ضمن أعمال المؤتمرات المطبوعة والإلكترونية.

ولقد آثرت أن أقسم هذه الأعمال والبحوث التي كتبتها إلى قسمين: قسم من الأعمال والبحوث له علاقة مباشرة بالقرآن الكريم والدراسات القرآنية والتفسير وعلوم القرآن، وقسم آخر له علاقة مباشرة بقضايا الفكر الإسلامي والحوار والثقافة والتربية

والتعليم من وجهة النظر القرآنية والنبوية، وأرتأيت أن أسميها ب: **حصاد دراساتي القرآنية في المؤتمرات والمجلات العلمية 2005 – 2016**، والقسم الثاني: **حصاد دراساتي الفكرية والإجتماعية والثقافية والتربوية في المؤتمرات والمجلات العلمية 2000 – 2016**

**أيها الإخوة الكرام حفظكم الله وبارك فيكم،،،**

هذا الحصاد بقسميه بهذه الصورة التي بين أيديكم اليوم جاء نتيجة واستجابة لأحد الفضلاء والمحسنين القطريين المجاورين لمنزلي بدوحة الخير والبركة في دولة قطر. تعرفنا على بعضنا في مسجد الحي الذي أصلي فيه الصلوات الخمس. أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يوفقه لما يحبه ويرضاه وأن يبارك له في حياته وماله وصحته وأولاده، وإنني شاكر له ومقدر لمبادرته الطيبة والمباركة حقاً. والله لقد تسبب هذا الأخ الفاضل والمحسن الكريم أن أقوم بالبحث والتنقيب مجدداً في جميع الملفات المحفوظة لدي من مختلف الأماكن، ثم القيام بالجمع والترتيب والصيغة والتنسيق وإضافة الفوائد لهذه الأعمال مجدداً والتي كنت قد خزنتها في جهازي الخاص منذ زمن بعيد، وتطلب الأمر مني جهداً وعناء كبيراً، وعكفت مدة زمنية طويلة ليل نهار أتصفح ملفاتي واحدة تلو الأخرى باحثاً عن أعمالٍ ومقالاتي المنشورة والمترجمة والمحفوظة. وبعد أن تم جمعها وترتيبها أدركت الحكمة الإلهية والقدر الإلهي من وراء هذا العمل، وأنه جل وعلا عندما يريد أن يخلق شيئاً أو يحدث شيئاً هياً له أسبابه وظروفه! فله الحمد سبحانه، والله يعلم ونحن لا نعلم.

نعم، حقا وصدقا، لقد هيا الله لي تلك الأسباب والظروف وسخر هذا المحسن الآخر في دولة الخير والبركة في قطر الذي يقطر فيه الخير ليل نهار ويستفيد من هذا الخير كافة المسلمين في أرجاء المعمورة، بل وغير المسلمين أيضا، ليقوم بهذا العمل ويتسبب في إعادة طباعة هذه الأعمال في سفر ومجلد مستقل. فجزاه الله خيرا في الدنيا والآخرة، لقد قد كان مسببا لتحقيق هذا الخير الكبير. ولا أبالغ إن قلت إنه لو قدر لي أن أموت قبل أن أجمع هذه الأعمال لصعب جدا جدا على أحد من بعدي أو ورثتي أن يجمع أعمالي بهذه الصورة - لأنها كثيرة ومنتشرة في جهازي -، والحمد لله أولا وآخرا على الإنجاز والإتمام.

إنني أتضرع إلى الله سبحانه وأسأله تبارك وتعالى أن يتقبل منا ومنه هذا العمل وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يجزينا عنه بقدر تعبنا وإخلاصنا فيه إنه تعالى أكرم مسؤول وخير مأمول. ولا بد من الإشارة في هذا المقام بأني أثناء الترتيب وإعادة النظر لهذه الأعمال وتخفيفا للقارئ الكريم وحجم المجلد، فقد قمت بحذف جميع المصادر والمراجع المثبتة في نهاية كل بحث لأنها مثبتة في الحواشي أصلا. كما أنني حاولت قصارى جهدي أن أرتبها حسب التسلسل الزمني التي تم كتابة ونشر هذه البحوث والمقالات في مختلف الدول العربية والخليجية إلى يومنا هذا.

ثم إن الله تبارك وتعالى بشرنا ببشرى عاجلة في الدنيا قبل الآخرة، حيث كانت هذه الأعمال سببا في الترقية الأكاديمية، والحمد لله تمت الترقية من درجة الأستاذ المساعد إلى درجة الأستاذ المشارك في الدراسات القرآنية والتفسيرية والثقافة الإسلامية يوم 20 مايو 2014. وإننا ماضون في طريقنا لكتابة وإعداد أعمال أخرى للوصول إلى درجة الأستاذية بحول الله تعالى.

## منهجي الفكري والعقدي والثقافي والتربوي الذي أدين الله عز وجل به

وأخيرا أود أن أسجل هنا هذه الحقيقة العلمية والتاريخية والنفسية والعقدية والمنهجية التي اتبعتها وسرت عليها في خطبي وكتاباتي وبحوثي باللغة الألبانية أو الإنكليزية أو العربية منذ أن بدأت أدرس الإسلام 1983 - 2016 وهذا البيان يأتي لأول مرة بهذه الصورة - لله جل وعلا وللتاريخ فأقول وبالله التوفيق والهداية:

لقد حاولت قدر الإمكان أن أكون ملتزما بالموضوعية والنزاهة العلمية والفكرية في جميع البحوث والأعمال، كما أنني لم أتعصب إلى فريق أو شخص بعينه دون آخر. لم أكن يوما من الأيام منحرفا في أي حزب سياسي؛ لا في دولتي كوسوفا أو خارجها، أو منتميا لأي فكر ديني أو جماعي بعينه أو شخص بعينه، ولا أزال على هذه الحالة. في القضايا الفقهية فأنا حنفي المذهب، وأحيانا أقلد بعض المذاهب السنية الأخرى في بعض المسائل الفقهية نظرا لقوة أو رجحان الدليل الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أو من بوجود الحكمة الضالة، فأنا أتلقفها أينما أجدها ثم أضعها على الميزان القرآني والهدي النبوي الصحيح وهدى الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان من علماء والسلف والخلف؛ المشهود لهم بالعلم والتقوى وصلاح الحال.

لقد استفدت من العلماء والأئمة الكرام؛ الأحياء منهم والأموات، من السلف<sup>1</sup> والخلف وكنت ملتزما بمنهج الوسطية القرآنية والنبوية وأهل السنة والجماعة في كل المسائل العقدية الفكرية، ونبتت التطرف والتشدد بكل أشكاله وألوانه، متبعا لأئمة السلف في كل المسائل العقدية والأسماء والصفات - وهذا واضح وبيّن ومنصوص

<sup>1</sup> لقد كتبت دراسة أخرى بعنوان: كتب وشخصيات استوقفتني في الدراسات القرآنية والفكرية من السلف والخلف، وقريرا جدا سيرى هذا الكتاب نور الطباعة إن شاء الله.

عليه في رسالتي الدكتوراه في حديثي عن الاتجاهات الفكرية والدينية والعقدية في الدراسات القرآنية لدى علماء الألبان -، وحاولت قدر الإمكان أن أبني جسور حسن التفاهم والتقارب وإزالة الغموض وسوء التفاهم وسوء التأويل بين علماء السلف والخلف من أئمتنا الكرام.

كما أن الجرح والطعن أو السب والشتيمة لم يكن من منهجي ولا من خُلقي، لا في كتاباتي ولا في خطبي ولا محاضراتي في الجامعات حسب مبلغ علمي؛ اللهم إلا ما كان وبدر مني سهوا دون علمي أو قصد مني؛ فالله غفور رحيم، إذ هذا لا يليق بمسلم عادي فضلا عن الأكاديمي والأستاذ الدكتور المرابي أو الشيخ الداعية أو الإمام والخطيب والحافظ لكتاب الله. لقد ركزت في كتاباتي وخطبي ومحاضراتي الدينية والتفسيرية أو الثقافية في قاعة المحاضرات مع طلابي وطالباتي في خمس جامعات عالمية التي تشرفت بالعمل والخدمة الاجتماعية والتربوية والدينية في دول الخليج وجنوب شرق آسيا، أقول: لقد ركزت على روح التجديد في الخطاب الديني وتبني الفكر الشمولي الواقعي الإنساني والاجتماعي الوسطي الرباني المعاصر، واضعا القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة والحسنة نصب عيني، مستفيدا من جهود العلماء السابقين والمعاصرين، داعيا إلى ربط تعاليم الشريعة الإسلامية بحياتنا الواقعية في كل المجالات والمعاملات المالية والتربوية والاجتماعية والسياسية.

لقد التزمت في بحوثي ودراساتي بالمنهج الأكاديمي في مناقشة وعرض المسائل، تسهيلا للطلاب والطالبات والباحثين في المعاهد الثانوية والكليات والجامعات، التزمت بالوضوح والتيسير لما أكتبه وأقوله، وتجنبنا من المصطلحات الفلسفية العقيمة والناشئة المعقدة، ولا أزعم الكمال والنضج الفكري والعلمي، وإنما نحن باحثون وطالبون للحكمة والحقيقة العلمية ما دما أحياء؛ إذ الكمال المطلق لله جل وعلا.

وبالجملة فإن بحوثي وأعمالي هي أعمال منهجية فكرية مركزة في كل المجالات التي يحتاجها المسلم المعاصر.

وإنني أشهدكم وأشهد الله عز وجل معكم، بأني كنت مفتخرا ومرتاحا نفسيا وروحيا وعقديا بهذا المنهج وبما كتبتهُ أو قلته لحد الآن وإلى هذه اللحظة وأنا أسطر هذه السطور؛ إذ لم تأتني أية ملحوظة طوال هذا العقد الزمني الذي صدر هذا الحصاد العلمي والفكري؛ أقول إنه لم تأتني أية ملحوظة دينية أو ثقافية أو نقد علمي أو منهجي لما كتبت أو قلته في الجامعات أو المؤتمرات العالمية أو أكتبه الآن! لا مشافهة ولا مكتوبة، والله الحمد والمنة. كل ذلك بفضل الله تبارك وتعالى وبركة دعاء الوالدين وبركة دعوة طلابي وطالبي في الجامعات والكليات، ولا ننكي أنفسنا والله حسبينا. بل، كل ما جاءني منهم هو الإشادة والثناء العطر الوفير والشكر التقدير والإعجاب بما قلته أو ذهبت إليه - فجزاهم الله خيرا وأنا مدين لهم بالدعاء والشكر والتقدير أيضا -، هذا ظاهر أمر الناس والعلماء والمفكرين والمرين معي في بلاد الحرمين والخليج وجنوب شرق آسيا وكوسوفا، وأما الأسرار فنكل أمرها إلى الله جل وعلا. وعليه، فإنني أعاهد الله عز وجل وإياكم أيها القراء الكرام بأني سأستمر على هذا النهج القويم والسليم ما حييت، وأسأل الله تبارك وتعالى المزيد والتوفيق والسداد إنه جواد كريم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الدكتور خيرالدين خوجة الكوسوفي - دوحة الخير والبركة - قطر

16 ذي الحجة 1437 هـ الموافق ليوم السبت 2016/09/17

# حصاد دراساتي القرآنية

2016- 2005

في المؤتمرات العالمية والمجلات العلمية المحكمة

مجلة المجتمع : المجتمع الثقافي

تاريخ: 2005/05/27

الكويت: د. خير الدين خوجة

### نحو منهج قرآني في النقد

إن الالتزام بمبدأ التقييم المتوازن والموضوعي مطلب إسلامي سامٍ، دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة سلفاً وخلقاً، وهو يقتضي من الإنسان المسلم في معرض نقده وتقييمه ذكر وبيان المساوئ والمحسن وذكر الجوانب الإيجابية والسلبية في القضايا الخاضعة للنقد والتقييم.

إننا نسمع كثيراً في بعض المجالس العلمية كما أننا نقرأ في بعض الصحف اليومية انتقادات لا موضوعية وأحادية النظر، مقتصرة على ذكر المساوئ والعيوب فقط، تماماً كما قال الشاعر: (ولكن عين السخط تبدي المساويا). هذه الانتقادات عادة توجه ضد بعض العلماء والمفكرين وبعض المسؤولين في الدوائر الحكومية والمؤسسات التعليمية، وهي ظاهرة منتشرة للأسف الشديد لافتة للنظر ومقلقة لحاضر الأمة ومستقبلها، ولا بد من وضع حد حاسم لها وعلاجها في



ضوء القرآن والسنة، لأن صاحب هذا الحكم الجائر قد خالف السنة النبوية والحقيقة القرآنية، كما أنه ظلم الموضوعية العلمية. إن قرآنا العظيم قد ضرب لنا أروع مثل وذكر لنا أقوم منهج في بيان كيفية الحكم على الأشياء. لقد ذكر لنا القرآن الكريم سؤال المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم عن الخمر والميسر فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩] وليس هنالك شيء أخس منهما، ولكن ماذا كان موقف القرآن وردة تجاه هذا السؤال؟! لقد أرشد القرآن نبيه أن يقول للسائلين إن فيهما إثماً كبيراً ومنافع للناس.

إذن، فيهما الخير والشر، فيهما جوانب إيجابية كما أن فيهما جوانب سلبية، ولكن الحق أحق أن يتبع وأن يقال: إن ضررها وسلبياتها أكبر وأعظم من نفعها وإيجابياتها.. هذا هو الحكم الموضوعي حول هذه المسألة.. هذا هو المنهج العلمي المتزن والوسطي الذي يجب أن نسير عليه في حكمنا على المسائل والأشياء وعلى جهود الآخرين وأعمالهم، من حكام ومحكومين ورؤساء ومرؤوسين، وألا ننسفها نسفاً مجرد عدم موافقة تلك الجهود لأرائنا وأفكارنا؛ إذ لا يعقل أن تبلغ تلك الجهود والأعمال في الخسة والتفاهة إلا ما ندر درجة الخمر والميسر بحيث نحكم عليها بالرفض والبطلان، جملة وتفصيلاً.. كل ذلك في سبيل الحفاظ على أمانة التوازن والوسطية والنقد المنهجي العلمي الموضوعي، حتى لا نكون من الظالمين، فهل نحن فاعلون؟!!

صحيفة رسالة طيبة

جامعة طيبة بالمدينة المنورة

2005/7/1

### درس التقوى المستفاد من صيام رمضان

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين، سيدنا و نبينا محمد و على آله و أصحابه الطيبين الطاهرين و من اقتفى أثرهم و سلك نهجهم إلى يوم الدين.

يقول الله عز وجل في محكم تنزيله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185]

و روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة (-) (ج 6 / ص 470)، رقم الحديث: 1769 يقول بعض المفسرين المعاصرين في تفسير آية الصيام السابقة:

" إن الله - سبحانه - يعلم أن التكليف أمر تحتاج النفس البشرية فيه إلى عون ودفع واستجاشة لتنهض به وتستجيب له؛ مهما يكن فيه من حكمة ونفع ، حتى تقتنع به وتراض عليه . ومن ثم يبدأ التكليف بذلك النداء الحبيب إلى المؤمنين ، المذكر لهم بحقيقتهم الأصيلة؛ ثم يقرر لهم - بعد ندائهم ذلك النداء - أن الصوم فريضة قديمة على المؤمنين بالله في كل دين، وأن الغاية الأولى هي إعداد قلوبهم للتقوى والشفافية والحساسية والخشية من الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [ البقرة: ١٨٣ ]

وهكذا تبرز الغاية الكبيرة من الصوم . . إنها التقوى . . فالتقوى هي التي تستيقظ في القلوب وهي تؤدي هذه الفريضة ، طاعة لله ، وإيثاراً لرضاه . والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية ، ولو تلك التي تهجس في البال ، والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله ، ووزنها في ميزانه . فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم . وهذا الصوم أداة من أدواتها ، وطريق موصل إليها ومن ثم يرفعها السياق أمام عيونهم هدفاً وضيئاً يتجهون إليه عن طريق الصيام . . ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

ثم يثني بتقرير أن الصوم أيام معدودات ، فليس فريضة العمر وتكليف الدهر . ومع هذا فقد أعفى من أدائه المرضى حتى يصحوا ، والمسافرون حتى يقيموا ، تحقيقاً وتيسيراً ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . في ظلال القرآن - ( ج 1 / ص 141 )

وظاهر النص في المرض والسفر يطلق ولا يحدد . فأى مرض وأي سفر يسوغ الفطر لى أن يقضي المريض حين يصح والمسافر حين يقيم . وهذا هو الأولى في فهم

هذا النص القرآني المطلق ، والأقرب إلى المفهوم الإسلامي في رفع الحرج ومنع الضرر . فليست شدة المرض ولا مشقة السفر هي التي يتعلق بها الحكم إنما هي المرض والسفر إطلاقاً ، لإرادة اليسر بالناس لا العسر . ونحن لا ندري حكمة الله كلها في تعليقه بمطلق المرض ومطلق السفر؛ فقد تكون هناك اعتبارات أخرى يعلمها الله ويجهلها البشر في المرض والسفر؛ وقد تكون هناك مشقات أخرى لا تظهر للخطتها ، أو لا تظهر للتقدير البشري . . وما دام الله لم يكشف عن علة الحكم فنحن لا نتأولها؛ ولكن نطيع النصوص ولو خفيت علينا حكمتها . فورها قطعاً حكمة . وليس من الضروري أن نكون نحن ندرکها .

يبقى أن القول بهذا يخشى أن يحمل المترخصين على شدة الترخص ، وأن تهمل العبادات المفروضة لأدنى سبب . مما جعل الفقهاء يتشددون ويشترطون . ولكن هذا - في اعتقادي - لا يبرر التقييد فيما أطلقه النص . فالدين لا يقود الناس بالسلاسل إلى الطاعات ، إنما يقودهم بالتقوى . وغاية هذه العبادة خاصة هي التقوى . والذي يفلت من أداء الفريضة تحت ستار الرخصة لا خير فيه منذ البدء ، لأن الغاية الأولى من أداء الفريضة لا تتحقق . وهذا الدين دين الله لا دين الناس . والله أعلم بتكامل هذا الدين ، بين مواضع الترخص ومواضع التشدد؛ وقد يكون وراء الرخصة في موضع من المصلحة ما لا يتحقق بدونها . بل لا بد أن يكون الأمر كذلك . ومن ثم أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يأخذ المسلمون برخص الله التي رخصها لهم . وإذا حدث أن فسد الناس في جيل من الأجيال فإن إصلاحهم لا يتأتى من طريق التشدد في الأحكام؛ ولكن يتأتى من طريق إصلاح تربيتهم وقلوبهم واستحياء شعور التقوى في أرواحهم . وإذا صح التشدد في أحكام المعاملات عند فساد الناس كعلاج رادع ، وسد للذرائع ، فإن الأمر في الشعائر

التعبدية يختلف ، إذ هي حساب بين العبد والرب ، لا تتعلق به مصالح العباد تعلقاً مباشراً كأحكام المعاملات التي يراعى فيها الظاهر . والظاهر في العبادات لا يجدي ما لم يقيم على تقوى القلوب . وإذا وجدت التقوى لم يتفلسف متفلسف ، ولم يستخدم الرخصة إلا حيث يرتضيها قلبه ، ويراهها هي الأولى ، ويحس أن طاعة الله في أن يأخذ بها في الحالة التي يواجهها ، أما تشديد الأحكام جملة في العبادات أو الميل إلى التضييق من إطلاق الرخص التي أطلقتها النصوص ، فقد ينشئ حرجاً لبعض المتخرجين . في الوقت الذي لا يجدي كثيراً في تقويم المتفلسفين . . والأولى على كل حال أن نأخذ الأمور بالصورة التي أرادها الله في هذا الدين .



رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿ [المائدة: 64] .

وذكر القرآن الكريم لنا في آيات عديدة أن المشركين من العرب و أهل الكتاب في قديم الزمان طعنوا في شخص نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ونالوا منه. فقد اتهموه في عقله ودينه و وصفوه بأوصاف لاذعة. كما لا يخفى على ذي سليم عقل أن الكفر ملة واحدة، و أن اليهود لا يرضون و لن يرضوا عنا مهما تسامحنا معهم، وكما ورد ذلك على لسان بني إسرائيل عندما قالوا لنبيهم موسى عليه السلام: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [ الأعراف: 132 ]، فمهما تنازلنا عن حقوقنا و منحنا لهم ثرواتنا وخيراتنا، فلن يرضوا عنا، إلا إذا اتبعناهم في دينهم وعقيدتهم و أخلاقهم. إن هؤلاء قوم لا يشبعون إلا بامتصاص دمائنا و نهب ثرواتنا واغتصاب أراضينا. الحقد والحسد وعداوتهم للإسلام و المسلمين متأصل في نفوسهم و في سويداء قلوبهم، و أن نلك العداوة تجري في شرايين دمائهم.

وباستقراء نصوص القرآن الكريم و السنة النبوية تتمثل هذه الحقائق جليلة أمامنا. و ليت الأمر وقف عند هذا الحد و ليت هذا السيناريو لم يتكرر على مرأى و مسمع من أناس يزعمون أنهم بلغوا من الرقي و الازدهار والحضارة و الثقافة مبلغها. حيث تجدهم رافعين لتلك الدعوات و الشعارات واللافتات الخادعة والبراقة، الداعية إلى الحوار المتبادل و إلى بناء الجسور و الروابط بين الحضارات و الثقافات واحترام الأديان !!!؟؟ وإذا بهم ينقلبون على عقبيه، ينقضون العهد و الميثاق و يخونون الله و رسوله، و يخونون العالم عامة والمسلمين على وجه الخصوص، وإذا بهم يطلقون عنان ألسنتهم وينالون من شخص نبينا ورسولنا محمد البشير

والنذير و الرحمة المهداة إلى الناس أجمعين. لقد صوروا صوراً بشعة و رسموا رسومات مضحكة في صحفهم و مجلاتهم، استهزاء وسخرية بهذا النبي العظيم، و لا غرو أن هذا الذي ظهر و بدى هو غيظ من فيض، وأن ما تخفي صدورهم و نفوسهم أدهى و أمرّ، و كما قال الشاعر: ( ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً - وتأتيك بالأخبار من لم تنور).

هذا الذي ظهر أخيراً على لسان أبناء الشعب الدانماركي، حيث تولوا كبر هذه الهجمة الشرسة، ثم تنو قلت تلك الرسومات المستهزئة في دول أوربية أخرى، مثل نوروج وسويد وألمانيا وإسبانيا وفرنسا وبريطانيا.. الخ سبحانه الله! و كأن شيئاً لم يحدث!! و قد وصل الخبث و الوقاحة برئيس الوزراء الدانماركي عندما قيل له أن عليكم الاعتذار للمسلمين والاعتراف بالخطأ والجريمة. فما كان منه إلا أن يستنكف و أن يستكبر قائلاً: إن هذا إلا سحر يؤثر، إن هذا إلا حرية التعبير ليس إلا!! بينما تجد الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا وفرنسا في قانونها ( جيسو فايوس )، يشرعون قوانين و يقررون عقوبات على كل من يتناول على اليهود وإسرائيل ولو بكلمة حق، وأن كل من لوحظ لديه شعور معاداة السامية فإنه يجب أن يعاقب، بل وطلبوا من الأمم المتحدة أن تتبنى مشروعية هذا القرار. وأما من يتناول على الإسلام و نبي الإسلام و مقدسات المسلمين، فهذا القانون لا يشملهم، وإنما يكتفي بشجب و الإدانة و إنكار ذلك فحسب، لأن ذلك من باب حرية التعبير عن الرأي!!؟

مهلاً أيها الشعب الدانماركي و أيها القادة الغربيون.. كفانا من هذه التناقضات وهذه الازدواجية في مواقفكم. أين الموضوعية والحيادية!!؟ إلى متى ستناقفون العالم عموماً والمسلمين خاصة!!؟ أين أدبكم وثقافتكم و شعوركم



الإنساني تجاه مليار ونصف مليار مسلم في العالم؟! أنسيتم أن هؤلاء المسلمين لديهم مشاعر إنسانية ودينية مقدسة؟ أنسيتم أنهم يدينون بدين الحق والعقيدة الحقة؟! كيف ترضون بإذلالهم وإهانتهم وتعذيبهم وتدنيس قرآنهم وسب نبيهم محمد صلى الله عليه و سلم؟! ثم أنتم هؤلاء تطلبون منهم أن يكونوا مسالمين لكم حتى يعيش العالم في أمن و سلام؟! فرجاء كفوا أيديكم و ألسنتكم من السوء وعودوا إلى رشدكم و راجعوا أنفسكم إذا ما شئتم أن يكف المسلمون أيديهم و ألسنتهم عنكم..و السلام.

## ظاهرة الإرهاب<sup>2</sup> ( بين التشخيص والعلاج )

تأليف

فضيلة الدكتور / خيرالدين خوجة

أستاذ التفسير والدراسات القرآنية المساعد - كلية المجتمع - جامعة طيبة

المدينة المنورة

2005

---

<sup>2</sup> هذه الدراسة نشرت في مجلة ( الحكمة ) المحكمة الصادرة بالمدينة المنورة ومانشستر في بريطانيا عام 2005

## الفصل الأول: مدخل إلى عالم الإرهاب وملامح الإرهابيين ( تشخيص الداء )

### تمهيد

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا ونبينا وقدوتنا وقره أعيننا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وعلى آله الطيبين الطاهرين أولي النهى والإحسان، ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته فكان **p** أسوة حسنة للوسطية والوئام والأمن والسلام وتحقيق رضا الرحمن.. أما بعد

يقول الله عز وجل في محكم تنزيله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [أنفال: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]، وقال عز من قائل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]

فبناء على هذه النصوص وغيرها من النصوص القرآنية الكثيرة؛ يتحتم علينا القيام بواجب الأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ بيد الظالم والعاصي ومنعه من الظلم والعصيان، ذلك؛ حتى لا يصيبنا الله عز وجل بعذاب من عنده بسبب قلة من الناس الذين يعيثون بأمن العباد والبلاد ويفسدون في الأرض، لأن عذاب الله إذا جاء لا يؤخر و لا يفرق بين الصالح و الطالح والمسلم والكافر، فإنه

يعم وَيَطْمُ، فنسأل الله عز وجل اللطف والعافية. فو الله الذي لا إله إلا هو إن الأمر جد خطير والخطب جلل، وإذا لم يتداركنا الله عز وجل بلطفه ورحمته لنكونن من الصاغرین في الدنيا والخاسرين في الآخرة.

إن نظرة ثاقبة إلى حال الأمة الإسلامية، فإننا سنلاحظ من خلالها أن الأعداء قاطبة قد تكالبوا عليها لمص دمء شعوبها ونهب ثرواتها وخيراتها وتركهم حفاة عراة. وقد تزامنت مع هذه الحملة الأثمة بث بذور الشك والتنصير والعمولة والعلمنة في نفوس وعقول المسلمين، من خلال وسائل الإعلام الفضائية؛ المرئية والمسموعة باسم نشر الحرية والثقافة و العمولة والديموقراطية !!؟؟

أما عن تمزق الأمة الإسلامية داخلياً فحدث ولا حرج؛ حيث خلافاتها الفكرية والعقدية وانشقاقاتها الطائفية والمذهبية والحزبية، والقتل والتشريد للأبرياء والمسنين من الشيوخ والنساء والأطفال. نتيجة لهذه المأساة الدينية والإنسانية التي أصيب بها العالم الإسلامي، فقد برزت هناك ثلة من شباب المسلمين، في بعض الدول العربية والإسلامية، شعارهم العودة إلى الإسلام من جديد ببذل كل غال ونفيس.!! الجهاد الجهاد...!! القضاء على العملاء والمنافقين...!!

وإذا ما حققنا في أمرهم ودققنا في كلامهم؛ وجدناهم حاملين للفكر الشطط والمتطرف، يحملون من الإسلام اسمه ويخالفون هديه، يسعون في الأرض فساداً وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. شعارهم القيام بأعمال تخريبية وإرهابية وإجرامية في حق المجتمع والمدنيين الأبرياء، يعبثون بأمن البلاد العباد، يهزون استقرارها الروحي والفكري والسياسي. كما أن من شعارهم مناشدة الناس بعدم طاعة ولاة الأمور وعصيان

أوامرهم والتمرد عليهم، وحث الناس والشباب إلى الخروج عليهم<sup>3</sup>، وقاتلهم ومحاربة كل من وقف بجانبهم، سواء كانوا علماء أو مواطنين أو رجال أمن.. الخ. كل ذلك يتم من قبل هؤلاء باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و محاربة الشر والرذيلة و نشر الخير و الفضيلة !!؟

فقد رخصت في أعين تلك الفئة الضالة دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم، لا يرقبون فيهم إلاّ ولا ذمة. ولتحقيق مئاريهم ونيل أوطارهم سلكوا في سبيل ذلك كل السبل، المشروعة وغير المشروعة، ولم يراعوا في قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الأوامر الإلهية ولا الإرشادات النبوية ولا القواعد الأصولية. يرضون من حولهم من الناس بأقوالهم ويعصون الله عز وجل بأفعالهم، يتحدثون باسم الإسلام وهدية وربما هم أشد الناس بعداً عنه. يدعون حب الخير ونشر الفضيلة والتحبب إلى الناس، بينما واقع حالهم يشهد بنقيض ذلك. لقد شهروا السلاح ورفعوا سنان السيوف ووجهوا فوهات البندقيات والرشاشات لضرب وقتل كل من لا يرى مثل رؤيتهم ولا يعتقد مثل اعتقادهم. وما مثل قولهم إلا كقول فرعون عندما قال لبني إسرائيل.. ﴿إِنَّا قَوْمٌ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبَصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]

وبرجوعنا واستقراءنا للنصوص القرآنية والنبوية، فإننا بإذن الله سنتوصل إلى جذور هذه المشكلة الاجتماعية والدينية، وستتعرف على سنن الله عز وجل في الكون في كيفية التغيير وإزالة المنكر، وستتقن أن الهدى القرآني سيكون خير علاج لنا أجمعين في استتصال هذا الداء الخطير والشر الوبيل الذي ابتلينا به في هذا العصر:

<sup>3</sup> حول أهمية ووجوب طاعة ولاة الأمر و عدم الخروج عليهم.. انظر: الدرر يوش، أحمد بن يوسف بن أحمد: طاعة ولي الأمر و أثرها في تحقيق أمن الوطن - دراسة شرعية، ط1، 2005، دار كنوز إشبيليا للنشر و التوزيع - الرياض، ص: 43-

".. ذلك لأنه من المعلوم أن هذا الكون بما فيه ومن فيه خلقه الله تعالى بنظام وسببية وغائية. كل ظاهرة فيه تخضع إلى مجموعة من السنن الإلهية التي تتحكم في وجوده وصورته، لا تفلت منها ظاهرة، ولا تخرج عليها ذرة. كل شيء في الوجود يمشي موزوناً مضبوطاً مسبباً. والظواهر الاجتماعية هي جزء من الظواهر الكونية تخضع في ظهورها وتغيرها وتلاشيها إلى أسباب و سنن اجتماعية معروفة تدخل ضمن السنن الإلهية الكونية وتتسلسل منها. وظاهرة التغير في حياة المسلمين كانت ظاهرة ضخمة وصورته تاريخية كبيرة، لا بد أن أسباباً مهمة ومتنوعة تقف وراءها، وبقدر تعمقنا في دراستها وتحديد أوجه تأثيرها نضع أيدينا على جذور الأزمة الثقافية و الحضارية في العصر الحديث.. " 4 .

هذه الدراسة ستحاول بإذن الله الواحد الأحد أن تضع النقاط على الحروف وأن تشخص هذا الداء العضال، منطلقين من اعتقاد جازم بأنه، أي الإرهاب، هو داء فكري عقدي أصيل في الدرجة الأولى، وله جذورها الفكرية والعقدية والتاريخية، فلا بد إذن أن نخوض مع هؤلاء المتشددین الإرهابيين إلى معركة ثقافية وفكرية، حتى نتصر عليهم بعون الله وقوته. فالفكر المنحرف والثقافة المنحرفة لا تعالج إلا بالفكر الصحيح الأصيل، المبني على الكتاب والسنة وعلى اجتهادات العلماء والفقهاء المشهود لهم بالخيرية و الأفضلية، قديماً وحديثاً.

إن الفكر المنحرف والثقافة المحرفة لا تعالجان بالقوة والعنف فقط، لأنه كما بات معلوماً لدى الجميع أن العنف لا يولد إلا مزيداً من العنف، واللجوء إلى القوة لا يولد إلا مزيداً من ردة الفعل. ومن ثم فإننا نرى ونعتقد أنه لا تكفي تلك الجهود

4 عبد الحميد، محسن: أزمة المثقفين تجاه الإسلام في العصر الحديث، دار الصحوه للنشر، القاهرة، ط1، 1984، ص:

الجسارة التي تبذلها رجال الأمن في حكومة خادم الحرمين الشريفين وفي غيرها من الحكومات في إخماد نار فتنة الإرهاب، بل لا بد لنا معاشر رجال الفكر والدعوة أن نضم جهودنا وأصواتنا إلى جهود هؤلاء الأبطال من رجال الأمن الذين باتوا يسهرون ليل نهار في حراسة أمن هذه البلاد واستقرارها من هذا السرطان الاجتماعي في هذا العصر<sup>5</sup>، حفظهم الله وزادهم قوة وثباتاً.

هذه الورقة ستحاول بإذن الله أن تجيب على هذه الأسئلة:

- معنى الإرهاب وجذورها الفكرية والتاريخية ؟
- ما السبل الفكرية والخطوات المنهجية المساعدة على استئصال ظاهرة الإرهاب ؟
- هل التمسك بفكرة الوسطية والتوازن في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية يكون مخرجاً من هذه الأزمة الفكرية والاجتماعية والدينية ؟

نسأل الله عز وجل التوفيق و السداد إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير.

<sup>5</sup> انظر: الياسين، لواء عبد الرحمن أبكر: الإرهاب سرطان المجتمعات المعاصرة، ط1، 2003، دار طويق للنشر والتوزيع،

الرياض، المملكة العربية السعودية، ص: 65-91

## المبحث الأول: المفهوم و المصطلح

أثبتت لنا بعض الدراسات الحديثة أن: "مصطلح الإرهاب **Terrorism** في الثقافة الغربية تاريخيًا استعملت للدلالة على نوع الحكم الذي لجأت إليه الثورة الفرنسية إبان الجمهورية الجاكوبية في عامي [1873م - 1874م] ضد تحالف الملكيين والبرجوازيين المناهضين للثورة. وقد نتج عن إرهاب هذه المرحلة التي يطلق عليها: **Reign of Terror** (عهد الإرهاب - مرحلة الإرهاب)، اعتقال ما يزيد عن 300 ألف مشتبه وإعدام حوالي 17 ألفًا، بالإضافة إلى موت الآلاف في السجون بلا محاكمة. و إن كان هناك من يرجع بالمصطلح والمفهوم إلى أقدم من هذا التاريخ كثيرًا، حيث يفترض أن الإرهاب حدث ويحدث على مدار التاريخ الإنساني وفي جميع أنحاء العالم. وقد كتب المؤرخ الإغريقي زينوفون (Xenophon) (34 - 30) ق.م - في سياق الثقافة الغربية - عن المؤثرات النفسية للحرب والإرهاب على الشعوب. وقد استخدم حكام رومان من أمثال: (Tiberius) (14-37) ق.م ، وكاليجولا (Caligula) (37 - 41) ق.م ، العنف ومصادرة الممتلكات والإعدام كوسائل لإخضاع المعارضين لحكهما. ولعل محاكم التفتيش التي قام بها الأسبان ضد الأقليات الدينية (المسلمين أساسًا) أهم محطات الإرهاب الرئيسية في تاريخ الثقافة الغربية . وقد تبنت بعض الدول الإرهاب كجزء من الخطة السياسية للدولة مثل دولة هتلر النازية في ألمانيا، وحكم ستالين في الاتحاد السوفيتي آنذاك، حيث تمت ممارسة إرهاب الدولة تحت غطاء أيديولوجي لتحقيق مآرب سياسية واقتصادية وثقافية. واعتبرت منظمات وجماعات مثل جماعة - بادر ماينهوف - الألمانية، ومنظمة - الألوية الحمراء - الإيطالية،



والجيش الأحمر الياباني، والجيش الجمهوري الأيرلندي، والدرب المضيء البيروية، ومنظمة -إيتا - الباسكية... اعتُبرت من أشهر المنظمات الإرهابية في تاريخ القرن العشرين من منظور غربي..<sup>6</sup>

ويرى بعض الباحثين والمحللين أن الإرهاب كان وما زال مصطلحاً يكتنفه كثير من الغموض، وذلك تبعاً للموقف والذي ينطلق منه شارح الإرهاب و مفسره. ولو ألقينا نظرة تحليلية على مفهوم وتركيبها النحوي و الصرفي لكلمة الإرهاب فسنرى أن: "كلمة "إرهاب" من الفعل المزيد (أرهب) ؛ ويقال أرهب فلانا: أي خوَّفه وفرَّعه، وهو نفس المعنى الذي يدل عليه الفعل المضعف (رهب). أما الفعل المجرد من نفس المادة وهو: (رهب)، يرهب رهباً ورهباً ورهباً - و على هذا جاءت القراءات القرآنية السبعة، بفتح الهاء و سكونها - فيعني خاف، فيقال رهب الشيء رهباً ورهبةً أي خافه .

أما الفعل المزيد بالتاء وهو (ترهب) فيعني انقطع للعبادة في صومعته، ويشتق منه الراهب والراهبة والرهبانية... إلخ، وكذلك يستعمل الفعل ترهب بمعنى توعد إذا كان متعدياً فيقال ترهب فلاناً : أي توعدّه . وكذلك تستعمل اللغة العربية صيغة استفعل من نفس المادة فتقول: (استرهب) فلانا أي رهبه<sup>7</sup>، - و على هذه الصيغة جاءت الآيات القرآنية في شأن سحرة فرعون، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾، [الأعراف: ١١٦]

<sup>6</sup> للتوسع انظر: ( مفهوم الإرهاب بين الأصل والتطبيق ) معهد الدراسات الإفريقية- جامعة القاهرة، 25.11.2000 ، في موقع على الإنترنت: <http://www.google.com>

<sup>7</sup> المرجع السابق

ويلاحظ أن القرآن الكريم لم يستعمل مصطلح "الإرهاب" بهذه الصيغة، وإنما اقتصر على استعمال صيغ مختلفة الاشتقاق من نفس المادة اللغوية، بعضها يدل على الإرهاب والخوف والفرع، والبعض الآخر يدل على الرهينة والتعبد، حيث وردت مشتقات المادة (رهب) سبع مرات في مواضع مختلفة في الذكر الحكيم لتدل على معنى الخوف والفرع كالتالي :

1- ﴿يَرْهَبُونَ﴾ : ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسْحَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]

2- ﴿فَارْهَبُون﴾ : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾ [البقرة: ٤٠]

3- ﴿تَرْهَبُونَ﴾ : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]

4- ﴿استرهبوهم﴾ : ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]

5- ﴿رَهْبَةً﴾ : ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣]

6- ﴿رَهْبًا﴾ : ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

بينما وردت مشتقات نفس المادة (رهب) خمس مرات في مواضع مختلفة لتدل على الرهبة والتعبد كالتالي :

• ورد لفظ ﴿الرهبان﴾ في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]

• كما ورد لفظ ﴿رهباناً﴾ في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]

• ولفظ ﴿رهبانهم﴾ في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 31]

• وأخيراً ﴿رهبانية﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فَقَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

بينما لم ترد مشتقات مادة (رهب) كثيراً في الحديث النبوي ولعل أشهر ما ورد هو لفظ (رهبية) في حديث الدعاء : " رغبة ورهبة إليك " . ويلاحظ أيضاً أن

القرآن والحديث قد اشتملا على بعض الكلمات التي تتضمن الإرهاب والعنف، بمعنى استخدام القوة أو التهديد لتحقيق أهداف معينة، ومن هذه المفاهيم: العقاب والقتل والبغي والعدوان والجهاد و الحرب.. إلخ، إلا أن لهذه الكلمات و الاصطلاحات لها معانيها الخاصة وليست المطلقة، يفهم ذلك من سياق الآية وسباقها ولحاقها.

### المبحث الثاني: الخلفية التاريخية لظاهرة الإرهاب

تولدت في الآونة الأخيرة ظاهرة مستحدثة في لونها وشكلها، بينما هي قديمة وعريقة في أصلها ووجودها. تشير بعض الدراسات أن: " من أقدم الأمثلة المعروفة عن حركة إرهابية هي: (السيكاريون) و هي طائفة دينية - يهودية قديمة عرفت بتعصبها وتطرفها - على درجة عالية من التنظيم ... في فلسطين عام ( 66-73 م )، واتبعوا تكتيكات خارجة عن العرف والتقاليد، لمهاجمة أعدائهم في وضح النهار، وكانوا يفضلون أن يتم ذلك أيام الأعياد، حينما تكون الجماهير محتشدة في مدينة القدس. و كان سلاحهم المفضل سيفاً قصيراً ( Sica ) - أي الخنجر الصغير- يجنبونه تحت ستراتهم. وكانت الأعمال الإرهابية أيضاً موضع تسامح، بل وحتى مباركة - لدى - الطبقة العليا من رجال الكهنوت المسيحيين " <sup>8</sup>.

ويرى بعض المؤرخين أن جذور الإرهاب الحسي والفكري تعود إلى الفكر الصهيوني اليهودي. ولشدة تعلق الصهيونية بالإرهاب يجدر بنا أن نرجع إليها قليلاً.

<sup>8</sup> د. أمل يازجي & د. محمد عزيز شكري: الإرهاب الدولي و النظام العالمي الراهن، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط1،

يقول المؤرخون إن الصهيونية هي: " حركة عنصرية سياسية استعمارية أسبغت على اليهودية صفة القومية والدلالة الجنسية، وزعمت أن الشعب اليهودي يكون عرقاً نقياً، ونادت بجل ما أسمته: ( المشكلة اليهودية )، والتي عارضت اندماج اليهود في أوطانهم الأصلية ودفعتهم للهجرة إلى فلسطين، زاعمة أن لهم فيها حقوقاً تاريخية ودينية، وتلاققت مطامع الصهيونية بأهداف الاستعمار في إقامة دولة فلسطين عن طريق إرهاب وطردها العربي الأصيل.."<sup>9</sup>.

ومما يؤكد وجود جذور الإرهاب الحسي والفكري في الفكر الصهيوني اليهودي، يرى المحللون أن الفلسفة الصهيونية تقوم على هذه الأسس والمرتكزات:

1. "أن اليهود هم شعب الله المختار وأن أرواح بني إسرائيل تتميز عن باقي الأرواح، حيث أن الأرواح الأخرى هي أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات، وأن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة. هذه الفكرة جعلتهم فئة منعزلة ومنغلقه على نفسها منذ أن نزلوا أرض كنعان ( فلسطين ) و عندما دخلوا مصر مهاجرين عام 1656 ق.م. إلى يومنا هذا..
2. أن الدنيا بأسرها ملك لإسرائيل ومن حقه أن يتسلط بوصفه مساوٍ للعزة الإلهية..
3. أن فلسطين هي الهدف الأساس لليهود، وهي نقطة الارتكاز التي بيدؤون منها سيطرتهم على العالم، لأنها حسب زعمهم أرض مقدسة وأرض الميعاد وحق لليهود وحدهم..

<sup>9</sup> ياغي، إسماعيل أحمد: الإرهاب و العنف في الفكر الصهيوني، مكتبة العبيكان، ط1، 2003، الرياض، ص:19-

4. أن اليهود في شتى أنحاء العالم يمثلون شعباً واحداً ينتمي إلى أصل واحد، وأن هذا الأصل مرجعه أرض فلسطين، ومن ثم يجب اعتبار يهود العالم جميعاً أعضاء في الجنسية الإسرائيلية..<sup>10</sup>

بينما يرى آخرون أنه بعد أن تم اكتشاف القارة الأمريكية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، يرى هؤلاء أن هذا المجتمع الأمريكي قام على أساس عنصري، مصدره الفكر الديني اليهودي التوراتي التلمودي الاستعلائي، بسبب سيطرة التوجيه لفريق بريطاني الذي كان يشدد في الأدبيات العبرية، وكانوا يسمّون بـ: ( Puritans )، (المتطهرون أو طهرايون)، أي أنهم كانوا يريدون رغبتهم في تطهير الأمة من تعاليم الكنيسة ونفوذها الشعائري والسياسي، وبسبب هذه الرغبة في تطهير الكنيسة وُصف هؤلاء الراديكاليون بأنهم: بيوريتانيون، أي طهرايون- متمتوت، وكانت جامعة كامبردج ( Cambridge University )، مركزاً لهؤلاء المتشددين في منتصف الثاني من القرن السابع عشر. وكانوا يلتزمون بالمفاهيم العبرية ويعدونّها من الأصول، وكانوا يتخذون موقفاً متشدداً يمارسون العنف ضد كل من يخالفونهم، ولأول مرة في التاريخ ظهر معهم فكرة الأصولية: ( Fundamentalism )، وكان الإنكليز من أكثر المهاجرين إلى أمريكا الشمالية. ويشير الباحثون الآخرون أن الحضارة الأمريكية كانت منبعها من بريطانيا وبدأت من عهد الملكة إليزابيث الأولى في انكلترا، لأن العقود الأخيرة في انكلترا كانت فترة فوضى دينية شديدة. وبناء على هذا الأصل التاريخي الديني اليهودي، والتي قامت أمريكا الشمالية على هذا الأساس، فقد

<sup>10</sup> انظر المرجع السابق، ص: 23-63 بتصرف شديد.. و طالع أيضاً هذه الصفحات لكي ترى نصوص التوراة المحرفة الداعية إلى القتل والإبادة والتخريب و الأدبيات اليهودية التي تحث على الإرهاب. ص: 64، 70-71-96، و انظر أيضاً: الإرهاب الدولي و العالمي الراهن، ص: 86-93، و انظر أيضاً: فتاح، عرفان عبد الحميد: اليهودية: عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية ط 1، 2002، دار عمار للنشر و التوزيع، عمان- الأردن، ص: 5-41

أحب الأمريكيون النظر إلى أنفسهم على أنهم حملة رسالة دينية عالمية خاصة، وأنها إسرائيلي جديدة اختارها الله عز وجل لتقوم بدور قيادي في حقبة جديدة من افتداء العالم..<sup>11</sup>.

وبعد هذا العرض التاريخي لجذور الإرهاب، إلا أنه عند التحقيق، يبدو للباحث أن جذور هذه الظاهرة تمتد إلى عصور وقرون سحيقة، أقدم بكثير من هذا الذي ذكر. إنها تمتد إلى عهد وعصر ابني آدم، هابيل و قابيل. قال الله عز وجل: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، ثم إن هذه الظاهرة توارثتها قوم بني إسرائيل من اليهود والنصارى، مصاصوا الدماء وقتلة الأنبياء، وقد تواترت أخبار هذا الإرهاب الفكري و الحسي ضد أنبياء الله تعالى و رسله مما لا يدع مجالاً للشك و الارتياب<sup>12</sup>.

و لقد سجل قرآنا الكريم للعالم أجمع تلك الأعمال الإرهابية الشنيعة والبشعة، والتي كانت تقوم بها اليهود من بني إسرائيل حينما كانوا يقتلون أنبياء الله ورسله بغير حق قائلاً: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمُنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١] و قال تعالى: ﴿ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحِجْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢]

<sup>11</sup> انظر: السحمراني، أسعد: لا للإرهاب نعم للجهاد، دار النفائس، بيروت، ط1، 2003، ص: 39-41

<sup>12</sup> الموجان، أحمد بن حسين بن عبد الله: الإرهاب.. روافده.. أسبابه الفكرية... علاجه.. أقوال العلماء فيه، ط1،

2004، سنا الفاروق للنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ص: 30

وأما في تاريخ الإسلام، فقد ذكر بعض الباحثين أنه قد وجدت أيضاً حالات الإرهاب منذ أن أشرق فجر الدعوة الإسلامية على يد سيدنا ونبينا محمد ﷺ. لقد تعرض هو ﷺ وأصحابه الكرام على الإرهاب الرهيب مما اضطر إلى الهجرة إلى الحبشة مرتين، ثم كانت هناك مقاطعة اقتصادية واجتماعية على بني هاشم ثم المؤامرة الكبرى على النبي ﷺ قبيل هجرته، ثم الإرهاب العسكري بعد هجرة النبي إلى المدينة المنورة. ثم تلت حالات الإرهاب بعد وفاته ﷺ فقاومهم أبو بكر الصديق بكل ما أوتي من قوة وحزم وأحمد نار تلك الفتنة مع المرتدين. ثم كانت الجريمة الإرهابية الجوسية الكبرى بقتل الخليفة عمر بن الخطاب وهو قائم يصلي في المحراب في مسجد النبي ﷺ. ثم تلت هذه الحادثة حادثة أخرى إرهابية على يد الإرهابي اليهودي عبد الله بن سبأ، وانتهت المؤامرة بقتل الخليفة في بيته بعد أن حوضر فيه أياماً. ثم كانت خلافة علي رضي الله عنه ونشب النزاع بينه وبين معاوية رضي الله عنهم فكان ما كان في وقعتي الصفيين والجمل، وظهر التشيع، ثم انفصل عن شيعة علي جماعة خرجوا عليه بعد أن رضي بالتحكيم، وأطلق عليهم اسم الخوارج أو الحرورية نسبة للمكان الذي انحازوا إليه، فكانت أول فرقة شذت عن الجماعة بفكرها القائم على أن مرتكب الكبيرة كافر، وكفروا بعض الصحابة تحت شعار: ( لا حكم إلا لله )<sup>13</sup>.

هذا السيناريو المر يعاد ويكرر من جديد على يد الاحتلال الصهيوني الإسرائيلي والأمريكي<sup>14</sup> ، و يمارس في أيامنا هذه بكافة أساليبه وألوانه وأشكاله، ولكن هذه المرة بغطاء وأسلوب جديدين، ولغة حضارية راقية؟! لغة الدبابات والمدرعات والجرافات والقنصات والطائرات أف: 16، على مرأى ومسمع من العالم المنبهر

<sup>13</sup> انظر: النهاية في الفتن و الملاحم، للإمام ابن كثير، ج1، ص: 2، على الانترنت: www.alwarraq.com

<sup>14</sup> عن المجازر و المذابح الصهيونية في حق الفلسطينيين.. انظر: ياغي، أسماعيل أحمد: الإرهاب و العنف في الفكر

الصهيوني، مكتبة العبيكان، ط1، 2003، الرياض- المملكة العربية السعودية، ص: 141-179



والساكت مثل الشيطان الأخرس عما يحدث، ضد شعبين عازلين، شعب فلسطين وشعب العراق، ولم يسلم الحجر ولا الشجر، ولا الأخضر و لا اليباس إلا وذاق سوء الإرهاب<sup>15</sup>. يحدث كل ذلك بحجة الدفاع عن النفس و محاربة خلايا الإرهاب من المسلمين المتطرفين المتزمتين!!؟ بينما إسلامنا بريء كل البراءة عما يقولون ويصفونه به، وتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

### المبحث الثالث: براءة الإسلام و صفاءه من تهمة الإرهاب

أما علاقة الإسلام بالإرهاب المذموم، المبني على الهوى وعلى تصورات بشرية فردية محضة، فعلاقة بعيدة كل البعد، ولا تمت إليه بصلة أبداً، لا من قريب و لا من بعيد. وأما الغربيون والمستشرقون فكما هو دأبهم وديدهم، فإنهم قد تناولوا هذه القضية في دراساتهم وأبحاثهم وخرجوا بنتائج عجيبة والمرضية لكبرائهم وساداتهم، فقالوا عن الإسلام ووصفوه ب: الإسلام السياسي: Political Islam، والإسلام التقدمي: Progressive Islam، والإسلام الشعبي أو الجماهيري: Popular Islam، والإسلام التقليدي: Traditional Islam، وإسلام الصحوة: Resurgence Islam، والإحياء الإسلامي: Islamic Revival، والأصولية الإسلامية: Islamic Fundamentalism، والإسلام الثوري: Revolutionary Islam، والإسلام الراديكالي: Radical Islam

<sup>15</sup> عن الإرهاب الصهيوني اليهودي فكراً و ممارسة، طبقاً لما ينص العهد القديم من التوراة.. " ..و الآن فاقنلوا كل ذكر من الأطفال. و اقتلوا كل امرأة عرفت مضاجعة رجل. وأما إناث الأطفال اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن لكم.." انظر: السحمراني، أسعد: لا للإرهاب نعم للجهد، دار النفائس، ط1، 2003، بيروت-لبنان، ص: 65-72، وانظر أيضاً: خليل، إبراهيم: تشريح الإسرائيلي - رؤية تورانية لجسد إسرائيلي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة-1997

والإسلام المتشدد: Rigidified Islam<sup>16</sup> ، والإسلام المسلح: Militant Islam ، والعنف الإسلامي: Islamic Violence ، وأخيراً الإرهاب الإسلامي: Terrorism Islamic .

وهكذا نجد هؤلاء القوم كأنهم مبرؤون مما يقولون، و كأنهم لا ذنب لهم، وأن كل ما هو قبيح و سيئ هو منسوب إلى الإسلام..!! فكأنه ليس على وجه المعمورة من الشعوب إلا المسلمون الإرهابيون..!!؟؟!! هيهات هيهات لما يقولون. و يمكن أن نلخص ردنا على هؤلاء المفتين في هذه النقاط:

أولاً: بادئ ذي بدء أود أن أشير إلى حقيقة دينية وإلى بعض القواعد الشرعية الأصولية المهمة، والتي اصطلح عليها علماءنا الأجلاء عن طريق الاستقراء لنصوص الكتاب والسنة، مثل قاعدة: "لا ضرر ولا ضرار - الضرر يزال بقدر الإمكان - الضرر لا يزال بضرر مثله أو أكبر منه - يحتمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى .." <sup>17</sup>.

و من نصوص الكتاب يمكن ذكر قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢] ، وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْتَحِ لَهَا

<sup>16</sup> عن الغلو في الدين ووسطية الإسلام.. انظر: الدوسري، فهد بن مبارك محمد الدوسري: الغلو في الدين ووسطية

الإسلام، مدار الوطن للنشر و التوزيع، ط1، 2005، الرياض، ص: 22-61

<sup>17</sup> الموافقات في الشريعة الإسلامية، للإمام الشاطبي، ص: 628 - 675، وانظر أيضاً هذا المرجع المهم: القواعد

الفقهية، تأليف: د/ عبد العزيز محمد عزام، دار الحديث - القاهرة، ط1، 2005، ص: 101-190 وانظر: مبادرة وقف

العنف - رؤية واقعية و نظرة شرعية، من تأليف: أسامة إبراهيم حافظ، و: عاصم عبد الماجد محمد، و أقره و راجعه: كرم

محمد زهدي-علي محمد علي الشريف - ناجح إبراهيم عبد الله - محمد عصام الدين درباله - فؤاد محمود الدواليبي -

حمدي عبد الرحمن عبد العظيم، مكتبة العبيكان، ط1-2004، الرياض - المملكة العربية السعودية، ص: 29-31

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿[الأنفال: ٦١]﴾، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]، و قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ امْرَأَةً حَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تِ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرِ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

ومن النصوص النبوية يمكن ذكر حديث ابن حبان في صحيحه<sup>18</sup>، و حديث الإمام مسلم أيضًا في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (من خرج من الطاعة و فارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عَمِيَّةٍ يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية، ومن خرج على أمي يضرب برّها وفاجرها و لا يتحاشى من مؤمنها و لا يفى لذي عهد عهده فليس مني و لست منه)<sup>19</sup>.

<sup>18</sup> صحيح بن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993، تحقيق:

شعيب الأرنؤوط، ج10، ص: 441، الرقم: 4580

<sup>19</sup> صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد

فؤاد عبد الباقي، ج3، ص: 1476، الرقم: 1848.

وروى الإمام أبو داود في سننه عنه  $\rho$  أنه قال: ( لا يجل لمسلم أن يروغ مسلماً<sup>20</sup> ) و ذكر الإمام الحاكم في مستدركه على الصحيحين أنه صلى الله عليه و سلم: (هى أن يروغ المؤمن أو أن يؤخذ متاعه لاعباً أو جداً )<sup>21</sup>.

وبناء عليها فإن كل ضرر حسي أو معنوي يلحق بالأفراد أو الجماعات البريئة مثل ظاهرة الإرهاب في عصرنا الحاضر، وترويع الأبرياء والأمينين من المسلمين أو المستأمنين من أهل الكتاب، كل ذلك، في نظر الإسلام هي أعمال و أفكار ممقوتة ومنبوذة، و محرمة جملة و تفصيلاً بكافة أشكالها و ألوانها. و بناء عليه فقد دعانا إسلامنا إلى التمسك و الالتزام بالمنهج القرآني في كيفية مواجهة هذا التحدي الفكري والعقدي المنحرف الذي يعاني منه الأخضر واليابس، الصالح والطالح الجماد والحيوان، فضلاً عن الإنسان، و الله المستعان وعليه التكلان.

إن ديننا الإسلامي دين سلام وأمان، ودين حياة وبناء وحضارة ، جاء لرعاية مصالح العباد في المعاش و المعاد، وليس دين موت و قتل و تخريب و ترهيب و ترويع، كما قد يتوهم ذلك بعض من لا نصيب له من العلم أو الفقه الشرعي المستنير. و هذا هو السر في محاربة الإسلام لتلك الظاهرة المدمرة والمهلكة للحرث والنسل، ظاهرة الغلو أو التنطع الفكري أو المذهبي أو العقدي، المؤدية إلى الإرهاب والقيام بالأعمال الإجرامية، لأنها لم تأت بخير قط في تاريخ البشرية، لا للأولين وللآخرين. و بناء على هذه الحقيقة التاريخية، دعانا إسلامنا إلى نور الوسطية و ميزان الاعتدال وإلى الاحتكام

<sup>20</sup> سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ج4، ص: 301، كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح

<sup>21</sup> المستدرک على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ط1، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج3، ص: 476، الرقم: 5778، وانظر: البيان و التعريف، ل: إبراهيم بن محمد الحسيني، دار الكتاب العربي، بيروت، 1401 هـ، تحقيق: سيف الدين الكاتب، ج2، ص: 247

إلى: " المرجعية المركزية " أو مقياس المركز " **The Criteria of the Center**<sup>22</sup>، - القرآن و السنة - لنستقي منهما علاجنا و نستبين سبيلنا إلى مرضاة الله في الدنيا و الآخرة.

وفوق ذلك كله، فقد تقرر لدى أهل الحل والعقد من علماء الأمة الإسلامية سلفاً وخلفاً أن مقاصد تشريعات ديننا الحنيف انصبت على حفظ كبرى القضايا الإنسانية و التي لا تستقيم الحياة الإنسانية إلا بها، وعليها تقوم مصالح البشر قاطبة. هذه المصالح التي جاء بها ديننا الحنيف لحفظها هي مصالح مقدسة لا يجوز التعرض لها بأي سوء، و هي: حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وهذا الذي سمي لدى المحققين من العلماء ب: الكليات الخمس، الضرورية<sup>23</sup>.

نستخلص مما سبق أن ظاهرة الإرهاب و القتل وترويع الآمنين وتدمير المصالح البشرية وانتهاك حرمت الآخرين، تتعارض و تتناقض مع روح هذه التعاليم الربانية والمقاصد الإنسانية السامية. وعليها، فقد أجمع عقلاء هذه الأمة المباركة سلفاً وخلفاً على وجوب الالتزام والأخذ بفريضة الوسطية في أمور الدين كلها، وبات هذا الالتزام قضية مسلّمة بما لدى المحققين من أهل العلم، إلا من لا يعتد بخلافه ولا عبرة برأيه. و إن قوماً ضلوا وشدوا عن جادة الوسطية، والالتزام بهذه الفريضة الربانية وهذا الهدى النبوي المعصوم، كان عاقبة أمرهم حُسرًا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنْعاً.

---

<sup>22</sup> فتاح، عرفان عبد الحميد: محاضرات عن قضايا أساسية في أديان العالم - Lectures on Major

Themes in World Religions ، من مطبوعات الجامعة الإسلامية العالمية بكوالا لامبور - ماليزيا، 2000.

<sup>23</sup> يراجع في هذا الخصوص: الموافقات في الشريعة الإسلامية للإمام الشاطبي، فإنك ستجد فيه قولاً شافياً وكافياً، ج1، ص: 219-255

## المبحث الرابع: من ملامح الغلو و مظاهره

ذكر العلماء والمفكرون أن من أبرز ملامح الغلو والتشدد هو:

- 1- التعصب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر في الأمور الاجتهادية والأمر المحتمل، وكثيراً ما تجعل الأمور الاجتهادية أموراً مقطوعة و يقينية، ليس فيها إلا قول واحد وهو قوله...فهو لا يسمع حجج الآخرين ولا يفكر فيها ولا يقارن كلامه بكلامهم..والعجيب أن منهم من يجيز لنفسه أن يجتهد في أغوص المسائل وأغمض القضايا و هو غير أهل للاجتهد..فكأنه يقول: رأيي صواب لا يحتمل الخطأ ورأيك خطأ لا يحتمل الصواب.. فهناك الاتهام بالابتداع أو بالاستهتار بالدين أو بالكفر والمروق. إن هذا الإرهاب الفكري أشد تخويفاً و تهديداً من الإرهاب الحسي..
- 2- .. إلزام جمهور الناس بما لم يلزمهم الله به...التزام التشدد مع قيام موجبات التيسير... رغم أن رسول الله ﷺ يقول: [ يسروا و لا تعسروا و بشروا و لا تنفروا.. ]..فلا يجوز للمسلم أن يلزم جمهور الناس ما يجلب عليهم الحرج في دينهم والعنت في دنياهم..فقد كان ﷺ إذا صلى لنفسه طول الصلاة وإذا صلى بالناس خفف، وقال: [ إذا صلى أحدكم لنفسه فليطوّل ما شاء.. ]..و قال لمعاذ لما أطل الصلاة بالقوم: [ أفتان أنت يا معاذ ] ؟ و كررها ثلاثاً..رواهما البخاري..ومن التشدد على الناس محاسبتهم على النوافل والسنن كأنها فرائض، و على المكروهات كأنها محرمات ..

3- ..التشدد في غير موضعه، في غير زمانه ومكانه، كأن يكون مع قوم حديثي العهد بالإسلام أو حديثي عهد بتوبة، أو في غير دار الإسلام و بلاده الأصلية..فهؤلاء ينبغي التساهل معهم في المسائل الفرعية والأمور الخلافية، و التركيز معهم على الكليات قبل الجزئيات و الأولويات قبل الثانويات..ولذا قال الرسول **p** لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن: [ إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله و أني رسول الله ..][..] قد نرى اليوم بعض الشباب المسلم المتحمس من دول الغرب ينكرون على إخوانهم الذين يرتدون البنطال أو الكرافتة لا الجلباب الأبيض، و يأكلون على المناضد لا على الأرض، وكان الأجدر بهم أن يدعو الناس إلى توحيد الله و التذكير بالآخرة والقيم الدينية العليا و أن يبحثوا كيفية إنقاذ الناس من المهلكات والكبائر، مثل عقوق الوالدين و الزنا و تعاطي المنكرات و المسكرات و الرشاوي و المتاجرة بالأطفال والعاهرات..

4- ..الغلظة والحشونة في التعامل والفظاظة في الدعوة خلافاً لأوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه و سلم.. ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، فهؤلاء تجدهم للأسف لا يفرقون في

ذلك بين كبير وصغير ولا بين من له حرمة خاصة كالأب والأم ومن ليس كذلك، ولا بين من له حق التوقير كالعالم والفقير والمعلم و المربي..

5- ..سوء الظن بالناس.. فالأصل عند المتشدد هو الاتهام والشك، خلافاً لما تقرره الشرائع والقوانين: ( إن المتهم بريء حتى تثبت إدانته).. فنجد المتشددين يسارعون إلى سوء الظن والاتهام لأدنى السبب، فلا يلتمسون المعاذير للآخرين، بل يفتشون عن العيوب، ويجعلون من الخطأ خطيئة، ومن الخطيئة كفرة.. فإذا خالفتهم في سنة حمل العصا، أو الأكل على الأرض مثلاً، اتهموك بأنك لا تحترم السنة ولا تحب رسول الله ﷺ.. و لم يقف الاتهام عند الأحياء، بل انتقل إلى الأموات .. كأئمة المذاهب المتبعة... لم يسلموا من ألسنتهم و سوء ظنهم.. و لو رجعوا إلى القرآن و السنة لوجدوا فيهما ما يغرس في نفس المسلم حسن الظن بالمسلمين.. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. و قال الرسول ﷺ: [ إياكم و الظن فإن الظن أكذب الحديث ]،.. فيجب على المسلم أن يكون عادلاً منصفاً يزن الناس بميزان الشرع والوسطية..

6- ..النظرة المثالية للمجتمع الذي ينبغي أن يكون.. فيعتقد أن المجتمع المسلم ينبغي أن يكون مجتمعاً ملائكياً يسوده الحب والمودة والطاعة الدائمة دوغما تقصير. فإن كان المجتمع الحالي هكذا فهو مجتمع مسلم، وإن وجدت المعاصي فهو مجتمع جاهلي غير إسلامي، وهذا غلو في التصور وبعد عن الواقع... فكل ابن آدم خطأ.. وقد كانت المعاصي والذنوب في كل الأمم



وفي أتباع الرسل... وأن خير القرون هو قرن رسول الله ﷺ لم يكن خالياً من المعاصي سواء كانت من الكبائر أم من الصغائر.. فلا ينبغي للمسلم أن يتخيل المجتمع المسلم خالياً تماماً من جميع الذنوب و الآثام، فإن ذلك لم و لن يكون.. بل عليه أن يكون واقعياً..

7-..السقوط في هاوية التكفير..و يبلغ هذا الغلو غايته حين يسقط عصمة الآخرين ويستبيح دماءهم وأموالهم و لا يرى لهم حرمة ولا ذمة، وذلك عندما يخوض في لجة التكفير و اتهام جمهور الناس بالخروج عن الإسلام، أو عدم الدخول فيه أصلاً..و هذا يمثل قمة الغلو الذي يجعل صاحبه في واد و سائر الأمة في واد آخر. وهذا ما وقع فيه الخوارج في فجر الإسلام والذين كانوا اشد الناس تمسكاً بالشعائر التعبدية صيماً وقياماً وتلاوة للقرآن الكريم، ولكنهم أتوا من فساد الفكر لا من فساد الضمير.. وضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا..و من ثم وصفهم النبي ﷺ بقوله: [ يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم و قيامه إلى قيامهم و قراءته إلى قراءتهم]، ومع هذا قال عنهم: [ يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية..]، ووصف صلتهم بالقرآن فقال: [ يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم..]..و ذكر من علاماتهم المميزة بأنهم: [ يقاتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الأوثان]. وما وقع لطائفة الخوارج قديماً وقع لأخلافهم حديثاً، وهم جماعة التكفير والهجرة.. فهم يكفرون كل من ارتكب معصية وأصر عليها و لم يتب عنها، وهم يكفرون الحكام والمحكومين والعلماء والعوام وكل من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله..ومن بايع إمامهم و دخل

في جماعتهم ثم تراءى له لسبب أو لآخر أن يتركها فهو مرتد حلال الدم.  
و هكذا أسرف هؤلاء في التكفير.. فكفروا الناس أحياء و أمواتا..<sup>24</sup>

---

<sup>24</sup> حرمة الغلو في الدين و تكفير المسلمين، . تاليف و إعداد: : أسامة إبراهيم حافظ، و: عاصم عبد الماجد محمد، و أقره و راجعه: كرم محمد زهدي - علي محمد علي الشريف - ناجح إبراهيم عبد الله - محمد عصام الدين درباله - فؤاد محمود الدواليبي - حمدي عبد الرحمن عبد العظيم، مكتبة العبيكان، ط1-2004، الرياض - المملكة العربية السعودية، ص: 27-52، وانظر: الصحوة الإسلامية بين المجدود و التطرف، د. يوسف القرضاوي

## المبحث الخامس: من أسباب الغلو ودوافعه

ويرى المفكرون والمحللون من العلماء أن من أسباب ودوافع الغلو والتشدد والتنطع:

- ضعف البصيرة بحقيقة الدين، وقلة البضاعة في فقهه و التعمق في معرفة أسراره والوصول إلى فهم مقاصده و استشفاف روحه..
- الاتجاه الظاهري في فهم النصوص، دون التغلغل إلى فهم فحواها و معرفة مقاصدها، ولا ينظرون إلى العلة و الحكمة من وراء التشريع..
- الاشتغال بالمسائل الجزئية والجانبية عن القضايا الكبرى التي تتعلق بوجود الأمة الإسلامية و مصيرها وهويتها..
- الإسراف في التحريم بغير دليل و تتبع زلات الآخرين من العلماء و المفكرين، و هذا خلاف ما كان عليه السلف الصالح، فإنهم كانوا لا يطلقون الحرام إلا ما علم تحريمه جزماً.. أما الميالون للغلو فما أسرعهم على ذلك دون تحفظ..
- إتباع المتشابهات من النصوص و ترك المحكمات البينات..
- عدم التعلم على أيدي العلماء و التتمذ بين يدي المشايخ الربانيين..
- ضعف البصيرة بالواقع و الحياة و التاريخ و سنن الكون..<sup>25</sup>.

وأزيد على ما سبق من ذكر الأسباب أن أسوق تحليل أحد رجال الفكر الإسلامي وهو يشخص الأوضاع الراهنة و مدى صعوبة فهمها، فرأيت من المصلحة نقل كلامه

<sup>25</sup> المرجع السابق، ص: 55-70.. بتصرف

بشيء من الإيجاز، ثم أعقب عليه بما يفتح الله عليّ، حيث قال حفظه الله عز وجل في هذا الصدد: " إن فهم العصر الذي نعيش، هو الخطوة الأولى التي يجب أن نخطوها نحو التمكّن من العيش فيه على نحو مقبول وفعال. ليس فهم زماننا وواقعنا بالأمر اليسير؛ فالواقع المعيش أشبه بما سماه الفلاسفة بـ: (الهيولى) و هو أحياناً أشبه بـ ( الزئبق ) فهو يطاوعك إلى أقصى حد، و لكنه يتأبى على التشكيل و القولية، فتكون مطاوعته الشديدة خادعة. وهكذا شأننا مع الأحداث الجارية في عصرنا، فعلى حين يدعي معظم الناس أنهم فاهمون لكل ما يجري و مستوعبون، يأتي من يقول: إن الناس غير دارين بشيء ؛ وما يقال و يعلن يعطي انطباعاً مغايراً تماماً لما يجري في حقيقة الأمر. سبب الصعوبة البالغة في فهم الواقع العام، و العصر - على نحو أعتقد - أن الناس أينما كانوا لا يستطيعون فهم الواقع إلا عبر (إشكالية) أو بنية معرفية فكرية مكونة من ثلاثة عناصر أساسية، هي: معتقداتهم وقيمهم، ومركبهم العقلي، والمعلومات المتعلقة بالشيء أو الحدث الذي يحاولون فهمه. عقائد الناس و قيمهم، بينها درجة ما من التفاوت و التباين؛ حتى إن أبناء الملة الواحدة حين ينظرون إلى عمل ما من زاوية عقديّة، لا يرونه على درجة واحدة من الوضوح؛ كما أن سلّم القيم و الأولويات ليس ذا ترتيب واحد بينهم، ومركباتهم العقلية أو المبادئ الثقافية و المعرفية التي ينظرون من خلالها إلى الأشياء، ليست هي الأخرى موحدة... إن كل أشكال القراءة للنصوص الشعرية و الفلسفية، يمكن أن تستخدم في قراءة الواقع، وربما استطعنا أن نميز منها ثلاثة أشكال أساسية، هي: القراءة المزيفة، والقراءة العادية، والقراءة الناقدة المتعمقة... إنا نريد فهم قضية بالغة التعقيد؛ فإن مما يعيننا على ذلك، تفتيت تلك القضية إلى أكبر عدد ممكن من الأجزاء؛ وكلما نجحنا في تفتيتها أكثر، كان ذلك أعون لنا على فهم أعمق لها. إذا أردنا - على سبيل المثال - فهم ظاهرة (

الفقر)، ووجب أن نعرّف الفقر، ونحدد مرادنا من وراء إطلاق هذه الكلمة، وأن نحدد زمان هذه الظاهرة و مكائنها، و نبحت بعد ذلك في جذور الفقر العميقة و أسبابه المباشرة و غير المباشرة، و الجهات المسئولة عن وجوده... فهم تاريخ البلد الذي توطنت فيه الظاهرة، و جغرافيته و موارده الاقتصادية، و العادات الاجتماعية السائدة فيه، و طبيعة النظام السياسي الذي يحكمه، و فعالية نظامه القيمي في توجيه السلوك، و مدى سيادة القانون و النظم فيه... " 26.

بسبب الهزيمة النفسية المهيمنة على نفوس و قلوب المسلمين، و الأزمة العقلية<sup>27</sup> التي يعيش فيها المسلمون، و الإرهاق<sup>28</sup>، الفكري الذي أصاب العالم الإسلامي و التدهور الاقتصادي و الفقر المدقع الذي تعيش فيه كثير من الدول الإسلامية، و الانقسام الحزبي و الافتراق السياسي الذي ابتلي به المسلمون، و الانحلال الخلقي و فوضى الإباحية التي نشاهدها في المجتمعات الغربية و لدى كثير من المجتمعات الإسلامية، كل ذلك بات قضية مسلّمةً بها، و يا أسفَى على ذلك، أسأل الله تبارك و تعالی العافية و السلامة.

نتيجة لهذا الوضع المأساوي و الذي يرثى له و يندى له الجبين، برزت ثلة من الشباب الإسلامي المتحمس المتطرف و المتزمت، تنادي باسترجاع عزة الإسلام و شرف

<sup>26</sup> انظر: بكار، عبد الكريم: *عصرنا و العيش في زمانه الصعب*، دمشق، دار القلم، ط2، 2004، ص: 21-23،

بتصرف

<sup>27</sup> انظر: أبو سليمان، عبد الحميد: *أزمة العقل المسلم*، من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996، كوالا

لامبور - ماليزيا.

<sup>28</sup> سانو، قطب مصطفى، *الإرهاب بين الشريعة الإسلامية و أف بي آي FBI*، محاضرة علمية ألقاها في الندوة

الأسبوعية في الجامعة الإسلامية العالمية في كوالا لمبور بماليزيا، بتاريخ 15.09.2003

المسلمين، عن طريق استعمال القوة أو " رفع راية الجهاد <sup>29</sup> "!! ضد حكام وولاية أمور المسلمين أو الخروج عليهم <sup>30</sup>، وعزلهم عن السلطة وإبدالهم بآخرين منهم قادرين في رأيهم على رفع راية الجهاد ومد يد العون إلى إخوانهم المسلمين المضطهدين، ومعارضة الغطرسة الأمريكية و طغيانها السياسي في الشرق الوسط، وتأييدها المطلق والأعمى للسياسة الوحشية الإسرائيلية وموقفها المزدوج <sup>31</sup> في حق الشعب الفلسطيني والمسلمين عمومًا.

هذا هو الدافع الأساسي الذي دفع بهؤلاء الفتية المتحمسين والمغرورين إلى القيام بهذه الأعمال العنيفة و الإجرامية في حق المدنيين والأبرياء والأطفال والشيوخ والنساء وتدمير المنشآت الحكومية، وتفجير المباني والجسور، وقتل رجال الأمن واغتيال

<sup>29</sup> حول تصحيح مفهوم الجهاد الإسلامي في هذه الايام، و هل هي غاية أم وسيلة، ما هي المصالح المترتبة من اللجوء إلى هذه الفريضة في هذه الأيام..انظر: تسليط الأضواء على ما وقع في الجهاد من أخطاء، للمؤلفين: أسامة إبراهيم حافظ، و:عاصم عبد الماجد محمد، وأقره و راجعه: كرم محمد زهدي-علي محمد علي الشريف - ناجح إبراهيم عبد الله - محمد عصام الدين درباله - فؤاد محمود الدواليبي -حمدي عبد الرحمن عبد العظيم، مكتبة العبيكان، ط1-2004، الرياض -المملكة العربية السعودية، ص 43-56

<sup>30</sup> مسألة الخروج على الحاكم أو ولاة أمور المسلمين نالت اهتمام الباحثين و العلماء قديمًا و حديثًا. فمن القدامى الذين كتبوا و ناقشوا هذه القضايا الكبرى:1- الإمام أبو الحسن الأشعري في: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، و: أصول أهل السنة و الجماعة، المسماة برسالة أهل النفر،2-الإمام الماوردي، في: الأحكام السلطانية و الولايات الدينية،3- الإمام الجويني في: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، 4- شيخ الإسلام بن تيمية في: الأمر بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و: الحسبة في الإسلام، و: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي و الرعية، و: منهاج السنة، و غيرهم. و من المعاصرين:1- الأستاذ الشهيد سيد قطب في: لماذا أعدموني، و: السلام العالمي و الإسلام، و: في ظلال القرآن، 2- شريف راشد الصديفي في: أبداً حسين - شرعية الخروج على حكم الجور، 3-عبد القادر عودة، في: المال و الحكم في الإسلام، 4- عبد الرحمن الكواكبي، في: طبائع الاستبداد،5-محمد رأفت عثمان، في: القضايا الثلاث: تغيير المنكر باليد، الخروج على الحاكم، تكفير الدولة،6- جمال الحسيني أبو فرحة، في: الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي..وغيرهم كثيرون

<sup>31</sup> كما هو واقع و مشاهد، و كما عبر بذلك بعض رجال الفكر و السياسة، ومنهم رئيس الوزراء الأسبق لماليزيا، د. محاضر محمد في مناسبات عديدة بعد أحداث 11 من سبتمبر 2001.

المسؤولين من الذميين من الأجانب من أهل الكتاب المتعاقدين مع الدولة، وبث الرعب و الخوف<sup>32</sup> في صفوف المواطنين.. الخ

ولكن.. هل الغاية النبيلة تبرر الوسيلة الخاطئة؟! إن هؤلاء الفتية أخطئوا الطريق بل هم ضلوا السبيل غير مدركين لذلك. إن قراءتنا للواقع الجديد المحسوس<sup>33</sup>، يجب أن تكون قراءة سليمة وسديدة، ورؤيتنا رؤية شرعية ثاقبة، و"الخطأ في الرؤية الشرعية لأي حادث يكمن في إحدى أسباب ثلاثة: 1- الفهم الخاطئ لنصوص الشريعة، 2- أو الفهم الخاطئ للواقع الذي يُراد تنزيل النص عليه، 3. أو الخطأ في اختيار الدليل الشرعي الذي يناسب هذه الواقعة... وعلى المسلمين أن يقدموا المصالح الضرورية على المصالح التحسينية.. وإن المصالح إذا تعارضت فوّتت المصلحة الدُّنيا في سبيل المصلحة العُليا، وألغيت المصلحة الطارئة لتحصيل المصلحة الدائمة، وألغيت المصلحة الشكلية لتحقيق المصلحة الجوهرية.."<sup>34</sup>.

إنهم بهذه التصرفات العاجلة أسأؤوا إلى الإسلام إساءة بالغة، حيث أنكروا و جحدوا فريضة الأمر بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، بمراتبها المعروفة، كائناً من

<sup>32</sup> وفيما يخص الجهاد الإسلامي أو المقاومة الشرعية ضد المحتل في العراق، فقد وقع على مشروعية ذلك عدد كبير من أساتذة الجامعات و المتخصصين في العلوم الشرعية في المملكة العربية السعودية. إلا أنه قد وجد ثلة من المعارضين لهذا الموقف الموحد، و منهم الشيخ عبد المحسن العبيكان، و له رأي في هذه المسألة، والتي سماها: ب: جهاد الدفع. و قد نشر هذا اللقاء في حوار له مع جريدة: المدينة المنورة، الصادرة يوم الثلاثاء 26.09.1425، العدد: 15175. ثم نشر هذا اللقاء بعنوان: الدعاة ال: 26 يعرضون أهل العراق للهلاك و الدمار و كأنهم يريدون بقاء المحتل. و قد ناقش فكرة الشيخ عبد المحسن العبيكان، د. أحمد بن محمد الحضيبي، و نشرت هذه المناقشة في الإنترنت بتاريخ: 11.12.2004. يحسن الرجوع إلى هذه المناقشة العلمية، فإن فيها فوائد.

<sup>33</sup> حول مبادرة وقف العنف و الجهاد المسلح جاء الإعلان المفاجئ من الجماعة الإسلامية في الخامس من يوليو 1997 مفاجأة سارة و فرصة سانحة لإنهاء دائرة العنف الذي عانت منه البلاد أكثر من عشرين عاماً. للمزيد و التفاصيل.. انظر: مبادرة وقف العنف - رؤية واقعية و نظرة شرعية، ص: 25-36، و 57-60

<sup>34</sup> عبد الله، ناجح إبراهيم، تفجيرات الرياض - الأحكام و الآثار، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، 1425/7/15 هـ، قراءة للكتاب: عماد الخطيب، في موقع على الإنترنت: <http://www.islamonline.net>

كان المنهي أو المأمور، حتى وإن كان السلطان أو الإمام. كما أنهم نسوا أو تناسوا وصايا الرسول ﷺ وأوامره بطاعة الأمير وسمعه و عدم الخروج عليه<sup>35</sup>، و إن أكل مالنا و ضرب ظهرنا، إلا أن نرى منه كفرًا بواحا و صريحًا، لنا فيه من الله برهان. جاء في صحيح الإمام مسلم قوله ﷺ: [السمع و الطاعة على المرء المسلم فيما أحب و كره ما لم يؤمر بمعصية. فإذا أمر بمعصية فلا سمع و لا طاعة] <sup>36</sup>، وقوله ﷺ: [تسمع و تطيع للأمر و إن ضرب ظهرك و أخذ مالك، فاسمع و أطع] <sup>37</sup>، و: [الطاعة في عسرك و يسرك و منشطك و مكرهك و أثرة عليك..] <sup>38</sup>.

ويرى بعض المفكرين الآخرين أن الخلل لدى هؤلاء يكمن في فقه الجهاد و فقه النظرة إلى غير المسلمين، و في فقه العلاقة بأهل الذمة و في فقه تغيير المنكر بالقوة كما أن هناك خلل في فقه الخروج على الحاكم..<sup>39</sup>.

<sup>35</sup> للتوسع حول مسألة الخروج على الإمام بشروطها و ضوابطها الشرعية المعتمدة انظر الدراسة الموضوعية و المستوفية بعنوان: الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي، (ط1-القاهرة -2004، مركز الحضارة العربية) المعدة من قبل فضيلة الأخ الدكتور جمال الحسيني أبو فرحة، فإن فيها خيرًا كثيرًا، و هي من أحسن ما رأيت في بابها.

<sup>36</sup> صحيح مسلم، ج3، ص: 1469، رقم الحديث: 1839

<sup>37</sup> صحيح مسلم، ج12، ص 227-228

<sup>38</sup> صحيح مسلم، ج3، ص: 1467، رقم الحديث: 1836

<sup>39</sup> القرضاوي، يوسف: المسلمون و العنف السياسي- نظرات تأصيلية، 6.06.2004، في موقع على الإنترنت:

<http://www.alqaradawi.net>



## الفصل الثاني: الإرهاب بين الواقع والأمل ( العلاج لهذا الداء )

### المبحث الأول: جهود الدبلوماسيين و السياسيين في إخماد نار فتنة الإرهاب

لقد عُقدت عشرات الاجتماعات والمؤتمرات والندوات العالمية<sup>40</sup>، في كافة دول العالم، وأُنْفِقَت الملايين على الدراسات والبحوث والمشاريع العلمية في مراكز البحوث ومعاهد الدراسات الإستراتيجية العالمية المختلفة، للبحث عن جذور وأسباب ودوافع الإرهاب، ومن ثم كيفية معالجة هذه الظاهرة المبيدة والمهلكة للحرث والنسل، والتي أَرْقَتْ مضاجع الأبرياء من المدنيين الذين باتوا قلقين مذعورين حول مستقبلهم و مصيرهم المجهول.

وبعد جهد جهيد وبمحث مؤسسي عالمي مستمر، توصلوا إلى بعض النتائج والحلول والتوصيات والمقترحات المساعدة على مكافحة هذه الظاهرة واجتثاثها. ويمكن إجمال هذه التوصيات والمجالات، طبق ما أشار إليها أحد الضباط في الاستخبارات القومية للشرق الأوسط، في هذه المجالات:

---

<sup>40</sup> ومن هذه الاتفاقيات على مكافحة الإرهاب: 1- اتفاقية طوكيو الخاصة بالجرائم والأفعال ترتكب على متن الطائرات، و الموقعة بتاريخ: 14.9.1963، 2- واتفاقية لاهاي بشأن مكافحة الاستيلاء غير المشروع على الطائرات الموقعة ب: 16.12.1970، 3- اتفاقية مونترال الخاصة بقمع الأعمال غير المشروعة ضد الطيران، الموقعة ب: 23.09.1971، 4- اتفاقية نيويورك الخاصة بمنع و معاقبة الجرائم المرتكبة ضد الأشخاص المشمولين بالحماية الدولية، الموقعة ب: 14.12.1973، 5- اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار سنة 1983... انظر: السحمراني، أسعد: لا للإرهاب نعم للجهد، دار النفائس، ط1، 2003، بيروت، ص: 104-105

1- الطرق الدبلوماسية، 2- القوانين الجنائية، 3- وسائل المراقبة المالية، 4- القوة العسكرية، 5- الاستخبارات، 6- جمع الوسائل كلها عبر اللجان التابعة للوزارات..<sup>41</sup>.

فهؤلاء يرون أن تعبير: " (مكافحة الإرهاب) يشمل جهود العديد من الدوائر والوكالات الحكومية المختلفة. فالحرب ضد الإرهاب تتضمن العمل الدبلوماسي الهادف إلى تنسيق جهود الحكومات الأجنبية حول الموضوع، وتعني أعمال التحقيق من قبل مختلف الهيئات المعنية بتطبيق القانون، وما يتعلق بها من إجراءات قانونية لمحكمة الجرائم الإرهابية، وتشمل أيضاً إجراءات الهيئات المالية لمنع تمويل الإرهابيين... فإن الحرب على الإرهاب تعني أحياناً اللجوء إلى القوة المسلحة.. " <sup>42</sup> وقد كانت قريبة من تلك الحلول المذكورة آنفاً، أسس التعاون العربي المشترك لمكافحة الإرهاب، في عدة مجالات:

".. ففي المجال الأمني ذكروا... أولاً: تدابير منع الجرائم الإرهابية، بعدم تمويل أو تنظيم أو ارتكاب الأعمال الإرهابية أو الاشتراك فيها بأي صورة من الصور... والحيلولة دون اتخاذ أراضيها مسرحاً لتخطيط أو تنظيم أو تنفيذ الجرائم الإرهابية أو الشروع أو الاشتراك فيها، ومنع تسلل العناصر الإرهابية إليها أو الإقامة على أراضيها، فرادى أو جماعات، أو استقبالتها أو إيوائها أو تدريبها أو تسليحها أو تمويلها... تطوير و تعزيز الأنظمة المتصلة بالكشف عن نقل واستيراد و تصدير و تخزين و استخدام الأسلحة و الذخائر و المتفجرات... تطوير و تعزيز الأنظمة المتصلة بإجراءات المراقبة و تأمين الحدود و المنافذ البرية والبحرية والجوية... تعزيز الحماية والأمن

<sup>41</sup> بول آر. بيلار، سبل مكافحة الإرهاب، ضابط الاستخبارات القومية للشرق الأدنى و جنوب آسيا في المجلس القومي

للاستخبارات - وكالة الاستخبارات المركزية.

<sup>42</sup> المصدر السابق.

والسلامة للشخصيات وللبعثات الدبلوماسية والقنصلية والمنظمات الإقليمية والدولية المعتمدة... تعزيز أنشطة الإعلام الأمني وتنسيقها مع الأنشطة الإعلامية في كل دولة وفق سياستها الإعلامية.. لكشف أهداف الجماعات والتنظيمات الإرهابية وإحباط مخططاتها... تقوم كل دولة بإنشاء قاعدة بيانات لجمع وتحليل المعلومات الخاصة بالعناصر والجماعات والحركات والتنظيمات الإرهابية..

ثانياً: من تدابير المكافحة.. القبض على مرتكب الجرائم الإرهابية ومحاكماتهم وفقاً للقانون الوطني.. تأمين حماية فعالة للعاملين في ميدان العدالة الجنائية... تأمين حماية فعالة لمصادر المعلومات عن الجرائم الإرهابية.. توفير ما يلزم من مساعدات لضحايا الإرهاب... إقامة تعاون فعال بين الأجهزة المعنية وبين المواطنين لمواجهة الإرهاب... والتشجيع على الإبلاغ عن الأعمال الإرهابية... " 43 .

وإذا ما نظرنا وحللنا نوعية وأبعاد هذه الحلول البشرية، مع احترامي وتقدير البالغ لتلك الجهود المؤسسية والدولية، فإنه لا يخفى على أولي الألباب ضيق الأفق وقصر النظر وجفاف الحلول المتبنية لدى هؤلاء تجاه هذه الظاهرة، وذلك يعود إلى أسباب عديدة، منها:

1- إنهم اهتموا بإصلاح القضية من ظاهرها و تركوا المعالجة من باطنها، والذي تتبع منه تلك الأفكار والتوجهات المتطرفة. فلم يهتموا بالمعالجة الدينية أو الفكرية أو الثقافية للقضية. ومن ثمّ لم تكن تلك الرؤى والحلول السياسية العالمية صائبة وناجعة في علاج هذا المرض الاجتماعي العالمي.

43 انظر: لا للإرهاب نعم للجهاد.. 106-109 بتصرف شديد

ويدل على ذلك تدهور الأوضاع الأمنية في العالم عامة وفي الدول العربية والإسلامية خاصة، فما زادت تلك الحلول الجافة هؤلاء الإرهابيين إلا اعتواً وطغياناً كبيراً.

وإذ الأمر كذلك، فلا بد إذن من ضرورة المراجعة الذاتية<sup>44</sup> على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والمؤسسات العلمية، وتصحيح ما فسد من مفاهيمنا وخططنا ومناهجنا واستراتيجياتنا تجاه معالجة هذه الظاهرة الشائكة، وأن نعيد النظر في طريقة المعالجة بشكل موضوعي علمي ومنهجي من جديد، ومن وجهة النظر الدين الإسلامي وفي ضوء القرآن والسنة النبوية أيضاً.

لقد غفل عن هذه القضية كثير من المجتهدين الذين يجتهدون في معالجة هذه الظاهرة عن اتخاذ هذا العنصر الديني في عين الاعتبار. هذا الخطأ العلمي والمنهجي يكمن في تعميم هذه الحلول المقترحة من وجهة النظر الغربية أو الأمريكية البحتة – اليهودية أو النصرانية –، على المسلمين أيضاً. وما يصلح أن يكون علاجاً أو حلاً لليهودي أو النصراني أو للبوذي أو للهندوسي قد لا يصلح أن يكون علاجاً للمسلم أيضاً. قد تكون تلك الحلول المقترحة آنفاً صالحة للدول الغربية والأميركية، ولكنها غير صالحة للدول الإسلامية أو العربية، نظراً للفروق الدينية والعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية.

---

<sup>44</sup> وهذه المراجعة الذاتية هي إحدى الأبعاد الفكرية والمنهجية للتوبة النصوح، و الذي غفل عنها كثير من الناس في هذا العصر. هذه المراجعة الذاتية الدائمة كانت من منهج الأنبياء والمرسلين كما أشارت إلى هذا المعنى كثير من الآيات القرآنية، ولا سيما بعض آيات سورة: ص. ذكر هذا المعنى اللطيف أحد رجال الفكر والدعوة في هذا العصر، وهو المفكر الإسلامي الدكتور راشد الغنوشي في إحدى محاضراته العلمية، حينما زار الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا عام 2002م.

فهل نجحت حقاً تلك الحلول الدبلوماسية العالمية المشتركة ؟ هل خفت<sup>45</sup> موجات الإرهاب وهجماته أم ازدادت ؟ وهل اجتث الإرهاب للأبد أم لفترة مؤقتة ؟ يبدو لي، والله أعلم، أن الإرهاب غداً كشجرة ضربت بجذورها إلى الأرض وبفروعها إلى أرجاء الدنيا، وأنها أضحت تؤتي أكلها كل حين بإذن أصحابها وقياداتها، والله المستعان وعليه التكلان.

### المبحث الثاني: نتيجة الجهود المبذولة

فمن خلال متابعتي لتطورات ومجريات هذه الظاهرة من خلال وسائل الإعلام المختلفة، على الصعيد المحلي والعالمي وآراء المحللين الكبار والمحاولات السياسية الدولية لمعالجتها، والجهود المبذولة لعلاجها، يبدو لي والعلم عند الله، أنها لم تكن مجدية في استئصال هذه الظاهرة. وما تفجيرات الرياض واستانبول و أسبانيا و القاهرة و جاكرتا و أخيراً في لندن عنا ببعيد. كل ذلك بسبب اعتمادهم في المعالجة على الآراء البشرية والقوانين الوضعية و عدم استنارتهم بنور الوحي الإلهي والهدي النبوي الشريف، لمعالجتها ومكافحتها، لأنه سبحانه قد أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وهو عليم بما يصلح للبشر، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المالك: 14]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

<sup>45</sup> حول ازدياد موجات الإرهاب العالمي والإسرائيلي ضد أمريكا و الفلسطينيين..انظر: ديوك، ديفيد: ترجمة: سعد رستم:

أمريكا - إسرائيل و 11 أيلول 2001، الأوائل للنشر و التوزيع 2002، ط1، دمشق-سوريا

عَلَيْهِمُ ﴿[آل عمران: ٨٣] ، إذن فلا يصح عقلاً ولا شرعاً وصف علاج عالمي موحد على جميع الدول وعلى جميع الناس، دون الأخذ بعين الاعتبار تلك الفروق الدينية والنفسية والاجتماعية والبيئية والأسرية. فعقلية الشاب الأمريكي أو الأوربي ونفسيته تختلف عن عقلية ونفسية الشاب الخليجي أو العربي، و الخطاب الديني الذي يخاطب به هؤلاء الأمريكيون أو الأوربيون غير الخطاب الذي يخاطب به العرب والمسلمون في الشرق الأوسط. فهناك فروق عقلية وتقليدية وعرفية وتاريخية يجب أن تراعى من قبل المفكرين والمحللين عندما يصفون الدواء للناس و يعالجون قضايا الأمة.

وقديماً تنبه علماءنا رحمهم الله عز وجل إلى هذه القضية الدينية والفكرية الحساسة. كان عندهم: قاعدة تسمى بقاعدة: فقه الواقع. فنجد مثلاً الإمام أبا زكريا يحيى بن شرف النووي قد عقد في كتابه باباً أو فصلاً سماه: باب معرفة حال المستفتي أو آداب المفتي والمستفتي<sup>46</sup>. هذا يدلنا بوضوح وجلاء على أهمية هذه القاعدة في مناقشاتنا مع الآخرين وأن نكلم الناس على قدر عقولهم حتى لا يُكذَّبَ اللهُ و رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

كما أننا يجب أن ننتبه إلى ظاهرة هجرة الفتاوى من بلد إلى بلد آخر والتي انتشرت في هذه الأيام انتشار النار في الهشيم. فأوضاع المسلمين في المملكة العربية السعودية تختلف عن أوضاع المسلمين في الصين أو ماليزيا أو روسيا أو البوسنة أو كسوفاً. هذا العلاج المنشود يجب أن يتوافق مع مبادئ ديننا و إيماننا، وعلينا أن نبحث في صيدلية<sup>47</sup>، قرآنا وسنة نبينا عن العلاج الرباني، والذي من خصائصه: "

<sup>46</sup> النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، آداب الفتوى، دار الفكر - دمشق، ط1، 1408، تح: بسام عبد الوهاب الجنابي،

ج1، ص: 44، 71

<sup>47</sup> على حد تعبير الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي في لقاء مفتوح في زيارة له للجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا عام

1998.

أنه صبغة إلهية، و هو ذو آفاق واسعة، و أنه شامل و متكامل، و أنه متوازن و وسطي و معتدل<sup>48</sup>، و موضوعي و إيجابي و واقعي.. " <sup>49</sup> و ليس بشري المصدر.

### المبحث الثالث: البديل الإسلامي هو العلاج الوحيد المقترح للقضاء على هذه الظاهرة

فالعلاج الذي سنقترحه على شبابنا و مؤسساتنا العلمية لتبنيه و تداوله هو: مبدأ و فريضة الوسطية و الاعتدال أو التوازن في عقيدتنا و عبادتنا و معاملاتنا و آرائنا و شؤوننا كافة، و الابتعاد عن الغلو و التطرف و التشدد بكافة مظاهره و أشكاله. و عن فضل هذا العلاج و أهميته في حياتنا و عقيدتنا، و أن ديننا الإسلامي جاء بكافة تشريعاته و أحكامه وسطاً بين غلو الغالين و تقصير المقصرين. لنرى و لنحلل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه في ( الوصية الكبرى )، و هو يلخص لنا هذه الحقيقة الكبرى و يجليها، و نحن نذكر ذلك بتصرف شديد لأهميته: قال رحمه الله: " .. وهذه الفرقة الناجية أهل السنة، هم وسطٌ في النَّحْلِ، كما أن ملة الإسلام وسطٌ في الملل، فالمسلمون وسطٌ في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين، لم يعلوا فيهم كما غلت النصارى، فاتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله و المسيح بن مريم، و ما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون. و لا جفوا عنهم كما

<sup>48</sup> ضميرية، عثمان جمعة: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، مكتبة السوادى للتوزيع، جدة، ط4، 2003، ص:392-

393

<sup>49</sup> انظر: الأشقر، عمر سليمان عبد الله: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، دار النفائس للنشر و التوزيع، عمان، ط12،

2002، ص:68-75

جفت اليهود، فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حقٍ ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلما جاءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً. ومن ذلك أن المؤمنين توسطوا في المسيح، فلم يقولوا هو الله، ولا ابنُ الله، ولا ثالثُ ثلاثة، كما تقوله النصارى، ولا كفروا به.. بل قالوا هذا عبدُ الله ورسولُهُ وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم، العذراءُ البتولُ، وروحٌ منه..

وكذلك المؤمنون وسطٌ في شرائع دين الله فلم يحرموا على الله أن ينسخ ما شاء ويمحو ما شاء ويثبت، كما قالته اليهود.. ولا جوزوا لأكابر علماءهم وعبّادهم أن يغيروا دين الله فيأمروا بما شاءوا وينهوا عما شاءوا كما يفعله النصارى. وكذلك في صفات الله تعالى، فإن اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة، فقالوا هو فقيرٌ ونحن أغنياء، وقالوا يدُ الله مغلولة، وقالوا إنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت إلى غير ذلك.. والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به، فقالوا إنه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب.. والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالى، ليس له سمّي، ولا ند، ولم يكن له كفواً أحد، وليس كمثله شيء، فإنه رب العالمين وخالق كل شيء، وكل ما سواه عبداً له، فقراءٌ إليه.. وهكذا أهل السنة والجماعة في الفرق، فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته وسطٌ بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ِ وَيُعْطِلُونَ حَقَائِقَ مَا نَعَتَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ، حتى يشبهوه بالعدم والموات... وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال، ويشبهونه بالمخلوقات... فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصفَ الله به نفسه وما وصفه به رسوله، من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ومن غير تكيفٍ وتمثيلٍ... وهم في باب خلقه وأمره وسطٌ بين المكذبين بقدره الله - والمؤمنين - الذين يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيعته الشاملة وخلقِه لكل شيء، وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبدَ ليس له مشيئةٌ ولا



قدرةً ولا عملًا، فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب، فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمانا من شيء... وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد الوعيد وسطً بين الوعيدية، الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويكذبون بشفاعة النبي ﷺ... وبين المرجئة الذين يقولون إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء، والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان، ويكذبون بالوعد والعقاب بالكلية.. فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله، وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة، وأنهم لا يخلدون في النار، بل يخرج منها من كان في قلبه مثال حبة من إيمان أو مثال حردلة من إيمان... وهم أيضا في أصحاب رسول الله ﷺ ورَضِي عَنْهُمْ وَسَطُ بَيْنِ الْغَالِيَةِ الَّذِينَ يَغَالُونَ فِي عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضي الله عنهما ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما، ويستحبون سب علي رضي الله عنه... وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسطً، لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.. " 50.

50 أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی أبو العباس، مجموع الفتاوى، باب الوصية الكبرى، ج3، ص: 363،

وانظر: حرمة الغلو في الدين و تكفير المسلمين، 73-83

## المبحث الرابع: التوازن والوسطية في ضوء القرآن الكريم

إن لهذه الخاصية الإسلامية لها أثرها الكبير في عصمة الأمة الإسلامية وعصمة شبابها المسلم من الغلو والإفراط أو التفريط، وعن التأرجح أو الحيرة بين الأفكار والمذاهب الهدامة والمنحرفة في هذا العصر<sup>51</sup>.

بينما نرى المذاهب المادية والوضعية قد اعتنت بالجانب المادي وأهملت الجانب الروحي، أو أنها اعتنت بمصالح الفرد وأهملت مصالح الجماعة، أو ربما أعلنت من شأن الروح على حساب القيم الأخرى.

إن الموازنة والوسطية والاعتدال الفكري أو المذهبي، والموازنة أو الوسطية بين الحقوق والواجبات، وبين مطالب الروح والجسد أمر غير يسير، لأن الإنسان بطبعه ميال إلى جانب على حساب الجانب الآخر، وهذا يسبب خللاً وفساداً على الفرد والمجتمع والناس أجمعين، فالعبد المسلم يجب عليه أن لا يميل كل الميل فيذر الجانب الآخر معلقاً.

جاء ديننا الحنيف حافظاً على هذا التوازن في كافة الشؤون التعبديّة والمعيشية. فقد أمر الإسلام بعبادة ربنا، وفي الوقت ذاته أمرنا أن نصرف شيئاً من وقتنا وجهدنا واهتمامنا لأنفسنا ولأولادنا ومجتمعنا، وأمرنا تعالى أن نصرف همنا للدار الآخرة، ولكنه سبحانه أمرنا أيضاً أن لا ننسى نصيبنا وحظنا من الدنيا، وأنه تعالى أمرنا أن نجتنب الخبائث من المأكولات والمشروبات ونحانا عن تحريم الطيبات التي أباحه الله

<sup>51</sup> حول ضرر الأفكار والاتجاهات المنحرفة لدى الشباب.. انظر: الغفيلي، فهد بن عبد العزيز: حوار مع الإرهاب، ط1،

عز وجل له. كما أنه سبحانه نهي عباده على لسان رسوله عن الانقطاع للتعبد وترك الزواج و الجهاد.. كل ذلك على نحو منهجي تربوي فريد<sup>52</sup> .

لنتأمل هذه الآيات القرآنية كيف أن ربنا سبحانه و تعالى لام و عتب و نهي أهل الكتاب من اليهود والنصارى عن هذه الظاهرة العقدية المتطرفة، ظاهرة الغلو، قائلاً لهم: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ١٧١] ... نقرأ أسفار التوراة الخمسة الحالية<sup>53</sup>، فلا نكاد نجد للروحانية أثرًا، ولا نكاد نرى للآخرة مكانًا، حتى الوعد والوعيد في هذه التوراة للمطيعين والعصاة، إنما يتعلقان بأمور دنيوية، وتكاد تستأثر بها النزعة المادية الخالصة ... فإذا انتقلنا إلى الإنجيل وجدنا دعوة قوية إلى إلغاء قيمة هذه الدنيا، واعتبار هذه الأرض بمثابة منفى للإنسان، وطلب النجاة والسعادة هناك في العالم لآخر... وهكذا لا تحس في الإنجيل أن لك في الدنيا نصيبًا، وأن لك في طيبات الحياة حظًا، ولا تشعر أن لبدنك عليك حقًا، وأن لك في عمارة الأرض دورًا.. يقول الإنجيل: وقال المسيح لشباب آمن به ودخل في دينه: [ إذا أردت أن تكون كاملاً فاذهب فَبِعْ ما تملك و أعطه للفقراء، ثم تعال واتبعني. وقال

52 انظر أيضاً رسالة الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، بهذا العنوان: نحو منهج تربوي فريد، دار الفكر، ط2،

دمشق - سوريا، 1988، فإن فيها فوائد جمة.

53 عن اليهودية و الحركات اليهودية الحديثة كما يراها أهلها.. راجع: فتاح، عرفان عبد الحميد: اليهودية - عرض تاريخي -

والحركات الحديثة في اليهودية، دار عمار، ط1، 2002، عمان - الاردن، ص: 135-168

لتلاميذه: [وأنتم فلا تبحثوا عما تأكلون و ما تشربون و لا تهتموا لذلك؛ لأن هذه الأشياء إنما يبحث غير المؤمنين؟؟!!] <sup>54</sup>.

فهؤلاء المقدمين على مثل هذه العمليات الهجومية والإرهابية على المسلمين أو على الأجانب من غير المسلمين، سنُفهم أن هؤلاء يعانون من العقد الفكرية والأمراض النفسية <sup>55</sup> والأزمات العقلية والمشاكل الثقافية، بسبب ابتعادهم عن جادة الوسطية، وتكرهم: " لِ: سواء السبيل، التي عبر القرآن الكريم عنها في كثير من الآيات على لسان عديد من الأنبياء والمرسلين، وهو سبيل: الوسطية والاعتدال و التوازن و السداد.

ف نجد في القرآن الكريم إشارة ودلالة واضحة إلى هذا المعنى الذي نروم إليه، أي قضية الوسطية والاعتدال والتوازن، فما المراد منها؟ وما أبعاد دلالات تلك العبارة؟ لنستعرض بعض الآيات القرآنية ومن ثم أقوال بعض المفسرين لكي نرى عظمة القرآن الكريم وإعجازه في هذه المسألة.

قال تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [البقرة: ١٠٨]، و يقول أيضاً: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: 12]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ

<sup>54</sup> المرجع السابق، ص 182، وانظر أيضاً: Bazat e Bibles Per Myslimanet - أصول الإنجيل -

الكتاب المقدس - للمسلمين، باللغة الألبانية، Surrey CR2 0ZA-ENGLAND-2004

<sup>55</sup> يالجن، مقداد: طريق السعادة، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط1، 1414 هـ

بَشِّرْ مَنِ ذَلِكْ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿المائدة: ٦٠﴾ ، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿المائدة: ٧٧﴾ ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿المتحنة: ١﴾

- يقول الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿السَّبِيلِ﴾ ، أي الطريق الأقوم..<sup>56</sup>.
- وقال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ضَلَّ﴾ ، أي خرجوا عن طريق الاستقامة و الاعتدال إلى طريق الغواية والضلال..<sup>57</sup>.
- ويقول صاحب تفسير الجلالين في تفسير قوله تعالى: ﴿أَضَلُّ﴾ ، أي أخطأ الطريق الحق. و السواء في الأصل: الوسط..<sup>58</sup>.
- ويقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَضَلُّوا﴾ ، أي أخطأ قصد طريق محمد ..<sup>59</sup>.

<sup>56</sup> أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير المشقي، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر- بيروت، 1401هـ، ج3، ص

384:

<sup>57</sup> المصدر السابق، ج2، ص: 213

<sup>58</sup> تفسير الجلالين - محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر المحلي و عبد الرحمن السيوطي، دار الحديث-القاهرة ط1، ج1،

ص: 23 & ج1، ص: 510

<sup>59</sup> تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، دار الشعب-القاهرة،

ط2، 1372، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، ج6، ص: 114 & ج6، ص: 252

- ويقول الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ضَلَّ﴾، أي فقد أخطأ قصد الطريق الواضح وزل عن منهج السبيل القاصد..وقصد الطريق محجة الحق..<sup>60</sup>.  
الشاهد مما تقدم هو دلالة الآيات القرآنية إلى هذا العلاج المهم، علاج الوسطية والاعتدال لظاهرة الغلو والتطرف الديني. فهلا استفدنا من قرآننا وهلا رجعنا إلى معينه لنستقي منه دواءنا.

ولقد دعانا كتاب ربنا إلى الالتزام والتمسك بمبدأ وفريضة الوسطية، وأنه سبحانه جعلنا من خير الأمم التي أخرجت للناس، حين كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، وبذلك استحققت أن تكون شاهدة على بقية الأمم في الدنيا والآخرة. إنها الأمة الوسط، أمة معتدلة، أمة متوازنة. خيرية وأفضلية وقوة هذه الأمة تكمن في وسطيتها وبساطتها وتوازنها واعتدالها في كل شيء من أمور دينها ودنياها. إنها أمة العدل والخير والصلاح، وقد جاءت شريعة الإسلام سمحة طيبة وجاءت بالعدل والميزان<sup>61</sup>، قال تعالى: يقول ربنا تبارك وتعالى في محكم تنزيله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]

إن قرآننا دعانا إلى الوسطية والاعتدال حتى في الإنفاق للآخرين، و لم يتركنا أحرارًا نتصرف في أموالنا كيفما نشاء. كل ذلك للحفاظ على مبدأ التوازن والاعتدال، والتجنب عن التطرف والغلو في الإنفاق. لتأمل هذا البيان الإلهي المعجز. يقول ربنا

<sup>60</sup> تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، دار الفكر -

بيروت، 1405، ج6، ص: 316 & ج 14، ص: 84

<sup>61</sup> حرمة الغلو في الدين و تكفير المسلمين، ص:76

تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا يَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

وفي هذا الصدد أرى من الفائدة أن أذكر الكلام الجميل والتعليق الرائع للأستاذ الشهيد سيد قطب في تفسيره لآية سورة الإسراء. يقول رحمه الله:

".. والتوازن هو القاعدة الكبرى في النهج الإسلامي، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن. والتعبير هنا يجري على طريقة التصوير؛ فيرسم البخل يدًا مغلولة إلى العنق، ويرسم الإسراف يدًا مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئًا، ويرسم نهاية البخل ونهاية الإسراف قَعْدَةً كَقَعْدَةِ المَلُومِ المحسور. والحسير في اللغة: الدابة تعجز عن السير فتقف ضعفاً وعجزاً. فكذلك البخل يحسره بُحْلُهُ فيقف. وكذلك المسرف ينتهي به سرفُهُ إلى وُقْفَةِ الحسير. ملومًا في الحالتين على البخل وعلى السرف، وخير الأمور الوسط. ثم يعقب على الأمر بالتوسط بأن الرازق هو الله. هو الذي يبسط في الرزق ويوسع، وهو الذي يقدر في الرزق ويضيق. ومعطي الرزق هو الأمر بالتوسط في الإنفاق: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠]. يبسط الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصر، ويقدر الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصر. ويأمر بالقصد والاعتدال، وينهى عن البخل والسرف، وهو الخبير البصير بالأقوم في جميع الأحوال؛ وقد أنزل هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم في جميع الأحوال." 62.

إن التوسط و الاعتدال كان من منهج الأنبياء و المرسلين حتى في عباداتهم وعلاقاتهم مع الله عز وجل. فكانوا يعيشون بين الخوف والرجاء. الخوف من عذاب

62 قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج4، ص : 2223

الله و غضبه، والرجاء فيما عند الله من رضوانه ورحمته. فلا أحد يأمن مكر الله وعقابه ولو كان نبياً رسولاً.. لنقرأ هذا البيان الإلهي لكي تنجلي هذه الحقيقة أمام أعيننا. يقول عز وجل: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

ولو استقرأنا النصوص النبوية عن منهج وسيرة نبينا ورسولنا محمد **ﷺ** لرأينا أنه عليه الصلاة كان خير داع لهذا المنهج الرباني ولهذا الفريضة المنسية والمهجورة، والتي بسبب نسياننا لها جنينا على أنفسنا وعلى أمتنا الويلات. فقد كان **ﷺ** يصوم و يفطر، و يتزوج النساء، و يعبد الله ويرقد، و يزور جيرانه المرضى من اليهود والنصارى، وكان يتعامل مع المنافقين من المسلمين.. فلم يكن **ﷺ** منقطعاً عن مجتمعه و بني جنسه من اليهود و النصارى و المنافقين.. فعلى المسلم أيضاً: " .. أن يكون وسطاً بين الذين يهملون النصوص الشرعية الثابتة بدعوى مراعاة مقاصد الشريعة و بين أولئك الذين يغفلون مقاصد الشريعة الكلية بدعوى مراعاة النصوص. وأن يكون وسطاً بين المستغرقين في الحياة السياسية على حساب التربية الإسلامية الصحيحة، و بين المهملين للسياسة بالكلية بدعوى التفرغ للتربية الإسلامية حتى لا يشعروا بما حولهم ولا يعرفوا ما يحاك للإسلام في كل مكان، و يغفلون عن رسالة الإسلام العالمية... و أن يكون وسطاً بين الذين يأخذون الحضارة الغربية بخيرها و شرها و يستوردون أفكارها و أخلاقها و سلوكياتها، و بين الذين يرفضون الحضارة الغربية بالكلية.. و أن يكون وسطاً بين دعاة الثبات و لو في الوسائل و الآلات مثل الكمبيوتر و الإنترنت، و بين دعاة التطور و التغيير .. " 63.

63 حرمة الغلو في الدين و تكفير المسلمين، 78-79



لنعش هذه اللحظات المباركة في رحاب وظل سنة نبينا محمد  $\rho$  لنرى منهجه  
الوسطي في كل أمر من أمور الحياة، حتى نكون على بينة من الأمر:

### المبحث الخامس: التوازن والوسطية في ضوء السنة النبوية

تعددت وتنوعت عبارات الصادق المصدوق  $\rho$  وعبارات العلماء من السلف  
الصالح حول ضرورة الأخذ والتمسك بالوسطية. فمن خلال استقراءنا للسنة النبوية  
نجد أنه  $\rho$  تارة عبر عن الوسطية و التوازن والاعتدال بـ: [لَيْتُونَ هَيِّنُونَ..<sup>64</sup>]، و  
تارة بـ: [وسدّدوا وقاربوا ..<sup>65</sup>]، وأخرى بـ: [القصد القصد..<sup>66</sup>]، وحيناً بـ:  
[عليكم هدياً قَصِداً..<sup>67</sup>]، وأحياناً بـ: [فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى..  
<sup>68</sup>]، وبـ: [وهلك المنتطعون، ثلاثاً..<sup>69</sup>]، وأيضاً بـ: [لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ..<sup>70</sup>]،  
وكثيراً بـ: [و لن يشادّ الدين أحدٌ إلا غلبه..<sup>71</sup>]، وكما عبر  $\rho$  بـ: [..لكني أصوم

<sup>64</sup> ، صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، دار ابن كثير - اليمامة، بيروت، ط3، 1407،

تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ج5-2373

<sup>65</sup> المصدر السابق، ج 1، ص: 23

<sup>66</sup> المصدر السابق، ج 5، ص: 2373

<sup>67</sup> سنن ابن ماجه: ج 1، ص: 240، رقم الحديث: 3348

<sup>68</sup> صحيح البخاري، ج 3، ص: 377

<sup>69</sup> صحيح مسلم، ج 4 - ص 2055 - رقم الحديث: 2670

<sup>70</sup> صحيح البخاري، ج 1، ص: 386

<sup>71</sup> المصدر السابق، ج 1، ص: 23

و أفطر..<sup>72</sup> ] .. وغير ذلك من العبارات التي تحمل معاني الوسطية والتوازن والاعتدال.

وقد ذكر الإمام البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي **p** قال: [ ثم إن الدين يُسْتَرُّ، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه. فسددوا وقاربوا وأبشروا.. ]،<sup>73</sup> وقوله **p**: [ فسددوا.. ]، أي إلزموا السداد، وهو الصواب، لا إفراط ولا تفريط<sup>74</sup>. قال أهل اللغة: السداد: التوسط في العمل، قوله **p**: [ وقاربوا .. ]، أي أن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه.

وذكر الإمام البيهقي في سننه حديثاً آخر عن جابر بن عبد الله عن النبي **p**، أنه قال: [ ثم إن هذا الدين متينٌ فأوغلٍ فيه برفقٍ. ولا تُبغِضْ إلى نفسك عبادة الله، فإنَّ المهنبتَ لا أرضاً قطعَ ولا ظهرًا أبقى.. ]،<sup>75</sup>

ومعنى قوله **p**: [ ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ.. ]، هو بضم الياء وتشديد الدال للمبالغة، من الشدة وأصله لا يقابل الدينَ أحدٌ بالشدة، ولا يجرى بين الدين وبينه معاملة بأن يشدد كل منهما على صاحبه إلا غلبه الدين، والمراد: أنه لا يُفِرطُ أحدٌ فيه ولا يخرج عن حد الاعتدال<sup>76</sup>.

وذكر الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد عن عبد الله بن مسعود قال: [ والذي لا إله إلا هو ما رأيت أحداً كان أشدَّ على المتنطعين من رسول الله **p**. ولا رأيت أحداً

<sup>72</sup> المصدر السابق، ج5، ص: 1949

<sup>73</sup> المصدر السابق، ج1، ص: 23

<sup>74</sup> و إلى هذا المعنى أشارت الآيات القرآنية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 70]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾

[النساء: 9]

<sup>75</sup> المصدر السابق، ج3، ص: 377

<sup>76</sup> صحيح البخاري، ج8، ص: 122

أشد عليهم من بعده من أبي بكر، وإني لأظن عمر كان أشد أهل الأرض خوفاً عليهم أو لهم.. [رواه أبو يعلى والطبراني ورجاهما ثقات<sup>77</sup>.  
 ومن عبارات سلفنا الصالح حول أهمية التوازن والتمسك بالوسطية نذكر منها:  
 ( لا إفراط ولا تفريط )، و ( الفكر الشطط )، و ( قصد القلب و لين الجانب )،  
 و ( الاقتصاد في الطاعة )، و ( رفع الإصر عن هذه الأمة )، و ( التوازن والاعتدال )،.. الى غير ذلك ما هنالك من العبارات التي شاعت عند السلف الصالح،  
 كلها تنبئنا عن ضرورة الأخذ بالوسطية والاعتدال في عباداتنا ومعاملاتنا.  
 وقد لخص لنا رسولنا  $\rho$  فوائد الالتزام بالتوازن في كثير من المجالات، كما أنه  $\rho$  بين بعض أضرار التشدد والتطرف وحذرنا من سوء العاقبة:

### 1- المتشدد أمره إلى الزوال والهلاك:

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث طلق بن حبيب عن الأحنف بن قيس عن عبد الله قال: قال رسول الله  $\rho$ : [ هلك المتنطعون، قالها ثلاثا ]،<sup>78</sup>.  
 وروى الإمام أبو داود من حديث طلق بن حبيب عن الأحنف بن قيس عن عبد الله بن مسعود عن النبي  $\rho$  قال: [ .. ألا هلك المتنطعون.. ثلاث مرات ]<sup>79</sup>.

<sup>77</sup> الهيثمي، علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد و منبع الفوائد، دار الكتاب العربي- بيروت، ج 10، ص 251

<sup>78</sup> صحيح مسلم، ج 4 - ص 2055 - رقم الحديث: 2670

<sup>79</sup> السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود، دار الفكر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: سنن أبي داود، ج 4-

ص 201، رقم الحديث: 4608

## 2- الوسطية و التوازن في قضايا التبعيد

روى الإمام البخاري في صحيحه قصة زينب رضي الله عنها. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: [ ثم دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت. فقال النبي ﷺ: لا، حُلُّوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعُد ]..<sup>80</sup>.

وروى الإمام البخاري من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: [ ثم كان عندي امرأة من بني أسد، فدخل علي رسول الله ﷺ، فقال: من هذه؟ قلت فلانة، لا تنام بالليل، تذكر من صلاتها. فقال: مه، عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله لا يملئ حتى تملأوا.. ] ..<sup>81</sup>.

## 3- الوسطية والتوازن في القضايا الشخصية

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: [ ثم جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها. فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ. فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكني أصوم وأفطر، وأصلي، وأرقد، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني.. ]<sup>82</sup>.

<sup>80</sup> صحيح البخاري، ج1، ص: 386

<sup>81</sup> المصدر السابق، ج1، ص: 386

<sup>82</sup> المصدر السابق، ج5، ص: 1949

جاء في بعض الروايات عند ابن حجر في فتح الباري أن الثلاثة المذكورين هم علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون..فاتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم ولا يقربوا النساء ويجبوا مذاكيرهم..!!!<sup>83</sup>.

#### 4- الوسطية و التوازن في العلاقة الزوجية

جاء في صحيح ابن حبان قصة أبي الدرداء مع سلمان الفارسي وملخصها.. أن رسول الله **ﷺ** لما آخى بين سلمان وأبي الدرداء، قال: فجاء سلمان يزور أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبتلة، فقال: ما شأنك؟ قالت: إن أخاك ليست له حاجة في الدنيا. فلما جاء أبو الدرداء رحّب به سلمان وقرب إليه الطعام، فقال له سلمان: أطعم! قال: إني صائم. قال: أقسمتُ عليك إلاّ طعمتَ، فإني ما أنا بأكلي حتى تأكل. قال: فأكل معه وبات عنده. فلما كان من الليل قام أبو الدرداء فحبسه سلمان، ثم قال: يا أبا الدرداء: إنّ لربك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً. أعطِ كلَّ ذي حقِّ حَقَّهُ. صُمْ وأفطِرْ وقُمْ وتمِّ وانّتِ أهلك. فلما كان الصبح قال قُمْ الآن، فقاما فصليا، ثم خرجا إلى الصلاة فلما صلى النبي **ﷺ**، قام إليه أبو الدرداء فأخبره بما قال سلمان، فقال له رسول الله **ﷺ** مثل ما قال سلمان..<sup>84</sup>

<sup>83</sup> المصدر السابق

<sup>84</sup> البستي، محمد بن حبان بن أحمد أو حاتم التميمي، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة- بيروت، 1414، ط2، تحقيق

الشيخ: شعيب الأرنؤوط ج2، ص:20

## 5- الوسطية و التوازن في العلاقات الاجتماعية

وروى الإمام البيهقي في شعب الإيمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قال عمر رضي الله عنه: [ يا أسلم لا يكن حبك كُلفاً ولا بغضك تُلْفاً. قال: قلت وكيف ذاك ؟ قال: إذا أحببت فلا تكلف كما يكلف الصبي بالشيء يحبه، وإذا أبغضت فلا تبغض بغضاً تحب أن تتلف صاحبك أو تهلك ]،<sup>85</sup>.

ذكر الإمام البيهقي أيضاً عن معمر عن سمع الحسن قال: كان يقول: [ أحبوا هوناً وأبغضوا هوناً، فقد أفرط أقوام في حب أقوام فهلكوا، وأفرط أقوام في بغض أقوام فهلكوا. فلا تفرط في حبك ولا تفرط في بغضك ]،<sup>86</sup>.

وذكر الإمام البيهقي أيضاً عن حماد عن ثابت عن مطرف قال: [خير الأمور أوساطها]<sup>87</sup>. وجاء في كتاب السنة للمروزي عن أبي قلابة قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه.. فعليكم بالعلم، وإياكم والتبذع، وإياكم والتنطع، وإياكم والتعمق]<sup>88</sup>.

وذكر الإمام بن ماجه في سننه في باب: الاقتصاد في الأكل- فقال - : " الاقتصاد: من القصد، وأصل القصد: الاستقامة في الطريق، كقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النحل: ٩]. ثم استعير في التوسط في الأمور. ومن قوله p: [ الْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا.. ]، أي: عليكم القصد من

<sup>85</sup> البيهقي، ابو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية-بيروت، 1410، ط1، تحقيق: محمد السعيد

بسيوي زغلول، ج 5، ص: 261، رقم الحديث: 6598

<sup>86</sup> المصدر السابق، رقم الحديث: 6599

<sup>87</sup> المصدر السابق، رقم الحديث: 6601

<sup>88</sup> المروزي، محمد بن نصر بن الحجاج أبو عبد الله، كتاب السنة، مؤسسة الكتب الثقافية-بيروت، 1408، ط1،

تحقيق: سالم أحمد السلفي، ج1-ص: 30، رقم الحديث: 85

الأمر في القول، والفعل، والتوسط، بين طريقي الإفراط والتفريط. وحديث: [ عليكم هدياً قصداً.. ]، أي طريقاً معتدلاً. وحديث: [ ما عال من اقتصد ]، أي ما افتقر من لا يسرف في الإنفاق ولا يقتر..<sup>89</sup>.

نستنتج ما سبق ذكره من النصوص النبوية أن الالتزام بالوسطية والتمسك بها في حياتنا التعبدي والاجتماعية والشخصية بات أمراً ملزماً و فريضة عينية إذا ما أردنا حياة آمنة ومطمئنة في هذه الدنيا ونيل رضا الله عز وجل في الآخرة. كما أرشدت تلك النصوص المباركة القرآنية والنبوية أن المتشددين والمتنطعين هم أبعد الناس عن روح التعاليم الإسلامية ومقاصده العليا.

فنسأل الله تبارك وتعالى أن نكون قد وفقنا إلى فهم كتاب ربنا عز وجل و سنة نبينا محمد ﷺ فيما يخص في قضية الالتزام بمبدأ الوسطية و الاعتدال، ألا فلينتبه هؤلاء الشباب المتطرفون إلى هذه الحقيقة، فليكونوا وسطيين في بغضهم و حبهم و في مواقفهم، فما أحوجنا إليها ولا حول و لا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

## المبحث السادس: بعض الطرق الحكيمة الثقافية والفكرية لمعالجة ظاهرة

### الإرهاب

يرى المحللون أن الظواهر الاجتماعية التي لا تعالج من جذورها وأسبابها الأساسية، تعود للظهور والبروز من جديد، وذلك لأن معالجة الظواهر الخارجية للمشكلة، لا تنهي الأسباب الحقيقية والجوهرية لنشوء المشكلة والأزمة.

<sup>89</sup> سنن ابن ماجه: ج1، ص: 240، رقم الحديث: 3348

وظاهرة الإرهاب من الظواهر المرضية الخطيرة، التي لا يمكن القضاء عليها، إلا بالقضاء على أسبابها الحقيقية وجذورها الثقافية والفكرية التي تغذيها باستمرار. فالمعالجات الأمنية ضرورية، إلا أنها ليست كافية لاستئصال ظاهرة الإرهاب. إن السبب الحقيقي الذي دفع حفنة من الشباب للانتماء إلى هذه الظاهرة، والاشتراك في أعمال عنف وإرهاب ضد المجتمع ومنشأته الحيوية هو سبب فكري- ثقافي - ديني.

ولا يمكننا بأية حال من الأحوال، إنهاء ظاهرة العنف<sup>90</sup> والإرهاب إلا بالخوض في المعارك الفكرية والثقافية، لأن تلك الثقافات هي التي تسوغ لهم القتل وتبرر الإرهاب تحت غطاء شرعي، وفي تقديرنا أي تأخير في الدخول إلى هذه المعارك سيعرضنا ويعرض وطننا للعديد من الهجمات الإرهابية الأخرى المتكررة، ومن يتابع مجريات الأحداث في عصرنا الراهن سيجد مصداق ذلك متمثلة أمام عينيه. وفيما يلي نذكر أهم تلك الطرق التي ستساعد بإذن الله على اجتثاث هذه الظاهرة الاجتماعية العارضة:

■ لا بد من إعادة صياغة المفاهيم الدينية السائدة في مجتمعنا العربي والإسلامي وتحرير المبادئ الدينية من كل مقولات التطرف والغلو والتعصب وغرس القيم والحقائق الدينية المضادة لظاهرة وسلوك العنف والإرهاب. فهذه مقدمة ضرورية لإنهاء ظاهرة العنف أيًا كان نوعه .

<sup>90</sup> انظر: ظاهرة العنف الديني.. لماذا؟!، المركز العالمي للاستشارات الاستراتيجية، ط2، 2004، مكتبة العبيكان،

الرياض، المملكة العربية السعودية، ص: 14-23



- نحن بحاجة إلى رؤية دينية جديدة، أو تجديد الخطاب الديني<sup>91</sup>، وبناء منظومة ثقافية جديدة، تستلهم من قيم الإسلام وحضارته مفرداتها..
- إرساء معالم ودعائم الحوار<sup>92</sup> والتسامح والاعتراف بالآخر وجوداً ورأياً. وإن أي تهاون على هذا الصعيد، سيكلف الوطن والعالم والمجتمعات مزيداً من القتل والدماء.
- ولا يصرح الأمن الاجتماعي إلا بصيانة وحفظ حقوق التعددية الفكرية والعلمية، والحرية والمساواة، والتي نتجاوز من خلالها أنماط التفكير الأحادي..
- إن الإرهاب يتغذى باستمرار من مظاهر الخلل والتفاوت الاقتصادي والاجتماعي والظلم، فلذلك فنحن بحاجة إلى تحقيق العدالة بكل مستوياتها في واقعنا الاجتماعي.
- إن الاختلافات المذهبية والفكرية، لا تلغي ضرورات العيش المشترك ومتطلبات الوحدة الوطنية والدينية، بل تلزمنا جميعاً بصياغة واحترام نظام قانوني اجتماعي لا يشرع إلى الفوضى والانقسامات.
- الإسلام يأمرنا بتطهير الفرد والمجتمع من الأحقاد الناتجة من الحسد والكراهية والبغض والقسوة، وخلوها من المطامع الناتجة من حب الدنيا والحرص عليها،

---

<sup>91</sup> حول أهمية الإجهاد المعاصر و تجديد الخطاب الديني و فقه النوازل..انظر: مقولات في فقه الموقف، للشيخ سلمان بن فهد العودة، ط2، 2002، مؤسسة الجريسي للتوزيع، الرياض.

<sup>92</sup> حول أهمية الحوار على مستوى الفرد و المجتمع و الدولة و الأديان و الحضارات و الثقافات..انظر: مهلاً هنتنغتون..مهلاً فوكوياما - نظرية الشبكة التصفوية في صراع الثقافات و المادة، اعداد: المركز العالمي للاستشارات الاستراتيجية، ط2، 2004، مكتبة العبيكان، الرياض- المملكة العربية السعودية، ص: 7، 61.

والإغراق في الشهوات.. والوقوف صفاً واحداً ضد كل الثقافات التي تغذى على الحقد والكراهية والاستبداد الفكري أو الديني..<sup>93</sup>.

■ .."إن التطرف برغم كونه يحمل في طبيعته نزعة تدمير الذات، إلا أننا يجب أن نقر أننا أمام أعداء يحملون في عقولهم وقلوبهم مشروعا استراتيجياً. و الإستراتيجية لا تواجه بالتكتيك وإنما تواجه بإستراتيجية أفضل منها. لا يمكن أن نواجه التكفير بالتكفير واللعن باللعن أو العنف بالعنف. هناك شيء أفضل، أعني التسامح الديني كفكر نعلمه أطفالنا ونبته في مجتمعنا ونجعله محور نقاشاتنا ومؤتمراتنا. و لقد ضربت المملكة العربية السعودية أروع مثال في هذا العصر عندما قامت بخطوات مباركة نحو هذا النهج، وذلك من خلال مشروع ولي العهد السعودي ( الحوار الوطني ).."<sup>94</sup>.

■ تتوزع دوافع ظاهرة العنف والإرهاب تنبع من عدة جوانب، مثل الجانب التربوي والنفسي والفكري والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والأمني والخارجي والداخلي.. ومن ثمَّ يجب أن تشمل المعالجة هذه الجوانب كلها..

■ يجب التنبيه في الوسائل الإعلامية على ضرورة تخفيف اشتداد الحملة الأمريكية والغربية على مناهج التعليم الشرعية في المجتمعات الإسلامية والعربية، حتى لا يكون لها ردة فعل سلبية من الشباب الذين يقفون بالمرصاد لأمريكا و لحلفائها.

■ يجب القيام بمراجعة صادقة وأمينة لمناهجنا التربوية والدينية من ذوي الكفاءة والإخلاص والشجاعة والعلم والمعرفة، وإدراج بعض المفردات الجديدة في

<sup>93</sup> انظر: الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد - تقديم و دراسة: د. أسعد السحمراني، دار

النفائس، بيروت- لبنان، ط2، 2003، ص: 45

<sup>94</sup> الغنامي، خالد: استراتيجية مكافحة الإرهاب..مقال على الانترنت، يبحث بهذا العنوان في :

المناهج التعليمية والمقررات الدراسية حول التربية المدنية وحقوق الإنسان، ومفردات القبول بالآخر القريب، والتعايش الحضاري بين الأمم ذات الأديان المختلفة..<sup>95</sup>

■ كما يجب تحرير النزاع حول مفهوم الجهاد وغاياته وأهدافه، و تحرير مفهوم الخلاف المشروع بأدابه وقيمه وأخلاقياته، وتحرير مفهوم فقه تغيير المنكر ودرجاته وطرقه، والتوازن في التنشئة، بين الجانب الروحي والعقلي والوجداني والجسمي الذي سبق الحديث عنه في هذه الدراسة. و أيضاً يجب تحرير مفهوم فقه المصلحة العامة والخاصة والمفسدة الراجحة أو يقينية.

■ ولا بد من الإشارة هنا إلى دور الوسيط الإعلامي، ولا سيما قنواته الرسمية الفضائية والهابطة في الاتجاه المضاد من خلال عرضه لأفلام العنف بمختلف أشكاله وأنواعه. أما ما يسمى بأفلام الكرتون التي تشغل الحيز الأكبر من فراغ الأطفال وحتى الناشئة الكبار فإن سوقها رائجة في الوسائل المرئية وتهتم هذه الأفلام غالباً بحكايات المغامرات، وزرع الخرافة في نفوس الناشئة..<sup>96</sup>

■ ولا ننسى أيضاً الأضرار الأخلاقية والدينية التي سببت هذه الفضائيات للأسر المسلمة والشباب الإسلامي. أرى من الواجب القيام بتشكيل لجنة أو هيئة

---

<sup>95</sup> ينصح رجال التربية والتعليم في البلاد العربية والإسلامية أن يستعينوا بتجربة ماليزيا في هذه القضية التربوية المهمة، وللزيد انظر:

*Nik Azis Nik Pa, Human Rights Education in Schools: The Malaysian Experience, www.erc.hrea.org*

<sup>96</sup> حول أضرار الفراغ الكبير و النتائج السلبية الناتجة عن ذلك، على شبابنا الإسلامي، وضرورة إصلاح المناهج الدينية التعليمية.. انظر: ياجن، مقداد: الرحلات العلمية من الشرق إلى الغرب - رحلة الدكتور مقداد ياجن - الحاصل على جائزة الملك فيصل العلمية. دار عالم الكتب-الرياض، ط1-1992، ص: 163-164

رقابة محلية أو دولية إسلامية تشرف على هذه القنوات، و لا يسمح لها بعرض كل ما يجلو لمرضى النفوس..<sup>97</sup>

■ ضرورة المعالجة النفسية لهؤلاء المجاهدين الذين عادوا من الأراضي الجهادية.. لقد عبى الشباب "المجاهد" في تلك الأجواء بأفكار مفادها أن حياة الجهاد هي الأصل، وأن السلم هو الاستثناء، وأن الحياة بغير جهاد حتى لو لم تتوافر دواعيه وأسبابه، تفقد معناها، إذ هي إخلاد إلى الدنيا ومتاعها الزائلة والفانية. ولا ريب أن تلك التعبئة كانت من الخطأ لأنها آلت مخرجاتها إلى أعمال عنف يذهب ضحيتها أبرياء مسلمون حيناً، ومسالمون من غير المسلمين حيناً آخر.

■ يجب التريث وعدم العجلة في مساس العلماء والمشايخ والمفكرين الإسلاميين بسوء من قبل الدوائر الحكومية والاستجوابات الأمنية، بسبب ما يحظون من الإجلال والاحترام والإتباع لدى الجمهور، ولا سيما الشباب. إن أي خطأ مع هؤلاء القادة الروحيين سيولد ردود أفعال عنيفة. فمن الشباب من بايع شيخه على الإسلام و الموت في سبيل هذا الدين، و إذا ما تعرض قائده وشيخه الذي اهتدى على يديه على أي خطر، فإنه سيفدي حياته لأجله و لا يبالي، مهما كلفه ذلك.

■ لا يمكن إغفال دور التكوين الفكري والعقدي، والتنشئة الأخلاقية في المجتمعات الإسلامية عند الحديث عن ظاهرة العنف وازديادها، حيث إن

<sup>97</sup> إن هذه الرقابة الحكومية أو الدولية ممكنة ومتيسرة لمن أراد ذلك، فإذا كان بوسع دولة في جنوب شرق آسيا - كماليزيا أن تفعل ذلك وسط شعب متعدد الأعراق والأديان و لم يكلفها ذلك شيئاً، فإن الدول العربية في الشرق الأوسط ولا سيما في الخليج، أن تفعل ذلك من باب أولى.

جمهور هذه المجتمعات قد نشئوا على تقديس المعتقدات الدينية، ولا سيما الذات الإلهية المقدسة وعدم التفريط بالقيم الاجتماعية والأخلاقية، بل والدفاع المسلح عن ذلك إن اقتضى الأمر. فإذا حدث تعدّي على الذات الإلهية على أي نحو، أو أي سخرية بالمقدسات الإسلامية، أو تعريض بأي من القيم الأخلاقية والاجتماعية من قبل غير المسلمين، فماذا يُنتظر أن يكون رد الفعل؟؟؟

- ولا ننسى الأضرار الناجمة من دور المسرحيات والسينما والنوادي الليلية في بعض المجتمعات العربية والإسلامية، مثل بعض الفنادق المشتهرة بممارسة الفجور وتقديم خدمات الدعارة ونحوها، فإنها السبب الأكبر في تأجيج روح العنف لدى جمهور الشباب الثائر المتحمس، فحتى لا نلقي أنفسنا بأيدينا إلى التهلكة فإنه يجب أن تمنع تلك المحلات والفنادق من تقديم تلك الخدمات وممارسة تلك المهن الرذيلة.
- إن محاربة مظاهر البطالة والتسول وإيجاد فرص العمل المناسب واجب كبير، وتقديم العلاج الصحي السليم والسكن الملائم واجب أكبر، كما يجب التنبه إلى عدم غلاء الأسعار والمهور حتى يتسنى للمعسرین من الشباب المتحمس الزواج، لعلهم يجدون سكناً روحياً ومودة ورحمة. فإذا قصر رجال الدين والدولة في تقديم هذه الخدمات لهم، فلا شك في أن الآخرين من الفئات

الضالة يقفون لهم بالمرصاد، وأنهم سيؤوونهم وسيقدمون لهم بعضاً من تلك الخدمات وسيسيئون استغلالهم، لمثارهم الشخصية<sup>98</sup>.

■ مساعدة المحتاجين ذوي الالتزامات المادية الكثيرة تجاه جهات حكومية وغير حكومية عدة؛ مثل تسديد ضرائب وأجور مياه وكهرباء وهاتف والالتزامات أسرية وعائلية. فإن زالت هذه العقبات والأزمات المادية، ستخف بإذن الله موجة الإرهاب وسيعيش هؤلاء الشباب بين خوف الفقر و أمل الغنى، و لأن تربة العنف تجد خصوبتها في نفوس الشباب الذين يعانون من هذه الأزمات. إذ لسان حاله يصرخ: ما معنى حياة كهذه.

■ التخفيف من الحل الأمني والاقتصار عليه عند الضرورة فقط، والتي تقدر بقدرها، شريطة أن يظل محتكماً إلى الشرع، واعتماد الحوار مع هؤلاء الشباب المتحمس بشخصيات يحظون بثقة لدى هؤلاء الشباب، خارج دائرة السلطة.. و أن يتم الحوار قبل الاحتجاز الأمني، وخارج غرف التحقيق والزنازين، وفي الأجواء الحرة المفتوحة .

■ يجب محاربة العنصرية بألوانها وأشكالها المختلفة والقيام بإصلاح ذات البين وإزالة الخلافات الداخلية بين الآباء والأبناء والأزواج وزوجاتهم والأقارب<sup>99</sup>.

---

<sup>98</sup> للمزيد حول كيفية مواجهة التحديات في هذا العصر الذي نعيش فيه انظر هذين الكتابين المهمين: علوان، عبد

الله ناصح: الشباب المسلم في مواجهة التحديات، دار القلم، دمشق، ط4، 2002، و: بكار، عبد الكريم: عصرنا

و العيش في زمانه الصعب، دار القلم، دمشق، ط2، 2004

<sup>99</sup> ينصح المهتمون من رجال الدين و الدولة في معالجة هذه الظواهر الاجتماعية، مثل الإرهاب و تيسير الزواج و عدم

غلاء المهور مراجعة الشيخ الدكتور سلمان العودة في موقعه على شبكة الانترنت: [www.islamtoday.net](http://www.islamtoday.net) و

متابعة برامجه و حلقاته الجمعية على قناة 1 MBC، فإنها مفيدة و قيمة للغاية، ولا سيما الحلقات الثلاثة الأخيرة التي

قدمت في هذه التواريخ: 02.03.2007، 09.03.2007، 16.03.2007

■ إنّ القاعدة الأساس في هذا أن العنف لا يولد إلا مزيدا من العنف، ويبقى علاج الفكر بالفكر أيا كان ذلك الفكر منحرفا أو شادا.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]

وصلى الله على سيدنا و نبينا محمد وعلى آله و أصحابه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المدينة المنورة

2007/03-16

وتم مراجعة الدراسة قبل النشر أيضا يوم الجمعة 23 من ذي القعدة 1437 هـ  
الموافق 26 أغسطس 2016 في دوحة الخير والبركة - قطر





## آداب معلم القرآن ومتعلمه

قراءة تربوية إسلامية معاصرة في كتاب الإمام النووي

( التبيان في آداب حملة القرآن )

بقلم

الدكتور خيرالدين خوجة ( الكوسوفي )

أستاذ الدراسات القرآنية المساعد

جامعة طيبة - المدينة المنورة

المملكة العربية السعودية

2009

ح خيرالدين بافتي خوجه ، 1430هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

خوجه ، خيرالدين بافتي

آداب معلم القرآن ومتعلمه .... / خيرالدين بافتي خوجه - المدينة المنورة ،  
1430هـ

20 ص ؛ 21×14 سم

ردمك : 9-2404-00-603-978

1- القرآن - مباحث عامة أ- العنوان

ديوي 229.1 1430/2576

رقم الإيداع : 1430/2576

ردمك : 9-2404-00-603-978

الطبعة الأولى : رجب 1430هـ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطابع الرشيد 920000789

## بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [ فاطر: 29 ]، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات و المرسلين، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، القائل: [خيركم من تعلم القرآن وعلمه]، رواه الإمام البخاري، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، أولي النهى والإحسان، و من سار على هديهم واقتفى أثرهم بالإخلاص و الإيمان. وبعد:

فلقد اهتم أئمتنا من السلف الصالح رضوان الله عليهم بشأن القرآن الكريم، حفظاً وتعليماً وتفسيراً، كما أنهم اهتموا بذكر آداب طلبة العلم وحاملي القرآن اهتماماً كبيراً. فصنفوا في ذلك المصنفات، نذكر منها على سبيل المثال، الإمام العلامة أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى المتوفى سنة 360 هـ، فقد ألف كتاباً بعنوان: (أخلاق حملة القرآن)، والإمام العلامة أبو زكريا بن شرف النووي المتوفى سنة 676 هـ أيضاً ألف كتاباً سماه: (التبيان في آداب حملة القرآن)، والذي هو موضوع دراستنا، وغير هؤلاء كثيرون لا يسمح المقام لسرد أسمائهم. ولقد استوقفتني هذا الكتاب العظيم للإمام النووي كثيراً وكان له الأثر البالغ في نفسي و في تكوين فكري وشخصيتي. ولقد ساعد على نبوغ الإمام النووي في مجال التربية والتعليم، صحبته الطويلة للقرآن الكريم. يتضح ذلك بجلاء ووضوح لكل من طالع كتابه بإنعام وتدبر. وحول تأثير القرآن الكريم في فكر ونفوس قارئيه، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: " لقد كان هذا الكتاب هو مصدر المعرفة والتربية والتوجيه والتكوين الوحيد لجيل من

البشر فريد... جيل لم يتكرر بعد في تاريخ البشرية، لا من قبل ولا من بعد، جيل الصحابة الكرام الذين أحدثوا في تاريخ البشرية ذلك الحدث الهائل العميق الممتد، الذي لم يُدرَس حق دراسته حتى الآن...".

ولقد كان فضل الله علينا عظيماً إذ اختارنا لحمل رسالته إلى الناس وتربية الأجيال في هذه البقعة المباركة، مدينة المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، فقد كان لزاماً علينا أن نُجلي بعض الحقائق والمعالم التربوية من تجربة ذلك الإمام الجليل من خلال كتابه المذكور آنفاً.

إن الآداب والمعالم التربوية المذكورة في ذلك الكتاب وإن كانت قد وضعت في الأصل للمعلمين والمتعلمين في مجال حفظ القرآن الكريم وتدريبه، إلا أنها يمكن أن تكون عامة وصالحة لكل العلوم والتخصصات ولكل المعلمين و المتعلمين. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

إن كثيراً من المعلمين وإن كانوا يحملون ألقاباً أكاديمية عليا، إلا أنهم في أعمالهم ووظائفهم التربوية، بعيدون كل البعد عن مراعاة تلك المثل والضوابط والمعالم الإنسانية، التربوية والدينية، والتي أشار إليها الإمام النووي في كتابه المذكور. فترى منهم العابس والمقطّم، والضارب والمعنف، والشاتم والحاسد لتلاميذه وطلابه! وما كثرة الشكاوى الواردة من أولياء الأمور إلى المسؤولين في وزارة التربية والتعليم في حق هؤلاء المربين عنا ببعيد. وإن الكتاب الذي بين أيدينا سيكون بإذن الله تعالى نبراساً يضيء لنا الطريق لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً. لنعش مع بعض فقرات هذا الكتاب القيم. قال الإمام النووي رحمه الله:

" في آداب معلم القرآن... أول ما ينبغي للمقرئ والقارئ أن يقصدا بذلك رضا الله تعالى... عن الفضيل بن عياض رضي الله عنه قال: ترك العمل لأجل الناس رياء،

والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما... و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تعلم علمًا يبتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة...". ثم تحدث الإمام النووي عن إخلاص المعلم للمتعلم، مبيّنًا بعض الهفوات التي يقع فيها كثير من المعلمين والأساتذة أو الشيوخ، و نحن نقتبس فقرات من كلامه، قال رحمه الله:

"...إخلاص المعلم له: وليحذر كل الحذر من قصده التكثر بكثرة المشتغلين عليه والمختلفين إليه، وليحذر من كراهته قراءة أصحابه على غيره ممن ينتفع به، وهذه مصيبة يبتلى بها بعض المعلمين الجاهلين، وهي دلالة بينة من صاحبها على سوء نيته وفساد طوبته، بل هي حجة قاطعة على عدم إرادته بتعليمه وجه الله تعالى الكريم، فإنه لو أراد الله بتعليمه، لما كره ذلك..."

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: يا حملة القرآن، أو قال يا حملة العلم اعملوا به فإنما العلم من عمل بما علم ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف عملهم علمهم وتخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون حلقة يباهي بعضهم بعضًا، حتى أن الرجل ليغضب على جلسه أن يجلس إلى غيره... أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى... ويستحب للمعلم أن يكون حريصًا على تعليمهم مؤثرًا ذلك على مصالح نفسه الدنيوية التي ليست بضرورية، وأن يُفرغ قلبه في حال جلوسه لإقراءهم من الأسباب الشاغلة كلها، وهي كثيرة معروفة، وأن يكون حريصًا على تفهيمهم، وأن يعطي كل إنسان منهم ما يليق به، فلا يكثر على من لا يحتمل الإكثار، ولا يقصر لمن يحتمل الزيادة، ويأخذهم بإعادة محفوظاتهم، ويثني على من ظهرت نجابته ما لم يخش عليه فتنة بإعجاب... ومن قصر، عنقه تعنيًا لطيفًا في ما لم يخش عليه تنفيره، ولا يحسد أحداً منه لبراعة تظهر

منه... فإن الحسد للأجانب حرام شديد التحريم، فكيف للمتعلم الذي هو بمنزلة الولد! ويعود من فضيلته إلى معلمه في الآخرة، الثواب الجزيل وفي الدنيا الثناء الجميل والله الموفق... وينبغي أن يظهر لهم البشر وطلاقة الوجه ويتفقد أحوالهم ويسأل عن غاب منهم. قال العلماء رضي الله عنهم ولا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية... فقد قالوا طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله...".

### آداب معلم القرآن

وأما عن آداب المعلم والأخلاق الكريمة التي يجب التقيد بها كما أنها يجب أن تتمثل في شخصية المعلم والأستاذ فقد أشار الإمام النووي رحمه الله إلى أهمية ذلك قائلاً:

"...مكارم الأخلاق: وينبغي للمعلم أن يتخلق بالمحاسن التي ورد الشرع بها والحصل الحميدة والشيم المرضية التي أرشده الله إليها من الزهادة في الدنيا والتقليل منها... والسخاء والجود ومكارم الأخلاق وطلاقة الوجه، من غير خروج إلى حد الخلاعة، والحلم والصبر والتنزه عن دنئ المكاسب، وملازمة الورع، والخشوع، والسكينة، والوقار، والتواضع، والخضوع، واجتناب الضحك، والإكثار من المزاح، وملازمة الوظائف الشرعية كالتنظيف والتقليم... كقص الشارب وتقليم الظفر وتسريح اللحية وإزالة الروائح الكريهة والملابس المكروهة.

وليحذر كل الحذر من الحسد، والرياء، والعجب، واحتقار غيره وإن كان دونه... وأن يراقب الله تعالى في سره وعلانيته ويحافظ على ذلك وأن يكون تعويله في جميع أموره على الله تعالى... وينبغي له أن يرفق بمن يقرأ عليه وأن يرحب به ويحسن إليه بحسب حاله... لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: قال إن الناس لكم تبع وإن رجلاً

يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً... وينبغي أن يبذل لهم النصيحة... ومن النصيحة لله تعالى ولكتابه إكرام قارئه وطالبه وإرشاده إلى مصلحته والرفق به، ومساعدته على طلبه بما أمكن، وتأليف قلب الطالب وأن يكون سمحاً بتعليمه في رفق، متلطفاً به، ومحرضاً له على التعلم. وينبغي أن يذكره فضيلة ذلك ليكون سبباً في نشاطه وزيادة في رغبته... ويذكره فضيلة الاشتغال بالقرآن وسائر العلوم الشرعية وهو طريق العارفين وعباد الله الصالحين، وأن ذلك رتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام... وينبغي أن يشفق على الطالب ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح ولده ومصالح نفسه، ويُجري المتعلم مجرى ولده في الشفقة عليه والصبر على جفائه وسوء أدبه، ويعذره في قلة أدبه في بعض الأحيان، فإن الإنسان معرض للنقائص... وينبغي أن يحب له ما يحب لنفسه من الخير وأن يكره له ما يكره لنفسه من النقائص مطلقاً... وينبغي أن لا يتعاضم على المتعلمين، بل يلين لهم ويتواضع معهم، فقد جاء في التواضع لأحاديث الناس أشياء كثيرة معروفة فكيف بمؤلاء الذين هم بمنزلة أولاده مع ما هم عليه من الاشتغال بالقرآن مع ما لهم عليه من حق الصحبة وترددهم إليه. وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه...".

ثم إن الإمام النووي لفت أنظارنا إلى مسألة مهمة في التعليم، ألا وهي مسألة التدرج في التعليم والحفظ، فقال رحمه الله:

"... تأليف المتعلم: وينبغي أن يؤدَّب المتعلم على التدرج بالآداب السنية، والشيم المرضية، ورياضة نفسه بالدقائق الخفية، ويعوده الصيانة في جميع أموره، الباطنة والجلية، ويحرضه بأقواله وأفعاله المتكررات على الإخلاص، والصدق، وحسن النيات، ومراقبة الله تعالى في جميع اللحظات، ويعرفه أن لذلك تتفتح عليه أنوار المعارف، وينشرح

صدره، ويتفجر من قلبه ينابيع الحكم واللطائف، ويبارك له في علمه وحاله، ويوفق في أفعاله وأقواله...ومن آدابه المتأكدة وما يعتنى به: أن يصون يديه في حال الإقراء عن العبث، وعينه عن تفريق نظرها من غير حاجة، ويقعد على طهارة مستقبل القبلة، ويجلس بوقار، وتكون ثيابه بيضاً نظيفة... ويجلس متربعاً إن شاء أو غير متربع...وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يقرئ الناس في المسجد جاثياً على ركبتيه...وينبغي أن يكون مجلسه واسعاً ليتمكن جلساؤه فيه.

ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: خير المجالس أوسعها... ومن أهم ما يؤمر به أن يحذر كل الحذر من اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها. فقد جاء عن عبد الرحمن بن شبيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه...وأما أخذ الأجرة على تعليم القرآن؛ فقد اختلف العلماء فيه. فحكى الإمام أبو سليمان الخطابي منع أخذ الأجرة عليه من جماعة من العلماء، منهم الزهري وأبو حنيفة. وعن جماعة؛ أنه يجوز إن لم يشترطه، وهو قول الحسن البصري والشعبي وابن سيرين. وذهب عطاء ومالك والشافعي وآخرون إلى جوازها إن شارطه واستأجره إجارة صحيحة..."

### آداب متعلم القرآن

وأما عن آداب المتعلم والأخلاق الكريمة التي يجب التقيد والالتزام بها، كما أنها يجب أن تتمثل في شخصية المتعلم و التلميذ فقد أشار الإمام النووي رحمه الله إلى أهمية ذلك قائلاً:

وأما عن آداب المتعلم، فيقول الإمام النووي رحمه الله تعالى :



"... جميع ما ذكرناه من آداب المعلم في نفسه آداب للمتعلم، ومن آدابه أن يجتنب الأسباب الشاغلة عن التحصيل إلا سببًا لا بد منه للحاجة، وينبغي أن يظهر قلبه من الأدناس ليصلح لقبول القرآن وحفظه واستثماره. فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب. وقد أحسن القائل بقوله: يطيب القلب للعلم كما تطيب الأرض للزراعة. وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويتأدب معه، وإن كان أصغر منه سنًا وأقل شهرة ونسبًا وصلاحًا وغير ذلك. ويتواضع للعلم فتواضعه يدركه... وينبغي أن ينقاد لمعلمه ويشاوره في أموره ويقبل قوله، كالمريض العاقل؛ يقبل قول الطبيب الناصح الحاذق... ولا يتعلم إلا ممن تكملت أهليته وظهرت ديانتها وتحققت معرفته واشتهرت صيانتها، فقد قال السلف: هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم. وعليه أن ينظر معلمه بعين الاحترام، ويعتقد كمال أهليته ورجحانه على طبقتة، فإنه أقرب إلى انتفاعه به. وكان بعض المتقدمين إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء، وقال اللهم استر عيب معلمي عني ولا تذهب بركة علمه مني. وقال الربيع صاحب الشافعي رحمهما الله: ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبة له.

وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: من حق المعلم عليك أن تسلم على الناس عامة وتخصه دونهم بتحية، وأن تجلس أمامه ولا تشيرنّ عنده بيدك، ولا تغمزنّ بعينيك، ولا تقولنّ: قال فلان خلاف ما تقول، ولا تغتابنّ عنده أحداً ولا تشاور جليسك في مجلسه، ولا تأخذ بثوبه إذا قام، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تشبع من طول صحبته. وينبغي أن يتأدب بهذه الخصال التي أرشد إليها علي كرم الله وجهه، وأن يرد غيبة شيخه إن قدر، فإن تعذر عليه ردها، فارق ذلك

المجلس... ويدخل - أي المتعلم - على الشيخ كامل الخصال متصفاً بما ذكرناه في المعلم، متطهراً مستعملاً للسواك، فارغ القلب من الأمور الشاغلة، وأن لا يدخل بغير استئذان إذا كان الشيخ في مكان يحتاج فيه إلى استئذان، وأن يسلم على الحاضرين إذا دخل ويخصه دونهم بالتحية، وأن يسلم عليه وعليهم إذا انصرف... ولا يتخطى رقاب الناس، بل يجلس حيث ينتهي به المجلس إلا أن يأذن له الشيخ في التقدم أو يعلم من حالهم إثارة ذلك، ولا يقيم أحداً من موضعه، فإن أثره غيره لم يقبل، اقتداءً بابن عمر رضي الله عنهما، إلا أن يكون في تقديمه مصلحة للحاضرين أو أمره الشيخ بذلك، ولا يجلس في وسط الحلقة إلا لضرورة، ولا يجلس بين صاحبين بغير إذنهما، وإن فسحا له قعد وضم نفسه... وينبغي أيضاً أن يتأدب مع رفيقه وحاضري مجلس الشيخ، فإن ذلك تأدبٌ مع الشيخ وصيانة لمجلسه، ويقعد بين يدي الشيخ قعدة المتعلمين لا قعدة المعلمين، ولا يرفع صوته رفعاً بليغاً من غير حاجة، ولا يضحك، ولا يكثر الكلام من غير حاجة، ولا يعبث بيده ولا بغيرها ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً من غير حاجة، بل يكون متوجهاً إلى الشيخ مصغياً إلى كلامه...، ومما يتأكد الاعتناء به أن لا يقرأ على الشيخ في حال شغل قلب الشيخ وملله... وأن يغتنم أوقات نشاطه. ومن آدابه أن يتحمل جفوة الشيخ وسوء خلقه، ولا يصدده ذلك عن ملازمته واعتقاد كماله، ويتأول لأفعاله وأقواله التي ظاهرها الفساد، تأويلاتٍ صحيحة... وإن جفاه الشيخ ابتداءً هو بالاعتذار إلى الشيخ وأظهر أن الذنب له والعتب عليه فذلك أنفع له في الدنيا والآخرة وأنقى لقلب الشيخ. وقد قالوا من لم يصبر على ذل التعليم بقي عمره في عماية الجهالة. ومن صبر عليه آل أمره إلى عز الآخرة والدنيا. ومنه الأثر المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالباً فعززت مطلوباً. وقد أحسن من قال من لم يذق طعم المذلة ساعة قطع الزمان بأسره

مذلولاً...ومن آدابه المتأكدة أن يكون حريصاً على التعلم مواظباً عليه في جميع الأوقات التي يتمكن منه فيها، ولا يقنع بالقليل مع تمكنه من الكثير، ولا يحمل نفسه ما لا يطيق مخافة من الملل وضياع ما حصل. وهذا يختلف باختلاف الناس والأحوال. وإذا جاء إلى مجلس الشيخ فلم يجده انتظر ولازم بابه...وإذا وجد الشيخ نائماً أو مشتغلاً بهم، لم يستأذن عليه، بل يصبر إلى استيقاظه أو فراغه أو ينصرف. والصبر أولى كما كان ابن عباس رضي الله عنهما وغيره يفعلون. وينبغي أن يأخذ نفسه بالاجتهاد في التحصيل في وقت الفراغ والنشاط وقوة البدن ونباهة الخاطر وقلة الشاغلات، قبل عوارض البطالة وارتفاع المنزلة. فقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تفقهوا قبل أن تسودوا، معناه اجتهدوا في كمال أهليتكم وأنتم أتباع، قبل أن تصيروا سادة، فإنكم إذا صرتم سادة متبوعين، امتنعتم من التعلم لارتفاع منزلتكم وكثرة شغلكم. وهذا معنى قول الإمام الشافعي رضي الله عنه تفقه قبل أن ترأس، فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه.

وينبغي أن يبكر بقراءته على الشيخ أول النهار...وينبغي أن لا يؤثر بنؤبته غيره، فإن الإيثار مكروه في القرب - أي القربات -، بخلاف الإيثار بحظوظ النفس فإنه محبوب. فإن رأى الشيخ المصلحة في الإيثار في بعض الأوقات لمعنى شرعي فأشار عليه بذلك، امتثل أمره. ومما يجب عليه ويتأكد الوصية به ألا يحسد أحداً من رفقته أو غيرهم، على فضيلة رزقه الله إياها، وأن لا يعجب بنفسه بما خصه الله...وطريقه في نفي العجب؛ أن يذكر نفسه أنه لم يحصل ما حصله بحوله وقوته، وإنما هو فضل من الله... وطريقه في نفي الحسد؛ أن يعلم أن حكمة الله تعالى اقتضت جعل هذه الفضيلة في هذا، فينبغي أن لا يعترض عليها...

ومن آدابه أن يكون على أكمل الأحوال وأكرم الشمائل، وأن يرفع نفسه عن كل ما نهي القرآن عنه إجلالاً للقرآن، وأن يكون مصوناً عن دنئ الاكتساب، شريف النفس، مرتفعاً على الجبايرة والجفافة من أهل الدنيا، متواضعاً للصالحين وأهل الخير والمساكين، وأن يكون متخشعاً ذا سكينه ووقار...

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليته إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبجزئه إذا الناس يفرحون، وببكاؤه إذا الناس يضحكون، وبصحته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يحتالون.. وعن الفضيل بن عياض قال ينبغي لحامل القرآن أن لا تكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم. وعنه أيضاً قال: حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو، تعظيماً لحق القرآن... " فرضي الله عن إمامنا وشيخنا وأستاذنا الإمام النووي رحمه الله، وجزاه عنا وعن الإسلام خير الجزاء وجعلنا الله من أمثاله، إنه سميع قريب مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

2007/9/5

المدينة النبوية المطهرة

## تفسير القرآن بأقلام العلماء الألبان في جزيرة البلقان<sup>100</sup>

ورقة علمية قدمت في المؤتمر العالمي بعنوان: ( القرآن الكريم ومناهج دراسته )  
والذي عقده مسلك الدراسات الإسلامية بكلية الآداب و العلوم الإنسانية -  
جامعة سيدي محمد بن عبد الله - ظهر المهرارز - فاس - المملكة المغربية  
08.05.2007 - 10.05.2007

### بقلم

الدكتور خيرالدين خوجة ( الكوسوفي )

أستاذ الدراسات القرآنية المساعد- قسم العلوم الإنسانية وتقنياتها - كلية المجتمع  
جامعة طيبة - المدينة المنورة  
المملكة العربية السعودية

---

<sup>100</sup> هذه الدراسة في أصلها اقتبست من رسالتي الدكتوراه مع بعض الإضافات الجديدة في الفصل الأول منها، لأهميتها  
وتقديمها في ذلك المؤتمر بالمغرب

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وهدى ورحمة للذين يتلونه حق تلاوته بكرة وأصيلاً، والصلاة والسلام على الهادي البشير سيدنا ونبينا محمد ﷺ الذي نزل عليه القرآن ورتله ترتيلاً، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الذين آزره ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، والذين حفظوا لنا القرآن ونقلوه جملة وتفصيلاً، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم وجاهد بالقرآن جهاداً كبيراً.. أما بعد:

الحمد لله الذي شرفنا بخدمة القرآن تعلماً وتعليماً، وتبيانا لفضائله ودرره، وترجمة لمعانيه وأسراره، وتوضيحاً لسوره وآياته. كما نحمده تعالى أن وفقنا لبيان جهود السابقين ومناقبتهم من العلماء الربانيين، الذين قضاوا نجبتهم في خدمة القرآن تلاوة وحفظاً وتفسيراً. فالحمد لله أولاً و آخراً.

لقد شهد العصر الحديث وكشف النقاب عن دور وجهود علماء الألبان في جزيرة البلقان في خدمة القرآن الكريم، فكان لزاماً علينا القيام ببيان ودراسة تلك الجهود الجبارة وإبرازها إلى النور إلى الإخوة القراء في العالم العربي والإسلامي و إثراء المكتبة العربية وإدراجها في سلسلة حلقات جهود العلماء من السلف والخلف في خدمة القرآن الكريم.

لقد شاء الله البارئ عز وجل أن أتناول دراساتي القرآنية جهود بعض كبار العلماء الألبان في العصر الحديث و إبراز دورهم الكبير في خدمة القرآن الكريم، ودراسة مناهجتهم واتجاهاتهم المذهبية والفكرية في تفسيرهم للقرآن الكريم. أظهرت النتائج

الدراسية أنه قد ظهرت في مناهجهم لتفسير القرآن الكريم عدة اتجاهات فكرية وعقدية وعلمية. و من أبرز هؤلاء المفسرين نخص بالذكر: الشيخ العلامة الحافظ، إبراهيم داليو، Hafiz Ibrahim Dalliu رائد المنهج والاتجاه السني العقدي الماتريدي، والشيخ المصلح والمفكر، Hafiz Ali Korca الحافظ علي كورتشا، رائد المنهج والاتجاه الإصلاحية، والشيخ الفلكي والفيلسوف حسن تحسين، Hoxha Hasan Tahsini رائد الاتجاه العلمي الفلسفي، والمفكر الدكتور (الطبيب الاستشاري للباطنية ) علي فخري إلياسي Dr.Sci.Ali Fahri Iljazi حفظه الله تعالى، رائد المنهج والاتجاه العلمي التجريبي، والشيخ المفكر الحاج شريف أحمددي، Haxhi Sherif Ahmeti رائد المنهج والاتجاه الاجتماعي، والشيخ العلامة المفكر، الحاج وهي دبرا آغولي، Haxhi Vehbi Dibra Agolli رائد المنهج والاتجاه الأصولي السياسي المعتدل، والشيخ العلامة الواعظ كاظم خوجة، Hoxhe Qazim Hoxha رائد المنهج و الاتجاه الصوفي المعتدل، والأستاذ الدكتور فتحي مهديو Prof.Dr. Feti Mehdiu رائد المنهج والاتجاه الإستشراقي المنصف والموضوعي، غير هؤلاء كثيرون. و لا يسعنا في هذا المقام و في هذه العجالة أن نتناول كل هؤلاء الشخصيات الدينية ومناهجهم بالدراسة والتحليل، وحسبنا في ذلك أن نتناول جهود شخصية علمية واحدة، كنموذج عصري في تفسير القرآن الكريم وفق أسس ومنهج المدرسة الإصلاحية الدينية، ألا و هو الشيخ المفكر والمفسر: الحافظ علي كورتشا رحمه الله رحمة واسعة و جعلنا الله من أمثاله.

أسأل الله تبارك و تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلیا أن یتقبل منا، وأن لا یحرمنا من خدمة القرآن الکریم، إنه تعالى أکرم مسئول وخیر مأمول وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمین.

المدينة المنورة 2007



**الفصل التمهيدي الأول:** إطلالة سريعة على الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية في الأراضي الألبانية في جزيرة البلقان، وحقائق تاريخية ألبانية منسية من قبل المؤرخين الشيوعيين الألبان، يجب الاطلاع عليها بإيجاز قبل ذكر جهودهم في التفسير

**المبحث الأول:** الحقائق المنهجية بصدد دراسة التاريخ الألباني المسلم

### المطلب الأول - الألبان وتاريخهم المحرف

إن مما لا شك فيه أن تاريخ ألبانيا والمسلمين الألبان تاريخ مشوه ومحرف. وهذا الذي تشير إليه المصادر التاريخية الموثقة إلى أن تاريخ الألبان تاريخ محرف معوج وغير موضوعي، وبناء على هذه الحقيقة العلمية الثابتة، فإنه يتعين على الباحثين المنصفين من المسلمين وغيرهم أن يبينوا ذلك " .. و أن هذا العمل في إصلاح التراث التاريخي بقراءة جديدة له هو من عمل ومهمة المؤرخ المنصف.. " <sup>101</sup>.

إن الأجيال الألبانية الذين عاشوا قبلنا ومارسوا وظائف وأعمال أكاديمية متعددة " .. فإن هؤلاء جميعاً قد تسمت عقولهم وفسدت قلوبهم من جراء الأكاذيب والنظريات الخادعة الماركسية واللينينية.. " <sup>102</sup>، الموجودة في هذا التاريخ المحرف.

---

Justin McCarthy, **Death and Exile –The Ethnic Cleansing of** <sup>101</sup>

**Ottoman Muslims 1821–1922**, (3<sup>rd</sup> printing, USA, 1999), 3.

Tajar Zavalani, **Histori e Shqipnise**, (Londer, 1957), 9–11 <sup>102</sup>

لقد تلقى الأساتذة المؤرخون الألبان تعليمهم في أحضان وظل المناهج الماركسية الشيوعية، فبالتالي أصبحوا أداة مستغلة للمنهج الماركسي، كما " .. أن تاريخنا ما زال يكتب من جديد بغرض خدمة الأغراض والأهداف الشيوعية السوفيتية والخرافات الأرثوذكسية السلافية الروسية.. " 103 .

وهناك قضية أخرى مهمة جداً ومتعلقة بهذا الموضوع يجب التنبه لها، ألا وهي أن الأقلام الروسية والبلغارية كانت لها دور كبير وبارز ومباشر في صياغة 104، وتشكيل النصوص والمناهج التاريخية الألبانية.. 105 .

إذا باتت هذه الحقائق العلمية المتعلقة بالتاريخ الألباني مسلّمَةً، وأدركنا بأن هذا التاريخ هو تاريخ معارض للأديان عموماً والإسلام على وجه خاص، وأنه قد كتب وفق أسس تلك المناهج الإلحادية الشيوعية الماركسية، من أول صفحته إلى آخره، فإنني من هذا المنبر أدعو إلى إعادة كتابته وصياغة مناهجه ونصوصه مرة أخرى من جديد، بأقلام أمينة ومؤرخين مسلمين موضوعيين غير محايدين، والله أعلم.

---

**Histori e Shqipnis, 9 T.Zavalani, 103**

104 قارن أي كتاب من كتب التاريخ الألباني التي طبعت خلال الأعوام 2000، 1984، 1965، 1954 مع الكتب التي طبعت مؤخراً ابتداء من عام 1989-2000، ستلاحظ نفس المنهج الماركسي اللينيني المتبع، في كتابة وصياغة التاريخ الألباني، حيث يهاجم الإسلام و المسلمون و على وجه خاص العثمانيون بشكل رهيب وعشوائي. هذا يدل على أن التاريخ ما زال يكتب على نفس المنوال و يدرس في المدارس و الثانويات والجامعات بنفس المنهج.

**Historia e Shqiperise, ( Universiteti Shteteror i Tiranës, 1959), vell. 1 105**

## المطلب الثاني: موقف المؤرخين الألبان من التاريخ العثماني

إن تاريخ العصور الوسطى في الجزيرة البلقانية والتاريخ الألباني الحديث مرتبط شديد الارتباط بالتاريخ العثماني. وأثناء بحثنا وتصفحنا لصفحات التاريخ الألباني والعثماني لاحظنا ظاهرة سلبية في كتابات ومناهج المؤرخين الألبان وطريقة تناولهم للتاريخ العثماني. لقد صبغوه بصبغة منكرة ومشمئزة أمام القراء والتلاميذ وطلبة الجامعات، والغرض من هذه الظاهرة السلبية تشويه صورة الإسلام والمسلمين وتنفير الناس منه. في هذا الصدد يقول الأستاذ المؤرخ التركي محمد مقصود أوغلو Mehmed Maksudoglu في هذا الصدد:

".. فيما يخص المصادر والمراجع التاريخية الأصلية عن الدولة العثمانية فإنها استعملت قليلاً جداً من قبل الباحثين الغربيين / وكذلك من قبل الباحثين الألبان- خ.خوجة /.."، "وإذا كانت قد استعملت فإنها كانت قليلة ونادرة جداً.."، "إن الحقيقة العثمانية كانت في واد، والذي كتب عنها أو نشر عنها كان في واد آخر.."، "ولا يمكن في حال من الأحوال أن يفهم تاريخ بلد أو شعب ما، إذا كان تاريخه قد كتب من وجهة نظر أعدائه.."<sup>106</sup>.

ومن مظاهر هذه الظاهرة السلبية أنك تجد المؤرخين العلمانيين من الألبان قد لجئوا قديماً وحديثاً في كتبهم إلى عبارات لاذعة مليئة بالحققد و التعصب على الدولة العثمانية في كافة مجالاتها، و كأن هذه الدولة الإسلامية في نظرهم لم تأت بخير قط.

<sup>106</sup> انظر:

Maksudoglu, Mehmet, **Ottoman History Based Mainly on Ottoman Sources** (International Islamic University, Malaysia, 1993), 4 – 9.

هذا الموقف المحايد وغير الموضوعي و غير منصف يعتبر غير مقبول منهجياً وعلمياً وتاريخياً. و ليس هذا المجال موضع ذكر وبيان مناقب وفضائل الدولة العثمانية خلال خمس قرون ونيف، و التي خفيت على قوم اتبعوا أهوائهم و شهواتهم في كتابة التاريخ العثماني.

فمن هذه الاصطلاحات الجارحة التي يمكن ذكرها على سبيل المثال لا الحصر : المحتل أو الاحتلال التركي... الأتراك البربريون... السيل التركي المدمر...! الضغط والقمع العنصري التركي...!! النيرُ التركي...!! مريض البوسفور...! كيف ندفن هذا المريض...! لاقى هذا المريض ضربة قاضية من الدول الأوربية...! المجلس الوزاري التركي العفن...<sup>107</sup>! السلطان الكائد أو الماكر، والسلطان العميل لصالح الروس والسلاف... الخ<sup>108</sup>.

أقول وأعتقد أن التاريخ الألباني عندما يكتب مرة أخرى ويقراً قراءة جديدة ومنصفة، و عندما نقوم بعملية إسلامية تاريخ الألبان وتهذيبه من تلك العناصر والعدائية والإلحادية، فإن هذه الاصطلاحات الجارحة وغير منهجية يجب أن تزال و أن تُمحي من قاموس المؤرخين إلى الأبد بإذن الله تعالى، وعندئذ سيكون بوسع

<sup>107</sup> انظر :

Shehu, Bedrush, **Qeshkje Shqiptare ne vitet 30 te shek. XIX**, (Instituti Albanologjik i Prishtines, Prishtine, 1990), 35

<sup>108</sup> انظر :

Rizaj, Skender, **Lidhja Shqiptare e Prizrenit 1877–1885**, ( Drita, Krusha e Madhe, Prizren, 1997), 51, 150.

الأجيال القادمة أن يقرؤوا تاريخاً أكثر صحة وأقرب إلى الحق منه إلى الباطل..<sup>109</sup>،  
و أن يأخذوا عن الإسلام و المسلمين انطباعاً آخر أكثر إيجابياً إن شاء الله تعالى.

### المطلب الثالث: تجريد التاريخ الألباني من العامل الديني المهيمن والرئيس

لو فهم المسلمون الألبان وأدركوا هذه الحقيقة القرآنية التي تعتبر كالأساس،  
لتخلصوا من عدم فهم سبب عداوة الآخرين لهم عبر القرون، سواء الرومان أو  
البيزنطيين أو الصرب أو اليونانيين. هذه الحقائق القرآنية تكمن في هذه الآيات المباركة  
التي سنضعها بين يدي القارئ الألباني المسلم. يقول الله تعالى: [ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ  
الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ  
بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ] البقرة: ١٢٠،  
ويقول أيضاً [ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ  
بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ]  
المائدة: ٥١

التاريخ يكشف الستار عن العلاقات الوطيدة والصدقات الحميمة السياسية  
والعسكرية الألبانية مع جيرانهم الصرب وأهل الجبل الأسود واليونان والروس  
الأرثوذكس، وذلك على مدى التاريخ. كما كانت لهم أيضاً علاقات تاريخية وطيدة  
مع النمسا والبابا في الفاتيكان واسبانيا<sup>110</sup>.

<sup>109</sup> لكتابة التاريخ و قراءته قراءة جديدة كان قد دعا إليه أيضاً الأستاذ المؤرخ الكبير الألباني Muhamed Pirraku

في كتابه (رسالة دكتوراه) منذ سنة 1989: **Kultura Kombetare Shqiptare deri ne**

**Lidhjen e Prizrenit** ، ص: 32 .

<sup>110</sup> انظر :

إن إنكار العامل الديني عامة والإسلامي على وجه الخصوص و تجريد التاريخ الألباني منه من قبل الكتاب والباحثين الغربيين في إثارة الحروب بين الشعوب البلقانية وغيرها من المناطق الأوربية والآسيوية، أثار اهتمام المؤرخين المنصفين من الغربيين، حيث يقول أحد المنصفين منهم:

".. في سنة 1880 كانت هنالك أرض كبيرة يقطنها المسلمون في البلقان والأناضول وروسيا الجنوبية. مسلمو البلقان أبيدوا على طريقة الإبادة الجماعية، إما بالموت أو أنهم اضطروا على الهجرة على شكل مجموعات إلى اليونان وبلغاريا ويوغسلافيا... ملايين من المسلمين معظمهم من الأتراك ماتوا، وملايين آخرين هاجروا من الأراضي التركية. فقط بين أعوام 1821-1922 فقد تم طرد و تهجير أكثر من خمسة مليون مسلم إلى المناطق المختلفة... إن تاريخ الأناضول والبلقان والقوقاز لا يمكن دراسته وفهمه على وجهه الصحيح إذا لم نأخذ في عين الاعتبار اللاجئين من المسلمين و الذين ماتوا منهم.. إن الإبادة الجماعية في حق المسلمين قضية مهمة جداً في تاريخ الدولة العثمانية - ( و في تاريخ الألبان كذلك - خ.خوجة) -... و مع ذلك وللأسف الشديد في التاريخ الغربي-(و التاريخ الألباني كذلك-خ. خوجة)- لم يكتب أبداً عن حال مسلمي البلقان والأناضول والقوقاز. إن تاريخ هذه المناطق قد كتب دون أن يكون ذكر لأكبر وأهم عنصر، ألا وهم المسلمون.. " 111 .

---

Feraj, Husamedin, **Skice e Mendimit Politik Shqiptar**,( Logos-A,Shkup,1999),47.

**The Ethnic Cleansing of Mc Carthy**,Justin, **Death and Exile**,<sup>111</sup>  
**Ottoman Muslims 1821-1922**,(USA,3<sup>rd</sup> Printing,1999),1-10

ويرى المؤرخ الألباني الكوسوفي، الأستاذ الدكتور محمد بيراقو Prof.Dr.Muhamed Pirraku، أن للعامل الديني كان دور كبير في إثارة الحروب من قبل النصارى الأرثوذكس. وعندما بدأت سموم الطائفة الأرثوذكسية السلافية تتسرب إلى المناطق الإليرية الألبانية خلال القرن السادس والسابع الميلادي من روسيا فإن عدداً كبيراً من الألبان الكاثوليك قد<sup>112</sup> تنصروا كرهاً لأنه من الثابت تاريخياً أن اليونانيين والسلافيين كانوا من ألد الأعداء للألبان الكاثوليك<sup>113</sup>. إن العامل الديني هو الذي دفع بالألبان الكاثوليك إلى الحروب المقدسة. يظهر ذلك في الحروب الصليبية الأولى سنة 1096 م، عندما شجعهم البابا لتحرير فلسطين من أيدي السلاجقة المسلمين الأتراك<sup>114</sup>.

والذي يحتج و يفسر ويعلل بأن حروب الألبان بأنها كانت حرب اقتصادية وسياسية واجتماعية... و لم تكن هنالك حروب دينية قط!؟ نقول لهم إن هذا الكلام لا أساس له والتاريخ يشهد بخلاف ذلك. و الدليل على ذلك أننا عندما نقرأ في التاريخ الألباني والصربي عن الممارسات القمعية والوحشية في عهد القيصر الصربي تسار دوشان Car Dushani عام 1349، الذي قن وشرع بعض القوانين الوضعية المدنية قاسية للغاية، بمساعدة من الرهبان الصرب السلافيين، حيث إن

Pirraku, Muhamed, **Kultura Kombetare Shqiptare deri ne Lidhjen e** <sup>112</sup>

**Prizrenit**, 35-36

<sup>113</sup> المرجع السابق، وانظر المقال المهم حول هذا الموضوع للمؤرخ الألباني Sherif Delvina بعنوان:

**(Tentative e Pasukseshme, Dhune Fetare ,** الإكراه الديني محاولة فاشلة

المقتبس من الجريدة الأسبوعية الألبانية Rilindja Javore و14 و20 و28 يناير، 3 فبراير، 1996.

**Historia e Popullit Shqiptar**, vell.1,167 <sup>114</sup>

إحدى بنود هذا القانون، كان نص بصريح العبارة على قتل كل من لا يدين و لا يعتنق الديانة الأرثوذكسية الصربية<sup>115</sup>، سواء من الألبان أو غيرهم. ومن ألوان التعذيب التي مارسها الصرب المتعصبون والمتطرفون ضد أصحاب الديانات الأخرى، (المسلمون أو الكاثوليك) أنهم كانوا يكوون بالكّي بالنار وجوه أتباع الديانات الأخرى، ولم يكن يستطيع أتباع الديانات الأخرى أن يمارسوا الطقوس الدينية من زواج أو ولادة أو مراسم دفن إلا بحضور الراهب والقسيس الصربي، الذي كان يقوم بأداء الطقوس على الطريقة الأرثوذكسية. كل ذلك بهدف إسراع عملية تنصير و نشر الأرثوذكسية وإحلالها مكان الكاثوليكية، في أوساط هؤلاء عن طريق القهر والقوة، " و بدأ السلافيون الأرثوذكس بممارسة النشاطات المختلفة في كافة المجالات، بدءاً من تغيير أسماء الأماكن والقرى والمدن، وتدمير عدد كبير من المباني التراثية الألبانية القديمة التي كانت تشهد على أصالة الشعب الألباني.."<sup>116</sup>، كما أنهم شرعوا في بناء الكنائس وهكذا تم الأمر في منطقة غراتشانيسا Gracanica في كوسوفا الحالية عام 1321م تم إقامة أول كنيسة صربية. و في عام 1328-1335 تم بناء كنيسة أخرى في محافظة ديتشان Decan في كوسوفا الحالية. وفي سنة 1348م أقيمت كنيسة أخرى باسم Sv.Arhangel، في مدينة Prizren<sup>117</sup> في كوسوفا.

مسألة أخرى تاريخية مهمة في هذا الصدد يجب أن نعرفها، وهي أن التزوير والخداع والخيانة كانت من ديدن الكنيسة وعادتها لتحقيق أهدافها التنصيرية. يدل على هذا

Swire, John, **Albania, The Rise of a Kingdom**, 12<sup>115</sup>

Feraj, Hysamedin, **Skice e Mendimit Politik Shqiptar**,42; Piraku,<sup>116</sup>

Muhamed, **Kultura Kombetare Shqiptare**,47.

Swire, John, **Albania-The Rise of a Kingdom**,12.<sup>117</sup>



أن كل تلك الكنائس الصربية الأرثوذكسية قامت على أنقاض المعابد والكنائس القديمة الألبانية الكاثوليكية، ورفعت قواعدها بنفس المواد التي كانت المعابد القديمة الألبانية قد بنيت منها، للاستدلال على أسبقية وقدم تلك الكنائس في تلك الأراضي<sup>118</sup>. و هذه من التصرفات الغربية للصرب عبر التاريخ إلى يومنا هذا. فالتاريخ الألباني والحركات القومية والدينية المختلفة واتجاهاتها الفكرية و العقديّة، لا يمكن أن تُفهم دون استعراض التاريخ الألباني عرضاً وطولاً وعمقاً ولو بإيجاز، علا خلاف ما كتبه الملحدون والشيوخيون الألبان في العصر الحديث. لقد جرد هؤلاء المؤرخون مجريات التاريخ من كل تلك الظواهر و العوامل الدينية، و قدموا للناس تاريخاً مجرداً من الأحداث الدينية، وفقاً و تمشياً مع المنهج الإلحادي وهذا ليس بصحيح على الإطلاق، والله أعلم.

---

<sup>118</sup> , Istoriija عن Pirraku, Muhamed, **Kultura Kombetare Shqiptare**, 43,

**Naroda Jugosllavia**, (Beograd, 1953), vell. 1, 480-492 .

## المبحث الثاني: دخول الإسلام إلى الجزيرة البلقانية

### المطلب الأول: كيفية انتشار الإسلام في الأراضي الألبانية في جزيرة البلقان

لقد كان لفضل الله عز وجل ثم لجهود الدولة العثمانية في نشر هذا الدين الخفيف وتعزيزه بين أوساط الألبان في جزيرة البلقان فضل كبير، وبذلك تم الحفاظ على هويتهم الدينية والعرقية من الانصهار أمام موجات التنصير الصربية السلافية. إن وجود الدولة العثمانية أوقف عملية الانصهار القومي والعربي للألبان الذين كانوا يتعرضون لها من قبل السلاف اليونانيين والبلغاريين والصربيين المتعصبين.<sup>119</sup>

إن الدولة العثمانية لم تمارس عملية الإكراه وإجبار الألبان للدخول في الإسلام. و العكس هو صحيح. فالألبان كانوا يدخلون في دين الله الإسلام أفواجا طوعية وبمحض إرادتهم. بينما الصرب الأرثوذكس كانوا يمارسون شتى الأساليب الإكراهية والممارسات القمعية لإجبار الألبان على اعتناق النصرانية<sup>120</sup>.

وفي المقابل تجد جمهور المثقفين الألبان، المؤرخين وأساتذة الجامعات والمدارس في العصر الحديث يعتقدون ويدرسون الطلاب في الجامعات خلاف ما هو ثابت وصحيح تاريخياً. حيث يرى هؤلاء أن الإسلام قد انتشر عنوة وبالسيف، وأن

<sup>119</sup> للتوسع انظر :

P.Alpan Kaci, Nesim, **Shqiptaret ne Perandorine Osmane**, Albin, Tirane, 1997, 35,41,125; Frasher Sami, **Shqiperia c'ka qene, c'eshte, e c'do behete**, 36.

<sup>120</sup> المصدر السابق، ص 471-472

العثمانيين مارسوا القوة والعنف والإكراه، وإلا لم يكن الألبان ليسلموا عن طيب نفس منهم ! ؟ ولا شك أن هذه مغالطة تاريخية كبيرة وباطلة، وفكرة صليبية كاثوليكية ألبانية محضة، يريد إحياءها وغرسها في فكر الألبان المسلمين بعض الذين يتعاونون مع الجهات الأوربية التنصيرية والتبشيرية، بهدف ارتداد الألبان عن الإسلام والعودة إلى الديانة الكاثوليكية القديمة من جديد، ولكن هيهات لهم و أن الله عز وجل حافظ دينه و المسلمين من الردة و لو كره الكافرون.

### المطلب الثاني: التسامح الديني المزعوم بين الألبان المسلمين والألبان النصارى

حول هذه القضية المهمة فإن للباحثين والمؤرخين الألبان وغيرهم، لهم مذهبان: الفريق الأول: وهم المبالغون والمغالون في هذه المسألة، حيث يرى ويعتقد أنه قد ثبت تاريخياً التسامح والتعايش السلمي بين الألبان المسلمين والألبان النصارى، و "أن شعار الألباني الذي كان في العصر الحديث : " أن دين الألباني هو هويته القومية الألبانية، (لا عبرة بالانتماء الديني وإنما العبرة بالانتماء العرقي والقومي) <sup>121</sup> Feja e Shqiptarit eshte Shqiptaria " كان فعلاً متمثلاً فيما بينهم، وأن اختلاف الهوية الدينية لم يشكل خطراً ولا انشقاقاً قومياً فيما بينهم.. " <sup>122</sup> ، وكما

<sup>121</sup> هذه كلمة باطلة أريد بها الباطل. قالها أحد الرهبان و المثقفين الألبان في القرن التاسع عشر اسمه واصو باشا من اشقودرا **Vaso Pashe Shkodrani** وكان والياً على لبنان أيام السلطان عبد الحميد الثاني، ونالت هذه الكلمة الخبيثة حظاً كبيراً في أوساط الألبان، سواء المثقفون منهم أو غير المثقفين. و يقصدون بذلك: أن الرباط القومي مقدم على الرباط الديني! لا فرق بين ألباني مسلم و ألباني كاثوليكي! القضية القومية هي أم القضايا التي يجب أن تتمسك بها و أن نسعى و نجاهد و نكافح لأجلها !!! و الله المستعان

<sup>122</sup> Biberaj, Elez, **Albania a Socialist Maverick**, 10.

قال الباحث الآخر: "...أن الاختلاف الديني في ألبانيا كانت ظاهرة منسية ومهجورة تماماً.. " 123 .

**الفريق الثاني:** وهم المعتدلون، حيث يرى خلاف ما ذهب إليه الفريق الأول، ، وأن هذا التعايش السلمي وهذا التسامح الديني كان ظاهراً ونفاقاً فقط ولم يكن حقيقياً، وأن الألبان عموماً كانوا مجتمعين وموحدين فقط حول محور واحد، لا غير، ألا وهو وحدتهم وتضامنهم ضد العدو المشترك، وهذا العدو في نظرهم يتمثل في كيان الدولة العثمانية. وهذا هو الراجح في رأي كاتب هذه السطور.

هذه القضية مرتبطة شديدة الارتباط بمسألة دخول الألبان في الإسلام. هل كان دخولهم في الإسلام دخولاً حقيقياً، ظاهراً وباطناً؟ أم أنه لم يكن حقيقياً وإنما كان ظاهراً فقط؟

يرى الباحث الغربي John Swire :

" أن معظم الذين أسلموا إنما أسلموا ظاهراً فقط، بينما هم خفية كانوا يمارسون الطقوس الدينية الكاثوليكية القديمة. فقبيلة فراشيري Frasherit مثلاً، رغم إشهار إسلامهم ظاهراً إلا أنهم ظلوا على الديانة النصرانية -الكاثوليكية، وكانوا يحتفلون باحتفالاتهم الدينية الكاثوليكية جيلاً بعد جيل إلى وقت قريب.. " 124 .

---

Swire, John, **Albania – The Rise of a Kingdom**,38-40; Polisi, Mehdi, <sup>123</sup>

**Sami Frasheri, Vepra 9, Personalitete Shqiptare ne Kamus al-A'lam**,(Logos A,Shkup,1994),33

Swire,John, **Albania–The Rise of a Kingdom**, 38; Skendi, Stavro, <sup>124</sup>  
**Zgjimi Kombetar Shqiptar**,(Phoenix,Tirane,2000),23,148 ; Gashi, Gjergj,  
**Arberia dhe Vatikani**,( Tirane,1998),12.

وحول وجود الحقد والتعصب الديني الذي كان موجوداً بين الألبان المسلمين والألبان النصراري، يؤكد لنا ذلك الباحث الغربي جورج كاستلان Georges Castellan، حيث يقول:

"..يجدر ذكره هنا أن الإسلام السني كان متحدياً بالإسلام الشيعي، وبالذات الفرقة الشيعية البكتاشية<sup>125</sup>، الذين أسلموا نفاقاً وظاهراً وليس حقيقة، وهم في معظم الحالات كانوا يحملون اسمين، اسماً نصرانياً واسماً إسلامياً أمام الموظفين الإداريين في الدولة العثمانية. هذا النوع من التسامح الديني لم يكن كافياً لإزالة الحقد والتعصب الديني والنزاع فيما بينهم من خلال رجال الدين المشجعين والمحرضين من قبل الدول الحامية لهم، مثل اليونان للأرثوذكس، والنمسا وإيطاليا للكاثوليك.." <sup>126</sup>.

إن جل الطبقة المثقفة من الألبان المسلمين وغير المسلمين منهم في العصر الحاضر يميلون إلى الرأي الأول، من أنه كانت هناك تسامح ديني كبير بين الألبان على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم الدينية<sup>127</sup>، و في رأينا قد بالغوا في هذه القضية مبالغة

<sup>125</sup> فرقة البكتاشية فرقة صوفية علوية منحرفة من غلاة الشيعة، فيها النزعة المسيحية، ( الكاثوليكية والأرثوذكسية)، و هي ضد تعاليم الإسلام جملة وتفصيلاً، كما أن لهم نشاطاً كبيراً في ألبانيا وتركيا، حيث يتعاونون مع فرقة البهائية والباطنية. مركزهم ومقرهم الروحي الثاني في ألبانيا. لكتاب هذه السطور بحث حول هذه الفرقة و مبادئها وتعاليمها بعنوان: **The Bektashi Order of Dervishes, History and Doctrines** ، باللغة الإنكليزية.

<sup>126</sup> Castellan, Georges, **Historia e Ballkanit, shek XIV–XX**, ( Cabej, Libra per nje shoqeri te hapur, Tirane 1991), 128

<sup>127</sup> ولا أوافق الأستاذ والباحث الألباني علي باشا **Ali.M.Basha**، فيما ذهب إليه في هذه المسألة، حيث ذكر في كتاب له باللغة الألبانية بعنوان: **الإسلام في الأراضي الألبانية عبر القرون**، أن التسامح الديني والتعايش السلمي بلغ ذروته وأقصى درجات الكمال و النضج عند الألبان. ثم راح يذكر أمثلة تاريخية، ونحن نشك في صحة تلك الروايات. فمن جملة ما ذكر أنه أثناء تحضير الزوجة للطعام فإنها إذا كانت غير مسلمة فإنها كانت تقدم لحم الخنزير في جهة واحدة من الطبق و في الجهة الأخرى كانت تقدم لحم البقر لزوجها، و يقسم الفطيرة إلى قسمين، قسم لها مع لحم الخنزير، وقسم للزوج المسلم مع لحم البقر<sup>127</sup>، و كلاهما يأكل مما يليه دون أدنى حرج !!!؟؟؟ غريب جداً هذا الذي ذكره الباحث المتكور، فلا يمكن اتخاذ هذه الحالة على أنها قاعدة مسلمة، لأنه من الثابت أن جميع الألبان لم يكونوا متزوجين بزوجات وثنيات أو نصرانيات.

شديدة، معتمدين على بعض الدراسات الغربية من الباحثين الغربيين. أصحاب الرأي الأول هدفهم الافتخار والاعتزاز بماضيهم المجيد؟ بأجدادهم المشركين (الإليريين)؟، حيث ترى هذه الطبقة أن الألبان إنما أسلموا مُكرهين، بالقوة والعنف والضغط من قبل العثمانيين، وليس طواعية. لا شك أن هذا الرأي فرية مكذوبة على التاريخ، والباحث في هذه المسألة يرجح ما ذهب إليه الفريق الثاني من أنه لم يكن هناك تسامح ديني حقيقي بين الألبان المسلمين وغيرهم عبر التاريخ، وإنما كانت هناك حالات نادرة، جمعتهم المصالح الشخصية والمطامع الدنيوية المختلفة، وكانوا مندفعين إلى هذه الوحدة وإلى هذا التسامح من رجال الكنيسة التي وعدتهم بأنها ستساعدهم مادياً ومعنوياً. والله أعلم..<sup>128</sup>.

### المطلب الثالث: فكرة التجديد الديني عند علماء الألبان

رياح الفكر الديني الإصلاحية التي كانت تهب من المشرق العربي متجهة إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي وغير الإسلامي، ومنها الأراضي الألبانية والبوسنية<sup>129</sup> في جزيرة البلقان. طلبة العلم الألبان كانوا منتشرين في المشرق العربي و في بعض البلاد

---

نعم، قد تكون هذه حالات استثنائية نادرة جداً، و ما استثنى لا يمكن أن يبنى عليه حكم، كما هو معلوم. وهذه الحالة في دائرة ضيقة جداً بين الزوج والزوجة في داخل أسرة معينة و مدينة معينة و لا يمكن أن تعميمها على كل الأسر والمدن والقرى، و الله أعلم.

<sup>128</sup> انظر المصدر السابق، عن أسباب إسلام الألبان، ص: 472-473

<sup>129</sup> للمزيد حول الخلفية التاريخية العالمية للإصلاحات الدينية وتأثيرها في الفكر الديني البوسني في أواخر القرن التاسع عشر و بدايات القرن العشرين، و الدول التي تأثرت بها بشكل مباشر أو غير مباشر في الأزهر..انظر :

Karcic, Fikret, **Drustveno-pravni aspekt Islamskog reformizma – Pokret za reformu serijatskog prava i njegov odjek u Jugoslaviji u prvoj polovini XX vijeka**, Sarajevo, 1990, 29–67.

الآسيوية كاهند و تركيا، لتلقي العلوم الدينية لكون تلك البلاد مراكز<sup>130</sup> علمية للعلم والثقافة في ذلك الوقت. ومع مرور الوقت أدى ذلك إلى تشكيل علاقات أخوية ودينية بين هؤلاء الطلاب وعلمائهم و أساتذتهم. هذه الفترة كانت المرحلة التي نادى فيها بعض العلماء والمفكرون الإسلاميون المتأثرون بالمناهج والأفكار الغربية<sup>131</sup>، بإجراء إصلاحات في المناهج الدراسية الأزهرية وفي بعض القضايا الدينية الأخرى<sup>132</sup>. وعلى رأس تلك القضايا الأساسية التي ركز عليها المنادون بالإصلاح، كانت قضية المرأة المسلمة وحالتها الاجتماعية<sup>133</sup>. هذه الآراء الإصلاحية بالطبع قد أثرت في أفكار ومفاهيم هؤلاء الطلبة الألبان الذين تتلمذوا لدى هؤلاء العلماء الأفاضل. إن نظرة عابرة وفاحصة إلى حركة فلسفة الفكر الديني الإسلامي في الأراضي الألبان وطبيعة الجدل والنقاش الحاد الذي كان يدور بين علماء الألبان المنادون

<sup>130</sup> انظر:

Dela Roka, Roberto Moroco, **Kombesia dhe feja ne Shqiperi**, 209;

Pirraku, Muhamed, **Kultura kombetare shqiptare..** 393.

<sup>131</sup> حول جهود و أعمال هؤلاء المفكرين والمشايخ، مؤسسو المدرسة الإصلاحية العقلية فقد كُتِب الكثير، ونال هؤلاء اهتمام كثير من الباحثين الغربيين والمسلمين.. انظر مثلاً: الرومي، فهد ابن عبد الرحمن: **منهج المدرسة الإصلاحية العقلية في التفسير، (الرياض: ط1994، 1)**، وانظر أيضاً:

Crecelius, Daniel Neil, **The Ulema and the state in modern Egypt**, Princeton, N.J, Princeton University Press, 1967, Ph.D. thesis; Jansen, J.J.G

**The interpretation of the Koran in modern Egypt.**

<sup>132</sup> حول تاريخ التجديد الفكر الديني و إصلاحه وبعض المجددين الكبار من السلف والخلف.. انظر:

Maududi, Abul A'La, **A short history of the Revivalist Movement in**

**Islam**, transl. by Al-Ash'ari, The Other Press, Petaling Jaya, K.Lumpur,

Malaysia, 1999, 24 –77.

<sup>133</sup> انظر:

**Kuvendime per historine kombetare**, 231–236, 237–, Shpuza, Gazmend

242.

بالإصلاح والعلماء المحافظين، تجعلنا نعلم علم اليقين أنهم كانوا مهتمين أيضاً بهذه القضايا الدينية.

ومن القضايا العصرية التي ناقشها العلماء الألبان كانت قضية الاجتهاد ومجالاته<sup>134</sup> وضوابطه، وقضية وجود الله عز وجل، وقضية الحاجة إلى الدين أو التدين، وقضية التمدن والحضارة الإسلامية ومواجهة التحديات الغربية وحقوق الإنسان في المجتمع، وقضية العلمانية، والتسامح الديني والتعايش السلمي بين أتباع الأديان والعرقيات المختلفة، وقضية الإلحاد والشيوعية والرأسمالية والاشتراكية وغيرها من القضايا<sup>135</sup>.

#### المطلب الرابع: رواد الاتجاه الإصلاحية التجديدي عند الألبان

ومن أبرز الذين ناقشوا هذه المسائل من علماء الألبان و مفكريهم نذكر: المفكر الألباني مهدي فراشيري: ( Mehdi Frasherri )، والمفكر الشيخ الحافظ عصمت دبرا<sup>136</sup>: ( Hafiz Ismet Dibra ) ..<sup>137</sup> والعالم الألباني المجدد و

<sup>134</sup> راجع كتاب الإمام العلامة أبو إسحاق الشاطبي ت 790هـ في موسوعته الأصولية : الموافقات في أصول الشريعة الإسلامية، تح: الشيخ إبراهيم رمضان مقابلة عن الطبعة التي شرحها الشيخ المرحوم الدكتور عبد الله دراز، (بيروت: دار المعرفة، ط4، 1999)، ج4، ص 463-638.

<sup>135</sup> راجع على سبيل المثال المجلة الإسلامية الشهيرة الأخرى بعنوان: ( **Kultura Islame** )، الثقافة الإسلامية، والتي كانت تصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. راجع مثلاً العدد: 3-4، نوفمبر و ديسمبر، 1941م، مقالاً بعنوان: ( **Islami eshte gjalle** )، ( الإسلام حيّ ).

<sup>136</sup> انظر:

, Zhvillimi i kultures islame te shqiptaret gjate shekullit Zekaj, Ramiz  
XX, 312-314.

<sup>137</sup> انظر للتوسع حول النقاش الذي جرى بينهما:

Basha, Ali.M, **Islami ne Shqiperi gjate shekujve**, 140-141.



المفسر، الحاج وهي دبرا<sup>138</sup>، ( Haxhi Vehbi Dibra )، و الأستاذ الشيخ قدري ( Hoxhe Kadriu )<sup>139</sup>، والشيخ المفكر الحافظ<sup>140</sup> على كرايا: ( Hafiz Ali Kraja )، والشيخ المفكر الحافظ علي كورتشا ( Hafiz Ali Korca )، وغيرهم. والمصادر التاريخية تشير أيضاً إلى أن اتجاه التفسير الإصلاحي والاجتماعي السياسي للقرآن كان ظاهرة حاضرة في كتابات وكلام وخطب علماء الألبان.

بجانب هذا التيار الاجتماعي، وجد أيضاً اتجاه صوفي<sup>141</sup> في بعض تفاسير علماء الألبان، واشتهر من بينهم رائد هذا الاتجاه الشيخ كاظم خوجة Qazim Hoxha، كما وجد أيضاً في كتابات علماء الألبان لون من التفسير الإشاري الذي هو لون من التفسير الصوفي الجائز والذي له أصل في شرعنا، وهو ما يعرف في علم التفسير ب: جمع المعنى الظاهر والباطن للآية..<sup>142</sup>.

للمزيد انظر:

**Vehbi Dibra – personalitet dhe veprimtar i shquar i ,Xhelili, Qazim Zhvillimi i ,levizjes kombetare, Albin, Tirane, 1998, 4-20; Zekaj, Ramiz kultures Islame te shqiptaret gjate shekullit XX, 288-291.**

<sup>139</sup>..للتفاصيل انظر:

Skendi, Eqber, **Hoxhe Kadriu-Kadri Prishtina**, Rilindja, Prishtine, 1992, 8-20, 217-219; Morina, Qemajl, **Hoxhe Kadri Prishtina-Mendimtar Islam**, Kryesia e Bashkesise Islame, Prishtine, 2000,7-97.

<sup>140</sup> للمزيد انظر:

Zekaj, Ramiz, **Zhvillimi i kultures islame nder shqipstaret..328-329**  
<sup>141</sup> المصدر السابق، ص 104-105، وانظر للتوسع في القضايا الصوفية الكبيرة كتاب: نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، د/عرفان عبد الحميد فتاح، ص 175-249

<sup>142</sup> للتوسع و المزيد حول هذا الموضوع المهم و الحساس راجع هذه المصادر و المراجع: الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي، ج3، ص 346-359، التفسير و المفسرون ، محمد حسين الذهبي:ج2، ص 261-280، اتجاهات

ومن الاتجاهات التفسيرية التي ظهرت في العصر الحديث لدى علماء الألبان كان الاتجاه العلمي الفلسفي المتمثل في فكر الشيخ الفيلسوف حسن تحسين أفندي (**Hoxha Hasan Tahsin Efendiu**)، كما ظهر في كتابات ودراسات علماء الألبان في العصر الحديث الاتجاه العلمي التجريبي المتمثل في فكر الدكتور الطبيب علي فخري إلياسي **Prim.Dr.Sci.Med. Ali Fahri Iljazi**.. والساحة العلمية و الفكرية في الأراضي الألبانية كانت مليئة بالأفكار الإصلاحية و النزعات التجديدية <sup>143</sup>.

في غضون هذه الظروف الاجتماعية الدينية المتوترة بدأت تظهر ترجمات مجزأة <sup>144</sup> لنصوص القرآن الكريم <sup>145</sup>. فوجد في المجتمع الألباني في ذلك الوقت من فسر ثلث

---

التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبدالرحمن الرومي، ج1، ص 407-412، مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج2، ص 89-93، المرجعية العليا في الإسلام للقرآن و السنة، يوسف القرضاوي: ص 315.

<sup>143</sup> انظر للتوسع حول هذه الموضوعات:

Morina, Qemajl, **Hoxhe Kadri Prishtina – Mendimtar Islam**, Kryesia e Bashkesise Islame, Prishtine, 2000, 25-35, 37-48, 63-67.

وحول بعض القضايا الفكرية و المذهبية الأخرى و المتشابهة بتلك التي ذكرنا، انظر: **بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي، الذي عقد في استانبول سنة 1992م**، ترجمة أرخان محمد علي، Nesil Basim-Yayin, Yeni Bosna, Istanbul, 1997، ط1، 55-83

<sup>144</sup> حول جواز ومنع ومساكن وضوابط الترجمة للقرآن الكريم انظر أبحاث الأساتذة الكرام: د/ سعاد يلديريم، و د/ عبد القهار العاني، و د/ حبيب الرحمن إبرمسا في المؤتمر العالمي حول ترجمة القرآن الكريم المنعقد في كوالا لمبور:

**7<sup>th</sup> International Conference on Translation –The Translation of Religious Texts**, 6-8 December, 1999, Kuala Lumpur, 101-106, 293-315, 319-355.

<sup>145</sup> حول الخلفية التاريخية لترجمات القرآن الكريم إلى اللغة الألبانية، كاملة و مجزأة.. انظر دراسة الأستاذ الدكتور

فتحي مهديو بعنوان:

Mehdiu, Feti, **Perkthimet e Kur'anit ne gjuhen shqipe**, Logos-A, Shkup, 1996.

القرآن الكريم تفسيراً علمياً منهجياً صحيحاً، مثل تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم داليو رحمه الله: (Hafiz Ibrahim Dalli). ( خلاصة معاني القرآن الكريم)، كما أنه وجدت هناك تفاسير مطولة لبعض الآيات والسور من بعض العلماء الآخرين ، مثل التفسير المطول لسورة الفاتحة من الشيخ المفكر: ( Haxhi Vehbi Dibra Agolli )، الحاج وهي دبرا آغولي، والتفسير الوجيز من الشيخ الحافظ علي كورتشا (Hafiz Ali Korca) ومثل ترجمة معاني القرآن و التفسير المختصر للشيخ الحاج شريف أحمدي: ( Haxhi Sherif Ahmedi ) رحمه الله تعالى، وغير هؤلاء الذين ذكرناهم، والله أعلم.

وبانتهاينا من حديثنا عن تلك المقدمات والحقائق التاريخية الألبانية وعن حركة الفكر الديني الإسلامي وظهور اتجاهات ومدارس دينية مختلفة في التفسير، أعتقد أنه قد حان الوقت للدخول التفصيلي إلى دراسة وتحليل آراء أحد الشخصيات العلمية الألبانية البارزة في مجال الدراسات القرآنية، ألا وهو حياة و فكر الشيخ العلامة الحافظ علي كورتشا رحمه الله وجهوده في خدمة القرآن الكريم. فإلى الفصل الثالث بإذن الله.

## الفصل الثاني:

المنهج السني الإصلاحى فى تفسير القرآن، الممثل فى فكر الشيخ العلامة  
المفكر: الحافظ على كورتشا **Hafiz Ali Korca**

تمهيد:

إن تأثر علماء الألبان بمنهج المدرسة الإصلاحية العقلية كان كبيراً، لدرجة أنك لو ألقيت نظرة عابرة وفاحصة على طبيعة المقالات والبحوث المنشورة فى المجالات الإسلامية الألبانية والتي كان يتولى نشرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية فى ألبانيا فى بدايات القرن العشرين، لرأيت أن جهودهم قد انصبت على معالجة المشاكل و التحديات والقضايا الدينية والفكرية العصرية الكبرى التي كانوا يواجهونها، مثل قضية وجود الله عز وجل، وقضية الحاجة إلى الدين أو التدين، وقضية التمدن والتحضّر الإسلامي و مواجهة التحديات الغربية مثل قضية تحرير المرأة و مشاركتها فى الأعمال والوظائف و حقوق الإنسان فى المجتمع، و قضية العلمنة وفصل الدين عن الدولة، والتسامح الدينى أو التعايش السلمى بين أتباع الأديان والعرقىات المختلفة، و قضية الإلحاد و الشيوعية و الرأسمالية والاشتراكية و غيرها من القضايا.

وهذا يجعلنا نجزم بأن هذه الحركة الفكرية الدينية الإصلاحية سرت إلى عقول وقلوب المفكرين من علماء الألبان فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر و بدايات العشرين. وإنما فى هذه الدراسة لا نستطيع أن نلم بجهود وآراء جميع علماء الألبان، وإنما حسبنا فى هذا الفصل أن نأخذ نموذجاً واحداً و رائداً ألبانياً مشهوراً بالدراسة والتحليل، والذي يظهر فيه بوضوح آثار و انعكاسات أفكار المدرسة العقلية على

آرائه، سواء في خطبه و كتاباته الدينية عموماً، أو في تفسيره على وجه الخصوص، رغم قلته وندرته.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ، مولده، تعلمه والعصر الذي عاش فيه

المطلب الأول: اسمه ومولده

هو الشيخ الحافظ علي إلياس قاضي : ( **Ali Ijaz Kadiu** )، المشهور بحافظ علي كورتشا، نسبة إلى مدينته: ( **Korca** )، كورتشا التي ولد فيها في جنوب ألبانيا سنة 1873 م<sup>146</sup> ، و قيل سنة 1870 م<sup>147</sup> . ينحدر من أسرة متدينة و مثقفة، محبة للعلم والعلماء، فسار الشيخ الحافظ علي كورتشا على درب آبائه و أجداده في العلم والمعرفة<sup>148</sup> .

أما عن العصر الذي عاش فيه، فتذكر المصادر أن الشيخ الحافظ علي كورتشا عاش في عصر الحركة والنهضة القومية الألبانية و تدهور الدولة العثمانية. الحركة الأدبية الإسلامية الألبانية كانت في ذروة سنامها في هذه المرحلة ولكنها أهملت من الطبقة المثقفة الشيوعية ولم تلق لها بالاً رغم غزارتها وثروتها العلمية. فمن بين تلك الشخصيات التي أبدعت في دراسة الآداب لأمم مختلفة كالأدب الألباني والفارسي

---

Ahmedi, Ismail, **Hafiz Ali Korca – Jeta dhe Vepëra**, 8–9. <sup>146</sup>

<sup>147</sup> بحث غير منشور عن حياته و أعماله الأدبية العربية العثمانية الفارسية، للشيخ الحافظ علي كورتشا حصلت عليه أثناء سفري في ألبانيا لدى أحد المؤرخين في منزله بعنوان:

Ibrahim Daut Hoxha, **Hafez Ali Korca– Vepërimtaria e tij ne lemin e**

**Atdhetarise dhe Arsim–Kultures Arabo–Osmane–Persiane** , 1

<sup>148</sup> المرجع السابق، ص 1

و التركي والعربي و التي كانت مهجورة، كانت شخصية الشيخ الحافظ علي كورتشا. والحياة الفكرية للشيخ الحافظ علي كانت حافلة بالأحداث الجسام، وكانت حياة الشيخ المجاهد في سبيل الله و في سبيل تحرير الوطن من الاستعمار. نادى بأعلى صوته على أهمية تكوين الوعي الديني الإسلامي والوعي القومي الوطني.

### المطلب الثاني: تعلمه

وسط هذه الأمواج المتلاطمة السياسية و الدينية والوطنية ولد ونشأ و تربى، وتكونت شخصية الشيخ الحافظ علي كورتشا رحمه الله. حفظ القرآن الكريم و هو ابن اثني عشر عاماً و جوده. وبحفظ القرآن الكريم خطأ خطوته الأولى نحو فهم الإسلام. تخرج من المدرسة الابتدائية و الإعدادية من نفس المدينة ليواصل فيما بعد دراسته الجامعية في جامعة اسطنبول، حيث تعلم فيها العلوم الإسلامية واللغات الشرقية من عربية و فارسية وتركية، بالإضافة إلى تعلمه للغة الفرنسية، وتعرف علماءمهاث الكتب من المصادر العربية والفارسية والتركية، وأعجب بآراء الفلاسفة والأدباء الكبار مثل ابن رشد وابن سينا وابن الرومي وعمر الخيام والأديب الفارسي سعدي شيرازي، حيث إنه رحمه الله عكف على دراسة بعضها وتناول من معينها الفكري والتراثي<sup>149</sup>. فتأثر الشيخ الحافظ علي في جامعة اسطنبول بآراء و أفكار

<sup>149</sup> عن النشاط الأدبي الألباني و جهود الألبان في ترجمة التراث الأدبي القارسي، جهود الشيخ الحافظ علي فيه انظر:

Osmani, Shefik, **Panteoni Iranian dhe Iranologet shqiptare**, 272-276.

هؤلاء كان كبيراً للغاية، نظراً لذلك الجو العلمي الجديد الذي أثر في تكوين شخصيته ورفع مستواه الفكري<sup>150</sup>.

المطلب الثالث: المناصب العلمية والدينية والإدارية التي تبوأها الشيخ الحافظ علي:

1. في عام 1916م، عين مديراً للتربية والتعليم لعدة مدن كبيرة في ألبانيا.
2. من عام 1918م -1924م، كان رئيساً و شيخاً للمجلس الأعلى الإسلامي في ألبانيا.
3. من عام 1924م-1949م، عمل مدرساً في المدرسة الدينية الكبيرة في ( Tirana تيرانا، درّس فيها المنطق واللغة العربية والتفسير و غيرها من المواد.
4. من عام 1924م-1938م، أسند إليه عمود تفسير القرآن الكريم وحده في المجلة الإسلامية الألبانية ( Zani i Nalte )، حيث كان المفسر الوحيد للقرآن في هذه المرحلة.
5. من عام 1949م-1959م، مدة كونه في المنفى عمل خفية مدرساً متواصلًا في مدينة (Kavaja)، كوايا .
6. عمل مستشاراً لوزير التربية و التعليم لدى وزارة التربية في ألبانيا<sup>151</sup>.

---

Ahmedi, Ismail, **Hafiz Ali Korca, Jeta dhe Vepra**, 16-17; Hoxha, <sup>150</sup>  
Ibrahim Daut, **Veprimtaria e tij ne lemin e Atdhetarise dhe Arsim-  
Kultures..**11-17.

<sup>151</sup> للتوسع انظر:

Ahmedi, Ismail, **Hafiz Ali Korca..**41,42, 43, 44, 49, 56, 63.

### المطلب الرابع: وفاته

كان الشيخ الحافظ علي كورتشا في المنفى في مدينة ( Kavaja ) كوايا الألبانية، و ظل فيها ومرض مرضاً شديداً كان يصاحبه الشعور بالبرودة مع الآلام، إلى أن وافته المنية في شهر 12/31 /1956م. تولى مهمة غسله والصلاة عليه تلميذه مفتي ألبانيا السابق، الشيخ الحافظ صبري كوتشي: ( Hafiz Sabri Koci ) رحمه الله تعالى. شارك في الصلاة عليه وتشجيع جنازته حشد كبير من المسلمين، فرحمه الله و أدخله فسيح جنانه آمين<sup>152</sup>.

### المطلب الخامس: مؤلفات الشيخ الحافظ علي و جهوده في مجال الإصلاح التعليمي

#### أ - المؤلفات ذات الطابع الفكري السياسي

1. (Bolshevizma a Ckaterim i Njerzimit) - البلشفية مدمرة للإنسانية<sup>153</sup>.

2. ( Shtate endrrat e Shqiperise ) - الأحلام السبعة لألبانيا.

ب- من المؤلفات الفكرية غير المطبوعة للشيخ الحافظ علي نذكر ما يلي:

1. ( Filozofi e Vjeter ) - الفلسفة العتيقة أو القديمة.

---

Ahmedi, Ismail, **Hafiz Ali Korca**..51-5<sup>152</sup>

<sup>153</sup> والشيخ الحافظ علي رحمه الله كان له نظرة ثابتة و بعد اقتصادي عجيب عن أضرار هذا النظام الشيوعي الماركسي اليهودي، وأنه تنبأ على خطورة انتشار هذه الفكرة في القارة الأوروبية و لا سيما ألبانيا، وأن اليهود كثيراً ما حققوا أطماعهم تحت شعار الديمقراطية في كل مراحل التاريخ في الشرق و في الغرب.



2. ( Filozofi mbi besimet Musliman ) - فلسفة عقيدة المسلم .
3. ( Logjika ) - علم المنطق

### المطلب السادس: المؤلفات المنهجية والمقررات الدراسية - الابتدائية والثانوية

1. ( Abetare ) - الأبجدية الألبانية .
2. ( Alfabeti Arabisht ) - الأبجدية العربية .
3. ( Gramatika Syntaksa Shqip-Arebisht ) - النحو الألباني والعربي
4. ( Ilmi Bejan -Retorika ) - علم البيان.
5. ( Myslimanija ) - العقيدة الإسلامية <sup>154</sup> .
6. ( Mevludi a jete e paster e Pejgamberit ) مولد الرسول

<sup>155</sup> ρ

---

<sup>154</sup> ومن القضايا المهمة التي عالجها الشيخ الحافظ علي والتي لفتت نظري إليها، قضية الصفات لله تعالى على منهج الإمام أبي منصور الماتريدي الحنفي، مع إثبات التنزيه المطلق لله تعالى و عدم مشابحته للمخلوقين، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولكنه يقوى ويضعف. ثم تطرق إلى قضية مهمة للغاية، وهي ضوابط الكفر المخرجة من الملة، وأنه تشدد في هذه القضية جداً و لم يتنازل في هذه المسألة الخطيرة قيد شعرة، ولم يفتح قط باب إطلاق ألفاظ و كلمات الكفر على المسلم المتلبس بالصغائر، و إنما هناك قضايا مهمة و صريحة ومعروفة من الدين بالضرورة والتي تخرج صاحبها من الملة إذا هو أنكرها.

<sup>155</sup> وهذه الرسالة تشبه قصيدة البردة للبوصيري، و الشيخ الحافظ اقتبس بعض الجوانب و المعاني من هذه القصيدة أيضاً. وقد تطرق في هذه الرسالة أيضاً إلى قضايا دينية مهمة، ولكن طبيعة البحث لا تسمح لنا أن نتوسع في عرضها و تحليلها، و حسي في ذلك أن أشير إليها إشارة فقط. فقد ركز الشيخ في هذه الرسالة إلى ضرورة إتباع القرآن والسنة إذا ما أراد المسلمون النجاح والسعادة في الدارين. كما أنه وجه دعوة إلى ضرورة عقيدة التوحيد لجميع الأمم الإسلامية. والقضية الأخرى هي أن الشيخ ذكر و بين أن هذا القرآن اشتمل على جميع العلوم فعلنا أن نستفيد من قرآنا المجيد..

7. ( Treqint e Tri fjalet te Imam Aliut ) 300 كلمة للإمام علي .
8. ( Gjylistani-Trendafilishta e Sadiut ) الحديقة لسعدي شيرازي .
9. ( Rubaijati-Katroret e Umer Khajjamit ) رباعيات لعمر خيام .
10. ( Jusufi me Zelihane Ahsenul Kasas ) - يوسف وزليحاء من أحسن القصص .
11. ( Historia e Shenjte edhe te kater Halifete ) - التاريخ الإسلامي المقدس والخلفاء الأربعة .

المبحث الثاني: دراسة ( التفسير الوجيز ) للشيخ الحافظ علي كورتشا

( Kur'ani i Madhnueshem e Thebi i Tij )<sup>156</sup>

( القرآن العظيم و روح تفسيره )<sup>157</sup>

المطلب الأول: الخصائص العامة ومعالم تفسير الشيخ الحافظ علي كورتشا

من خلال قراءتي وتصفحي لآراء الشيخ المفسر الحافظ علي كورتشا عموماً في المصادر الأخرى المتعلقة بهذا الموضوع و تفسيره الوجيز خصوصاً لاحظت أنه رحمه الله تعالى يركز في تفسيره للآيات والسور على هذه القضايا و الجوانب الهامة:

- يحارب الرذائل بشدة، ويحذر الناس من خطر النفس الأمارة بالسوء، و يدعو إلى التحلي بالفضائل.
- يركز على خطر مؤامرات اليهود في العالم مع التركيز على خبث نواياهم وكثافة وفساد جهودهم السياسي والاقتصادي و الأخلاقي للسيطرة على العالم.

---

<sup>156</sup> Shtypshkronja, “Ora e Shkodres”, Shkoder, 1926.

<sup>157</sup> وهذا التفسير الوجيز أيضاً فيه نقص كبير، وليس كل تفسيره فيه، وهذا الذي وجدته في المكتبة المركزية في ألبانيا وصورت نسخة منه لنفسي. و قد بحث لدى المشايخ والدعاة الآخرين و الذين اهتموا بكتبه وتفسيره والذين أرخوا عنه فلم أجد عندهم أكثر من هذا الذي وجدت، الكل أشار أن له تفسيراً كبيراً و لكنه للأسف الشديد هو مفقود أيضاً. ومن خلال دراستنا وتحليلنا لهذا القدر الموجود من تفسيره، بالإضافة إلى تفاسيره لبعض الآيات و السور القصار والتي جمعناها وصورتها من الدوريات المختلفة من المجلة الإسلامية: ( Zani i Nalte )، نستطيع أن نخرج بحصيلة علمية ونتيجة جيدة إن شاء الله تعالى، لنثبت انتماءه إلى تلك المدرسة الإصلاحية العقلية في التفسير.

- يركز على إبراز وبيان فضل الإسلام وإظهار مزيمته على سائر الأديان، وأن مجيء رسالة الإسلام كانت لإنقاذ العرب و سائر الناس من ظلمات الجهل والاستعمار الرومي و الفارسي.
- التركيز على بيان و إظهار فضل ثقافة القرآن ( كما عبر هو بذلك) على سائر الثقافات الأخرى الغربية المستوردة.
- يظهر مناقب الرسول ﷺ و حسن خلقه وتعامله مع الناس، ولا سيما مع الأيتام و أنه  $\rho$  مثل في قمة الإنسانية والديمقراطية ( كما عبر هو بذلك)، و أن خلفاءه كانوا حقاً ديمقراطيين (ولكن ليس بالمفهوم العصري للديمقراطية)، وأن الرسول  $\rho$  لم يكن متطفاً يعيش على أكتاف الآخرين مثل قادة اليوم، و أن الناس؛ سواء العبيد منهم أو الأمراء كانوا سواسية عنده.
- بيان و تأكيد على أن الإسلام والتعاليم الإسلامية انتشرت سلماً و ليس عنفاً، بينما أثبت التاريخ انتشار المسيحية عنفاً عن طريق السيف والقوة، ولو لم تكن التسامح الديني في الإسلام في تعامله مع الآخرين وقت انتشاره، لما وجدت اليوم نصرانياً واحداً في العالم، ولو كان العنف حاضراً، للزم من ذلك أن يسلم الجميع خشية منهم، ولكن المسلمين لم يجبروا أحداً على الإسلام، و الدليل على ذلك أنك تجد وترى اليهود و النصارى أحياء يرزقون، ولم يستأصلوا.
- إبراز و تأكيد عالمية رسالة الإسلام و شموليتها<sup>158</sup>، و ديمومتها في الدنيا.
- بيان قدرة الإسلام الفكرية والروحية على مواجهة التحديات.

<sup>158</sup> حول شمولية تعاليم الإسلام لكافة مجالات الحياة.. انظر: القرضاوي، يوسف: شمول الإسلام في ضوء شرح مفصل

للأصول العشرين للإمام الشهيد حسن البنا،( القاهرة: مكتبة وهبة، ط2، 1995، ص 35-120

- بيان أنه لا قدسية للأشخاص في الإسلام (كما عبر هو بذلك)، وأن التقديس الحقيقي يكون لله وحده، و لا تزر وزر أخرى، و أن كل نفس بما كسبت رهينة.
- الدعوة إلى إصلاح المناهج الدراسية الدينية والتركيز على إحياء التراث العلمي الفكري القديم، والرفع من مستوى اللغة العربية تعليماً وتعليمياً، ودراسة الكتب اللغوية والبلاغية لكبار العلماء مثل كتاب: البلاغة للإمام الزمخشري و ابن الحاجب و غيرها، حتى نتمكن من تخريج الدعاة و العلماء كبار مثل الفخر الرازي و ابن سينا و السيوطي والغزالي، ولم يكن يقصد بإصلاح المناهج الدراسية تقليد الطابع الفكري الغربي، (كما عبر هو بذلك)، إنما كان يقصد بإصلاح المدارس والمناهج تقليد المدارس الدينية والعلمية التي وجدت في العصر العباسي في بغداد و في العصر الأموي بالأندلس، و التسلح بسلاح العلم حسب متطلبات وضروريات العصر<sup>159</sup>.
- إثبات إعجاز القرآن و نبوة محمد ﷺ وعموم رسالته لجميع الناس.
- الدعوة إلى دعم المدارس الدينية باعتبارها مراكز تعليمية هامة في حياة الأمة.
- التركيز على العقيدة الإسلامية المبنية على الكتاب و السنة، ومحاربة الشرك والتوسل والبدع، والدعوة إلى الإيمان بالله وحده و التوكل و التضرع إليه، وليس إلى الأصنام أحياء كانوا أم أمواتاً<sup>160</sup>.

<sup>159</sup> انظر: الذهبي محمد حسين، التفسير و المفسرون، ج2، ص408-420، لتقارن منهج الأستاذ الإمام محمد عبده بهذا الذي ذكرته

<sup>160</sup> لرى هذه الخصائص في تفسيره راجع الأعداد التالية من المجلة الإسلامية:

**Zani i Nalte:** Nr. 3, Mars, 1929, (796-797, 799-800); **Zani i Nalte:** Nr.9, Qershor, 1924, (270); **Zani i Nalte:** Nr.8, Maj, 1924, (238-246).

- محاربتة للعبادات والخرافات والتقاليد المخالفة للإسلام والموجودة لدى المجتمع الألباني ودعوته إلى التمسك بالكتاب و السنة.

### المطلب الثاني: منهج الشيخ الحافظ علي كورتشا و طريقتة في التفسير

ذكر الشيخ الحافظ علي كورتشا في مقدمة هذا التفسير الوجيز الموجود بين يدي الباحث، أنه صنف وكتب كثيراً عن تفسير القرآن، معتمداً على التفاسير الكثيرة والمشهورة، ولكن الظروف الاقتصادية القاسية حالت دون طبع ذلك التفسير الكبير الذي كتبه، حيث أنه ذكر أنه كان يحتاج إلى مبلغ كبير من المال لطبع و نشر ذلك التفسير الموسوعي. فلأجل ذلك هو أجّل طباعته إلى حين آخر ريثما تيسر الأمور الاقتصادية. وفي الوقت ذاته فضل الشيخ المفسر رحمه الله أن يكتب وينشر خلاصة ذلك التفسير الكبير حتى يكون ميسوراً للناس، فشرع في اختصاره، و هذا هو ذلك التفسير المختصر الوجيز الذي بين أيدينا، و الذي فقد الشيء الكثير منه أيضاً للأسف.

وقد ذكر غير واحد من الباحثين أن هذا التفسير الكبير المكتوب والمفقود، والمنسوب إلى الشيخ الحافظ كان يبلغ عدد صفحاته 2000، ( ألفي صفحة )<sup>161</sup>.

<sup>161</sup> انظر:

Ramiz, Zekaj, **Zhvillimi i Kultures Islame**..317-319; Bardhi, Ismail, **Hafiz Ibrahim Dalliu**..67; Osmani, Shefik, **Panteoni Iranian dhe Iranologet shqiptar e**, 272-276.

أما هذا التفسير الوجيز والمختصر فهو غير كامل أيضاً، هو تفسير من أول سورة الفاتحة إلى قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، البقرة، و لكن نظراً لقلة الآيات المفسرة والموجودة حالياً بين أيدينا، و نظراً للبحوث التفسيرية المنشورة في عدة مؤلفات الشيخ والمجلات والدوريات الإسلامية المختلفة، فقد أخذ ذلك مني جهداً كبيراً في بحث وقراءة مؤلفات الشيخ الحافظ علي للوقوف على مزيد من آرائه و حقيقة أفكاره، فاستطعت بحول الله تعالى أن أكوّن ثروة علمية لا بأس بها من آراء واجتهادات الشيخ الحافظ علي، مما يسر عليّ التعرف على اتجاه ومنهج الشيخ الحافظ علي كورتشا. و قبل عرض منهجه و طريقته في التفسير، جدير بنا أن نتعرف على مصادر الشيخ الحافظ علي كورتشا، والتي اعتمد عليها في تفسيره و كتاباته الدينية عموماً، فأقول وبالله التوفيق: أولاً: أنه من خلال قراءتي و مطالعتي لمؤلفات الشيخ الحافظ و تفسيره الوجيز و تفاسيره المختلفة في المجالات الإسلامية تبين لي أن الشيخ الحافظ علي كورتشا اعتمد على قدر كبير من المصادر والمراجع المختلفة، وأن معرفته باللغات الشرقية والغربية ساعدته على تكوين هذه الثقافة الدينية والأدبية والسياسية الفريدة لدى الشيخ. ومن تلك المصادر نذكر ما يلي:

- كتب التفاسير المختلفة والمتنوعة، وعلى رأسها تفسير الفخر الرازي وتفسير المنار للشيخ رشيد رضا، وكتب الحديث النبوي، وكتب التاريخ الإسلامي وتاريخ الطبري، وكتب السيرة النبوية و حياة الصحابة وكتب اللغة العربية من نحو و صرف و بلاغة و علم المعاني والبيان والبديع، وكتب الفلسفة للمسلمين والغربيين، وكتب الثقافة العامة بمختلف اللغات، وكتب الأدب العربي والفارسي والتركي والألباني، وكتب العلم الحديث المختلفة من جغرافيا و علم الفلك وبيولوجيا، وكتب الفقه

وأصوله، وكتب علوم القرآن، وكتب القصص القرآني، وكتب العقيدة، وكتب السياسة العالمية، وكتب المستشرقين الغربيين، وغيرها من المصادر العلمية مما يدل على تنوع ثقافة الشيخ وسعة اطلاعه، فرحمه الله رحمة واسعة.

ثانياً: و من كل ما قرأت له من تفسيره و بحوثه التفسيرية تبين لي أنه رحمه الله سلك هذا المنهج و التزم هذه الطريقة في فهمه وتفسيره لكتاب الله تعالى:

- يذكر المكّي و المدني للسورة و يذكر عدد آياتها،
- يحلل مفردات السورة و غريب الكلمات الواردة فيها،
- يذكر أسماء السورة و يبين سر تسميتها بذلك،
- يتطرق إلى مناقشة بعض المسائل النحوية و الصرفية، كما يلاحظ ذلك في بيان المعاني الواردة في آل- التعريف في قوله تعالى : [ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ]،
- يتعرض إلى ذكر القراءات الواردة أحياناً مشيراً إليها باختصار شديد،
- يذكر أقوال العلماء و المفسرين في معنى الحروف المقطعة، ولكن كل ذلك بإيجاز و اختصار شديد<sup>162</sup> .
- يتعرض في تفسيره إلى ذكر و بيان المجتمعات الموجودة في الجزيرة العربية، من يهود و نصارى و عباد الأصنام و النجوم و بعض الدهريين<sup>163</sup> .

<sup>162</sup> و ذكر الشيخ الحافظ علي في هامش تفسيره الوجيز في هذا الصدد أنه ألف كتاباً خاصاً عن معنى الحروف المقطعة في بدايات السور القرآنية، مما يدل على اهتمامه الكبير و باعه الطويل في علم التفسير. و لكن هذا الكتاب أيضاً مفقود للأسف الشديد.

<sup>163</sup> للوقوف على هذه النقاط السبعة المنهجية راجع تفسيره الوجيز :



- يذكر سبب نزول الآية إن كان هناك سبب للنزول كما أنه رحمه الله أكد إمكانية تعدد سبب النزول في قضية واحدة<sup>164</sup>.
- يستعين بالسيرة النبوية و حياة الصحابة في توضيح معنى الآية.
- يميل إلى التفسير العلمي للآيات، يظهر ذلك في تفسيره لسورة الزلزلة، حيث ناقش في تفسيره بعض القوانين الفيزيائية المختلفة فيما يخص خراب الأرض قبل الساعة، وتحدث عن خروج البراكين و سقوط النجوم و انفطار السماوات وغيرها من الظواهر الأخرى التي ستقع. و يبدو للباحث أن التفسير العلمي واعتماده على تفسير الفخر الرازي كثيراً، أثر عليه لدرجة أنه اعتقد أن هناك كائنات أخرى من حيوان وإنسان في الكواكب الأخرى، واستدل على ذلك بقوله تعالى في سورة الشورى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ )، [الشورى:29]، ثم راح الشيخ و نقل كلام الفخر الرازي دون أن يشير إلى رقم الصفحة و الجزء<sup>165</sup>.
- أحياناً يستخدم بعض العبارات والاصطلاحات التي تشعر في ظاهرها أنها عبارات واصطلاحات صوفية. ففي تفسيره لسورة الضحى ذكر أن الرسول ﷺ لما رأى الوحي لأول مرة قال بأنه ρ .. أصابته الدهشة وغرق في بحر نور الله تعالى و تعب في أمواج ذلك البحر غير العادي من نور الله تبارك تعالى..<sup>166</sup>.
- رأيته أحياناً يستطرد ثم يعود إلى موضوعه.

<sup>164</sup> المصدر السابق، ص 13

<sup>165</sup> للوقوف على هذا التفسير راجع دوريات المجلة الإسلامية الألبانية:

**Zani i Nalte: Nr.6, 1927, (162-167).**

<sup>166</sup> راجع المجلة الإسلامية الألبانية:

**Zani i Nalte: Nr.8, Mars,1927, (227-228).**

- أحياناً يستشهد بالشعر العربي الأصيل في تفسيره<sup>167</sup> .
- يستشهد بالتاريخ العربي الجاهلي في بيانه لأحوال العرب في الجاهلية و بين فضل الإسلام عليهم<sup>168</sup> .
- الشيخ الحافظ علي رحمه الله كان يُثري تفسيره بشعر ألباني من عنده، حيث كان شاعراً بلا نزاع وأن قريحته الشعرية قد تفجرت لديه منذ نعومة أظفاره، وهذا الشعر كان حقاً شعراً موزوناً و مقفىً و حاوياً للمعاني السامية والأهداف النبوية<sup>169</sup> .
- يذكر في تفسيره كلام الحكماء والفلاسفة والمؤرخين من الغرب، و يبين إعجابهم بعظمة رسالة الإسلام وعبقرية محمد ﷺ، فقد كان ﷺ شخصية عظيمة و سعى لتحقيق الأهداف الإنسانية والربانية (كما هو صرح بذلك) ، كما أنه كان يرد على شبّهات وأباطيل الأعداء، سواء من المستشرقين أو المبشرين و يبين جهودهم في تنصير المسلمين في إفريقيا والصين والهند<sup>170</sup> .
- يفرد مقدمة يسيرة قبل الشروع في تفسيره للآيات، كما فعل ذلك في تفسيره لسورة القدر والتكاثر وغيرها من السور والآيات، ومن ثم يتوسع في تفسيرها وشرحها<sup>171</sup> .

<sup>167</sup> انظر المرجع السابق، ص 233

<sup>168</sup> انظر المرجع السابق، ص 233

<sup>169</sup> انظر المصدر السابق، 236

<sup>170</sup> انظر المجلة الإسلامية الألبانية:

Nr.7, Prill, 1924, (203- و العدد: **Zani i Nalte**: Nr.1, Nentor, 1927, 383-388  
217)

<sup>171</sup> انظر المجلة الإسلامية الألبانية:

**Zani i Nalte**: Nr.7, Prill, 1924,( 195-201)

- في منظور الشيخ الحافظ علي كورتشا، ذكر الأعداد الواردة في سورة القدر وفي غيرها من المواضع القرآنية ليس المراد منها التحديد أو نفس العدد المذكور، أي أنها لا تفيد الحصر، وإنما المراد منه الكثرة كما هو معلوم في لغة العرب<sup>172</sup>.
- ينقل من المفسرين الآخرين ولا سيما الفخر الرازي وتفسير المنار للشيخ رشيد رضا وغيرهما ولكنه لم يسمهم لنا..<sup>173</sup>.
- يذكر في تفسيره العبر والدروس المستفادة من الآيات، كما أنه رحمه الله وجه عتاباً شديداً للأغنياء والمترفين الذين يفتخرون بالمال والولد ولا يقدمون أي خدمات اجتماعية ولا دينية لأبناء وطنهم، مثل بناء المدارس و تزويج الفقراء والمساكين وبناء المستشفيات، وأنه كثيراً ما كان يدعو إلى حسن استثمار تلك النعم..<sup>174</sup>.
- أحياناً يعقب على تفسيره لسورة معينة فيقدم في نهاية تفسيره خلاصة الكلام الذي سبق. كما أنه يستدل بالحديث النبوي الشريف في أثناء تفسيره للآيات أحياناً.
- وأما بالنسبة للإسرائيليات فإنه رحمه الله قد رفضها رفضاً تاماً جملة و تفصيلاً، ولم أجد له شيئاً من ذلك في تفسيره، و لعل هذا الجانب من أبرز الجوانب والأسس للمدرسة الإصلاحية العقلية، والذي تأثر بها الشيخ المفسر إلى درجة كبيرة<sup>175</sup>.

<sup>172</sup> انظر المرجع السابق، و الصفحات نفسها.

<sup>173</sup> راجع تفسيره لسورة الزلزلة في المجلة الإسلامية: (163-167)، Nr. 6, 1926, Zani i Nalte.

<sup>174</sup> انظر تفسيره لسورة التكاثر في: (261-265)، Nr.9, Qershor, 1924, Zani i Nalte.

<sup>175</sup> انظر تفسيره لآية الصوم في المجلة ذاتها: (174)، Nr.6, Mars, 1924, Zani i Nalte.

- الاستعانة بالاكتشافات بالحقائق العلمية الحديثة في زمانه والاعتماد على تقارير الأطباء في بيانهم للأضرار الناجمة من تعاطي الخمر والتدخين، و الفوائد الصحية من الصيام وغيرها<sup>176</sup>.
- لا يعيد المعنى الذي ذكره، كما أنه في توضيحه لمعنى الآية و إظهار الأسرار الكامنة من مدلولاتها يتطرق إلى ذكر أنواع الأساليب القرآنية في الخطاب، كان يهدف من ذلك بيان الخطاب الخاص بالنبي ع ، وما هو عام لجميع المسلمين<sup>177</sup>.
- يستعمل الاستعارات البيانية و البلاغية في تفسيره مثل: ( حان شمس الدين الحق أن يسطع.. )، ( من بحر نور العشق الإلهي ) و غيرها<sup>178</sup>.
- يناقش أحياناً بعض المسائل المتعلقة بالقدر، وأنه كثيراً ما يحارب العادات والتقاليد الخرافية لدى الألبان، ويصحح التصورات الدينية الخاطئة عندهم<sup>179</sup>.
- رأيته يدافع كثيراً وبشدة عن أهل السنة و الجماعة، و يدعو إلى التمسك بالقرآن والسنة، وكان يدعو أيضاً إلى ترجمة نصوصهما و تقديمها للمجتمع الألباني<sup>180</sup>.

<sup>176</sup> المرجع السابق و الصفحة نفسها.

<sup>177</sup> المرجع السابق، ص 164. و حول الأساليب القرآنية في الخطاب انظر: جعراية، عبد الحميد بن محمد ندا: المدخل إلى التفسير، (مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1996)، 405-424، (رسالة الدكتوراه). وانظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: التبحير في علم التفسير، تحقيق د/ فتحي عبد القادر فريد، (دار المنار، القاهرة، 1986)، ص 235-242  
<sup>178</sup> انظر للتوسع المجلة الإسلامية الألبانية :

**Zani i Nalte: Nr.6, Mars, 1924 (174)**

<sup>179</sup> انظر المجلة الإسلامية الألبانية:

**Zani i Nalte: Nr.2, Fruer, 1929, (776)** ، والعدد : (799) ، Mars, 1929, Nr.3,

<sup>180</sup> انظر المجلة الإسلامية:

**Zani i Nalte: Nr.3, Mars, 1929, (800)**

هذه هي بعض معالم منهجه الذي اعتمد عليها الشيخ الحافظ علي في تفسيره لكتاب الله تعالى، والتي استطعت أن أجمعها من مؤلفاته و بحوثه المختلفة و المتنوعة. و أعتقد أننا استطعنا بتوفيق الله تعالى أن نقدم بعضاً من أسسه الفكرية والمنهجية لهذا العالم و المفسر الألباني، المنتمي إلى المدرسة الإصلاحية في العصر الحديث، ورغم صعوبة الحصول على آثاره العلمية المطبوعة، و الله أعلم.

### المطلب الثالث: تأثر الشيخ بأفكار المدرسة الإصلاحية العقلية و إنكاره للحديث الصحيح في مسألة سحر النبي $\rho$

ومما يثبت انتماء الشيخ الحافظ علي إلى الإتجاه الموصوف بالإصلاحي الديني العقلي، موقفه من حادثة سحر النبي  $\rho$ ، التي وردت في الأحاديث الصحيحة<sup>181</sup>. و حتى لا نتقول على الشيخ الحافظ علي رحمه الله، يحسن بنا أن ننقل نص كلامه حرفياً حتى نكون على بينة من الأمر. ففي تفسيره لسورة الفلق رأيت الشيخ الحافظ علي كورتشا يقول:

".. و الذي يقال عن لبيد ابن الأعصم اليهودي من المدينة أنه كان قد سحر النبي  $\rho$  في بئر، حتى يخيل إليه  $\rho$  أنه يعمل شيئاً أو يأت شيئاً و في الحقيقة هو لا يفعل ذلك... أقول فإن هذه الأخبار غير صحيحة على الإطلاق، ذلك، لأن الأنبياء لا يُسحرون، وكيف يمكن أن يُسحر النبي  $\rho$  ؟ قائل هذا الكلام يؤكد قول المشركين

181 حديث سحر النبي صلى الله عليه و سلم رواه الإمام البخاري في صحيحه في باب السحر، برقم : 5430 ، ج 5،

ص 2174، و أيضاً رواه الإمام مسلم في صحيحه في باب السحر، برقم : 2189، ج 4، ص 1719

الذين قالوا: [ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ) ، [الإسراء: 47] ،  
 و في سورة الفرقان: [ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ) ، [ الآية: 8] ،  
 والمسحور معناه الذي اختلطت عليه الأمور والحقائق... هؤلاء القائلون لا يعرفون  
 حقيقة النبوة وأهميتها، وبدون أدنى حياء يلصقون هذه التهم و هذه الأمور المضحكة  
 برسول الله ﷺ ... إن هؤلاء قد نسوا القرآن الكريم أنه حق وأنه قد أثبت أن الرسول  
 ﷺ معصوم ومحفوظ من الخطأ. إذن فعلينا أن نصدق ما يجب إيمانه و تصديقه، وأن  
 نرفض ما يجب رفضه... نحن مطالبون أن نؤمن بأنه ﷺ معصوم و مطَّهر و بريء من  
 كل ما يقال أو قيل عنه، فليقولوا ما شاءوا أن يقولوا، فنحن مكلفون بما أمرنا به  
 القرآن، و لو صحت تلك الافتراءات من هؤلاء، أصحاب العقول الفارغة بأن عقل  
 رسول الله قد سُحِر، للزم من ذلك أن يخبر أمته بشيء لم يأمره به الله عز وجل و لم  
 يوح إليه، وحاشاه p.

نعم يمكن أن يوجد السحر<sup>182</sup> ، ولكن لا سبيل له أن يؤثر في معصوم الله عز وجل  
 لأن الله يحفظه و يريعه - يقصد بذلك محمداً ﷺ - . نحن المسلمين نؤمن بما أمرنا به  
 القرآن فقط، ولسنا مطالبين أن نؤمن بما يؤمن به المشركون. صحيح أن كلمة السحر  
 موجودة وواردة ولكن علينا أن لا نفسر ذلك مثل ما فسره هؤلاء المنحرفون...والدليل

<sup>182</sup> الشيخ الحافظ علي كورتشا بهذه الكلمة أقر بوجود السحر ، ولكنه نفى و رفض أن يكون للسحر تأثير على شخص  
 الرسول صلى الله عليه و سلم. و قد ذكر الشيخ الحافظ علي كورتشا رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ( و من شر النفاثات  
 في العقد ) باللغة الألبانية من أن المراد ب: [ النفاثات ) هم: النمامون.. و قد قمت بالتحقيق والمقارنة في هذه المسألة،  
 فوجدت تقريباً نفس الكلام الذي ذكره الأستاذ الإمام محمد عبده في تفسيره للسورة ذاتها. فالتشابه بين الاثنين، - الأستاذ  
 الإمام محمد عبده و التلميذ الحافظ علي كورتشا رحمهما الله - كان إلى حد كبير، مما يدلنا على وحدة الفكرة و المنهج..انظر  
 للتوسع: تفسير جزء عم للأستاذ الإمام محمد عبده، ص 181-192..نقلًا عن: التفسير و المفسرون للذهبي، ج2،  
 ص 420-421

الثاني على عدم صحة هذه الأخبار، هو أن سورة الفلق نزلت في مكة، و لبيد ابن الأعصم كان في المدينة، فكيف يمكن قبول هذا...؟! <sup>183</sup>

وعلى أية حال، فهذه خرافة سخيفة، أصحاب العقول السليمة والصحيحة لا يؤمنون بها و لا يصدقونها.. " انتهى كلامه <sup>184</sup> .

موقف واضح وجلي من الشيخ الحافظ علي تجاه هذه الحادثة أو هذه القصة. علل أسبابه منطقياً و دينياً على عدم إمكانية حدوث ذلك للنبي ع. أما رد الشيخ الحافظ علي للحديث المذكور الذي رواه الإمام البخاري، فهذا الموقف فيه نظر، و ليس هذا مجال ردنا عليه هنا، والله أعلم.

### المطلب الرابع: موقف الشيخ الحافظ علي كورتشا من الإسرائيليات

ومن القضايا المهمة والمتعلقة بصلب موضوعنا وفيما يخص اتجاه الشيخ الديني الإصلاحية هي قضية الأخبار الإسرائيلية أو ما يعرف ب: الإسرائيليات في الشريعة الإسلامية عموماً وفي التفسير خاصة. و كما هو معلوم أن من الأسس الفكرية أو الضوابط اللازمة لتفسير القرآن الكريم لدى رواد المدرسة الإصلاحية العقلية، هو الرفض الكامل للإسرائيليات، والاكتفاء بما ورد في القرآن أو السنة الصحيحة فقط..

---

<sup>183</sup> ذكر ابن كثير في تفسيره أن المعوذتين سورتان مدينتان.. انظر تفسيره ج4، ص 574. وذكر ابن شهاب الزهري في كتابه: تنزيل القرآن، أن سورة الفلق نزلت بمكة.. ج1، ص 24. فكما ترى أن مسألة نزول السورة، مسألة فيها خلاف والله أعلم.

<sup>184</sup> المجلة الإسلامية الألبانية: (777-779)، Fruer, 1929, Zani i Nalte Nr.2

<sup>185</sup>، و هذا الذي سار عليه أيضاً الشيخ الحافظ علي كورتشا رحمه الله تعالى في تفسيره. فقد كان من أشد الناس إنكاراً على الذين يعتمدون على الإسرائيليات في تفسيرهم لكتاب الله تعالى.

الشيخ الحافظ علي في معالجته وانتقاده للفكر الإلحادي والشيوعي لدى الطبقة المثقفة من الألبان العلمانيين، لفت انتباه القراء المسلمين المتدينين إلى أنه قد وجد هناك بعض رجال الدين الإسلامي من المشايخ والخطباء والوعاظ من كانوا على جهل تام بما يقولون للناس في خطبهم ومواعظهم. فيذكر الشيخ الحافظ علي كورتشا قصة خطيب الذي صعد المنبر، و كيف أنه كان يصرخ و يصيح في وعظه ذاكراً قصصاً و خرافات إسرائيلية للحضور، و أنه قد أكثر من ذكر خرافات اليهود في قصة خلق آدم، و كيفية خلق الأنهار في الجنة و غير ذلك من الأخبار و التي لا أصل لها في ديننا. فالشيخ رحمه الله تعالى ضاق به ذرعاً من هذا التصرف الساذج، مما جعله يقول في موسوعته (التاريخ الإسلامي و الخلفاء الأربعة)، أن القرآن الكريم كان كافياً للاستدلال به والاعتماد عليه في المواعظ والدروس، وأن هذا الشيخ لو كان عنده علم بكيفية خلق طبقات الأرض وكيفية خلق الأنهار، لما ذكر ذلك الكلام التافه في خطبه كما دعا الشيخ في هذه الموسوعة إلى التجنب والحذر من أخبار وخرافات اليهود، لأنهم أفسدوا على المسلمين دينهم وديناهم قديماً وحديثاً

186

<sup>185</sup> راجع في هذا الصدد منهج الأستاذ الإمام محمد عبده في تفسيره: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج2، ص410-411 للمقارنة بينهما. وكذلك راجع: الرومي، فهد بن عبد الرحمن، منهج المدرسة العقلية الإصلاحية في التفسير، ص 100-130





المبحث الثالث: شروط المفسر لدى الشيخ الحافظ علي كورتشا<sup>187</sup>، وبيان أوجه الاتفاق بين آرائه ومبادئ المدرسة الإصلاحية

### المطلب الأول: شروط المفسر لدى الشيخ الحافظ علي

وأخيراً وبعد هذه الجولة العلمية التي قضيناها مع الشيخ الحافظ علي كورتشا، وحتى لا نحكم عليه مسبقاً بالنجاح أو الفشل، أحببنا أن نجيب عن سؤال مهم، ألا وهو: هل توفرت لدى هذا المفكر والمفسر الألباني شروط المفسر لكتاب الله تعالى؟ وإذا توفرت فإلى أي مدى؟ نقول وبالله التوفيق في الجواب عن هذا السؤال ودون أدنى مبالغة: أنه فيما يبدو لنا بعد دراستنا لفكر هذا الداعية ومنهجه في التفسير، أنه قد توفرت لديه الثروة العلمية الكافية والحمد لله تعالى، مما أهلته ومكنته للقيام بتفسير كتاب الله تعالى. هذه الثروة العلمية تمثلت عنده في هذه الجوانب:

- حفظه وإتقانه وتجويده لكتاب الله تعالى، وهذه الحالة كما قلنا سابقاً كانت ظاهرة منتشرة لدى علماء الألبان قديماً، وأما في العصر الحاضر فإلى حد ما.
- اطلاعه على كتب التفسير المختلفة.
- إتقانه ومعرفته للغة العربية معرفة جيدة وعميقة، من نحو وصرف وبلاغة وعلم المعاني والبيان والبدیع، ولا سيما علم العروض، حيث أنه كان أستاذاً للأدب العربي والأدب الألباني.
- معرفته للسنة النبوية، ومعرفة صحيحها من سقيمها.

<sup>187</sup> للمقارنة بين هذه الشروط، انظر شروط التفسير عند الأستاذ الإمام محمد عبده، و التي ذكرها الشيخ محمد عبد العظيم

الزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ص 62-64

- معرفته واطلاعه على علوم القرآن المختلفة، مثل معرفة المكي والمدني وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، وأساليب الخطاب في القرآن، ومعرفة أول ما نزل وآخر ما نزل، والمحكم والمتشابه وغيرها من العلوم.
- الأدب الإسلامي الرفيع والتربية الإسلامية الأصيلة، حيث إنه رحمه الله لم يكن بذيء اللسان و لا فاحش الكلام، إلا ما دعت الحاجة إليه في عتابه الشديد لليهود و النصارى لعنهم الله لعناً كبيراً، فإنه رحمه الله لم يتأسف لذكر فضائحهم طوال التاريخ البشري إلى يومنا هذا.

فهذه العلوم المختلفة التي وجدت عند هذا المفكر الإسلامي والتي أهّلته للقيام بتفسير كتاب الله تبارك وتعالى، و نحسبه أنه قام بتوظيفها لفهم كتاب الله تعالى خير القيام، ونظن فيه خيراً أنه نجح إلى حد كبير، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، والله أعلم.

## المطلب الثاني: أوجه الاتفاق بين فكر الشيخ الحافظ علي كورتشا و مبادئ المدرسة الإصلاحية العقلية في التفسير

في هذا المطلب نود أن نبين باختصار شديد بعض أوجه الاتفاق بين فكر الشيخ الحافظ علي كورتشا وبين أسس وأفكار المدرسة الإصلاحية، تمييزاً للفائدة، فمنها:

- دعوته إلى إصلاح المناهج الدراسية عموماً والدينية خصوصاً، كما دعا إلى ذلك رواد المدرسة الإصلاحية إلى إصلاح مناهج الأزهر.

- إضافة المواد العلمية المختلفة إلى المواد الدينية وإتقان وإجادة تلك المواد والمهارات وافتتاح الكليات الخاصة لهذا الغرض.
- إصلاح طرق تدريس اللغة العربية، ولا سيما أن الشيخ الحافظ علي فضل طريقة التدريس الفرنسية في تعليم اللغة.
- دعوته لرجال الدين الإسلامي لرفع مستواهم العلمي والثقفي على غرار الأسس والمبادئ لرجال الإصلاح الديني العربي القديم والحديث مثل الشيخ محمد عبده و الشيخ جمال الدين الأفغاني، والإمام الغزالي والجندي وابن سينا وغير هؤلاء الأقطاب.
- رفضه الشديد للإسرائيليات وعدم قبولها إطلاقاً، و الحذر منها.
- رفضه الشديد للتقليد الأعمى.
- موقفه من حادثة سحر النبي ﷺ وعدم قبوله للحديث الصحيح في ذلك.
- الاهتمام بقضايا الوطن و السياسة العالمية.
- عدم مبالاته كثيراً بسقوط الدولة العثمانية في أيامها الأخيرة، و عدم بحثه في كيفية إنقاذها من الانهيار. وهذا الجانب أهمل أيضاً من قبل رواد المدرسة الإصلاحية في الأزهر، بل وجد منهم من كان ينادي بالإطاحة بالدولة العثمانية و بأفضلية الخلافة القومية العربية و أحقيتها !!! و الله المستعان، ولا شك أن هذا من الآثار السلبية في فكر هؤلاء الرواد لهذه المدرسة نجمت عن التعصب القومي العربي، والله أعلم.

## المطلب الثالث: نموذج من البعد الديني الإصلاحي الوطني في فكر الشيخ الحافظ علي كورتشا

تظهر هذه الحقيقة عنده في بيان كيفية المحافظة على مبادئ الإسلام في ألبانيا والحذر من كيد الأعداء في رسالة له مطولة ومفتوحة، والتي وجهها إلى إخوانه العلماء والدعاة والمشايخ الألبان، و يحسن بنا أن نقتبس فقرات منها، حيث جاء فيها:

".. سادتي العلماء والمشايخ ! إن كنتم تريدون نيل احترام الشعب لكم كما ناله السابقون، فعليكم أن تُعدّوا أولادكم بنفس السلاح الذي تسلح به السابقون، بسلاح العلم والمعرفة، لأن ذلك تراثنا الذي يجب أن نورثه لأبنائنا، لأن الشعب لم يعد يطيق يستمع إلى الخرافات والإسرائيليات والكلام الفارغ. عار علينا أن نفتخر بعز أسلافنا وفخرهم و نحن عراة مجردون لا نملك شيئاً. ما الذي ستستفيد هذه الدولة من هؤلاء الذين يتشقفون خارج بلادنا - يشير إلى المثقفين في الغرب -

إخواني السادة، العلماء و المشايخ !

إن كان لكم عشق وحب لسيدنا محمد ﷺ فلا تغفلوا، و عليكم باهتمام حال الأجيال القادمة، وعليكم التركيز والانتباه إلى هذه القضايا:

- عدم تسليم الشباب والفتيات إلى أيدي المبشرين و المنصرين..
- تعليم وتحفيظ القرآن لأولادنا..
- علينا أن نرسل إلى المدرسة الدينية كل من بلغ من عمره ثلاثة عشر عاماً..
- على كل داعية أن يكون له على الأقل ابن واحد في المدرسة الدينية حتى يكون وريثه..

- على كل مسلم ومسلمة أن يضحى بكل ما يملك في سبيل التحسين والتطوير من مستوى المدرسة الدينية إلى المرتبة اللائقة بها..
- على العلماء والمشايخ الدعاة أن يتجولوا في القرى و المدن لحض الشعب على مّد يد العون و المساعدة لذا المشروع..
- تخصيص ميزانية ضخمة للتعليم، لأنه إذا ارتفعت ميزانية المدارس، فيإمكاننا أن نأتي بالأساتذة و المشايخ المتخصصين لكل مادة،

وإلا فعدم اهتمام المشايخ و العلماء بحال الأمة، هو السبب الرئيسي في هدم الإسلام وتدميره.. هذه هي أمراضنا.. و هذا هو طريق العلاج في هذه الوصفة الطبية.. في عهد العصر العباسي كان العلماء يجيدون ست أو سبع لغات، ونحن ماذا نتقن ؟ ها هي المصادر التي تحدثنا بذلك. أرسلوا أولادكم البالغين من العمر ثلاثة عشر عاما للتعلم عندنا، فإنني أضمن لكم بإذن الله بعد ثلاثة سنوات إنهم سيكونون قادرين على التحدث بالعربية والفارسية والفرنسية، وسيتعلمون بعض العلوم العلمية والفنية.. نحن سنسعى بجد حتى لا نخجل أمام الرسول ﷺ يوم القيامة، و إذا أنتم لا تؤيدوننا فيما قلناه آنفأ، فأنتم مسئولون أمام الله يوم القيامة.

كيف نسلح و نعد أبناءنا ؟

بجانب تعلم اللغة الأم واللغة العربية، فعلى كل واحد أن يتعلم لغة عالمية مشهورة، و أن يتسلح بسلاح العلم، حسب متطلبات العصر والمستقبل.. وإلا فنحن أموات من كل الجوانب<sup>188</sup>.

<sup>188</sup> انظر تفاصيل هذه الرسالة المهمة و مضمونها في المجلة الإسلامية الألبانية:

رحمه الله رحمة واسعة، فما أحوج الأمة الإسلامية إلى مثل هذه النصائح والإرشادات في هذه الأيام، ولا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

### المطلب الرابع: بعض المآخذ المنهجية و الدينية على الشيخ الحافظ علي

ونختم لقاءنا مع هذا العالم الجليل بذكر بعض المآخذ عليه، رحمه الله تعالى، فمن الملاحظات المنهجية والموضوعية:

- كثيراً ما رأيت رحمه الله لا يشير إلى موضع الصفحة أو الجزء الذي نقل منه كلامه.
- التفاصيل في توثيق المصادر والمراجع غير موجودة، وإنما اكتفى بعنوان الكتاب.
- قلة استدلاله بالأحاديث النبوية الصحيحة في مقالاته وكتابه.
- رفضه لصحة حادثة السحر التي رويت في صحيح البخاري و في صحيح مسلم، و في ذلك طعن لأهم وأوثق الكتب الصادقة بعد القرآن الكريم، والتي أجمعت عليهما الأمة الإسلامية بالقبول عبر القرون إلى يومنا هذا..
- لا يذكر أرقام الآيات التي يفسرها.
- في كثير من الحالات يهمل ذكر نص القرآن بالعربية، و يكتفي بالترجمة والتفسير دون أن يذكر للنص العربي في مقابل الترجمة ، والأولى أن يكون النص العربي و بمقابله أن تكون الترجمة أو التفسير.

● في كثير من الأحيان لا يفرق بين الترجمة و التفسير للنص، فالقارئ العادي لا يعرف هل هذه ترجمته أم تفسيره للآية. والأفضل والأولى أن يترجم الآية ثم يعقب على ذلك بالشرح والتفسير<sup>189</sup>.

هذا ما تبين لنا من خلال دراستنا لهذه الشخصية العلمية الألبانية الكبيرة، ذي اتجاه ديني ومنهج إصلاحى عقلي، وقد أخذت هذه الدراسة مني جهداً كبيراً لجمع شتاتة من مختلف المصادر، أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت إلى الإتيان بالمطلوب و أن يجعل الله عز وجل هذا البحث في ميزان حسناتي يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين.

---

<sup>189</sup> راجع المجلات المذكورة سابقاً لترى هذه الملاحظات، وانظر أيضاً:

Ahmedi, Ismail, **Hafiz Ali Korca – Jeta dhe Vepra**, 209–221.



## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله تتحقق الغايات النبيلات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات، سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليمات، وعلى آله الطيبين الطاهرين أهل البركة والمكرمات، وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين والمؤمنات..

فأرجو من الله العلي القدير أن تكون هذه الدراسة قد أجلت و بينت بعضاً من جهود العلماء الألبان في تفسير القرآن الكريم. ومما لا شك فيه أن الباحث قد استيقن أن صاحب هذا المنهج الإصلاحي في التفسير، الشيخ العلامة الحافظ علي كورتشا فعلاً كان من رواد هذا الاتجاه بلا نزاع. فأسأل الله تبارك و تعالى أن ينزله منازل أهل القرآن والمقربين، لقاء جهده الكبير في تفسير آيات كتابه الكريم وبيانه وتوضيحه للمجتمع الألباني المسلم في عصر قل فيه النصير وكثر فيه الشرير و عز إيجاد عالم بصير... فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وجعلنا من أمثاله من حُدام كتابه العزيز إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فجر يوم السبت 18 ربيع الآخر، الموافق 5 مايو 2007

المدينة النبوية الشريفة

وتم مراجعة الدراسة أيضا يوم الجمعة الموافق 26 لأغسطس 2016

في دوحة الخير والبركة في قطر.



## الأسس العلمية والقواعد المنهجية لتفسير القرآن الكريم

( الأستاذ سيد قطب أمودجاً )

تأليف

د. خير الدين خوجة ( الكوسوفي )

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

جامعة طيبة - المدينة المنورة

## بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة 190

الحمد لله الذي وفقنا لأداء أفضل الطاعات ووفقنا على كيفية اكتساب أكمل السعادات، وهدانا إلى قولنا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من كل المعاصي والمنكرات، بسم الله الرحمن الرحيم نشرع في أداء كل الخيرات والمأمورات، الحمد لله الذي له ما في السموات رب العالمين بحسب كل الذوات والصفات، الرحمن الرحيم على أصحاب الحاجات وأرباب الضرورات مالك يوم الدين في إيصال الأبرار إلى الدرجات، وإدخال الفجار في الدركات، إياك نعبد وإياك نستعين في القيام بأداء جملة التكليفات، اهدنا الصراط المستقيم بحسب كل أنواع الهدايات، صراط الذين أنعمت عليهم في كل الحالات والمقامات، غير المغضوب عليهم ولا الضالين من أهل الجهالات والضلالات. والصلاة على محمد المؤيد بأفضل المعجزات والآيات، وعلى آله وصحبه بحسب تعاقب الآيات وسلم تسليمًا.. أما بعد:

---

1 هذه الدراسة في الأصل ورقة علمية قدمت في المؤتمر العالمي الثاني (لجمعية المحافظة على القرآن الكريم) -2- 3.08.2008 عمان - الأردن بعنوان: ( فهم القرآن الكريم...مناهج وآفاق)، وقد تشرفت بالمشاركة فيه وإلقاء الورقة وأنا في طريقي من المدينة المنورة مسافرًا إلى كوسوفا بالسيارة مع أولادي..كانت الرحلة رائعة وموفقة للغاية والله الحمد والمنة.

لقد مرّ التفسير منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا بعدة مراحل، مما أدى إلى تحول مسار التفسير و ظهور اتجاهات ومناهج عديدة و بروز قراءات معاصرة جديدة في تفسير القرآن الكريم، توافق أرباب المذاهب والعلوم المختلفة لدى بعض المعاصرين من أبناء جلدتنا. وتُعنى هذه القراءات الجديدة والمعاصرة استخدام النظريات الجديدة في تأويل و تفسير القرآن الكريم، والتي تؤدي إلى تحريف المعاني القرآنية وتناقضها مع الحقائق الشرعية وتعارضها مع المقاصد الإسلامية العليا. و السبب في ظهور هذه الأفكار والمذاهب الهدامة والعفنة؛ هو تلوث أفكار أصحابها بالمناهج الفكرية الغربية، وعدم احترامهم لقدسية القرآن الكريم وخصوصياته البلاغية والبيانية واللغوية، و اعتباره كسائر النصوص البشرية. أصحاب هذه القراءة المعاصرة دعوا إلى: "أُنْسِنَةَ وَعَقْلَنَةَ وَأَرْحَنَةَ" النص القرآني، ليصلوا في النهاية إلى ربط آيات القرآن الكريم بالظروف الزمنية وعلى أنه نص تاريخي بشري! واستخدموا مصطلحات جديدة خلاف المصطلحات الشرعية، مثل: الأبيستمولوجية، والأمبريقية، والإسلاموية، والسلفوية، والماضوية، والأنطولوجية، والبلشفية، والديالكتيكية، والزمكانية والميكانيكزمانية، والهرمونوطيقية، والديماغوجية... الخ، وأطلقوا على القرآن الكريم ( المدونة الكبرى )، و على الآية ( العبارة )، وعلى نزول القرآن ( الواقعة القرآنية )... ظلمات بعضها فوق بعض. ولا شك أن هذه المدرسة ما هي إلا امتداد لمدارس أساتذتهم من المستشرقين الذين قالوا بأن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما هي إلا امتداد لليهودية و النصرانية. ومنهج هذه المدرسة هو التحكّم في النص القرآني وتأويله وفق أدوات منهجية وألسنية غريبة مغايرة للقواعد و الأساليب العربية. و من الذين حملوا راية هذه القراءة المعاصرة للقرآن الكريم في هذا العصر من بني جنسنا و أبناء جلدتنا نذكرهم لغرض العبرة والتحذير؛ محمد أركون العلماني الجزائري،

ومحمد شحرور الماركسي السوري، و محمد عابد الجابري الاشتراكي، و حسن حنفي المصري أستاذ الفلسفة على الفكر الاعترالي، و عبدالمجيد الشرفي التونسي، و جلال صادق العظم معاصر شيوعي سوري من أصل تركي. إن الأمة اليوم في أمس الحاجة إلى تفسير يُعيد صياغتها الفكرية من جديد، ويُخرجها من التفكك الذاتي، ويُحرّر و يفجر طاقتها الكامنة من أسر الجمود والتخلف، ويُجدّد فيها روح رسالة الاستخلاف و عمارة الكون. فالتفسير المطلوب هو ذلك التفسير الذي يخرج الأمة عن واقع التخلف ويلحقها بركب التنمية الحضارية والصناعية والإبداعية. مما لا شك فيه أن هذه القراءات المعاصرة آيلة إلى الفشل والسقوط بسبب جهلها بالقرآن الكريم وخصائصه اللغوية و أساليبه البيانية ومدلولاته البلاغية ومناهجه التفسيرية الصحيحة. إن المنهج الحركي التطبيقي الذي ندعو إليه، لجدير في هذا العصر بأن يُنعمَ النظر فيه و أن يُتبنّى في تفسير القرآن الكريم و فهمه وتدبره وقراءته، حتى تخرج الأمة الإسلامية من أزمتها الفكرية والنفسية والتربوية والأخلاقية والاقتصادية والدينية، و الذي سماه الأستاذ الشهيد سيد قطب: بالمنهج الحركي أو الديناميكي.

وأما طبيعة ومفهوم هذا المنهج التطبيقي الحركي، فقد بينه رحمه الله في مواطن عديدة من تفسيره ومؤلفاته قائلاً: "إن - المسألة في إدراك مدلولات هذا القرآن و إيجاءاته.. إنما هي استعداد النفس برصيد من المشاعر والمدركات والتجارب، تشابه المشاعر والمدركات والتجارب التي صاحبت نزوله وصاحبت حياة الجماعة المسلمة وهي تتلقاه في خضم المعتك..معتك الجهاد، جهاد النفس و جهاد الناس.. جهاد الشهوات و جهاد الأعداء.. جو مكة والدعوة الناشئة، والقلّة والضعف، والغربة بين الناس.. جو الشّعَب والحصار، والجوع والخوف والاضطهاد والمطاردة، والانقطاع إلا عن الله.. ثم جو المدينة: جو النشأة الأولى للمجتمع المسلم بين الكيد والنفاق.. في

هذا الجو الذي تنزلت فيه آيات القرآن حية نابضة واقعية.. كان للكلمات و للعبارات دلالاتها وإيحاءاتها.. إن طبيعة هذا الدين ترفض اختزال المعارف الباردة في ثلاثجات الأذهان الجامدة!.. إن " المعرفة " في هذا الدين تتحول لتوّها إلى " حركة "، و إلا ليست من جنس هذا الدين!..ومن ذلك تنزلت الأحكام التشريعية كلها في المدينة كحركة في المجتمع المسلم الذي قام هناك، ولم ينزل حكم واحد منها في مكة ليختزن - كمعرفة مجردة - حتى يجيء وقت التنفيذ في المدينة ! إن المعرفة للمعرفة ليست منهجاً إسلامياً. في الإسلام المعرفة للحركة، والعلم للعمل، والعقيدة للحياة.. وطبيعة المنهج الحركي الإسلامي أن يقابل هذا الواقع البشري بحركة مكافئة له ومتفوقة عليه، في مراحل متعددة ذات وسائل متجددة.. ومن أجل أن الجاهلية لا تتمثل في «نظرية « مجردة، ولكن تتمثل في تجمع حركي على هذا النحو؛ فإن محاولة إلغاء هذه الجاهلية، ورد الناس إلى الله مرة أخرى ، لا يجوز - ولا يجدي شيئاً - أن تتمثل في « نظرية « مجردة. فإنها حينئذ لا تكون مكافئة للجاهلية القائمة فعلاً والمتمثلة في تجمع حركي عضوي.. إن منهج التلقي للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول. ومنهج التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرّج الأجيال التي تليه..»،

فرحم الله أستاذنا رحمة واسعة، والله أعلم، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحابته أجمعين.

المدينة المنورة/ 12 ربيع الأول/ 1429 هـ الموافق 2008/3/20

تمهيد : سبب اختيار البحث، إشكالية البحث، منهج الباحث و تقاريط العلماء على الأستاذ سيد قطب و تفسيره

سبب اختيار البحث: أثناء قراءتي ومطالعتي لهذا التفسير العظيم، وجدت نفسي أمام موسوعة علمية دعوية ضخمة، متشعبة الأطراف مترابطة الأفكار. وجدت نفسي أمام عالم لغوي ومفكر إسلامي قد مسك بزمام اللغة العربية وناصيتها، يحركها ويطاوعها كيفما يشاء. قد لانت العبارات وانقادت له والكلمات و التعبيرات. كيف لا تنقاد لأمثاله وقد سخر قلمه في خدمتها من خلال الكتابة و التأليف في الأدب و الشعر فترة من العمر غير قصيرة، حتى أصبح رائد هذا العصر في المجال الأدبي والبلاغي، وفي علم المعاني والبيان و البديع.

وجدت نفسي أمام مفكر ألمعي قد استوعب وفهم حقيقة و فلسفة الدعوة إلى الله تبارك وتعالى بكل أبعادها؛ الإنسانية و الدينية و الاجتماعية و العلمية، وأدرك أهمية و طريقة إنزال أحكام الشريعة الإسلامية إلى أرض الواقع. وقفت أمام أستاذ قد درس القوانين الوضعية و النظم البشرية؛ من شيوعية وديمقراطية و رأسمالية و اشتراكية و علمانية وإلحادية. وقفت أمام رجل عرف و سبر أساليب الطغاة والمبشرين والمنصرين من المجرمين. لقد اطلع على أهدافهم ومؤامراتهم و مدى حبهم لهذا الدين و أهله. لقد جاء تفسيره هذا مخالفاً تماماً للتفاسير التقليدية الأخرى. فمن خصائص تلك التفاسير التقليدية غلبة الجانب اللغوي أو الفقهي أو الكلامي الفلسفي.. الخ.



أما تفسير الأستاذ سيد قطب، فإننا نستطيع أن نلاحظ فيه بوضوح أن الجانب الدعوى و الحركي والإصلاحي والتجديدي و الروحي قد غلبت و طغت على بقية الجوانب، وهذه الجوانب كانت السمات و الملامح الأساسية لهذا التفسير والمفسر، مما دفعني إلى اختياره ودراسته و تقديمه كنموذج صالح للمفسر المنشود في العصر الحديث.

**وما إشكالية البحث؛** فقد لوحظ أن هناك انحرافاً عن منهج القرآن الكريم في تفسير آياته وتدبر معانيه. و يرجع سبب هذا الانحراف إلى عدة أسباب و عوامل، منها: تفاوت مفاهيم الناس لفلسفة الدعوة و أبعادها الدينية و التربوية، واختلاف الرؤية التي ينظر منها أصحاب التخصصات الدينية المختلفة، وعدم الأخذ بعين الاعتبار أحوال المخاطبين وفقه واقعهم، و قلة العلم بالأحكام الشرعية، وعدم فقه فلسفة التفسير ومبادئه و شروطه و آدابه. ومن الذين نحسبهم، و الله حسيبهم - و لا نزكي على الله أحداً - أنهم فهموا فلسفة الدعوة إلى دين الله و تكاملت عنده أدوات و شروط و آداب المفسر؛ هو الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله.

**أما منهجي في هذا البحث؛** فسيكون استقرائياً و صفيماً و تحليلياً، مع عرض نماذج تطبيقية من أفكاره وآرائه؛ سواء أكان ذلك من تفسيره أو من مؤلفاته الأخرى، حتى نقف على آثار و نتائج تلك المؤهلات العلمية والثقافية التي كان يتمتع بها هذا المفسر المعاصر. أما البحث في العلوم الشرعية عامة و في شروط التفسير و آدابه خاصة من أهم ما يجب الاعتناء به والتعرف عليه، حتى يصفو مشرب المفسر، ويحفظ روعة الوحي و جلاله.

## تقاريف العلماء على الأستاذ سيد قطب رحمه الله

"... إن سيداً رحمه الله قد كتب تفسيره مرتين: مرة بمداد العالم، وأخرى بدم الشهيد... حروف القرآن نور... ودماء الشهداء نور... و" ظلال القرآن" نور على نور.. " 191.

"..وقد لقي الرجل ربه شهيداً في سبيل عقيدته، وترك تراثه الفكري وفي مقدمته كتابه في تفسير القرآن، المسمى: في ظلال القرآن..."، "... و هو بحق ثروة فكرية اجتماعية هائلة لا يستغني عنها المسلم المعاصر... " 192.

".. فإن ( في ظلال القرآن ) من أهم التفاسير لكتاب الله تعالى، و إنه يمثل لوناً جديداً في التفسير ونقله بعيدة فيه، وأساساً لمدرسة جديدة فريدة متميزة في التفسير هي مدرسة ( التفسير الحركي )، وإن سيد قطب يقف بظلاله رائداً للفكر الإسلامي المعاصر، ومجدداً في موضوعات أساسية في التفسير... " 193.

"...يعتبر الظلال لوناً جديداً خاصاً فريداً من التفسير و يعتبر نقلة جديدة بعيدة في التفسير... يمكن أن تعتبر سيد قطب مفسراً موهوباً و مؤسساً لمدرسة متميزة فريدة في التفسير.. " 194.

191 رزور، عدنان محمد، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، دار القلم، دمشق، ط3، ص: 261-270

192 القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط 5-1981، ص 334-335

193 الخالدي، صلاح عبد الفتاح، في ظلال القرآن في الميزان ، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة السعودية، ط1986، 1،

ص: 5

194 الرومي، فهد بن عبد الرحمن؛ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مكتبة الرشد، الرياض، ط4، 2002، ج 3،

ص: 988، نقلاً عن: في ظلال القرآن - دراسة و تحقيق: د/ صلاح عبد الفتاح دجبور، ص: 212-213

" لا شك أن الحديث عن سيد قطب -رحمه الله- تنصت له القلوب قبل الآذان، لا لأنه سيد قطب، ولكن لأنه مثال الداعية الذي أبي أن يخضع لجزوت الطاغية، فباع حياته ثمناً للدفاع عن عقيدته، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً.." 195

وإن كان لنا من حق في الإضافة لما سبق من كلام هؤلاء الأفاضل 196 من العلماء والدعاة وخادمي القرآن.. فإننا نقول: إن كلام الأستاذ سيد قطب في تفسيره في ظلال للقرآن يخرق القلوب والعقول والوجدان والعاطفة خرقاً دون استئذان من صاحبها... فلعل ذلك راجع إلى إخلاص صاحب ظلال القرآن والله أعلم، هذا ظننا فيه ولا نزكي على الله والله حسيبه... فرحمه الله رحمة واسعة.

الكلام المضاف للفائدة العلمية من كتابي: خريطة الدعوة إلى رب الأنعام في

تفسير الأستاذ سيد قطب لسورة الأنعام - دراسة تحليلية نقدية معاصرة.

---

195 من كلام الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي يحفظه الله، المرجع السابق، ج3، 998

196 كتب الله لنا أن نطبع في كوسوفا كتاباً بعنوان: خريطة الدعوة إلى رب الأنعام في تفسير الأستاذ سيد قطب لسورة الأنعام عام 2015، ط1، في مدينة مترو ويتسا، وكنت قد جمعت مادة علمية جيدة لطبع هذا الكتاب، فأحببت أن أضيف تلك المادة المتعلقة بتقاريط العلماء للأستاذ سيد قطب في هذا المجلد هنا للفائدة العلمية، والذي أعده للطباعة إن شاء الله قريباً جداً أيضاً في كوسوفا. فمن يريد المزيد فراجع الكتاب المذكور عن فكر ومنهج الأستاذ سيد قطب في تفسير الآيات - دراسة تحليلية نقدية معاصرة.

أولاً : تقاريط العلماء عن الأستاذ سيد قطب وتفسيره<sup>197</sup>:

1- سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله حيث سئل في حلقة إذاعية في برنامج " نور على الدرب " ثم بثت الحلقة على الشبكة العنكبوتية - الإنترنت -، فقال ما ملخصه:



<sup>197</sup> ومع احترامنا الشديد لمعالي المفتي حفظه الله، إلا أنه لنا اعتراض على معالي المفتي حفظه الله على هذه الجملة - بأن كتاب في ظلال القرآن - ليس كتاب التفسير!! أقول إنه قد أثبتت البحوث والدراسات التفسيرية المعاصرة في عالم التفسير والمفسرين بأن الكتاب " في ظلال القرآن" كتاب تفسير منهجي بكل المعايير العلمية والمنهجية المتفق عليها، كما أنه كتاب دعوة إلى الله تعالى باتفاق المفسرين المعاصرين، إلا من لا يُعتدّ بقوله من عموم الدعاة والمثقفين! وأن الأستاذ سيد قطب قد توفرت لديه كافة الشروط والمؤهلات العلمية والثقافية والشرعية للمفسر المثالي، وله لون وطعم ومنهج خاص، فهو كتاب تفسير بلا نزاع، ومن قبيل السهل الممتنع، والله أعلم.

"..يا إخواني كتاب " في ظلال القرآن " ليس كتابا في التفسير؛ هو قال في ظلال القرآن، كأنه يقول للمسلمين هذا القرآن نظام الأمة، فعيشوا في ظلاله واستقوا من آدابه وانهلوا من معينه الصافي، وأقبلوا بقلوبكم على القرآن لتجدوا فيه علاج مشاكلكم وحل قضاياكم وتفريج همومكم إلى آخره. والكتاب - أي في ظلال القرآن - له أسلوب عال، هذا الأسلوب الذي كتب به سيد كتابه قد يظن بعض الناس غالباً من بعض العبارات أن فيها شركاً أو قدحا للأنبياء أن وأن...، ولو أعاد النظر في العبارة لوجدها أسلوباً أدبياً راقياً عالياً، لكن لا يفهم هذا الأسلوب إلا من تمرس بقراءة الكتاب...، والكتاب لا يخلو من ملاحظات وأخطاء، لكن في الجملة أن الكاتب كتبه من منطلق غيرة وحمية للإسلام، والرجل صاحب تربية وعلوم ثقافية عامة...، والأشياء التي أخطأ فيها عذره قلة العلم...، لكنه صاحب ثقافة عامة وعباراته أحيانا يفهم البعض خطأ لأن أسلوبه فوق أسلوب من يقرأه، فلو أعاد النظر لم يجد هذه الاحتمالات، وعلى طالب العلم أن يقرأ بعض المقاطع النافعة والمفيدة ولا يحمل الألفاظ فوق ما تحتل ولا يسيء الظن وينبغي الانصاف والاعتدال والرجل استشهد أو قتل شهيدا رحمه الله، وله كتب كانت فيها أخطاء ثم تراجع عنها وعدل عن منهجه السابق...<sup>198</sup>

<sup>198</sup> رجاء استمع إلى الحلقة على الرابط التالي في يوتيوب بعنوان: مفتي السعودية سيد قطب صاحب جهاد وفكر و دعوة

و قتل شهيدا <https://www.youtube.com/watch?v=pE8mQwgMt8k>

## 2- تقریظ الأستاذ الشيخ مناع القطان رحمه الله

قال رحمه الله:

".. وبرز من رجال هذه الجماعة، العالم الفذ والمفكر الأملعي الأستاذ سيد قطب الذي فلسف الفكر الإسلامي، وكشف عن مفاهيمه الصحيحة في وضوح وجلاء . وقد لقي الرجل ربه شهيداً في سبيل عقيدته، وترك تراثه الفكري وفي مقدمته كتابه في تفسير القرآن، المسمى: **في ظلال القرآن..**"، و".." وهو بحق ثروة فكرية اجتماعية هائلة لا يستغني عنها المسلم المعاصر .."199.



(الشيخ مناع القطان رحمه الله)

199 القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، القاهرة - دار غريب للطباعة والنشر، ط 5-1981، ص: 334-335.

### 3- تقریظ الأستاذ الدكتور عدنان محمد زرزور حفظه الله

يقول الأستاذ الدكتور حفظه الله:

"الظلال - إذن دليل عملي مكتوب إن صح مثل هذا التعبير - إلى المجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية، وليس دليلاً ثقافياً لعلوم القرآن أو علوم التفسير أو علوم الثقافة الإسلامية من فقه أو أصول وتاريخ جدل أو خلا... حتى جاء تفسيره لكلام الله تعالى أشبه ما يكون بالجدول المنساب المترقق الذي يأخذ طريقه إلى الحقول والمزارع وديعاً ساكناً مطمئناً... ليخرج نباتها الطيب بإذن ربها ولتنبت أجيال القرآن نباتاً حسناً تعيد سيرة أجيال القرآن الأولى إن شاء الله.. ومن يدري؟ فلعل هذا القبول الذي كتبه المولى سبحانه لهذا التفسير يعود إلى هذا الذي ذكرنا وإلى أن سيداً رحمه الله قد كتب تفسيره مرتين: مرة بمداد العالم، وأخرى بدم الأستاذ.. حروف القرآن نور.. ودماء الشهداء نور.. و"ظلال القرآن" نور على نور.."<sup>200</sup>



(أ.د. عدنان محمد زرزور حفظه الله)

<sup>200</sup> زرزور، عدنان محمد، مدخل إلى تفسير القرآن و علومه، ص: 261-270 .

4- تقرّظ الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي حفظه الله يقول الأستاذ " .. فإن (في ظلال القرآن) من أهم التفاسير لكتاب الله تعالى، وإنه يمثل لوناً جديداً في التفسير ونقله بعيدة فيه، وأساساً لمدرسة جديدة فريدة متميزة في التفسير هي مدرسة " التفسير الحركي "، وإن سيد قطب يقف بظلاله رائداً للفكر الإسلامي المعاصر، ومجدداً في موضوعات أساسية في التفسير .. " <sup>201</sup>.



(أ.د. صلاح عبد الفتاح الخالدي حفظه الله)

<sup>201</sup> الخالدي، صلاح عبد الفتاح، في ظلال القرآن في الميزان -دراسة و تقويم، دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة، السعودية، ط 1-1986، ص: 5 .



## 5- تقریظ الأستاذ الدكتور نصیر زروق حفظه الله

يقول حفظه الله:

"الأستاذ سيد قطب مجدد القرن الرابع عشر بلا منازع. والإمام. وهو صاحب فكر قرآني كبير، قدم لنا في مؤلفاته رؤية عميقة، ارتكزت على الكليات الشرعية ولم تحمل الجزئيات، واستندت إلى القطعيات لتتنظم تحتها الظنيات، وتنسجم معها في يسر ووضوح وموضوعية. والأستاذ بذلك فتح للبحث في الشريعة آفاقا، ووسع للنظر فيها أعماقا، مواجهة للفكر الوافد من الغرب وتحريكا للراكد في الشرق، برهنة على قدرة هذه الشريعة على توجيه الحياة الخاصة والعامة، فردا ومجتعا ودولة..."<sup>202</sup>.



( أ.د. نصیر زروق حفظه الله )

<sup>202</sup> زروق، نصیر؛ مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سييد قطب، مقدمة الكتاب.

**6-** تقرّظ الداعية الشيخ الدكتور سلمان العودة حفظه الله، حيث يقول: "والذي يخاف الله يتورع عن أعراض عامة المسلمين ، فضلاً عن خاصتهم من أهل العلم، والدعوة والجهاد والدين. والذي أدين الله به أن الأستاذ سيد قطب من أئمة الهدى والدين ومن دعاة الإصلاح، ومن رواد الفكر الإسلامي...سخر فكره وقلمه في الدفاع عن الإسلام، وشرح معانيه، ورد شبهات أعدائه، وتقرير عقائده وأحكامه، على وجه قلّ من يباريه أو يجاربه في هذا الزمان. وكان حديثه حديث المعاش الذي لابس همّ الإسلام قلبه، وملك عليه نفسه، قد شغله الحزن على الإسلام، والغضب له، حتى عن ذاته وهوومه الخاصة.."<sup>203</sup>.



(الشيخ الداعية د. سلمان العودة حفظه الله)

**7** - وأثناء دراستي وتقليبي لصفحات التفسير والمفسرين في المواقع الموثوقة على الشبكة العنكبوتية -الإنترنت رأيت شهادات أُحر من العلماء في غاية

<sup>203</sup>سيد قطب بعد 43 عاما من استشهاده لمجموعة من الباحثين، قدم له الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي و عني به

عصام فارس، وانظر:

الأهمية في موقع المصحف الجامع<sup>204</sup>، في صفحة التعريف بكتب التفاسير، حيث ينبغي أن تسجل هذه الشهادات بماء الذهب إلى قيام الساعة في الدفاع عن تفسير " في ظلال القرآن الكريم " والأستاذ سيد قطب، أرى من المهم ذكره في هذا الصدد وفي جملة التقاريط للعلماء، حيث جاء فيه مانصه:

" لقد تعرض كتاب الظلال وصاحبه لحملة ظالمة من التجريح والتكفير من بعض الغلاة والمتشددين، وقد رفع بعضهم شكواهم لفضيلة الشيخ/ حمود بن عقلاء الشيعي وهو عندهم ثقة ومرجع، فأجابهم برسالة جاء فيها:



"... استهداف سيد قطب رحمه الله لم يكن استهدافا مجردا لشخصه، فهو ليس الوحيد من العلماء الذي وجدت له العثرات، فعنده أخطاء لا ننكرها، ولكن الطعن فيه ليس لإسقاطه هو بذاته فقد قدم إلى ربه ونسأل الله له الشهادة، ولكن الذي لا زال يقلق أعداءه وأتباعهم هو منهجه الذي يخشون أن ينتشر بين أبناء المسلمين.

وإني إذ أسمع الطعن في سيد قطب رحمه الله لا أستغرب ذلك لقوله الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]، فكل من معه نور من النبوة أيضا له أعداء من أهل الباطل بقدر ما معه من ميراث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فما يضير سيدا طعن الطاعنين، بل هو رفعة له وزيادة في حسناته، ولكن الذي يثير الاستغراب هو فعل أولئك القوم الذين يدعون اتباع الحق ومع ذلك ينقصون الميزان ولا يزنون بالقسطاس المستقيم والله يقول: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: 1-3]، فأولئك إذا أرادوا مدح أحد عليه من المآخذ ما يفوق سيدا بأضعاف قالوا كلمتهم المشهورة "تغمس أخطاؤه في بحر حسناته" وقالوا "إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث" وغير ذلك، وإذا أرادوا ذم آخر كسيد رحمه الله الذي يُعدّ مجددا في باب (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) سلكوا معه طريق الخوارج وكفروه بالمعاصي والزلات.

وسيد رحمه الله لا ندعي له العصمة من الخطأ، بل نقول إن له أخطاء ليس هذا مجال تفصيلها، ولكنها لا تخل بأصل دعوته ومنهجه، كما أن عند غيره من الأخطاء التي لم تقدر في منزلتهم. وعلى سبيل المثال ابن حجر والنووي وابن الجوزي وابن حزم، فهؤلاء لهم أخطاء في العقيدة إلا أن أخطاءهم لم تجعل أحدا من أبناء الأمة ولا أعلامها يمتنع من الاستفادة منهم أو يهضمهم حقهم وينكر فضائلهم، فهم أئمة إلا فيما أخطئوا فيه، وهذا الحال مع سيد رحمه الله فأخطأوه لم تقدر في أصل منهجه ودعوته لتوحيد الحاكمية وتعبيد الناس لربهم.

والقاعدة التي يجب أن تقرر في مثل هذه الحالات هي ما يستفاد من قول الله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [ البقرة: ٢١٩ ]، فكل من حقق ما يجب تحقيقه من أصل الدين، يُنظر بعد ذلك في سائر منهجه؛ فإن كان خطؤه أكثر من صوابه وشره يغلب على نفعه فإنه يُهمل قوله وتطوى كتبه ولا تُروى، وعلى ذلك فالقول الفصل في سيد رحمه الله أن أخطاءه مغمورة في جانب فضائله ودفاعه عن ( لا إله إلا الله )، لا سيما أنه حقق أصول المعتقد الصحيح، وإن كان عليه بعض المآخذ وعبارات أطلقها لا نوافقه عليها رحمه الله.

وختاما لا يسعني إلا أن أذكر أنني أحسب سيدا؛ والله حسيبه؛ يشمله قوله عليه الصلاة والسلام: ( سيد الشهداء حمزة،<sup>205</sup> ورجل قام عند سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله)، فحسب أن سيدا رحمه الله قد حقق ذلك الشرط حيث قال كلمة حق عند سلطان جائر فقتله.. وأنقل كلمة له رحمه الله قبل إعدامه بقليل عندما أعجب أحد الضباط بفرح سيد قطب وسعادته عند سماعه نبأ الحكم عليه بالإعدام "الشهادة" وتعجب لأنه لم يحزن ويكتئب وينهار ويحبط فسأله قائلاً: أنت تعتقد أنك ستكون شهيدا فما معنى شهيد عندك؟ أجاب رحمه الله قائلاً: الشهيد هو الذي يقدم شهادة من روحه ودمه أن دين الله أعلى عنده من حياته، ولذلك يبذل روحه وحياته فداء لدين الله. وله رحمه الله من المواقف والأقوال التي لا يشك عارف بالحق أنها صادرة عن قلب قد مليء بحب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، وحب التضحية لدينه، نسأل الله أن يرحمنا ويعفو عنا وإياه. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... قاله / حمود بن عقلاء الشعبي 1421/5/16 هـ..<sup>206</sup>

## 5- وأقول أنا أيضا ودون مبالغة، والله على ما أقول شهيد:

إن التفسير "في ظلال القرآن" تفسير عقدي<sup>207</sup> دعوي، اجتماعي أخلاقي، أدبي بلاغي، منهجي أكاديمي، ديناميكي تربوي<sup>208</sup> معاصر من الدرجة الأولى. يُحْيِي الله بقرائه القلوب الميتة، ويوقظ الضمائر الغافلة وينصر النفوس المهزومة. إنه يبكي العيون الناشفة، ويزرع في قلب قارئه حب الله ورسوله والقرآن والمسلمين وحب كاتب التفسير أيضا. كما أنه يوقد

<sup>205</sup> وفي رواية من حديث جابر بن عبد الله: ( سيدُ الشهداءِ حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ ، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ فأمره ونهاه فقتله ) ، وقد صححه الإمام المحدث الألباني في السلسلة الصحيحة: الرقم: 374... انظر الموسوعة الحدِيثية على الشبكة

الغنيبوتية الإنترنت: [www.dorar.net](http://www.dorar.net)

<sup>206</sup> <http://www.mosshaf.com/ar/main>

<sup>207</sup> و يجوز: عقدي أيضا... كلا الاستعمالين مشاع بين الباحثين، أي نسبة إلى العقيدة

<sup>208</sup> انظر الدراسة الرائعة بعنوان: معالم الفكر التربوي عند سيد قطب، للدكتور محمود خليل أبو دف - أستاذ أصول

التربية المشارك، نشرته موقع جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام 2002، <http://uqu.edu.sa/page/ar/67820>

في نفوس الدعاة إلى الله وطلبة العلم الشرعي شُعلة الإيمان بالله للمضي قدماً إلى الله، راسماً لهم خريطة الدعوة و كيفية الوصول إلى مرضاة الله من خلال تطبيق شرعه جملة وتفصيلاً في كافة مجالات الحياة. يوضح الطريقة في كيفية التعامل مع المدعوين والمخاطبين على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم ومستواهم المعرفي والثقافي، آخذاً في عين الاعتبار أحوالهم الفكرية والنفسية والسلوكية، متدرجاً بهم إلى فهم سنن الله في نهوض الأمم والحضارات وانتصار الشعوب. إنه ينظّم أفكار المسلمين المتشتتة، و يقيّم صفوفهم المعوجّة، ويُجلي لهم حقيقة الإسلام وطبيعة المنهج الرباني للسير على بصيرة وعلم وهدى وكتاب منير. فطوبى لصاحبه ولقارئ تفسيره والعامل بما فيه، والله أعلم.



(د. خيرالدين خوجة الكوسوفي كاتب هذه السطور غفر الله له ولوالديه<sup>209</sup>)

<sup>209</sup> لنا دراسة منشورة في المدينة المنورة وفي عمان - الأردن، بعنوان: المؤهلات العلمية والثقافية التي يجب أن يتحلى بها المفسر - الأستاذ سيد قطب نموذجاً، وتم تقديمها في المؤتمر العالمي في عمان-الأردن 2008، كما أننا نشرنا كتاباً آخر بعنوان: خريطة الدعوة إلى رب الأنام في تفسير الأستاذ سيد قطب لسورة الأنعام، ط1، ميتروووتيسا - كوسوفا، 2016، وهناك دراسات أخرى عن هذا المفسر المظلوم قيد الأنجاز قريباً سترى النور بإذن الله.

## الصل الأول: سيد قطب: حياته و فكره، آداب المفسر وشروطه

### المبحث الأول: التعريف بهذا المفسر؛ مولده، نشأته، أعماله واستشهاده

سيد هو ابن قطب بن إبراهيم بن حسن الشاذلي. ولد في التاسع من شهر أكتوبر عام ست وتسعمائة و ألف للميلاد (9/10/1906 م)، بقرية موشا، إحدى قرية من قرى الصعيد، تتبع محافظة أسيوط، التي قدم إليها جده الخامس من الهند<sup>210</sup>. أحدث مولده حدثاً سعيداً لأنه بصفة خاصة لأنه طمأنها على استمرار واستقرار حياتها الزوجية، ولا سيما أنها الزوجة الوحيدة لأبيه الذي ينتمي إلى مجتمع قروي صعيدي الذي يعتبر الرجال ثروة للمفخرة و التكاثر.. " 211.

لقد ولد رحمه الله : " في مجتمع قروي صعيدي الذي أحاط به آنذاك غلب الفقر وغلب الحرمان، غلب الجهل والمرض والكد المتواصل في الأرض والزرع، وغلب الجور من الحكام، حتى سيّرت الحياة فيه خرافات التقاليد و بدع المعتقدات، وحكّمته قوانين اللصوص والمناسر.. "212. كان أبوه ميسور الحال، كريم الإنفاق<sup>213</sup>.

وفي 3/11/1948 م سافر سيد قطب إلى أمريكا<sup>214</sup> في بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج الأمريكية. أحدث سفر الأستاذ

<sup>210</sup> الرومي، فهد بن عبد الرحمن؛ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرياض، ط4، 2002، ج 3، ص: 989

<sup>211</sup> انظر: الأعلام، ل:خيرالدين الزركلي، بيروت،، دار العلم للملايين، ط7-1987، ج 3، ص: 147-148

<sup>212</sup> حسين، عبد الباقي محمد، سيد قطب حياته و أدبه، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط 1-1986م، ص

17: نقلاً عن: طفل في القرية، ص211-212. وانظر: سيد قطب الشهيد الحي، عبد الفتاح صلاح الخالدي، ص: 46.

فما بعد

<sup>213</sup> بركات، محمد توفيق، سيد قطب خلاصة حياته، منهجه في الحركة، النقد الموجه إليه، ص : 9 .

<sup>214</sup> انظر: الأعلام للزركلي، ج3، ص: 147-148 .



الشهيد سيد قطب إلى أمريكا تغييراً جذرياً في فكره، ولكن على عكس ما كانوا يتوقعون منه. فلقد ازداد الرجل إيماناً و يقيناً بالله أكثر من ذي قبل. فقد استيقن أن ما عند الإسلام من منهج ونظام وعقيدة للحياة هو الحق، وأن ما عند غيرهم هو الباطل.. وعندما رجع سيد قطب من أمريكا ألف كتابه : (أمريكا التي رأيت)، و كان قد زود نفسه وفكره بالإيمان و شعور بالمسؤولية التي على عاتقه كداعية ومفكر.

### مؤلفاته و آثاره

خلف الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله مكتبة ضخمة من المؤلفات المنشورة وغير المنشورة ومئات المقالات المنشورة في الصحف و الجرائد والمجلات، و في هذه الثروة الضخمة لأكبر دليل على سعة علم الرجل و ثقافته. ويمكن تقسيم هذه الثروة العلمية الغالية باعتبار المراحل والتطورات الفكرية التي مر بها هذا العَلم في حياته، إلى مرحلتين: الأولى: كتب ومؤلفات ما قبل انتسابه إلى الإخوان المسلمين، الثانية: كتب و مؤلفات ما بعد انتسابه إلى الإخوان المسلمين، أو بعد تفرغه للكتابات الإسلامية تفرغاً كاملاً. وفي حقيقة الأمر هذه مسألة مهمة للغاية، لأن معرفة مؤلفات الأستاذ حسب التسلسل التاريخي والمراحل الزمنية التي كتبها، مهم جداً لملاحظات التطورات الفكرية التي مر بها. و قد بلغ عدد مؤلفات الأستاذ الشهيد قرابة 80 مؤلفاً في مختلف المجالات الفكرية و الدينية و الأدبية، ما عدا كتابه الأم ( في ظلال القرآن )، و ذلك حسب دراسة وإحصائيات الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي حفظه الله، بالإضافة إلى مئات المقالات التي كان يكتبها يومياً للصحف والمجلات المختلفة. و نظراً لكثرة عناوين مؤلفاته فإن هذه الورقة العلمية المعدة للمؤتمر

العالمي، ذات الصفحات المحدودة لا تسمح لي بأن أسرد وأذكر كل تلك الأعمال و المؤلفات<sup>215</sup>، و إلا لذكرتها.

### استشهاده

خاض الأستاذ الشهيد سيد قطب كل مراحل الصراع والمحن التي بدأت منذ عام 1954م، وقد أدرك الأستاذ سيد قطب هذا المعنى، و أكد عليه في مواضع عديدة في تفسيره وكتبه؛ أن طريق الدعوة إلى الله ليس مفروشاً بالزهور والرياحين، بل هي مليئة بالأشواك والعقبات. قُدم للمحاكمة مع الكثيرين من الإخوان، وأصدرت السلطات المصرية الحكم عليه و على سبعة من إخوانه بالإعدام، ونفذ فيه الحكم بالإعدام في فجر الاثنين 13/جمادى الأولى / 1386 هـ، الموافق 1966/8/29 م. و بعد إصدار الحكم عليه قال الشهيد كلمته المشهورة : (الحمد لله لقد عملت خمسة عشر عاماً من أجل الحصول على الشهادة)<sup>216</sup> .

فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وجعلنا الله من أمثاله ومن الذين لا يخشون أحداً إلا الله، وأن لا يأخذنا في الله لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

<sup>215</sup> انظر للمزيد: الخالدي ، سيد قطب الشهيد الحي، ص: 219- 220 .

<sup>216</sup> انظر: سيد قطب حياته و أدبه، ص: 47-48 ، وكذلك انظر: سيد قطب سيرة ذاتية، ص: 49

المبحث الثاني: الرد على بعض الشبهات التي قيلت في حق هذا المفسر وتفسيره  
و أصالة المنهج الذي اتبعه في تفسيره

### المطلب الأول: ذكر بعض الشبهات و الرد عليها

لله در القائل: ( و إذا أراد الله نشر فضيلة طويت – أتاح لها لسان الحسود ).

لم يسلم الأستاذ سيد قطب من التهم والافتراءات من قبل أعدائه وخصومه، سواء المسلمون منهم أو غير المسلمين. ومن الذين نالوا من قدره و حطوا من شخصه كثيرون، نخص من بين هؤلاء؛ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي، والدكتور أحمد صلاح الدين الموصللي الذي قال:

"..ولكن قطب لم يكن لديه معرفة عميقة بالفلسفة و العلوم و التاريخ ، أو حتى بالعلوم التقليدية، فبالرغم من أن معرفته كانت تتسم بالشمولية وتعدد الحقول، لم يكن سيد قطب عالماً بالمعنى العلمي الأكاديمي...و أنه أبدى فقراً في فهم النبوة...وأن المفكرين الآخرين و حتى غير مسلمين أعطوا للرسول و دوره فهماً أفضل من سيد قطب، وأن الكثير من أفكار سيد قطب مشابهة لأفكار الفلاسفة... " 217.

أما قوله: " بأن سيداً لم يكن عالماً "، فمقتضى هذا الكلام أنه جاهل...؟! فهذه الدعوى تحتاج إلى دليل لإثباتها تمثياً مع القاعدة العلمية عند علماء المسلمين:

217 انظر: الفكر الإسلامي المعاصر – دراسات و شخصيات – سيد قطب – بحث مقارن لمبادئ الأصوليين

والإصلاحيين د / أحمد صلاح الدين الموصللي ، ص : 46- 56 – 57 – 152

( إن كنت ناقلًا فالصحة أو مدعيًا فالدليل). فلأسف الشديد لم نر الدليل في كتاب هذا الأستاذ الأكاديمي؟! لقد كثرت اتهاماته للسيد قطب عشوائياً دون أن يثبت لنا شيئاً من تلك الافتراءات في كتابه هذا، أو على الأقل أن يذكر خطأ واحداً من أخطاء سيد قطب في التاريخ أو في الفلسفة أو العلوم الأخرى.. لأن من شأن الجاهل أن يتخبط خبط عشواء، أو ويخطئ أو يخون في النقل أو يغلط أو تنزلق قدمه أو ينزلق لسانه.. الخ، وهذا مما لم يذكره لنا الأستاذ المذكور. فإلى كلام الأستاذ الأكاديمي تطرق احتمال كبير، ومع الأسف يسقط به الاستدلال، ولا يلتفت إليه، والله أعلم. أما اتهامات وافتراءات الدكتور ربيع بن هادي المدخلي غفر الله لنا و له<sup>218</sup>، فليس هذا مجال مناقشتها و الرد عليها. بل لا أباغ، إن قلت إن من يملك

<sup>218</sup> و راجع للمزيد حول هذه الافتراءات و الأكاذيب في حق الأستاذ الشهيد: العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم، ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان، ط2، 2001، عجمان، الإمارات العربية المتحدة، و قد صدر هذا الكتاب بمقدمة من الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني رحمه الله، تورط هو الآخر في هذه المشكلة ووافق الأستاذ ربيع المدخلي وأثنى عليه ثناء حسناً، و الله المستعان!! و انظر أيضاً: الحد الفاصل بين الحق والباطل، ربيع بن هادي عمير المدخلي، 2000، (ط.د.)، عجمان، الإمارات العربية المتحدة؛ المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال، 1998، ط2، عجمان، الإمارات العربية المتحدة، للمؤلف المذكور السابق؛ فقرءات وانتقادات الأستاذ ربيع بن هادي المدخلي تتسم بالانتقائية والجزئية والسطحية لبضعة من مؤلفات الأستاذ الشهيد سيد قطب، (ثمان مؤلفات فقط كما صرح هو بذلك)، من مجموع ثمانين مؤلفاً كما ذكرنا في ترجمته. و أيضاً تتسم بالتلفيقية بين كلامه هو، و بين كلام وفتاوى وآراء العلماء والمشايخ في المملكة العربية السعودية عندما سئلوا: ما رأيكم فيمن يقول كذا و كذا (دون ذكر لاسمه)، و يقتبسون سطرًا واحداً من كلام الأستاذ سيد قطب، دون أن يذكروا حتى اسم الأستاذ أو شيئاً من جهوده المباركة! و ذلك للإيهام و الترمويه و التضليل. فكانت الإجابات من هؤلاء العلماء الأفاضل، إلا ما رحم الله، دون أن يفهموا حقيقة السؤال أو السائل أو المستفتي. فلا أدري كيف خفي على الدكتور المدخلي الحقيقة العلمية؛ أنه لم يكن من منهج السلف الصالح تتبع زلات الآخرين! و الله المستعان. كما أنها أيضاً تتسم بالتحريضية و العداوة ضد مؤلفات الأستاذ سيد قطب. تظهره هذه الحقائق لكل من يطالع ردوده على الأستاذ سيد قطب. وانظر أيضاً: أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب و فكره للمؤلف المذكور؛ وانظر أيضاً: الأضواء السلفية على الجماعة الإخوانية، تأليف أم أيوب نورة بنت أحسن غاوي، ط1، 2004، مجالس الهدى للإنتاج و التوزيع، الجزائر، حيث لم تسلم هذه الكاتبة أيضاً من الوقوع في مثل هذه التناقضات و الترهات، حيث صدرت كتابها بمقدمة من الشيخ العلامة المجاهد، الدكتور ربيع بن هادي المدخلي، كما سمته هي!!

ذرة من الثقافة الإسلامية إذا قرأ تلك الافتراءات التي سطرها الأستاذ المذكور في كتبه في حق الأستاذ سيد قطب، سيدرك تمام الإدراك وسيستيقن أنها تفقد الموضوعية و المنهجية العلمية في النقد البناء. و قد رجعت بنفسي إلى تلك الكتب والمقالات الانتقائية والقراءات الجزئية، فوجدتها، والله أعلم، أن صاحبها ما أراد بذلك وجه الله عز وجل، بقدر ما أراد التشهير والاشتهار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم  
219

ولا تفوتني في هذه المناسبة المباركة، دفاع المجاهد الشهيد عبد الله عزام رحمه الله عن سيد قطب في كتابه: (عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب)، عندما طالب الشهيد عزام من الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله أن يعتذر من سيد قطب... قال الشيخ الشهيد عبد الله عزام قولته المشهورة المبنية على العلم و الفقه و الفهم الأصيل للإسلام و أصوله.. قال:

" كان الأولى و الأورع في دين الله قبل أن نتهم سيد قطب بالقول بوحدة الوجود، أن نقرأ له أولاً، ثم بعد ذلك نقدم المنطوق الصريح له على المنطوق غير الصريح، و نقدم المفسر من قوله على القول المبهم له، و نقدم بالترجيح المنطوق على المفهوم، و نقدم عبارة النص على إشارة النص. هذه من القواعد الأساسية في علم الأصول للخروج بأحكام. فإذا تعارضت النصوص لا بد من الجمع أولاً، ثم النسخ، ثم الترجيح.. " 220.

219 انظر كتابي: خريطة الدعوة إلى رب الأنام في تفسير الأستاذ سيد قطب لسورة الأنعام، لتقف على تفاصيل أوفى.

220 الأضواء السلفية على الجماعة الإخوانية، ص: 192، نقلاً عن: عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب،

للشيخ عبد الله عزام.

لعمري إن هذا الحكم هو حق الإنصاف و عين العدل.. فرحمكما الله عز وجل  
أيها الشهيدين الفاضلين. و يمكننا أن نجمل الشبهات التي أثيرت حول تفسير " في  
ظلال القرآن" في شبهتين هما :

1. شروط المفسر غير متوفرة في شخصية و فكر سيد قطب رحمه الله!؟
2. تفسير " في ظلال القرآن" يخالف منهج أهل السنة والجماعة في التفسير!؟

أ- قد قام بعض الباحثين والدارسين الفضلاء المهتمين بهذه القضية بتفنيد  
هاتين الشبهتين، وللأهمية نذكر مقتبسات من كلامه: " إن الشبهة الأولى لا تقوم  
على أي أساس علمي، بل هي فرية يطلقها أعداء الشهيد سيد قطب رحمه الله و  
هي دعاية مغرضة ضد تفسيره "في ظلال القرآن" الذي يعتبر بحق أهم تراثه  
الفكري... ولعلنا إذا رجعنا إلى ترجمة سيد قطب، سنجد أنه حفظ القرآن ولم يبلغ  
العاشرة من عمره... وفضلا عن ذلك فسيد من خريجي كليه دار العلوم، وهي معقل  
لعلوم اللغة العربية، والدراسات الإسلامية فكيف يقال عنه إنه لا تتوفر فيه شروط  
المفسر!؟.

ثم إذا دققنا النظر في شخصية سيد قطب العلمية، وجدناه متوفرا على أهم  
الشروط العلمية والأدبية والأخلاقية، التي تؤهله لأن يكون مفسرا للقرآن الكريم.  
ويمكننا أن نحدد في النقاط التالية:

- 1- كان سيد قطب رحمه الله على معرفة تكاد تكون تامة باللغة العربية، كما أنه  
خبير الأساليب العربية، واطلع على خفاياها البلاغية، ويتضح لنا ذلك من خلال  
كتاباته الأدبية والنقدية.

2- يملك سيد قطب رحمه الله موهبة أدبية ، وطاقة فكرية، مكنته من أن يبدع في مختلف الأجناس الأدبية، كالقصة، والشعر.

3- كان سيد قطب على اطلاع واسع على الفكر الغربي، ووعي شامل بمشكلات العصر وأزماته، مما جعله يضع يده على مكنن الداء في الأمة الإسلامية، ويعالج قضاياها ومشكلاتها من وجهة نظر إسلامية.

4- ومن أهم آداب المفسر التي كان يتمتع بها سيد قطب رحمه الله؛ الإخلاص وصدق التوجه إلى الله تعالى، وقد زادت الابتلاءات المتوالية عليه تأكيد إخلاصه، وسعيه إلى مرضاة الله، وزهده في الدنيا وإصراره على قول كلمة الحق، ولو كان ذلك يساوي حبل المشنقة، وقد حصل!.

ب- أما الشبهة الثانية والتي يدعي أصحابها أن " في ظلال القرآن " يخالف منهج أهل السنة في التفسير، المبني على القواعد الخمس الأساسية: تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة، تفسير القرآن بقول الصحابة، تفسير القرآن بقول التابعين و تفسير القرآن بمطلق اللغة. نحب أن نوضح أن منشأ هذه الفرية هو السطحية في قراءة ودراسة "في ظلال القرآن"، وتعميم الأحكام المستخلصة من دراسة جزء بسيط من التفسير على التفسير كله...وهناك نقطة أخرى قد تزيل كثيرا من اللبس والغموض، وتبوء تفسير "في ظلال القرآن" مكانته المتميزة، وهي أنه على خلاف ما يدعى من أن هذا التفسير تفسير أدبي أو اجتماعي، أو هما معا، فإن التفسير في حقيقته غير ذلك كله، وتصنيفه التصنيف الصحيح لا يتم إلا بدراسة نصية مقارنة، ومتأنية، ولعل دراسة من هذا النوع تكشف عن مقومات وخصائص منهجية وتصورية، تجعل في "ظلال القرآن" تفسيراً متميزاً عن التفاسير ذات الصبغة

الأدبية، أو الاجتماعية، ويمكننا بعد قيامنا بدراسة مستفيضة لهذا التفسير أن نؤكد بأن له منهجًا خاصًا، وتصورًا خاصًا يميزانه عما سواه، بل حتى الهدف من إعدادهِ، وإخراجه إلى الناس، هدف خاص ومتميز، فصاحبه قد أعده ليكون زادًا للمسلم المعاصر ليتسلح به في معترك الحياة، وليحيا به حياة إسلامية، وليدفعه إلى الحركة والعمل والجهاد من أجل إقامة مجتمع مسلم. ومن ثم نرى أن يسمى هذا التفسير بإحدى التسميتين: تفسير حركي للقرآن الكريم، وتفسير داعية.

والنظر إلى تفسير سيد قطب من هذه الزاوية - أي على أنه تفسير حركي أو تفسير داعية - سيجعلنا ندرك الأسباب التي جعلته، لا نقول يتخفف من الالتزام الحرفي بمنهج أهل السنة في التفسير، ولكن لا يكرر ما يوجد في كل تفاسير القرآن الكريم - قديمها وحديثها - فهو لم يرد لتفسيره أن يكون اجترارًا لما سبق... ولم يرد أن يضيع طاقته ووقته في مواجهة عصره بكل تياراته الفكرية، واتجاهاته السياسية وخططه الاقتصادية، وأمطاه الحضارية، وإنما أراد أن يطلع الناس على ما يتضمنه القرآن الكريم من عقيدة توقظ الضمير، وتملأ القلب، وتحرك الجوارح، وتدفع إلى العمل والكفاح من أجل إثبات الذات، وتحقيق الكرامة الضائعة، وسحق المؤامرة، ودحر أعداء الإسلام في الداخل والخارج، ثم العمل على أن يعود الإسلام مرة ثانية لقيادة البشرية. فتفسير " في ظلال القرآن "، قد جاء استجابة لحاجة إيمانية وثقافية للمسلم المعاصر، ولذلك نجد سيد قطب في تفسيره هذا، يبعد عن الخوض في القضايا الفلسفية أو الكلامية، أو الرد على الشبهات، أو الجدل العقيم، ويوجه كل همه إلى عرض التصور الإسلامي بأسلوب جزل بسيط، وخال من كل تعقيد، وذلك حتى يكون لدى المسلم عقيدة صحيحة، وفهما سليما لمبادئ ومفاهيم الإسلام الأساسية، يشكلان في مجملهما حصانة ضد أي غزو ثقافي وتدفعانه بالتالي إلى تحقيق الإسلام



جملة وتفصيلاً في عالم الواقع، بقلب مؤمن، وجنان ثابت، وعزيمة قوية، وبحماسة، وصدق، وإخلاص... "221.

ونضيف هنا و نقول بأن دراستنا أثبتت أن منهج الأستاذ سيد قطب في تفسيره هو عين منهج أهل السنة و الجماعة، و لم يشذ عنهم، والله أعلم.

### المطلب الثاني: أصالة المنهج الذي اتبعه الأستاذ الشهيد في تفسيره

علاوة على ما تقدم في تنفيذ تلك الشبهات المثارة على الأستاذ سيد قطب ومنهجه في الدعوة والتفسير، فإنني أود أن أضيف و أن أؤكد؛ بأننا إذا أخذنا بعين الاعتبار الظروف السياسية والاجتماعية والأدبية التي أحاطت بعصر الأستاذ سيد قطب رحمه، فإننا حتماً سنفهم سر و حكمة منهج الأستاذ سيد قطب في تفسيره ودعوته إلى الله تعالى. لقد انطلق هذا المنهج في تفسيره خاصة و في مؤلفاته عموماً من مبدأ التركيز على دعوة المسلمين إلى إصلاح العقيدة على حقيقة الألوهية والعبودية، ثم دعوتهم إلى إصلاح حياتهم ومعاشهم وفق منهج قرآني، و بيان منهج القرآن في القضاء على التصورات الغربية الجاهلية، ثم تصحيح مناهجهم الفكرية و النظرية ودعوتهم إلى منهج معرفي و تربوي.

<sup>221</sup> <http://www.tafsir.org/vb/archive/index.php?t-6231.html>، انظر: دراسة الأستاذ

الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي في موسوعته التفسيرية؛ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر منهج الأستاذ سيد قطب في تفسيره، لتقف على هذه الحقائق المذكورة آنفاً: ج3، ص: 998-1051، فقد رأيت الأستاذ الدكتور فهد الرومي منصفاً و موضوعياً في حق الأستاذ سيد قطب رحمه الله و جزاه الله خيراً. و لعل هذا يعود إلى بركة عمله في التفسير و جهود المفسرين في خدمة كتاب الله عز وجل. وكذا راجع للمزيد دراسة الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: في ظلال القرآن في الميزان- دراسة و تقويم، ص: 60-150.

هذا المنهج علاوة على ما ذكر؛ فقد ركز على دعوة الكافرين إلى الإسلام بعدة طرق؛ منها طريق النظر و التأمل في آيات الكون، والمجادلة بالتي هي أحسن، مع مراعاة أحوالهم و فقه واقعهم. هذا المنهج يفرض على الداعية أن يشرع أولاً بالدعوة إلى الله تعالى دون الدعوة إلى أسس قومية أو مبادئ أخلاقية أو ضوابط اجتماعية. وكشف هذا المنهج على جملة من الصفات والمكونات الفكرية والروحية والسلوكية، التي يجب أن يتحلى بها الداعية والمفسر في هذا العصر. لقد انفرد الأستاذ الشهيد بمنهجه الفريد والدقيق، ذي الأبعاد التربوية والدينية والتطبيقية؛ عن مناهج بقية الدعاة البارزين في الساحة الإسلامية. يبدو ذلك جلياً في مؤلفاته كلها، وخاصة في كتابه الأم: (في ظلال القرآن). و شاءت حكمة الله تعالى أن يكون جزاء هذا الفهم الدقيق والمنهج الفريد هو الاستشهاد في سبيل الله ليكون قدوة حسنة للمسلمين عامة و للدعاة خاصة إلى يوم القيامة.

لقد أبدى الأستاذ سيد قطب رحمه الله عصارة فكره و خلاصة تجربته في هذا الكتاب. ولقد نال هذا الكتاب بفضل الله عز وجل ثم بفضل إخلاص صاحبه، شهرة عظيمة، وتلقته الأمة بالقبول وأصبح له مكانة مرموقة وسامية لدى كافة الدعاة في العالم الإسلامي، بل وحتى غير الإسلامي. إن تفسير الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله: "في ظلال القرآن" يعتبر بحق من أهم التفاسير والمصادر في هذا العصر من حيث: الفهم العصري المنضبط للآيات، ومن حيث ربط أحداث الواقع و مستجدات الحياة بالنصوص القرآنية. كما يمتاز هذا التفسير من حيث المضمون و الجوهر، حيث يكمن فيه السر الخفي العجيب، الجذاب والمؤثر، والطريقة المثلى في استنباط الدروس والعبر من الآيات القرآنية، لإرشاد المسلم والداعية في مواجهة تحديات العصر والمجتمع الذي يعيش فيه، و لعل هذا يعود إلى إخلاص و تفاني كاتبه رحمه الله، والله أعلم،

مما لا يعني هذا في حال من الأحوال الاستخفاف بالتفسير الأخرى أو التقديس و العصمة والإطراء لشخص الأستاذ سيد قطب رحمه الله. فلا يتوهّم متوهّم شيئاً من ذلك.. لكل من التفسير قيمتها وفضلها الخاصة بها، كما أن كل المفسرين يسبحون ضمن الإطار البشري؛ يصيبون و يخطئون، والله أعلم.

### المبحث الثالث: آداب المفسر والقواعد الواجب اتباعها لتفسير كتاب الله

إن علم التفسير علم قابل للنمو، ذلك لأن العلوم أنواع؛ منها ما بلغ الغاية في النضج حتى أنه احترق، وهو علم النحو، ومنها علوم نضجت ولكنها لم تحترق، ومنها علوم مازالت في طريق النضج<sup>222</sup>. فمن أراد أن يفهم القرآن أو يفسره، فليعد له عدته وليتأهب له عقلياً وعلمياً ونفسياً، فإنما هو مخلوق يفسر كلام الخالق، وهو مخلوق يمثل ما في المخلوقات من قصور وعجز، ومحدود بمحدود الزمان والمكان والإمكان، أمام الواحد القهار الذي لا يحد علمه ولا مشيئته ولا قدرته شيء<sup>223</sup>.

لقد اشترط العلماء في المفسر الذي يريد تفسير القرآن الكريم بالرأي الجائز المحمود أن يكون ملماً بجملة من العلوم و الثقافات و الآداب و الأدوات التي يستطيع بواسطتها أن يفسر القرآن الكريم تفسيراً صحيحاً، سليماً ومقبولاً، و اعتبروا هذه العلوم والأدوات بمثابة السياج والحصن الحصين التي تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ والزلل و القول على الله بغير علم.

<sup>222</sup> الصباغ، لظفي؛ بحوث منهجية في أصول التفسير، المكتب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، ص: 12-13

<sup>223</sup> القرضاوي، يوسف؛ كيف نتعامل مع القرآن العظيم، در الشروق، ط1، القاهرة، ص: 20

إن الغرض الأساس و الغاية الأسمى من تناولنا لهذه المسألة؛ هو تأصيل هذه المسألة تأصيلاً علمياً دقيقاً و بيان موقف العلماء و الأئمة، من المعاصرين و القدامى ومدى التزامهم بهذه الشروط و الأدوات في تفسيرهم لكتاب الله تعالى، لكي نرى بعد ذلك مدى توفر هذه الشروط و الآداب و المؤهلات في شخصية الأستاذ سيد قطب التفسيرية رحمه الله، الذي هو موضوع الدراسة في هذه الورقة العلمية المختصرة. ومن الأئمة الأعلام الذين أصَلُّوا و ناقشوا هذه المسألة العلمية؛ الإمام القرطبي<sup>224</sup> في مقدمة تفسيره ، و الإمام الطبري في مقدمة تفسيره<sup>225</sup> ، والإمام بن كثير في مقدمة تفسيره<sup>226</sup>، والإمام أبو حيان في مقدمة تفسيره<sup>227</sup>، والإمام الزركشي في موسوعته (البرهان في علوم القرآن)<sup>228</sup>، والإمام بن تيمية في مقدمته لأصول التفسير، والإمام السيوطي رحمه الله في موسوعته القرآنية ( الإِتقان في علوم القرآن ). و قد اخترت من بين هؤلاء الأئمة الأعلام الإمام السيوطي رحمه الله، نظراً لبسطه هذه الأمور بمنهجية علمية دقيقة. ونظراً لطول الموضوع وكثرتة و تشعبه، فإنني سأكون مضطراً إلى اقتباس أهم الآداب و الشروط التي ذكرها الإمام السيوطي وغيره من العلماء المحققين.

**قال الإمام السيوطي: في معرفة شروط المفسر وآدابه<sup>229</sup>.**

<sup>224</sup> انظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ج1، 20-30، (المكتبة الالكترونية الشاملة) 2006، المدينة المنورة

<sup>225</sup> انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، للإمام الطبري، ج1، ص: 20-23، 28-29

<sup>226</sup> انظر: تفسير القرآن العظيم، للإمام بن كثير، ج1، ص: 63

<sup>227</sup> انظر: تفسير البحر المحيط، للإمام أبي حيان الأندلسي، ج1، ص: 6-9

<sup>228</sup> انظر: البرهان في علوم القرآن، للإمام الزركشي، ج1، ص: 449-452

<sup>229</sup> الإِتقان في علوم القرآن، ج1، ص: 437 - 445 ( المكتبة الالكترونية الشاملة ) - من توزيع مكتبة الحرم النبوي

الشريف في المدينة المنورة)، 2006 م.

" قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن، فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه... ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ومن عاصرهم ويتجنب المحدثات... ومن شروطه صحة المقصد فيما يقول ليلقي التسديد... وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به غرض يصد عنه صواب قصده ويفسد عليه صحة عمله.

وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتلئاً من عدة الإعراب لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام... وقال ابن تيمية في كتاب ألفه في هذا النوع: يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه... ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً... والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد... وقال بعضهم: اختلف الناس في تفسير القرآن، هل يجوز لكل أحد الخوض فيه؟ فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك. ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علماً. أحدها: اللغة؛ لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع... ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر. الثاني؛ النحو، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره. الثالث؛ التصريف، لأن به تعرف الأبنية والصيغ... الرابع؛ الاشتقاق، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح، هل هو من السياحة أو

المسح. الخامس والسادس، والسابع؛ المعاني والبيان والبديع، لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم. وقال السكاكي: اعلم أن شأن الإعجاز عجيب، يدرك ولا يمكن وصفه... وقال ابن الحديد: اعلم أن معرفة الفصح والأفصح والشيق والأرشق من الكلام أمر لا يدرك إلا بالدوق، ولا يمكن إقامة الدلالة عليه... الثامن؛ علم القراءات، لأنه به يعرف كيفية النطق بالقرآن، والقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض. التاسع؛ أصول الدين، بما في القرآن من الآية الدالة بظاها على ما لا يجوز على الله تعالى. فالأصولي يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز... العاشر؛ أصول الفقه، إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط. الحادي عشر؛ أسباب النزول والقصص، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه. الثاني عشر؛ الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره، الثالث عشر؛ الفقه. الرابع عشر؛ الأحاديث المبينة لتفسير المجمع والمبهم. الخامس عشر؛ علم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بحديث: (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم). قال ابن أبي الدنيا: وعلوم القرآن وما يستنبطه منه بحر لا ساحل له. قال: فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه. قال: والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكْتساب، واستفادوا العلوم الأخرى من النبي صلى الله عليه وسلم. قلت: ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان وليس

كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد. قال في البرهان: اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو وهو مصر على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع بعضها أكد من بعض. قلت: وفي هذا المعنى قوله تعالى: ( سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق)، قال سفيان بن عيينة: يقول أنزع عنهم فهم القرآن... " 230.

وبعد أن ذكر الإمام السيوطي رحمه الله هذه الشروط، ذكر أيضاً بعض القواعد المهمة التي يحتاج إليها المفسر، فمن جملة القواعد التي ذكرها: " معرفة محكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وعامه وخاصه، ومجمله ومبينه، و ناسخه و منسوخه، ومطلقه ومقيده، ومنطوقه ومفهومه، وحقيقته ومجازه، وتشبيهاته واستعاراته، وكنائته وتوضيحه، والإيجاز والإطناب، والحصر و الاختصاص، والخبر والإنشاء، وفواصل الآي، وفواتح السور، و خواتم السور، وأمثال القرآن، وأقسام القرآن، ومناسبات الآيات والسور و إعجاز القرآن وغير ذلك من القواعد و الشروط و الآداب، فمن أراد التوسع ليرجع إلى موسوعته: الإتيقان في علوم القرآن<sup>231</sup>. هذا باختصار فيما ذكره علماء السلف الصالح في هذه المسألة.

ومن العلماء المعاصرين الذين أبدعوا و تميزوا في هذه المسألة؛ أي مسألة ذكر آداب وضوابط وشروط المفسر، نختار دراسة الشيخ العلامة عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني حفظه الله، في دراسته المستفيضة والدقيقة عن قواعد التدبر الأمثل للقرآن

<sup>230</sup> انظر: الإتيقان في علوم القرآن، بتصرف شديد، ج1، ص: 445

<sup>231</sup> المصدر السابق، ج1، ص: 214-391، و انظر للتوسع والمزيد: مقدمة تفسير: الجامع لأحكام القرآن للإمام

القرطبي، ج1، ص: 30-36؛ و مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير، ص: 28-33

الكريم، حيث ذكر فضيلته أربعين قاعدة علمية يحتاج إليها المفسر لكتابه الله تعالى و المتدبر في آياته. ونظراً لكثرة هذه القواعد المدعمة بالأدلة في هذا السفر العظيم، فإننا نضطر إلى ذكر عناوين تلك القواعد فقط، دون ذكر الأمثلة التطبيقية التي ذكرها فضيلته. فمن هذه القواعد: 1- ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة، 2- وارتباطها الموضوعي بما تفرق في القرآن، 3- وحدة موضوع السورة القرآنية، أوجه النص التي يهدف إليها، 4- بيئة نزول النص البشرية و الزمانية و المكانية والنفسية و الفكرية الفردية و الاجتماعية، 5- التفسيرات الجزئية و المعني الكلي، 6- تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن و استبعاد التكرير لمجرد ما أمكن، 7- تتبع التفسير المأثور لمعنى النص، 8 تكافؤ النصوص القرآنية ووجوب الجمع بينها في نسق فكري متكامل و عدم اللجوء إلى الحكم بالنسخ إلا فيما ثبت نسخه بدليل صحيح صريح، 9- الحكمة من وضع آيات مدنية التنزيل في سورة مكية، 10- ووضع آيات مكية التنزيل في سورة مدنية، 11- النظر فيما ورد في أسباب النزول، 12- لزوم فهم الآية وفق ترتيب نَظْمِها، 13- القرآن لا اختلاف فيها و لا تناقض، 14- و أنه لا تناقض بينها و بين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائل الإنسانية، 15- اقتضاء النص و لوازمه و روابطه الفكرية و محاذيفه التي حذفت للإيجاز والتضمنيات التي يضمها، 16- التكرير و أغراضه، 17- ضرورة البحث في معاني الكلمات القرآنية بحثاً علمياً لغوياً، 18- الربط بين الآيات وخواتيمها، 19- النظر في الألفاظ المتقاربة المعنى أو المترادفة، 20- تردد النص بين دالتين فأكثر، القَسَم في القرآن، 21- النظر في ملائمة الأسلوب البياني للهدف منه، البحث عن الوجوه البلاغية والغرض الفكري من الصور البلاغية، 22- الاستغناء في الأداء البياني بتعبيرات مختلفات موزعات على الأشباه والنظائر للدلالة على التكامل البياني فيما



بينها، 23- التنوع في أساليب الأداء البياني، 24- البحث عن أغراض الاختلاف في التعبير في مختلف النصوص، 25- ضرورة ملاحظة قواعد اللغة العربية و مفاهيم الصيغ الصرفية و لزوم البحث عن سر مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر، 26- رعاية فواصل الآيات اهتماماً بالنسق اللفظي، 27- استعمال الكلام أكثر من معنى، 28- التعليل بأن المصدرية و ما بعدها في الآيات القرآنية و لزوم تقدير المحذوفات قبلها، 29- استعمال الفعل الماضي: فيما له الكينونة الدائمة وفيما حصل فعلاً، 30- وفيما هو مقضي مقدر، و فيما هو معلوم لله وقوعه في المستقبل، 31- النظر في توجيه الخطاب الرباني، 32- كلمة ( لعل ) الواردة في القرآن، 33- كلمة ( بلى ) في القرآن، 34- صيغة (وما أدراك ) في القرآن، 35- تعدية فعل ( أراد - يريد ) في القرآن، 36- تعبيرات (من بين يديه و من خلفه) و نحوهما، الأمام و الورا، 37- إسناد الفعل إلى أو ما في معناه إلى فاعله و من قام به أو مسببه، أو الأمر به و الداعي له، أو المتهم به، أو الحاكم أو القاضي به، 38- الاستثناء المنقطع، 39- لفظ (كذلك ) في القرآن، 40- القراءات العشر. هذه هي عناوين تلك القواعد الأربعين التي ذكرها العلامة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة حفظه الله في كتابه المذكور. و لا شك أن هذه القواعد كما ذكر فضيلته استنبطها من التدبر الطويل في معاني الآيات القرآنية، و هي تصلح، بل و يجب أن تكون نبراساً يهتدي بها و يسير على هديها كل من نصب نفسه على منبر تفسير و بيان المراد من كتاب الله تعالى. فجزى الله عز وجل علماءنا وأئمتنا السابقين و مشايخنا المعاصرين الذي لم يألوا جهداً في توضيح و تسهيل السبل الموصلة إلى معرفة معاني كتاب الله عز وجل<sup>232</sup>.

<sup>232</sup> انظر: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل - تأملات؛ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، ط2،

1989، دمشق، سوريا، ص: 13-800؛ و انظر أيضاً: مفاتيح تدبر القرآن و النجاح في الحياة؛ د/ خالد بن عبد

الكريم لاجم، ط1، 2004، الرياض

ومن القواعد التي يحتاج إليها المفسر أيضاً؛ معرفة الضمائر، التعريف و التنكير، الإفراد والجمع، السؤال و الجواب، الخطاب بالاسم و الخطاب بالفعل، العطف، الفرق بين الإيتاء والإعطاء، لفظ كان، وكاد، و جعل، و لعل و عسى<sup>233</sup>. ونضيف هنا أيضاً ونقول؛ إن المفسر يحتاج أيضاً إلى معرفة بعض القواعد الأصولية التي وضعها الأصوليون و إلى القواعد الفقهية التي وضعها الفقهاء، ومن القواعد الفقهية التي ذكرتها مجلة الأحكام العدلية: الأمور بمقاصدها، اليقين لا يزول بالشك، الضرر لا يكون قديماً، الأصل براءة الذمة، لا ضرر ولا ضرار، المشقة تجلب التيسير، الضرورات تبيح المحظورات.. الخ. وقد ألفت في هذه القواعد كتب، مثل كتاب: الفروق، للإمام القرافي، والأشباه النظائر، للإمام السيوطي، والقواعد النورانية، للإمام ابن تيمية، ومجلة الأحكام العدلية في الدولة العثمانية.. الخ<sup>234</sup>.

وأما آداب المفسر الروحية و الخلقية و النفسية، والتي أشار إلى بعض منها الإمام السيوطي والزركشي رحمهما الله، فقد ذكر العلماء أيضاً: صحة الاعتقاد و التجرد عن الهوى، حسن النية و صحة المقصد، حسن الخلق، الامتثال و العمل، تحري الصدق والضبط في النقل، التواضع و لين الجانب، عزة النفس، الجهر بالحق، الهيبة والوقار، الأناة والروية<sup>235</sup>.

<sup>233</sup> انظر: مناع القطان؛ مباحث في علوم القرآن، ص: 198-210؛ وانظر: محمد حسين الذهبي؛ التفسير و المفسرون،

ج 1، ص: 229-234

<sup>234</sup> الصباغ، لطفي: مباحث في أصول التفسير و المنجية، 210-214

<sup>235</sup> انظر: مباحث في علوم القرآن، 340-343، و قد ذكر العلماء بعض الخطوات العملية للتدبير و التأثير بالقرآن الكريم،

فقالوا يجب:

" استحضار الجو الإيماني، الوقوف على كل آية والانفعال معها، تسجيل الخواطر لحظة ورودها، الاطلاع على تفسير مختصر لبيان كلمة غريبة، محاولة تطبيق كل آية في كتاب الله، واستخراج العبر والعظات من قصص السابقين، الحرص على حفظ الآيات في الصدر، الاطلاع على تفسير مطول، أن يخلص لله في قراءته ويستحضر عظمة الله تعالى، وأن يتنبه إلى أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن لا يطلب بالقرآن شرف المنزلة عند أبناء الدنيا، التوبة والابتعاد عن المعاصي؛ فهي تذهب

ونضيف في هذه المناسبة و نقول: إن المفسر في العصر الحديث بناء على قاعدة فقه الواقع وفقه النوازل، ونظراً للمستجدات العصرية الراهنة، يحتاج بالإضافة إلى ما تقدم ذكره آنفاً، أن يكون ملماً أيضاً ببعض العلوم الإنسانية الأخرى؛ مثل علم النفس و علم الاقتصاد و علم الهندسة الوراثية و علم الاستنساخ و علم الاجتماع ( علم أحوال البشر )، و علم الطب و علم الفلك و علم جيولوجيا (طبقات الأرض)، و علم بيولوجيا ( علم الأحياء و الكائنات الحية )، و علم الفيزياء النووية، و علم والكيمياء – بقسميه: العضوية و غير العضوية)، و علم الفلك و علم البحار، والاكتشافات العلمية والطبية و الفلكية الحديثة. كما ينبغي عليه أن يكون أيضاً مدركاً و فاهماً للسياسة العالمية الراهنة( و لا سيما سياسة أمريكا و أوروبا )، و موقفها من مقدسات الإسلام و المسلمين. فإذا ما اكتملت و توفرت تلك الشروط المذكورة سابقاً و هذه التي ذكرتها لاحقاً في شخص المفسر المنشود في هذا العصر، فلا حرج بإذن الله أن يشرع هذا المفسر في تفسير و بيان كلام الله تعالى بالرأي الجائز المحمود.

---

بنور الإيمان في القلب والوجه وتوهن القلب وتمرضه، ومن أخطر المعاصي وأعظمها صدا عن التأثر بالقرآن وتدبره، سماع الغناء والموسيقى وآلات الطرب واللهو التي تصد القلوب عن القرآن، أن يحضر القلب ويتردد حديث النفس أثناء التلاوة ويصون يديه عن العبث وعينيه عن تفريق نظرها من غير حاجة، أن يستشعر القارئ بأن كل خطاب في القرآن موجه إليه شخصياً، التأثر، فعند الوعيد يتضاءل خيفة، وعند الوعد يستبشر فرحاً، وعند ذكر الله وصفاته وأسماءه يتطأطأ خضوعاً، وعند ذكر الكفار وقلة أدهم يخفض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالاتهم، ويشناق للجنة عند وصفها، ويرتعد من النار عند ذكرها، يتحاشى النظر إلى نفسه بعين الرضا والتزكية، تحاشي موانع الفهم؛ مثل أن يصرف همه كله إلى تجويد الحروف وغير ذلك، اختيار الوقت المناسب والذي يتجلى الله فيه على عباده وتنزل فيه فيوضات رحمته، وأفضل القراءة ما كان في الصلاة، وأما القراءة في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل والنصف الأخير من الليل أفضل من الأول، وأما قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الفجر، ترديد الآية للتدبر والتأثر بها، البكاء أثناء التلاوة وبخاصة عند قراءة آيات العذاب أو المرور بمشاهده وذلك عندما يستحضر مشاهد القيامة وأحداث الآخرة ومظاهر الهول يوم القيامة . انظر للتفاصيل:

ونختم كلامنا في هذا الموضوع بذكر بعض المبادئ و الضوابط التي ذكرها فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله، حيث قال إننا بحاجة إلى تفسير: "...يتجنب الجدل الفلسفي والمباحثات الكلامية، والابتعاد عن الأمور الافتراضية التي أولع بها بعض الفقهاء، مراعاة موضوع الهداية والعقيدة، والابتعاد عن المصطلحات النحوية والبلاغية إلا للضرورة. لا مانع من الاستفادة من العلوم الحديثة وما توصلت إليه الحقائق القطعية. ربط الآيات بعضها ببعض في السورة الواحدة لأن لكل سورة موضوعاً رئيسياً، والأسوة في ذلك ( الأستاذ سيد قطب)، كما أننا بحاجة إلى الجمع بين الرواية والدراية، و صحيح المنقول و صريح المعقول، تراث السلف ومعارف الخلف، تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بصحيح السنة، الانتفاع بتفسير الصحابة والتابعين، الأخذ بمطلق اللغة، مراعاة السياق، ملاحظة أسباب النزول، اعتبار القرآن أصلاً متبوعاً. وينبغي مراعاة الكلمة في عصر نزول القرآن، والعبرة بما تدل عليه الألفاظ في ذلك العصر، فكثيراً ما تتطور الدلالات ولألفاظ بتطور العصور وتطور المعارف واتصال الشعوب والحضارات. رعاية المخصصات والمقيدات، تتبع مورد الكلمة في القرآن. كما تجدر الإشارة إلى المفسر أن القرآن الكريم يجب أن يكون متبوعاً لا تابعاً. فعلى المفسر أن يتجرد من اعتقاداته السابقة فلا يحمل الآيات على ما وردت من القصص في التوراة والإنجيل. والسنة النبوية الصحيحة يجب أن تكون فوق كل شيء. فلا يكون الحديث الصحيح حنفياً ولا شافعيّاً ولا مالكيّاً وحنبليّاً، فهو فوق المذاهب كلها. ولا يجوز أن يكون القرآن معتزليّاً ولا أشعريّاً ولا أرسطياً ولا أفلاطونياً ولا فارابياً ولا إسماعيلياً ولا قاديانياً، ولا أن يكون جنيدياً ولا قشيراً ولا تقشبنديّاً. بل يجب أن يكون فوق الجميع ومرجع الجميع وحاكم الجميع. و سوء التأويل للآيات يأتي إما بسبب قصور في العلم والفكر وإما

فساد في النية والقصد..<sup>236</sup>. ومن المزالق التي يجب أن يحذر منها المفسر في الفهم والتفسير: اتباع المتشابهات وترك المحكمات، سؤ التأويل، وضع النص في غير موضعه، دعوة النسخ بلا برهان، الجهل بالسنن والآثار، الثقة بالإسرائيليات، الشروء عن إجماع الأمة، ضعف التكوين العلمي واتباع المتشابهات<sup>237</sup>.

جعلنا الله ممن يرعاه حق رعايته، ويتدبر القرآن حق تدبره، ويقوم بقسطه، ويفى بشرطه، ولا يلتمس الهدى في غيره، وهدانا لأعلامه الظاهره، وأحكامه القاطعة الباهرة، وجمع لنا به خير الدنيا والآخرة، فانه أهل التقوى وأهل المغفرة.

---

<sup>236</sup> انظر: القرضاوي، يوسف: كيف نتعامل مع القرآن العظيم - فهماً و تفسيراً، بتصرف شديد، ص: 200، 237-

268-258

<sup>237</sup> المرجع السابق، ص: 260 بتصرف شديد

## الفصل الثاني: الأسس العلمية والركائز الثقافية لدى المفسر الأستاذ سيد قطب

### المبحث الأول: الأسس والركائز الفكرية والثقافية العامة - تأصيل قواعد

#### تفسيرية (الجانب النظري)

لقد مر الأستاذ الشهيد رحمه الله بمراحل فكرية عديدة، وحدث في حياته ودعوته وكتاباته نقلة نوعية كبيرة وعجبية. و بمعرفتنا لهذه المراحل يتضح لنا، أن عودة الأستاذ سيد قطب إلى الإسلام من جديد كان ذلك اصطفاء وهداية من الله تبارك وتعالى له. وهذه النقلة الكبيرة ينبغي أن لا تكون ذريعة للحط والنيل من قدره بسبب المراحل الفكرية التي مر بها الأستاذ الشهيد، إنما العبرة بالخواتيم.

### المطلب الأول: سمات وملامح هذا المفسر في تفسيره

ومن الركائز الروحية والنفسية والثقافية التي كان يتمتع بها الأستاذ سيد قطب، أنك

تجد في تفسيره:

- ❖ الواقعية والجدية في البحث.
- ❖ المنهجية السلفية.
- ❖ بيان دور الإنسان ومركزه.
- ❖ الإلمام بالملايسات التاريخية لنزول القرآن.
- ❖ بيان تعامل الصحابة مع القرآن.

- ❖ تصويبات في الفكر الإسلامي المعاصر وتحليل حاضر العالم الإسلامي.
- ❖ التأكيد على قضايا الدعوة والحركة في مواجهة المادية الجاهلية.
- ❖ التأكيد على إبراز التصوير الفني من الآيات القرآنية، الذي هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فالقرآن يعبر عنه بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني و الحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني و الطبيعة البشرية... فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحال النفسية لوحة أو مشهد، إذا النموذج الإنساني شاخص حي، و إذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية.. وكذلك الحوادث و القصص والمشاهد و المناظر يصورها شاخصة حاضرة .. 238.
- ❖ الإكثار في آيات العقيدة من الإشراقات واللمحات والنتائج والأحكام والتحليلات.. 239.
- ❖ التأكيد على حقائق العقيدة الإسلامية و جعلها الركيزة و الأساس لكل شيء.
- ❖ التكرار والتأكيد على قضية الحاكمية والألوهية لله تعالى حتى تستقر في قلوب الناس، وأنها إن صلحت صلح معها كل شيء، و إذا فسدت فسد معها كل شيء 240 .

238 انظر : التصوير الفني في القرآن، 30-50، و راجع أيضاً: في ظلال القرآن في الميزان، ص : 305-400

239 انظر : مدخل إلى التفسير و علوم القرآن، ص : 267

240 انظر: قطب، سيد، مقومات التصور الإسلامي، فصل: (ألوهية و عبودية ) ، ص: 41 ، فصل : (حقيقة الألوهية)،

ص: 81 .

## المطلب الثاني: الطريقة التي سار عليها في تفسيره للقرآن الكريم

من خلال مطالعة الباحث ودراسته لشخصية هذا المفسر الجليل في تفسيره، ومطالعة بعض الذين كتبوا وأرخوا عن منهجه؛ أقول يمكن استخلاص هذه المنهجية وهذه المبادئ، التي سلكها سيد قطب في تفسيره لكلام الله تعالى. فهو رحمه الله تعالى يورد الآية أو الآيات ثم يقوم ببيان أغراضها و أهدافها والوحدة الموضوعية للسورة وشخصيتها، ثم يشرحها شرحاً وافياً و كافياً، مستنبطاً منها الدروس و العبر<sup>241</sup>. يذكر سبب نزول الآية إن وجد. يستشهد بالأحاديث النبوية ويحرص على الروايات الصحيحة. يورد اختلاف العلماء حول مفهوم الآية ولكن دون إسهاب وإطناب، ويضرب صفحاً عن المباحث اللغوية مكتفياً بالإشارة العابرة، ويتجه إلى إيقاظ الوعي وتصحيح المفاهيم و ربط الإسلام بالحياة<sup>242</sup>. يورد أقوال الفلاسفة و يناقش آراءهم بالحجج العقلية ويدحض شبهاتهم و يبين بطلان منهجهم في مسائل العقيدة والتوحيد. يتعرض إلى ذكر و تحليل النظم الاجتماعية والوضعية مثل؛ الشيوعية والديمقراطية والرأسمالية و الماركسية و العلمانية والإلحادية، وذلك لبيان بطلان تلك المناهج الوضعية. يتطرق إلى تحليل سياسي و اجتماعي لمواقف الرسول صلى الله عليه و سلم مع المشركين و اليهود وأسباب الهجرة. لا يبالي باستعمال الألفاظ الشنيعة للكفار والمنافقين، مثل (الجاهلية) و (المطموسين)<sup>243</sup>، و(المنتكسين).. الخ ليس من منهجه ذكر الإسرائيليات في تفسيره لعدم ورود روايات صحيحة في ذلك، ولكن

<sup>241</sup> الأستاذ الدكتور عدنان محمد زرزور حفظه الله، نسب إليه فضل إبراز الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية المفردة

طالت أم قصرت، إذ أنه أول واحد من تطرق إلى هذا المبدأ.. انظر: مدخل إلى التفسير وعلومه، ص: 267

<sup>242</sup> القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن ص: 334

<sup>243</sup> انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج 1، ص: 45 .



مع هذا التحرز الشديد وجد أحياناً أنه يذكر ذلك..<sup>244</sup>. اهتم بالجانب البلاغي و التناسق البياني وإبراز الجمال الفني للآيات<sup>245</sup>. ينقل من المفسرين القدامى و يكثر من ابن كثير والطبري، و لكنه لم يتأثر بهم على الإطلاق في أي لون من ألوان التفسير أو التأويل<sup>246</sup>. أحياناً يجتهد و يأخذ بظواهر النص و لا يحتمل النص ما لا يحتمل، كما يظهر ذلك جلياً في تفسيره لآية الصوم<sup>247</sup>. رأيته معتدلاً في تفسيره، لا ينحو منحى المتشددين و المتعصبين، كما أنه لا يسلك مسلك المتساهلين المستخفين بأحكام الله و شريعته. يرجح بين الأقوال والآراء الفقهية، و يختار الرأي الذي يعززه الدليل الصحيح، كما في مسألة الموالاتة و التتابع في الصوم<sup>248</sup>. يتطرق إلى العلوم الحديثة مثل الطب و الفلك و الفيزياء و الكيمياء، و لكنه كان متحفظاً جداً من التفسير العلمي للقرآن الكريم، و نسبة ذلك إلى الإعجاز العلمي، لأن كثيراً من المسائل العلمية مبنية على الظنون و الفرضيات و النظريات، و هو كل يوم في شأن و تغير، و أنها غير مستقرة و معرضة للتبديل، بينما الآيات القرآنية مبنية على الحقائق، التي لا تتبدل ولا تتغير، و ليس الأمر كما زعم البعض من أن الأستاذ سيد قطب لا يقبل أو يرفض التفسير العلمي للآيات جملة و تفصيلاً<sup>249</sup>. و في مسائل العقيدة؛ الأسماء و الصفات، يثبت الصفات الواردة لله تعالى في القرآن مثل الحياة و القوامة أو القيومية وغيرها من الصفات، و أنه ينهج منهج السلف الصالح في تفسيرها، و قد صرح هو

<sup>244</sup> انظر : المصدر السابق

<sup>245</sup> انظر : د / مسلم آل جعفر ، و محي هلال السرحان ، مناهج المفسرين ، دار المعرفة ، ط 1 1980 ، ص : 268 ، و

راجع في ظلال القرآن ، ج 6 ، ص : 3404 - 3405 .

<sup>246</sup> مدخل إلى التفسير و علومه ، ص : 269 .

<sup>247</sup> انظر : في ظلال القرآن ، ج 6 3598 - 3599 .

<sup>248</sup> انظر : المصدر السابق ، ج 6 - 3560 .

<sup>249</sup> انظر : المصدر السابق ، ج 3 ، ص : 1216 - 1217 ، و انظر المصدر السابق : ج 6 ، ص : 3713 - 3714

رحمه الله غير مرة بذلك في تفسيره<sup>250</sup>. كما كان من منهجه؛ التمييز بين القرآن المكي والمدني، وأن لكل منهما موضوعاتها الخاصة بها..<sup>251</sup>.

### المطلب الثالث: تأصيل قواعد علمية و ثوابت منهجية في التفسير

إن الأستاذ سيد قطب رحمه الله، بناء على المؤهلات العلمية التي كان يحملها و يتمتع بها، قد قعد قواعد و أصل أسس و ثوابت تفسيرية، ووظفها حق التوظيف في بيان ثراء النص القرآني و إبراز معانيه ودلالاته اللغوية. فمن جملة هذه الأسس و القواعد التي استخدمها وسار عليها في تفسيره نذكر ما يلي:

- ❖ الأسلوب الأدبي.
- ❖ تذوق النص القرآني.
- ❖ الواقعية و الحركية.
- ❖ التفسير الجمالي الفني.
- ❖ الوحدة الموضوعية.
- ❖ استيحاء النص دن مقررات سابقة.

<sup>250</sup> انظر : في ظلال القرآن في الميزان، ص: 316 .

<sup>251</sup> و لمعرفة المزيد و التفاصيل يراجع هذه المراجع: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، لفهد بن عبد الرحمن بن السليمان الرومي، ج 3 999 ؛ مفاتيح للتعامل مع القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي؛ في ظلال القرآن في الميزان، فصل: سمات الظلال، ص: 305 400؛ سيد قطب خلاصة حياته . محمد توفيق بركات، ص: 19؛ مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص: 334؛ مدخل إلى التفسير و علومه، محمد عدنان زرزور، ص: 260 – 270؛ مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د. خالد بن عبد الكريم الاحم، ط1، 2004، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص: 14-70؛ قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط2، 1989، دارالقلم –دمشق، ص: 13-234

- ❖ ترك الإطناب عما أجهم في القرآن.
- ❖ التحذير من الإسرائيليات.
- ❖ ترك الاختلافات الفقهية.
- ❖ واجتناب الإغراق في المسائل اللغوية و تفاعله مع النص القرآني ...<sup>252</sup>.
- ❖ القدرة على تناول الآيات من الجوانب المختلفة، بحيث لم يكن أسيراً لغيره من المفسرين القدامى أو المحدثين.
- ❖ الثقة بالنفس و عدم الاضطراب فيما يذهب إليه من الآراء و يتبنى من الأفكار.
- ❖ تأثره الكبير بالمنهج القرآني وتركيزه على الأولويات و الأسس التي قام عليها المنهج القرآني في الدعوة إلى الله تعالى.
- ❖ ربط الآيات بالسيرة النبوية وأحداثها التاريخية، سواء ما تعلق منها بالعهود والمواثيق التي كانت بين المسلمين واليهود أو النصارى.. أو ما تعلق منها بدعوة الملوك والأمراء إلى الإسلام عن طريق الرسائل والسفراء.
- ❖ تزوده برصيد ضخم من المشاعر والمدركات والتجارب، واستصحابه لها وهو ينظر في نصوص القرآن و يتلقى إيجاءاته...
- ❖ ذهابه بخياله ومشاعره وأحاسيسه إلى الجو الذي تنزل فيه القرآن في مكة والمدينة، لإدراك أثر القرآن وتأثيره هناك..<sup>253</sup>.
- ❖ ملاحظته حركة الصحابة في جو مكة و المدينة بالقرآن، وتفاعلهم معه ..."

<sup>252</sup> يراجع بتوسع: فهد، الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج 3، ص: 999-1000 فما بعد...

<sup>253</sup> الخالدي، صلاح عبد الفتاح، مفاتيح للتعامل مع القرآن، ص: 59.

<sup>254</sup> المرجع السابق، ص: 59.

- ❖ وقوفه على الأغراض الأساسية للقرآن، و منهجه الواقعي الحركي الذي به حياة الأمة المسلمة وتنزله نصوص القرآن على واقع جدي حي.. 255.
- ❖ قيامه بدور عملي جهادي وتجربة حية دعوية، مشاهدة في بعض مظاهرها تجربة الصحابة الكرام - و بخاصة في جو مكة و الحركة العملية بالقرآن... ليجد عنده الجواب الواضح والبلسم الشافي .. 256.
- ❖ إدراكه وفهمه لشمولية الرسالة الإسلامية في كافة الجوانب البشرية و حاجة البشرية والقلوب إلى الله تبارك و تعالى، و النظرة التكاملية في آيات القرآن الكريم.
- ❖ فهمه الدقيق لعظمة وطبيعة المنهج الرباني.
- ❖ يقينه الجازم والحاسم، من أن البشرية كافة متجهة إلى الهاوية والجحيم، إذا هي لم تلتزم بشريعة الله عز وجل، وأنه لن يصلح آخر أمرها إلا بما صلح به أولها.
- ❖ الشجاعة النادرة والإيمان الكبير الذي كان يحيا و يتحلى بهما صاحبه، مما جعله لا يقيم وزناً لهذه الحياة الدنيا، وأنها بدت أمام عينيه صغيرة و حقيرة، فلأجل ذلك لم يكن يخش من أحد سوى الله عز و جل.. و هذا واضح في كتاباته و منهجه.
- ❖ تحليله لواقع سياسي محلي وعالمي، و ربطه بالقرآن الكريم وعرضه على ميزانه.
- ❖ معاشته للظروف السياسية الراهنة والمتكاملة على العالم الإسلامي، والحالة الدينية والاجتماعية والاقتصادية المتدهورة للأمة الإسلامية.

255 مفاتيح للتعامل مع القرآن، ص: 59 .

256 المرجع السابق، ص: 59

- ❖ محاربه للقوانين الوضعية البشرية، مثل الشيوعية والديمقراطية والماركسية والاشتراكية والرأسمالية والعلمانية والإلحادية.
- ❖ التأكيد على تأثيرات الكنيسة السلبية و جهود المنصرين على الأمة الإسلامية.
- ❖ بيان لخطط وأساليب الصهاينة من اليهود والنصارى الصليبيين.

المبحث الثاني: من نتائج و ثمار تلك الأسس الفكرية مع نماذج من تفسيره رحمه الله، تتجلى فيها آثار تلك المؤهلات العلمية على تفسيره (الجانب التطبيقي)

المطلب الأول: نتائج و ثمار تلك الأسس الفكرية والقواعد المنهجية

أقول: تظهر هذه الأسس و الركائز في فكره وثقافته بشكل واضح، في معالجة الأستاذ سيد قطب طبيعة وسر القرآن المكي، والحكم التي تكمن وراء هذه الفترة الطويلة من النزول، و التأمل فيما سماه الأستاذ: ب: ظاهرة القرآن المكي، و تقرير العقيدة و عدم تجاوزها إلى الأمور الثانوية و الفرعية. قال رحمه الله: " .. و أصحاب الدعوة إلى دين الله، وإلى إقامة النظام الذي يتمثل فيه هذا الدين في واقع الحياة، خليقون أن يقفوا طويلاً أمام هذه الظاهرة الكبيرة، ظاهرة تصدي القرآن المكي خلال ثلاثة عشر عاماً لتقرير هذه العقيدة ثم وقوفه عندها لا يتجاوزها إلى شئ من

تفصيلات النظام الذي يقوم عليها، والتشريعات التي تحكم المجتمع المسلم الذي يعتنقها... " 257 .

ومن ثمار تلك الأسس وقوفه طويلاً في مسألة العمل مع الإيمان، التي هي الأساس في حياة الإنسان، و أن الأمر لم يعد مجرد مشاعر أو كلام. يقول رحمه الله: ". . . وحيثما ذكر الإيمان في القرآن أو ذكر المؤمنون، ذكر العمل الذي هو الترجمة الواقعية للإيمان، فليس الأمر مجرد مشاعر، وإنما هو مشاعر تفرغ في حركة لإنشاء واقع وفق التصميم الإسلامي للحياة، أو وفق التصور الإسلامي للحياة.. " 258 .

و من ثمار تلك القواعد أنه بين أهمية ترسيخ العقيدة والإيمان بالله في قلوب الناس قبل أي شيء آخر، فيقول رحمه الله: ". . . إن القيمة الكبرى في ميزان الله هي قيمة العقيدة، وأن السلعة الرائجة في سوق الله هي سلعة الإيمان، وأن النصر في أرفع صوره هو انتصار الروح على المادة، وانتصار العقيدة على الألم وانتصار الإيمان على الفتنة.. " 259، " و ". . . إن القرآن لم يقض ثلاثة عشر عاماً كاملة في بناء العقيدة بسبب أنه كان ينزل للمرة الأولى... كلا! فلو أراد الله لأنزل هذا القرآن جملة واحدة، ثم ترك أصحابه يدرسونه ثلاثة عشر عاماً أو أكثر أو أقل حتى يستوعبوا " النظرية الإسلامية"، ". . . ولكن الله سبحانه كان يريد أمراً آخر، كان يريد منهجاً معيناً متفرداً، كان يريد بناء الجماعة و بناء الحركة... كان يريد أن تكون العقيدة هي واقع الجماعة الفعلي؛ هو صورة العقيدة، وكان الله سبحانه يعلم أن بناء النفوس والجماعات لا

257 قطب سيد، معالم في الطريق: ص : 21-22 .

258 قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي، ص : 182-183 .

259 قطب، سيد، معالم في الطريق، ص : 170-171 .

يتم بين يوم وليلة، فلم يكن بد أن يستغرق بناء العقيدة المدى الذي يستغرقه بناء النفوس و الجماعة ... " 260 .

ومن الأمور الأساسية التي كان يطيل التأمل و التدبر في تفسيره آيات الله تعالى ولا يتجاوز إلى قضايا أخرى فرعية، أنه رحمه الله كان لا يرى فصل الدين عن الدنيا، لأن طبيعة المنهج الإلهي لا يقتضي حصر الدين في الشعائر التعبدية فقط فيقول رحمه الله: " ... ليس من طبيعة هذا الدين أن ينفصل عن الدنيا، وليس من طبيعة المنهج الإلهي أن ينحصر في المشاعر الوجدانية والأخلاقيات التهذيبية والشعائر التعبدية أو في ركن ضيق من أركان الحياة البشرية... ركن ما يسمونه: الأحوال الشخصية ...".

ومن القضايا الأساسية و الأولويات أنه رحمه الله كان يرى الأولوية لدين الله في كل شيء، وأن دين الله لا يمكن أن يكون محكوماً أو مقوداً، وإنما يجب عليه أن يكون دائماً حاكماً أو قائداً أو مهيمناً فيقول رحمه الله: " كلا إن "دين الله" لا يرضى إلا أن يكون سيداً مهيمناً، قوياً متصرفاً، عزيزاً كريماً، حاكماً لا محكوماً، قائداً لا مقوداً .. " 261 .

ذكرنا أنه رحمه الله قام بدور عملي جهادي وتجربة حية دعوية، مشابهة في بعض مظاهرها تجربة الصحابة الكرام – و بخاصة في جو مكة و الحركة العملية بالقرآن... ليجد عنده الجواب الواضح والبلسم الشافي. ومن ثمرة هذا الأساس اليقين و الثبات و الصمود.. قال رحمه الله: "... ولا يجوز أن يتطرق إلى قلوبنا الشك بسبب ما نراه من حولنا من الضربات الوحشية التي تكال لطلائع البعث الإسلامي في كل مكان،

<sup>260</sup> قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج 7، ص: 89-90، و معالم في الطريق: ص: 38-39

<sup>261</sup> قطب، سيد، المستقبل لهذا الدين، الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، 1988- مطبعة الفيصل، ص:

93، و يراجع بتوسع فصل: الألوهية والعبودية في: مقومات التصور الإسلامي، ص: 84-107-109-132-134 .

ولا بسبب ما نراه من ضخامة الأسس التي تقوم عليها الحضارة المادية... إن الذي يفصل في الأمر ليس هو ضخامة الباطل، وليس هو قوة الضربات التي تكال للإسلام ... إنما الذي يفصل في الأمر هو قوة الحق ومدى الصمود للضربات .. "262. لقد استمد الأستاذ سيد قطب هذا اليقين من طول صحبته للقرآن: " ..وهذا يقين نستمد من طول الصحبة لهذا القرآن وطول الصحبة كذلك للمحاولات البشرية في البيان. وطول المزاولة الشخصية للكتابة فترة من العمر طويلة .. " 263.

أما السر الأعظم الذي توصل إليه الأستاذ سيد قطب لتفسير القرآن الكريم تفسيراً دعوياً حركياً.. أنه رحمه الله تنبه إلى منهج الصحابة في قراءتهم وتدبرهم لكتاب الله، وكيفية تفاعلهم معه، وتفسيرهم للقرآن الكريم؛ هو أنهم كانوا يقرؤون القرآن بقصد التلقي والتنفيذ، وليس بقصد المتاع والقراءة المجردة، فيقول رحمه الله: " إن منهج التلقي للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول. ومنهج التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرّج الأجيال التي تليه .. " 264 .

ومن نتائج تلك الأسس و الثوابت إدراكه وفهمه لشمولية الرسالة الإسلامية في كافة الجوانب البشرية و النظرة التكاملية في آيات القرآن الكريم. قال رحمه الله: " .. منهج حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها... منهج يشمل التصور الإعتقادي الذي يفسر طبيعة الوجود، و يحدد مكان الإنسان في هذا الوجود، كما يحدد غاية وجوده الإنساني... ويشمل النظم والتنظيمات... كالنظام الأخلاقي والأسس التي يقوم عليها، والسلطة التي يستمد منها، والنظام السياسي وشكله وخصائصه، والنظام

<sup>262</sup> قطب، سيد، المستقبل لهذا الدين، ص: 116-117، وانظر: خصائص التصور الإسلامي، فصل: الثبات، ص: 87

<sup>263</sup> قطب، سيد، مقومات التصور الإسلامي ( القسم الثاني )، ص: 24-25، بيروت، دار الشروق، ط 4 1993،

وانظر: خصائص التصور الإسلامي للمؤلف، بيروت، دار الشروق، ط-8 1983، ص: 10.

<sup>264</sup> قطب، سيد، معالم في الطريق: ص-19



الاجتماعي وأسس و مقوماته، والنظام الاقتصادي وفلسفته وتشكيلاته، والنظام الدولي وعلاقته وارتباطاته... " 265.

ومن نتائج تلك الثوابت إدراك حاجة البشرية إلى العقيدة وإلى الإيمان بالله تعالى، حيث عبر " .. إنها جوعه من نوع آخر، جوعه إلى الإيمان بقوة أكبر من البشر، وعالم أكبر من المحسوس ومجال من الحياة الدنيا، وجوعه إلى الوثام بين ضمير الإنسان و واقعه، بين البشرية التي تحكم ضميره والشريعة التي تحكم حياته، بين منهج حركته الذاتية ومنهج الحركة الكونية من حوله. جوعه إلى " اله " واحد يتلقى منه شريعة قلبه وشريعة مجتمعه على السواء ... " 266. والسبب لهذه الحاجة هو أن: "...قاعدة المنهج الرباني الصادر عن علم ( بدل الجهل )، وكمال (بدل النقص)، وقدرة ( بدل الضعف )، و حكمة (بدل الهوى) ، القائم على أساس: إخراج البشر من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده دون سواه.. " 267.

---

265 قطب، سيد، المستقبل لهذا الدين، ص-3 .

266 المصدر السابق: 68-69 ، وانظر فصل : ( ألوهية و عبودية )، في مقومات التصور الإسلامي، ص: 101، وانظر: قطب، سيد، نحو مجتمع إسلامي، ص29 .

267 المصدر السابق: ص-8، ويراجع فصل: الربانية، في كتاب: خصائص التصور الإسلامي و مقوماته للمؤلف، ص43 ، وانظر المقدمة في: نحو مجتمع إسلامي، ص: 5-13، و يراجع بتوسع فصل: تيه وركام، في: خصائص التصور الإسلامي، ص: 22 .

## المطلب الثاني: نماذج من تفسير الأستاذ سيد قطب

### 1- اهتمام سيد قطب بالعلوم المختلفة المساعدة لفهم القرآن

يقول رحمه الله في تفسيره لقول تعالى: [وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...  
﴿البقرة 102﴾]

"وبعد فلا بد من كلمة هنا عن السحر، وعمما يفرق بين المرء وزوجه، مما كان أولئك اليهود يجرون خلفه، ويتركون كتاب الله وراء ظهورهم من أجله. إنه ما يزال مشاهداً في كل وقت أن بعض الناس يملكون خصائص لم يكشف العلم عن كنهها بعد. لقد سمي بعضها بأسماء ولكنه لم يحدد كنهها ولا طرائقها!.. هذا «التيليپاثي» - التخاطر عن بعد - ما هو؟ وكيف يتم؟ كيف يملك إنسان أن يدعو إنساناً على أبعاد وفواصل لا يصل إليها صوت الإنسان في العادة ولا بصره، فيتلقى عنه، دون أن تقف بينهما الفواصل والأبعاد؟ وهذا التنويم المغنطيسي ما هو وكيف يتم؟ كيف يقع أن تسيطر إرادة على إرادة، وأن يتصل فكر بفكر، فإذا أحدهما يوحى إلى الآخر، وإذا أحدهما يتلقى عن الآخر، كأنما يقرأ من كتاب مفتوح؟ إن كل ما استطاع العلم أن يقوله إلى اليوم في هذه القوى التي اعترف بها، هو أن أعطاها أسماء! ولكنه لم يقل قط: ما هي؟ ولم يقل قط كيف تتم؟... وليس معنى هذا هو التسليم بكل خرافة، والجري وراء كل أسطورة. . إنما الأسلم والأحوط أن يقف العقل الإنساني أمام هذه المجاهيل موقفاً مرناً. . لا ينفي على الإطلاق ولا يثبت على الإطلاق... السحر من قبيل هذه الأمور. وتعليم الشياطين للناس من قبيل هذه

الأمر . وقد تكون صورة من صوره : القدرة على الإيحاء والتأثير ، إما في الحواس والأفكار ، وإما في الأشياء والأجسام .. " 268 .

## 2- التفسير الحركي عند الأستاذ سيد قطب

قال في تفسير قوله تعالى: [ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا... وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادًا كَبِيرًا ] [الأنفال: 72-73] فيقول رحمه الله:

" وهذا الحكم منطقي ومفهوم مع طبيعة هذا الدين التي أسلفنا- ومع منهجه الحركي والواقعي. فهؤلاء الأفراد ليسوا أعضاء في المجتمع المسلم، ومن ثم لا تكون بينهم وبينه ولايه.. ولكن هناك رابطة العقيدة، وهذه لا ترتب- وحدها- على المجتمع المسلم تبعات تجاه هؤلاء الأفراد.. هذه الجاهلية التي واجهها كل رسول بالدعوة إلى الإسلام لله وحده. والتي واجهها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدعوته.. هذه الجاهلية لم تكن متمثلة في « نظرية » مجردة. بل ربما أحياناً لم تكن لها « نظرية » على الإطلاق! إنما كانت متمثلة دائماً في تجمع حركي. متمثلة في مجتمع، خاضع لقيادة هذا المجتمع، وخاضع لتصوراته وقيمه ومفاهيمه ومشاعره وتقاليده وعاداته، وهو مجتمع عضوي بين أفراد ذلك التفاعل والتكامل والتناسق والولاء والتعاون العضوي.. ومن أجل أن الجاهلية لا تتمثل في « نظرية » مجردة، ولكن تتمثل في تجمع حركي على هذا النحو؛ فإن محاولة إلغاء هذه الجاهلية، ورد الناس إلى الله مرة أخرى

، لا يجوز - ولا يجدي شيئاً - أن تتمثل في « نظرية » مجردة. فإنها حينئذ لا تكون مكافئة للجاهلية القائمة فعلاً والمتمثلة في تجمع حركي عضوي، فضلاً على أن تكون متفوقة عليها كما هو المطلوب في حالة محاولة إلغاء وجود قائم بالفعل، لإقامة وجود آخر يخالفه مخالفة أساسية في طبيعته وفي منهجه وفي كلياته وجزئياته. بل لا بد لهذه المحاولة الجديدة أن تتمثل في تجمع عضوي حركي أقوى في قواعده النظرية والتنظيمية، وفي روابطه وعلاقاته ووشائجه من ذلك التجمع الجاهلي القائم فعلاً..<sup>269</sup>.

### 3- اهتمام الأستاذ سيد قطب بالطب

في صدد تفسيره لقوله تعالى في سورة الأحقاف: (حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحملهُ وفصالهُ ثلاثون شهراً): .. ويقدم علم الأجنة فإذا به يكشف لنا في عملية الحمل عن جسامة التضحية ونبليها في صورة حسية مؤثرة. إن البويضة بمجرد تلقيحها بالخلية المنوية تسعى للإلتصاق بجدار الرحم وهي مزودة بخاصية أكالة، تمزق جدار الرحم الذي تلتصق به وتأكله فيتوارد دم الأم إلى موضعها، حيث تسبح هذه البويضة الملقحة دائماً في بُرْكَةٍ من دم الأم الغني بكل ما في جسمها من خلاصات، ومنتصه لتحيى به وتنمو، وهي دائمة الأكلان لجدار الرحم، ودائمة الامتصاص لمادة الحياة، والأم المسكينة تأكل وتشرب وتمضمض وتمتص، لتصب هذا كله دمًا نقيًا غنيًا لهذه البويضة الشرهة النهمة الأكل!... ثم الوضع، وهو عملية شاقة، ممزقة، ولكن آلامها الهائلة كلها لا تقف في وجه الفطرة ولا تنسى الأم حلاوة الثمرة، ثمرة التلبية للفطرة، ومنح الحياة نبتة جديدة تعيش.. وتمتد.. بينما هي تذوق وتموت، ثم الرضاع

<sup>269</sup> في ظلال القرآن: ج3، ص: 447

والرعاية حيث تعطي الأم عصارة لحمها وعظمها في اللبن، وعصارة قلبها وأعصابها في الرعاية وهي مع هذا وذلك فرحة سعيدة رحيمة ودودة، لا تمل أبداً ولا تكره تعب هذا الوليد. وأكبر ما تتطلع إليه من جزاء أن تراه يسلم وينمو، فهذا هو جزؤها الحبيب الوحيد! فأني يبلغ الإنسان في جزاء هذه التضحية، مهما يفعل، وهو لا يفعل إلا القليل الزهيد.. " 270.

#### 4- اهتمام سيد قطب رحمه الله بعلم الفلك والفيزياء في تفسيره

في صدد حديثه عن تفسير قوله تعالى [هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ] [ الملك:15 ] يقول رحمه الله:

"...والناس لطول ألفتهم لحياتهم على هذه الأرض؛ وسهولة استقرارهم عليها، وسيرهم فيها، واستغلالهم لتربتها ومائها وهوائها وكنوزها وقواها وأرزاقها جميعاً.. ينسون نعمة الله في تذليلها لهم وتسخيرها...والقرآن يذكرهم هذه النعمة الهائلة، ويصرهم بها، في هذا التعبير الذي يدرك منه كل أحد وكل جيل بقدر ما ينكشف له من علم هذه الأرض الذلول. والأرض الذلول كانت تعني في أذهان المخاطبين القدامى هذه الأرض المذلة للسير فيها بالقدم وعلى الدابة، وبالفلك التي تمخر البحار. والمذلة للزرع والجني والحصاد. والمذلة للحياة فيها بما تحويه من هواء وماء وتربة تصلح للزرع والإنبات...فمما يقوله العلم في مدلول الأرض الذلول: إن هذا الوصف: {ذلولاً} الذي يطلق عادة على الدابة، مقصودة في إطلاقه على الأرض! فالأرض هذه

270 المصدر السابق، ج6، ص: 3262

التي نراها ثابتة مستقرة ساكنة، هي دابة متحركة... وهي في الوقت ذاته ذلول لا تلقي براكبها عن ظهرها، ولا تتعثر خطاها، ولا تخضه وتمزه وترهقه كالدابة غير الذلول!.. إن هذه الدابة التي نركبها تدور حول نفسها بسرعة ألف ميل في الساعة، ثم تدور مع هذا حول الشمس بسرعة حوالي خمسة وستين ألف ميل في الساعة. ثم تركض هي والشمس والمجموعة الشمسية كلها بمعدل عشرين ألف ميل في الساعة... ومع هذا الركض كله يبقى الإنسان على ظهرها آمناً مستريحاً مطمئناً معاني لا تتمزق أوصاله، ولا تتناثر أشلاؤه، بل لا يرتج محه ولا يدوخ، ولا يقع مرة عن ظهر هذه الدابة الذلول! وهذه الحركات الثلاث لها حكمة. وقد عرفنا أثر اثنتين منها في حياة هذا الإنسان... فدورة الأرض حول نفسها هي التي ينشأ عنها الليل والنهار.. ودورتها حول الشمس هي التي تنشأ عنها الفصول. ولو دام فصل واحد على الأرض ما قامت الحياة في شكلها هذا كما أرادها الله. أما الحركة الثالثة فلم يكشف ستار الغيب عن حكمتها بعد.. والله جعل الأرض ذلولاً للبشر بأن جعل لها جاذبية تشدهم إليها في أثناء حركاتها الكبرى، كما جعل لها ضغطاً جويّاً يسمح بسهولة الحركة فوقها. ولو كان الضغط الجوي أثقل من هذا لتعذر أو تعسر على الإنسان أن يسير ويتنقل حسب درجة ثقل الضغط، فإما أن يسحقه أو يعوقه. ولو كان أخف لاضطربت خطى الإنسان أو لانفجرت تجاويفه لزيادة ضغطه الذاتي على ضغط الهواء حوله، كما يقع لمن يرتفعون في طبقات الجو العليا بدون تكييف لضغط الهواء!... والله جعل الأرض ذلولاً بأن جعل الهواء المحيط بها محتويّاً للعناصر التي تحتاج الحياة إليها، بالنسب الدقيقة التي لو اختلت ما قامت الحياة، وما عاشت إن قدر لها أن تقوم من الأساس. فنسبة الأكسجين فيه هي 21% تقريباً، ونسبة الأزوت أو النتروجين هي 78% تقريباً، والبقية من ثاني أكسيد الكربون بنسبة ثلاثة أجزاء

من عشرة آلاف وعناصر أخرى. والله جعل الأرض ذلولاً بآلاف من هذه الموافقات الضرورية لقيام الحياة... ومنها حجم الأرض وحجم الشمس والقمر، وبعد الأرض عن الشمس والقمر. ودرجة حرارة الشمس. وسمك قشرة الأرض. ودرجة سرعتها.. ونسبة توزيع الماء واليابس فيها. وكثافة الهواء المحيط بها.. إلى آخره.. إلى آخره. وهذه الموافقات مجتمعة هي التي جعلت الأرض ذلولاً... " 271.

وبعد عرض هذه المقتطفات الرائعة و هذه النماذج النادرة من تفسيره لكتاب الله عز وجل، يتضح لنا أصالة ونزاهة المنهج و الفكر النير، للأستاذ الشهيد سيد قطب، كما اتضحت لنا طبيعة من خلال عرض آراءه و ملامح فكره المؤهلات العلمية و الثقافية و الأخلاقية و الروحية وتنوعها الذي كان يتمتع هذا المفسر المرحوم، مما جعلته رائداً و مثالياً يحسن الاقتداء به في هذا الفن. فرحمه الله رحمة واسعة و جعلنا من أمثاله، إنه تعالى أكرم مسئول و خير مأمول.

## الخلاصة

ولقد توصل الباحث بحمد الله تعالى إلى ختام هذه الدراسة بتوفيق الله تعالى وبعد جهد جهيد و عمل متواصل، و أحمد ربي حمد الشاكرين المخلصين أن منّ علي بنعمة الصحة والعافية أثناء كتابة هذه البحث و بارك في وقتي، حتى تم في وقته المناسب. هذا، ويحسن بنا في هذا المقام - بعد أن تجولنا في عالم التفسير و مسالكه مع الأستاذ سيد قطب رحمه الله ، وعشنا في ظلال تفسيره واستمتعنا بمائه العذب وهوائه الطلق الصافي النقي، واستعلت أرواحنا و أفكارنا على مادية هذه الحياة الدنيا و تهافتها و انحطاطها - أن أورد أهم النتائج التي استطعت أن أقف عليها أثناء الدراسة . ومن هذه النتائج:

لقد كشفت الدراسة عن عصر سيد قطب و صورتها السياسية و تكاليف القوى الصهيونية والصليبية على الإسلام والمسلمين، حيث الاستعمار والحروب. كما كشفت الدراسة عن الحالة الدينية التي كانت حافلة بالاضطرابات والفتن والصراعات المذهبية بين الشيوعية والإلحادية. بالتعرف على شخصية الأستاذ سيد قطب في إطار بيئته.. وقفنا على شخصية علمية من الطراز الفريد، ونموذج حي من أعلام التفسير. ولعل من أهم الأسباب التي جعلت سيداً ينجح في دعوته أيما نجاح، وأن يحظى تفسيره بحظ وافر، أن سيد قطب عاش في عصر المشاكل والتحديات الحضارية الغربية و الأمريكية. ومع كونه مفسراً وأديباً و ذا خبرة بعلم الاجتماع مما جعله يعيش قضيته و يتألم لآلام الأمة ، ويكون دقيقاً في تحليلاته واجتهاداته. أثبتت هذه الدراسة من خلال النظرة الموضوعية والمنهجية المتجردة، أن سيد قطب رحمه الله طرق مجال الدعوة في تفسيره بمنهج علمي قرآني دقيق و متكامل، وأن هذا المنهج في فهمه لكتاب الله وافق قواعد الشرع والأصول واللغة. برزت شخصية الأستاذ سيد قطب كإمام في



الدعوة و رائد في التفسير، من خلال مواقفه العلمية و الشخصية القوية أمام طواغيت عصره، فلم يكن حاطب ليل أو يقف موقف الناظر من بعيد دون التوغل و النزول إلى ساحة الدعوة في تفسيره لآيات الله تعالى. كما رصد البحث موقف سيد قطب من الأنظمة و الأوضاع الحالية، حيث لم يتساهل فيها، و إنما كان يجهر بالحق و لا يخشى في الله لومة لائم. لقد وقف الأستاذ سيد قطب في منهجه على قمة المذاهب و الفرق العصرية و الهدامة في ذلك العصر، و من رآه علم مقدار ما عنده من علم بأحوال العالم. سجل الأستاذ سيد قطب في تفسيره دعوته إلى تفسير و منهج حركي الذي لم يسبق إليه من قبل، و أبرز مكانته كمفسر و داعٍ مما فاق أقرانه و معاصريه و كان خير مثال للمفسر يقتدى به في العصر الحاضر في كيفية تفسير كتاب الله عز و جل، مراعيًا الواقع المعاصر و تحدياته و متطلباته العلمية و الثقافية و ملتزمًا بآداب و منهج السلف الصالح، فرحمه الله واسعة و جعلنا من أمثاله إنه تعالى سميع قريب مجيب، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

للتواصل مع المؤلف يرجى كتابته على هذا العنوان :

**drhafezi68@gmail.com**

أو زيارة موقعه الشخصي

**www.drhafezi.net**

---

تم مراجعة هذه الدراسة مرة أخرى ضحوة يوم السبت الموافق لـ 3 ذي الحجة 1436 هـ  
الموافق 2014/9/27 الدوحة - قطر



آيات السلم والحرب في القرآن الكريم  
بين المفسرين القدامى والمعاصرين  
دراسة تحليلية في كتب التفسير

ورقة علمية قدمت في المؤتمر  
الإقليمي الذي تنظمه كلية أصول الدين  
في جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية  
بعنوان:

الإسلام والسلام العالمي

بتاريخ 24-25 فبراير 2010 م

بقلم

الدكتور خير الدين خوجة

كلية أصول الدين - قسم التفسير والحديث

2010 م

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

إن الحمد لله تبارك وتعالى، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، ونبيه وخليفه، وصفيه وحببيه، وعلى آله وأصحابه، ومن اتبع هداه واستن بسنته إلى يوم الدين. اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم وأكرمنا بنور الفهم، وجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. أما بعد؛

فهذه ورقة علمية قمت بجمع مادتها من مظانها وبطون كتب التفسير وإعدادها لهذا المؤتمر المبارك والتي ستعقد كليتنا المباركة، كلية أصول الدين، والتي أسأل الله عز وجل أن يعينني برحمته وقوته، وأن يرحم ضعفي ويتجاوز عن زلاتي وسيئاتي وسقطاتي، إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير.

إن موضوع هذه الورقة يدور حول: " السلام العالمي والإسلام "، وقد كثر كلام الباحثين والسياسيين من المسلمين وغيرهم حول موضوع السلام وموقف الإسلام منه؛ وهل الإسلام دين سلام أو دين حرب؟ أو هل الإسلام دين مسالمة أو عنف؟ هل الإسلام دين جهاد أو مصالحة؟ إلى غير ذلك من التساؤلات. والشئ اللافت للنظر هو أن جل المتحدثين عن السلام وموقف الإسلام منه، هم من أشد الناس نقضاً لعملية السلام و هم من أشد الناس إفساداً في الأرض وإهلاكاً للحرث والنسل.

كما أن كثيراً من الكتابات في العصر الحديث حول موضوع السلام في الإسلام مع الدول المعادية تفتقر إلى تأصيل قرآني ونبوي. كما أنني لم أقف على دراسات أو بحوث قد تناولت جهود المفسرين القدامى والمعاصرين حول هذه المسألة المهمة ومدى ارتباطهم بهذه القضايا وتناولهم لها. وهذا ما ينوي القيام به كاتب هذه الأسطر بإذن الله، والذي يسأل الله تعالى توفيقه لإنجاز هذا العمل للقيام بدراسة تحليلية لكلام وآراء بعض المفسرين حول هذا الموضوع. كما انها تهدف إلى إبراز جهود المفسرين في تناولهم للقضايا الدينية والاجتماعية، وإن كان هؤلاء الأوائل لم يواجهوا هذه التحديات كما نواجهها نحن في القرن الحادي والعشرين. بناءً على هذه الحقيقة فلا يجوز لمنصف عاقل أن يحتمل العلماء القدامى في عدم تناولهم في مصنفاتهم حديث القضايا الراهنة التي نحن بصددنا والتحديات التي نواجهها، لأنهم خلقوا لزمان غير زماننا وواجهوا قضايا أخرى غير التي نواجهها. إلا أن المفسرين القدامى كما ستبين لنا هذه الدراسة كانوا مدركين للأبعاد المعنوية لتلك الآيات التي لها بعد اجتماعي وأخلاقي وتشريعي، وذكروا في تفاسيرهم تقريباً كل ما ذهب إليه المفسرون المعاصرون باختلاف يسير في العبارات والمصطلحات.

وما من شك أن هذا الانفتاح عليهم للأحداث المستقبلية كان ببركة تعايشهم وتعاملهم وتفسيرهم للقرآن العظيم وصدق إخلاصهم تجاهه. ولهذا فالمطلوب من علماء الأمة الإسلامية أن يلجأوا إلى القرآن والسنة للبحث عن الأدوية للأمراض المستعصية التي نواجهها. والقرآن الكريم كتاب معجز وصالح لكل زمان ولكل مكان، وكل يستقي منها الحكم والدرر والعبر طبقاً للاختصاص الذي ينتمي إليه. وحقيقة أخرى ينبغي أن لا ننساها، هي أن النصوص القرآنية والنبوية متناهية محدودة، أما القضايا والمستجدات والتحديات غير متناهية. من هذا المنطلق عالج الفقهاء

والمفسرون القضايا الاجتماعية والسياسية والأخلاقية في مصنفاتهم وتفاسيرهم بناء على اجتهاداتهم الشخصية في ضوء الكتاب والسنة. نتضرع إلى المولى عزوجل أن يثيب العلماء والباحثين المخلصين، القدامى منهم والمعاصرين على ما بذلوا ويبدلون من جهود جبارة ومضنية لرفع مستوى الأمة علمياً وتربوياً وأخلاقياً وإيمانياً، وأن يجعل أعمالهم وأعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يدخر أجر جهودهم وجهودنا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، إنه تعالى سميع قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سلطنة بروناي

2 فبراير 2010 م

## المبحث الأول: المفسرون القدامى ورؤيتهم لإعداد القوة والسلم مع العدو

من خلال تصفحنا لكلام المفسرين حول معنى الآيات القرآنية التي تناولت آيات السلام والهدنة أو المصالحة مع العدو أو غير المسلمين عموماً، أو إعداد القوة لترهيب العدو وتخويفهم، والوقوف على أسباب النزول لتلك الآيات، أرى من الضروري ترتيب كلام المفسرين القدامى أولاً وتفسيرهم بإيجاز حول هذه الآيات، ومن ثم كلام المفسرين المعاصرين على النحو الآتي:

## المطلب الأول: كلام الإمام ابن جرير الطبري ( ت 310 هـ )

حينما تعرض شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله لتفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، [الأنفال:61]، ذكر:

" القول في تأويل قوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية محمد - صلى الله عليه وسلم - : وإما تخافن من قوم خيانة وهدراً، فانبذ إليهم على سواء وأذنهم بالحرب، ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾، وإن مالوا إلى مسالمتك ومتركتك الحرب، إما بالدخول في الإسلام، وإما بإعطاء الجزية، وإما بموادة، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح، ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ فمِل إليها، وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه... " 272.

272 تفسير الطبري؛ ج 14، ص 32، 37، 40

من خلال تأملنا لكلام الإمام ابن جرير الطبري يتضح لنا بجلاء أنه فسر هذه الآية على ظاهرها كما هو واضح، مبيناً أمر الله تعالى لنبية محمد صلى الله عليه وسلم بالجنوح نحو المسالمة والصلح مع الأعداء وعدم التقصير في ذلك إن كانت الفرص مواتية؛ إن هم مالوا وجنحوا إلى الصلح أو السلم. وما من شك أن هذه هي مبادئ عقيدة إسلامنا وديننا الحنيف. ولم يأت الإسلام للحث على الحرب والنزاع وسفك دماء الناس كما هو مشاع عند بعض الجهلة الغربيين والمستغربين من المسلمين بحقيقة الرسالة الإسلامية.

وأما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِبَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾، [ الأنفال: 60 ]، ذكر رحمه الله:

" القول في تأويل قوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: (وأعدوا)، لهؤلاء الذين كفروا بربهم، الذين بينكم وبينهم عهد، إذا خفتهم خيانتهم وغدرهم، أيها المؤمنون بالله ورسوله ﴿ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾، ما أطقتم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم، من السلاح والخيل، ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، تخيفون... وتخزون به... بإعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين، كما ورد عن ابن عباس... " 273. ثم ذكر الحديث المرفوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم الذي فسر القوة بالرمي: ( ألا إنَّ هو القوة الرمي، ألا إنَّ القوة هو الرمي ) " 274.

273 تفسير الطبري، ج 14، ص 31

274 هذا الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، رقم: 3541، ج 10، ص 32، قال: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَنْ ابْنِ أَبِي عَمْرٍاءَ بْنِ شَيْبَةَ أَنَّ سَمْعَةَ بْنَ عَمْرٍاءَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ



فبناء على هذا الكلام فإن على المسلمين الاستعداد التام والكامل بالآلات  
والسلاح والخيل لإرهاب العدو. وكما هو معلوم من منهج الإمام الطبري الأثري أنه  
يفسر القرآن بالقرآن والقرآن بالسنة، وقد رأينا أنه رحمه الله قد فسر القوة بالرمي.  
كما أن من منهجه رحمه الله الترجيح بين المسائل والقضايا وبيان الراجح منها وتوضيح  
الغامض وإزالة الإشكالات الواردة والمحتملة.

ثم إنه تطرق رحمه الله إلى تفسير قوله تعالى قائلاً:

" القول في تأويل قوله: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَنْ تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾. قال أبو  
جعفر: اختلف أهل التأويل في هؤلاء "الآخرين"، من هم، وما هم؟ فقال بعضهم:  
هم بنو قريظة... وقال آخرون: هم قوم من الجن... والصواب من القول في ذلك أن  
يقال: إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوون به على جهاد عدوه  
وعدوهم من المشركين، من السلاح والرمي وغير ذلك، ورباط الخيل ولا وجه لأن  
يقال: عني بـ "القوة"، معنى دون معنى من معاني "القوة"، وقد عمَّ الله الأمر بها... فإن  
قال قائل: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بيَّن أن ذلك مرادٌ به الخصوص  
بقوله: ( ألا إن القوة الرمي)؟ قيل له: إن الخبر، وإن كان قد جاء بذلك، فليس في  
الخبر ما يدلُّ على أنه مرادٌ بها الرمي خاصة، دون سائر معاني القوة عليهم، فإن الرمي  
أحد معاني القوة، لأنه إنما قيل في الخبر: " ألا إن القوة الرمي"، ولم يقل: "دون  
غيرها"، ومن "القوة" أيضاً السيف والرمح والحربة، وكل ما كان معونة على قتال  
المشركين، كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم.... وأما قوله: ﴿

وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، (ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي)،

و أخرجه الإمام أبو داود في سننه، ج 7، ص 35، والإمام الترمذي في سننه، ج 10، ص 348، والإمام أحمد في

مسنده، 35، ص 301

وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ ﴿٢٧٥﴾، فإن قول من قال: عنى به الجن، أقرب وأشبهه بالصواب، لأنه جل ثناؤه قد أدخل بقوله: ﴿٢٧٥﴾ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴿٢٧٦﴾، الأمر بارتباط الخيل لإرهاب كل عدوِّ الله وللمؤمنين يعلمونهم، ولا شك أن المؤمنين كانوا عاملين بعداوة قريظة وفارس لهم، لعلمهم بأنهم مشركون، وأنهم لهم حرب... " 275.

ملخص كلام الإمام الطبري أنه رحمه الله فسر القوة بالآلات والسلاح والخيل والسيف والرمح والحربة وكل الوسائل الأخرى التي تكون معونة للمسلمين في الحرب. ولم يتقيد بحديث الرسول صلى الله عليه الذي فسر القوة بالرمي قائلاً إن هذا لا يعني أن غيره لا يدخل فيه. وهذا الانفتاح في الفهم للنص القرآني بهذه الأبعاد في غاية الحسن والدقة، والله أعلم.

### المطلب الثاني: تفسير الإمام الفخر الرازي ( ت 606 هـ )

وقبل أن نذكر كلام الإمام الرازي رحمه الله، نود أن نشير إلى أنه في سرده للأقوال الواردة في معنى القوة، يظهر لنا بجلاء و وضوح البعد الحضاري والعلمي في فكر الإمام الرازي رحمه الله، حيث إنه رحمه الله لم يستثن شيئاً من ذكره له علاقة بمعنى الآية. وهذا الذي ذكره الإمام الرازي هو الذي كان متوفراً ومشاهداً في عصره. وما من شك أنه رحمه الله لو كان حياً في عصرنا لذكر أن الآية الكريمة تشمل كل ما له علاقة بالرمي ابتداء من القنابل الذرية، والصواريخ بعيدة أو قريبة المدى، والمدركات والدبابات والشاحنات الحربية.. إلخ، لأن تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للقوة

<sup>275</sup> تفسير الطبري، ج 14، ص 31

بالرمي.. لا يمنع دخول الغير فيه. كما أنه رحمه الله أشار إلى أن الخيل في زمان السلف كان من أقوى آلات الحرب والجهاد، وهذا لا يزال إلى يومنا هذا، فللخيل بركته ودوره البارز في الحروب ولا يعوض عنه بشيء حتى هذه الأيام. ثم إنه رحمه الله ذكر الحكمة من إعداد القوة وهي الحفاظ على سمعتهم ودولتهم وأموالهم و أعراضهم وكل ما هو خاص بهم، وأيضاً حتى يعلي شأن المسلمين في عين العدو، وربما بسبب هذه العدة قد يدخل العدو إلى الإسلام.

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾، [الأنفال: 60]، فقد ذكر الإمام الرازي قائلاً:

" اعلم أنه تعالى لما أوجب على رسوله أن يشرد من صدر منه نقض العهد، وأن ينبذ العهد إلى من خاف منه النقض، أمره في هذه الآية بالإعداد لهؤلاء الكفار. قيل: إنه لما اتفق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قصة بدر أن قصدوا الكفار بلا آلة ولا عدة أمرهم الله أن لا يعودوا لمثله وأن يعدوا للكفار ما يمكنهم من آلة وعدة وقوة، والمراد بالقوة ههنا: ما يكون سبباً لحصول القوة وذكروا فيه وجوهاً: الأول: المراد من القوة أنواع الأسلحة. الثاني: روي أنه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر وقال: «ألا إن القوة الرمي» قالها ثلاثاً<sup>276</sup>. الثالث: قال بعضهم: القوة هي الحصون. الرابع: قال أصحاب المعاني الأولى أن يقال: هذا عام في كل ما يتقوى به على حرب العدو، وكل ما هو آلة للغزو والجهاد فهو من جملة القوة. وقوله عليه الصلاة والسلام: «القوة هي الرمي» لا ينفي كون غير الرمي معتبراً،

276 الحديث سبق تخريجه

كما أن قوله عليه الصلاة والسلام : «الحج عرفة» و «الندم توبة» لا ينفي اعتبار غيره، بل يدل على أن هذا المذكور جزء شريف من المقصود فكذا ههنا ، وهذه الآية تدل على أن الاستعداد للجهاد بالنبل والسلاح وتعليم الفروسية والرمي فريضة، إلا أنه من فروض الكفايات. وقوله: ﴿ومن رباط الخيل﴾ الرباط المرابطة أو جمع ربيط، كفصال وفصيل، ولا شك أن ربط الخيل من أقوى آلات الجهاد... ثم إنه تعالى ذكر ما لأجله أمر بإعداد هذه الأشياء، فقال: ﴿ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾، وذلك أن الكفار إذا علموا كون المسلمين متأهبين للجهاد ومستعدين له مستكملين لجميع الأسلحة والآلات خافوهم وذلك الخوف يفيد أموراً كثيرة: أولها: أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام. وثانيها: أنه إذا اشتد خوفهم فرموا بالتزمو من عند أنفسهم جزية. وثالثها: أنه ربما صار ذلك داعياً لهم إلى الإيمان. ورابعها: أنهم لا يعينون سائر الكفار. وخامسها: أن يصير ذلك سبباً لمزيد الزينة<sup>277</sup> في دار الإسلام..<sup>278</sup>، ثم قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ﴾، والمراد أن تكثير آلات الجهاد وأدواتها كما يرهب الأعداء الذين نعلم كونهم أعداء، كذلك يرهب الأعداء الذين لا نعلم أنهم أعداء، ثم فيه وجوه:

الأول: وهو الأصح أنهم هم المنافقون، والمعنى: أن تكثير أسباب الغزو كما يوجب رهبة الكفار فكذلك يوجب رهبة المنافقين. فإن قيل: المنافقون لا يخافون القتال فكيف يوجب ما ذكرتموه الإرهاب؟ قلنا: هذا الإرهاب من وجهين: الأول: أنهم إذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلتهم وأدواتهم انقطع عنهم طمعهم من أن يصيروا مغلوبين، وذلك يحملهم على أن يتركوا الكفر في قلوبهم وبواطنهم ويصيروا مخلصين في

<sup>277</sup> وهذا الرأي الذي ذكره الإمام الرازي مع جلالته قدره - مع احترامي الشديد - من أن الحكمة من إعداد القوة للعدو

هي - زينة في دار الإسلام.. لا أراه وجيهاً، والله أعلم.

<sup>278</sup> تفسير الرازي، ج 7، ص 423

الإيمان، والثاني: أن المنافق من عادته أن يتربص ظهور الآفات ويحتال في إلقاء الإفساد والتفريق فيما بين المسلمين، فإذا شاهد كون المسلمين في غاية القوة خافهم وترك هذه الأفعال المذمومة... والقول الثالث: أن المسلم كما يعاديه الكافر، فكذلك قد يعاديه المسلم أيضاً، فإذا كان قوي الحال كثير السلاح، فكما يخافه أعداؤه من الكفار، فكذلك يخافه كل من يعاديه مسلماً كان أو كافراً...<sup>279</sup>.

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، [الأنفال: 61]، قال الإمام الرازي رحمه الله:

"واعلم أنه لما بين ما يرهب به العدو من القوة والاستظهار، بين بعده أنهم عند الإرهاب إذا جنحوا أي مالوا إلى الصلح، فالحكم قبول الصلح. قال النضر: جنح الرجل إلى فلان، وأجنح له إذا تابعه وخضع له، والمعنى: إن مالوا إلى الصلح فمل إليه وأنت الهاء في لها، لأنه قصد بها قصد الفعلة والجنحة، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، أراد من بعد فعلتهم. قال صاحب «الكشاف»: السلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب. قال الشاعر: [السلم تأخذ منها ما رضيت به - والحرب تكفيك من أنفاسها جرع]...<sup>280</sup>.

وتجدر الإشارة هنا أن الإمام الرازي قال:

"أنهم عند الإرهاب إذا جنحوا أي مالوا إلى الصلح، فالحكم قبول الصلح.."، و هذا يعني عند تمام القوة للمسلمين وليس في حالة ضعف المسلمين كما ذهب إليه بعض العلماء. فبناء على رأي الإمام الرازي فإن هذا الصلح حتى لو تم على سبيل

<sup>279</sup> المصدر السابق، الصفحة والجزء

<sup>280</sup> تفسير الرازي، ج 7، ص 425

المخادعة وجب قبوله، لأن الأحكام الشرعية تبنى على الظاهر لا على الباطن، والله أعلم. فتأمل.

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ...﴾، قال الإمام الرازي:

" اعلم أنه تعالى لما أمر في الآية المتقدمة بالصلح، ذكر في هذه الآية حكماً من أحكام الصلح وهو أنهم إن صالحوا على سبيل المخادعة، وجب قبول ذلك الصلح، لأن الحكم يبنى على الظاهر لأن الصلح لا يكون أقوى حالاً من الإيمان، فلما بينا أمر الإيمان عن الظاهر لا على الباطن، فههنا أولى ولذلك قال: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾، المراد من تقدم ذكره في قوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾. فإن قيل: أليس قال: ﴿وَإِنَّمَا تَخَافَنْ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فانبذ إِلَيْهِمْ﴾ أي أظهر نقض ذلك العهد، وهذا يناقض ما ذكره في هذه الآية؟ قلنا: قوله: ﴿وَإِنَّمَا تَخَافَنْ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾، محمول على ما إذا تأكد ذلك الخوف بأمارات قوية دالة عليها، وتحمل هذه المخادعة على ما إذا حصل في قلوبهم نوع نفاق وتزوير، إلا أنه لم تظهر أمارات تدل على كونهم قاصدين للشر وإثارة الفتنة، بل كان الظاهر من أحوالهم الثبات على المسألة وترك المنازعة، ثم إنه تعالى لما ذكر ذلك. قال: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾، أي فالله يكفيك، وهو حسبك... " 281.

ونجد الإمام الرازي عند تفسيره للآيات من سورة محمد لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾، [ محمد: 35 ]، ذكر قائلاً:

"...لما بيّن أن عمل الكافر الذي له صورة الحسنات محبط، وذنبه الذي هو أقبح السيئات غير مغفور، بين أن لا حرمة في الدنيا ولا في الآخرة، وقد أمر الله تعالى بطاعة الرسول بقوله ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، [النساء:59]، وأمر بالقتال بقوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾، أي لا تضعفوا بعد ما وجد السبب في الجد في الأمر والاجتهاد في الجهاد فقال: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾. وفي الآيات ترتيب في غاية الحسن، وذلك لأن قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ يقتضي السعي في القتال لأن أمر الله وأمر الرسول ورد بالجهاد وقد أمروا بالطاعة، فذلك يقتضي أن لا يضعف المكلف ولا يكسل ولا يهن ولا يتهاون، ثم إن بعد المقتضي قد يتحقق مانع ولا يتحقق المسبب، والمانع من القتال إما أخروي وإما دنيوي، فذكر الأخروي وهو أن الكافر لا حرمة له في الدنيا والآخرة، لأنه لا عمل له في الدنيا ولا مغفرة له في الآخرة، فإذا وجد السبب ولم يوجد المانع ينبغي أن يتحقق المسبب، ولم يقدم المانع الدنيوي على قوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾، إشارة إلى أن الأمور الدنيوية لا ينبغي أن تكون مانعة من الإتيان، فلا تهنوا فإن لكم النصر، أو عليكم بالعزيمة على تقدير الاعتزام للهزيمة. ثم قال تعالى بعد ذلك المانع الدنيوي مع أنه لا ينبغي أن يكون مانعاً ليس بوجود أيضاً حيث أنتم الأعلون.. " 282.

أقول: إن هذا الذي ذكره الإمام الرازي فيه نظر!! فهو رحمه الله في تفسيره لهذه الآيات من سورة محمد - صلى الله عليه وسلم - يميل إلى عدم التنازل عن فريضة الجهاد والتسامح مع الكفار لكونهم أعداء الله ورسوله، ولكون الكافر حسب رأيه لا حرمة له في الدنيا ولا في الآخرة، ولا أدري كيف نوفق بين ما ذكره سابقاً من الجنوح إلى السلم إن الأعداء جنحوا للسلم!!

أقول: إن هذا الذي ذهب إليه الإمام الرازي كما يبدو للباحث مسألة لا يُسلم له فيها، من كون الكافر لا حرمة له في الدنيا! وبناء على هذا الرأي فإنه يجب استئصال جميع الكفار! وهذا لا يستقيم مع منهج القرآن ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة. وقد وجد الكفار في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينقل عنه أنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر باستئصالهم لأنهم لا حرمة لهم في الدنيا. نعم، لا حرمة لهم في الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾، [الفرقان: 23] وأما في الدنيا فلهم دينهم ولنا ديننا، والله أعلم.

### المطلب الثالث: كلام الإمام القرطبي ( ت 671 هـ )

وفي تفسيره لقوله تعالى ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، [الأنفال: 61]، قال الإمام القرطبي رحمه الله: " قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، [الأنفال: 61]، إنما قال لها، لأن السِّلْم مؤنثة... ويجوز أن يكون التأنيث للفِعْلَة، والجنوح الميل.. يقول: إن مالوا.. يعني الذين نبذ إليهم عهدهم إلى المسألة أي الصلح فمل إليها. وجنح الرجل إلى الآخر؛ مال إليه. والسِّلْم والسلام... هو الصلح.... وقرأ الجمهور ﴿فَاجْنَحْ﴾ بفتح النون وهي لغة تميم. وقرأ الأشهب العقيلي ﴿فَاجْنَحْ﴾ بضم النون وهي لغة قيس.. " 283.

فملخص كلام الإمام القرطبي حول هذه الآية انه رحمه الله فسر الآية وذكر اللغات الثلاث في السلم التي كانت مستخدمة عند العرب على أنها بمعنى: الإسلام، أو المسالمة أو الصلح. وبعد تفسيره للآيات السابقة تعرض إلى مناقشة مسألة كون الآية

283 تفسير القرطبي؛ ج3، ص20-22



منسوخة أو غير منسوخة، ثم سرد أقوال السلف رحمهم الله من قال بنسخها ومن قال بعدم نسخها، مع ذكر أدلتهم ومدة المصاحفة-

أ: من قال بنسخها. قال رحمه الله:-

" وقد اختلف في هذه الآية هل هي منسوخة أو لا ؟ فقال قتادة وعكرمة: نسخها ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، [التوبة:5]، و﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، [ التوبة:36]. وقال ابن عباس: الناسخ لها ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالِكُمْ﴾، [ محمد:35].

### ب: القائلون بعدم نسخها

" وقيل: ليست بمنسوخة بل أراد قبول الجزية من أهل الجزية وقد صالح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده من الأئمة كثيراً من بلاد العجم على ما أخذوه منهم وتركوهم على ما هم فيه وهم قادرون على استئصالهم. وكذلك صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً من أهل البلاد على مال يؤدونه من ذلك خبير رد أهلها إليها بعد الغلبة على أن يعملوا ويؤدوا النصف. قال ابن إسحاق: قال مجاهد: عني بهذه الآية قريظة، لأن الجزية تقبل منهم فأما المشركون فلا يقبل منهم شيء... فإذا كان المسلمون على عزة وقوة ومنعة وجماعة عديدة وشدة شديدة؛ فلا صلح، وإن كان للمسلمين مصلحة في الصلح لنفع يجتلبونه

أو ضرر يدفعونه فلا بأس أن يتديء المسلمون به إذا احتاجوا إليه، وقد صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر على شروط نقضوها فنقض صلحهم. وقد صالح الضمري... وأهل نجران. وقد هادن قريشاً لعشرة أعوام حتى نقضوا عهده، وما زالت الخلفاء والصحابة على هذه السبيل التي شرعناها سالكة وبالوجوه التي شرحناها عاملة...<sup>284</sup>.

فكما هو ملاحظ هنا أن الإمام القرطبي لم يقل بنسخ الآية، وإنما وكل الأمر إلى حالة المسلمين وإلى رأي الإمام. فإذا كان المسلمون في حالة ضعف فلا بأس أن يتديء المسلمون بالصلح وإلا فلا.

**ج: مدة المصالحة مع الكفار أو العدو، ذكر الإمام القرطبي رحمه الله:**

" قال القشيري: إذا كانت القوة للمسلمين فينبغي ألا تبلغ الهدنة سنة وإذا كانت القوة للكفار جاز مهادنتهم عشر سنين ولا تجوز الزيادة وقد هادن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة عشر سنين. قال ابن المنذر: اختلف العلماء في المدة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة عام الحديبية؟ فقال عروة: كانت أربع سنين. وقال ابن جريج: كانت ثلاث سنين. وقال ابن إسحاق: كانت عشر سنين. وقال الشافعي رحمه الله: لا تجوز مهادنة المشركين أكثر من عشر سنين على ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية، فإن هو دون المشركون أكثر من فعل ذلك فهي منتقضة، لأن الأصل فرض قتال المشركين حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية. وقال ابن حبيب عن مالك رضي الله عنه: تجوز مهادنة المشركين السنة والسنتين والثلاث وإلى غير مدة...<sup>285</sup>.

<sup>284</sup> تفسير القرطبي؛ ج 3، ص 20-22

<sup>285</sup> المصدر السابق؛ ج 9، ص 63

وهذا الذي ذهب إليه الإمام القرطبي هو الصحيح في هذه المسألة. فحالة المسلمين هي التي تقرر موضوع المدة للمصالحة، ولا نستطيع الاعتماد على ما ذكره أهل العلم القدامى من أن المصالحة لا يجوز أن تزيد على سنة أو ثلاثة أو عشرة، لأن واقع المسلمين اليوم غير الواقع الذي عايشه أسلافهم، والله أعلم.

## المبحث الثاني: المفسرون المعاصرون ورؤيتهم لإعداد القوة والسلم مع العدو

المطلب الأول: الشيخ أبو بكر الجزائري<sup>286</sup>

ذكر الشيخ أبو بكر الجزائري حفظه الله سبب نزول هذه الآيات، كما أنه فسر القوة بالرمي للحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بيان الحكمة من ذلك قائلاً بأن هذا النوع من الإعداد يسمى اليوم ب: السلم المسلح، لأنه حسب رأي الشيخ أهل الأرض قاطبة من المشركين والكفار والإنس والجن... كلهم هم أعداء الإسلام والمسلمين. وهذا الذي ذهب إليه الشيخ حفظه الله واقع ومشاهد وملموس، والله المستعان وعليه التكلان.

ففي تفسيره هذه الآيات: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ. وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، الأنفال: 60-61]. ذكر فضيلته:

" بمناسبة انتهاء معركة بدر وهزيمة المشركين فيها ، وعودتهم إلى مكة وكلهم تغيط على المؤمنين وفعلاً أخذ أبو سفيان يعد العدة للانتقام . وما كانت غزوة أحد إلا نتيجة لذلك هنا أمر الله تعالى رسوله والمؤمنين بإعداد القوة وبذل ما في الوسع والطاعة لذلك فقال تعالى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ ، وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة بالرمي بقوله « ألا إن القوة الرمي » قالها ثلاثاً وقوله تعالى: ﴿

<sup>286</sup> ملحوظة للقارئ الكريم: فيما يخص المعاصرين من المفسرين أقول: إن الترتيب الزمني يقتضي أن أبتدى بالمفسر الأستاذ سيد قطب رحمه الله في هذا المبحث، لأنه استشهد في عام ( ت 1966 م ) الموافق ( 1387 هـ )، إلا أنني أخرته وحقه التقديم على الشيخ أبي بكر الجزائري والشيخ سيد طنطاوي، شيخ الأزهر، ولكن نظراً لاستطراده فيها وتفصيله وتأصيله لأحكام العلاقات الدولية أكثر من غيره من المفسرين المعاصرين أخرته في الدراسة.

ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعودكم وآخرين من دوتهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴿﴾، يخبر تعالى عباده المؤمنين بعد أن أمرهم بإعداد القوة على اختلافها فإن رباطهم للخيل وحبسها أمام دورهم معدة للغزو والجهاد عليها يرهب أعداء الله من الكافرين والمنافقين أي يخوفهم حتى لا يفكروا في غزو المسلمين وقتالهم، وهذا ما يعرف بالسلم المسلح، وهو أن الأمة إذا كانت مسلحة قادرة القتال يرهبها أعداؤها يحاربونها، وإن رأوها لا عدة لها ولا عتاد ولا قدرة على رد أعدائها أغراهم ذلك بقتالهم فقاتلوها .

وقوله تعالى: ﴿﴾ وآخرين من دوتهم ﴿﴾، أي من دون كفار قريش وقوله ﴿﴾ لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴿﴾، من الجائز أن يكونوا اليهود أو المجوس أو المنافقين ، وأن يكونوا الجن أيضاً ، وما دام الله عز وجل لم يُسمهم فلا يجوز أن يقال هم كذا... بصيغة الجرم، غير أننا نعلم أن أعداء المسلمين كل أهل الأرض من أهل الشرك والكفر من الإنس والجن... أما الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿﴾ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴿﴾، فإن الله تعالى يأمر رسوله وهو قائد الجهاد يومئذ بقبول السلم متى طلبها أعداؤه ومالوا إليها ورغبوا بصدق فيها ، لأنه صلى الله عليه وسلم رسول رحمة لا رسول عذاب وأمره أن يتوكل على الله في ذلك أي يطيعه في قبول السلم ويفوض أمره إليه ويعتمد عليه لأنه تعالى يكفيه شرّ أعدائه " .<sup>287</sup>

ثم عقب الشيخ أبو بكر الجزائري حفظه الله بذكر الدروس والعبر المستفادة من الآيات فذكر:

<sup>287</sup> أيسر التفاسير للجزائري، ج 2 ، ص 51-52

" من هداية الآيات:

- 1- وجوب إعداد القوة وهي في كل زمان بحسبه إن كانت في الماضي الرمح والسيف ورباط الخيل فهي اليوم النفاثة المقاتلة والصاروخ، والهدروجين والدبابة والغواصة، والبارجة...
  - 2- تقرير مبدأ : السلم المسلح...
  - 3- لا يخلوا المسلمون من أعداء ما داموا بحق مسلمين، لأن قوى الشر من إنس وجن كلها عدو لهم...
  - 4- نفقة الجهاد خير نفقة وهي مضمونة التضعيف...
  - 5- جواز قبول السلم في ظروف معينة، وعدم قبوله في أخرى وذلك بحسب حال المسلمين قوة وضعفاً.. " 288.
- فهنيئاً للشيخ على فكره الحضاري والاجتماعي والديني المنضبط، وكل الذي ذكره هنا في معنى إعداد القوة، فالباحث يوافق على ذلك، والله أعلم.

المطلب الثاني: شيخ الأزهر؛ فضيلة الدكتور سيد طنطاوي حفظه الله

وأما الشيخ الدكتور سيد طنطاوي- حفظه الله - شيخ الأزهر الحالي ففي تفسيره لهذه الآيات ذهب إلى ما ذهب إليه بعض المفسرين القدامى، إلا أن فضيلته ذكر لطيفة من لطائف الآيات والتي لم أجدها عند الآخرين أثناء هذه الدراسة. فقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَاللَّفَّ بَيْنَ

قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾، [ الأنفال: 61-63 ] .

" والمعنى: عليك - أيها الرسول الكريم - أن تنكّل في الحرب بأولئك الكافرين الناقضين لعهودهم في كل مرة، وأن تهبي ما استطعت من قوة لإرهابهم، فإن مالوا بعد ذلك إلى ﴿ لِلسَّلْمِ ﴾، أى: المسالمة والمصالحة فوافقهم ومِلَّ إليها ما دامت المصلحة في هذه المسالمة .

وفيما يلي هذه الفائدة التي وجدتها في تفسيره مما لم أجدها لدى الآخرين - حيث ذكر أن الله عز وجل عبر عن جنوحهم إلى السلم بحرف ﴿ إِنْ ﴾ الذى يعبر به عن الشئ المشكوك فى وقوعه، للإشارة إلى أنهم ليسوا أهلاً لاختيار المسالمة أو المصالحة لذاتها، وإنما هم جنحوا إليها لحاجة فى نفوسهم، فعلى المؤمنين أن يكونوا دائماً على حذر منهم، وألا يأمنوا مكرهم.. "،<sup>289</sup>.

ولعل هذا هو ما قصده صاحب الكشاف بقوله عند تفسير الآية - " والصحيح أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم. وليس يحتم أن يقاتلوا أبداً، أو يجابوا إلى الهدنة أبداً " ... فالآية الكريمة تشجيع للنبي - صلى الله عليه وسلم - على السير فى طريق الصلح ما دام فيه مصلحة للإسلام وأهله، وتبشير له بأن النصر سيكون له حتى ولو أراد الأعداء بإظهار الميل إلى السلم المخادعة والمراوغة....<sup>290</sup>.

فهذه لفظة جيدة من شيخ الأزهر حفظه الله، ولا سيما عندما نعلم أن تطبيقات هذه الآية فى هذا العصر صعبة جداً، لأنه كثير من المسلمين غير قادرين على فهم

<sup>289</sup> سيد طنطاوي؛ التفسير الوسيط، ج 1 ، ص 1860-1863

<sup>290</sup> المصدر السابق، الجزء والصفحة

واستيعاب هذه الحقيقة عندما يتصالحون مع أعدائهم. وهذا الضعف ملاحظ على مستوى القادة والأفراد. فعلينا أن نكون قادرين على فهم جدية الأعداء في الصلح أو المصالحة حتى لا يضحك علينا الأعداء. ففتنّه، والله أعلم.

### المطلب الثالث: تفسير الأستاذ سيد قطب (ت 1966 م)

لا يختلف العاقلان في أن الناظر والمتأمل في تفسير الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله، والذي كتبه مرتين؛ مرة بجر القلم ومرة بدمه الزكي، يلاحظ فيه البعد الحضاري والبعد الاجتماعي والبعد السياسي، والبعد الأخلاقي والبعد الاقتصادي في تفسيره للآيات القرآنية. فهو رحمه الله كعادته في تقسيم الآيات إلى الموضوعات والمقاطع والدروس المستفادة منها تسهياً للفهم والاستيعاب والتطبيق ينهج هذا المنهج في تفسيره. ونظراً لكون المفسر من المعاصرين الذين أدركوا تطورات ومؤامرات الأعداء في العصر الحديث سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً ودينيّاً على الأمة الإسلامية، وكان الثمن الباهظ الذي دفعه؛ هوحياته ودمه الزكي، لأنه أدرك وفهم هذه الحقيقة ومن ثم وقف لها بالمرصاد... فإننا سنركز وسنعمد على تفسيره أكثر من بقية المفسرين.

لأجل ذلك فإننا بإذن الله سنعيش مع مقطعات من تفسيره حتى يدرك القارئ كلامه مباشرة حول هذه المسألة المهمة والذي نحن بصدددها، والذي هو أصلها تأصيلاً قرآنياً شرعياً مبنياً على الكتاب والسنة والتاريخ الإسلامي الصحيح. فهو رحمه الله صب عصاره فكره حول هذه المسألة في تفسيره لهذه الآيات من سورة الأنفال. فالآيات في هذه السورة المباركة متصلة مع بعضها ولها سياقها العام، وتكاد



أن تكون حول موضوع معين، فلأجل ذلك جاء تفسيرها مرتبطاً مع بعضها. ففي بداية تفسيره ذكر رحمه الله أولاً بعض القواعد الفقهية والدروس والعبر التي اشتملت عليها هذه السورة، ثم بعض ذلك ذكر كلام الامام ابن القيم في تقسيمه للناس إلى عدة أصناف تجاه الدعوة الإسلامية منذ البعثة إلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا نرغب في هذه الحالة أن نستبق الأوان بالحكم سلباً أو إيجاباً، عما إذا كان قد أصل هذه الآيات تأصيلاً علمياً ومنهجياً معتمداً على الآيات القرآنية والسنة الصحيحة والتاريخ الإسلامي. نترك القارئ الكريم يعيش وحده في ظلال هذه الآيات والمعاني التي استنبطها الأستاذ سيد قطب. غير أننا مع احترامنا لكلام المفسرين جميعاً، وبناء على القاعدة الشرعية أنه ما من أحد إلا رَدَّ ورُدَّ عليه، لا نوافق الأستاذ المفسر رحمه الله فيما ذهب إليه من استخدامه لبعض العبارات الموهمة مثل: "التنظيم العسكري الممنوع"، و "المعسكر الإسلامي" و "التنظيم الحركي" و "العصبة المسلمة.. إلخ"؟!، لأنه ربما هذه المصطلحات تثير جدلاً في هذا العصر نظراً للأوضاع التي يعايشها المسلمون. وكان بإمكانه أن يلجأ إلى استخدام مصطلحات أخرى، مثل: "الدولة الإسلامية"، "الدولة المسلمة"، "المسلمون" أو "دار الإسلام"، وقد استخدم هو رحمه الله مصطلح: "دار الإسلام" – ولا أدري لماذا عدل عنها؟ فرمما تلك المصطلحات التي لا نوافقه عليها في هذا العصر لاستخدامها؛ تكون مترادفة عنده، والله أعلم.

لقد بين رحمه الله أن الأحكام الشرعية الواردة في هذه السورة بعضها كانت مرحلية ولم تكن نهائية، والأحكام النهائية وردت في سورة "براءة" لأنه من تتبع التاريخ الإسلامي ووقائع نزول الآيات سيواجه هذه الحقيقة، ومن ثم لا بد من التوفيق والترجيح للأحداث التاريخية حتى نستخلص العبر والأحكام القرآنية القاطعة فيما

يخص إعداد القوة وعقد المصالحة مع العدو، والله أعلم. فنقول وبالله التوفيق. ففي تفسيره لهذه الآيات من سورة الأنفال:

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ فَإِمَّا تَثَقَفَنَّاهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِبِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [ الأنفال: 55-62 ]

قال رحمه الله:

" هذا الدرس الأخير من سورة الأنفال يتضمن الكثير من قواعد التعامل مع المعسكرات المتنوعة في السلم والحرب؛ والتنظيمات الداخلية للمجتمع الإسلامي وعلاقته بالمنظمات الخارجية؛ ونظرة الإسلام إلى العهود والمواثيق في شتى الأحوال؛ ونظرته كذلك إلى علاقات الدم والجنس والأرض وعلاقات العقيدة. ومنه تتبين عدة قواعد وأحكام بعضها نهائي في موضوعه؛ وبعضها مرحلي كان يواجه أحوالاً معينة واقعة، ثم أدخلت عليه التعديلات النهائية المستقرة في سورة التوبة قرب نهاية العهد المدني. ومن بين هذه القواعد والأحكام حسب ورودها في السياق القرآني:

1- أن الذين يعاهدون المعسكر الإسلامي، ثم يخلفون عهدهم معه هم شر الدواب... ومن ثم ينبغي أن يؤدبهم المعسكر الإسلامي تأديباً يلحظ فيه

الإرهاب الذي يشردهم ويشرد من وراءهم ممن تراودهم نية نقض العهد أو نية مهاجمة المعسكر الإسلامي.

2- أن المعاهدين الذين تخشى القيادة منهم نقض العهد والخيانة؛ فإن لهذه القيادة أن تنبذ إليهم عهدهم، وتعلنهم بالغاءه. ومن ثم تصبح في حل من قتالهم وتأديبهم وإرهاب من وراءهم من أمثالهم.

3- أنه يجب على المعسكر الإسلامي إعداد العدة دائماً واستكمال القوة بأقصى الحدود الممكنة؛ لتكون القوة المهنية هي القوة العليا في الأرض؛ التي ترهبها جميع القوى المبذلة؛ والتي تتسامع بها هذه القوى في أرجاء الأرض، فتهاج أولاً أن تهاجم دار الإسلام؛ وتستسلم كذلك لسلطان الله فلا تمنع داعية إلى الإسلام في أرضها من الدعوة، ولا تصد أحداً من أهلها عن الاستجابة، ولا تدعي حق الحاكمية وتعبيد الناس، حتى يكون الدين كله لله..."

أقول: كما هو ملاحظ من كلام الأستاذ سيد قطب فإنه رحمه الله لم يحدد نوعية القوة ولا وسائلها وإنما تركها مطلقة، ولم يفصل كما رأينا الشيخ أبا بكر الجزائري والإمام الرازي.. مثلاً، قائلاً :

"إعداد العدة دائماً واستكمال القوة بأقصى الحدود الممكنة؛ لتكون القوة المهنية هي القوة العليا في الأرض.."، ولعله رحمه الله ترك هذا التفصيل وهذا البيان لكي تحدده طبيعة كل عصر وكل مصر يعيش المسلمون فيه، وهذا جرياً على المنهج القرآني في سكوته وعدم تفصيله لبعض القضايا الدينية والاجتماعية، مثل وسائل وطبيعة كيفية عقد مبدأ الشورى ومبدأ القضاء

- الإسلامي و كيفية اختيار الأمير أو الرئيس.. الخ، فوسائل تحقيق هذه المبادئ ترك الشرع الحنيف تحديدها لأهل كل زمان ومكان، والله أعلم -
- 4- " أنه إذا جنح فريق من غيرالمسلمين إلى مسالمة المعسكر الإسلامي وموادعته وعدم الوقوف في وجهه فإن القيادة الإسلامية تقبل منهم المسالمة ، وتعاهدهم عليها. فإن أضمروا الخديعة ولم يبد في الظاهر ما يدل عليها، ترك أمرهم إلى الله، وهو يكفي المسلمين شر الخادعين.
- 5- أن الجهاد فريضة على المسلمين حتى لو كان عدد أعدائهم أضعاف عددهم. وأهم منصورون بعون الله على أعدائهم، وأن الواحد منهم كفاء عشرة من الأعداء، وكفاء لاثنين في أضعف الحالات وفريضة الجهاد إذن لا تنتظر تكافؤ القوى الظاهرة بين المؤمنين وعدوهم؛ فحسب المؤمنين أن يعدوا ما استطاعوا من القوى وأن يثقوا بالله، وأن يثبتوا في المعركة، ويصبروا عليها؛ والبقية على الله. ذلك أنهم يملكون قوة أخرى غير القوى المادية الظاهرة.
- 6- أن المعسكر الإسلامي يجب أن يكون هم ابتداء القضاء على قوة الطاغوت بتحطيم كل أسباب القوة. فإذا كان أسر المقاتلين وفداؤهم لا يحقق هذه الغاية، فإن هذا الإجراء يستبعد... ذلك أنه لا يكون للرسول وأتباعهم أسرى إلا بعد أن يثخنوا في الأرض، فيدمروا قوة عدوهم، ويستعلوا هم في الأرض ويتمكنوا بقوتهم؛ وعندئذ لا يكون هناك من بأس في أخذ الأسرى وفدائهم أما قبل ذلك فالتقتيل في المعركة أولى وأجدى ... " 291.

<sup>291</sup> سيد قطب؛ في ظلال القرآن، ج 3، ص 425 - 428

أقول: كما هو ملاحظ من كلام الأستاذ سيد قطب أنه في هذه المسألة نُهج منهج أستاذه و شيخه الإمام الرازي رحمهما الله، حيث لم يتركها مكاناً على وجه الأرض للكفار.. " أن المعسكر الإسلامي يجب أن يكون همه ابتداء القضاء على قوة الطاغوت بتحطيم كل أسباب القوة... فيدمروا قوة عدوهم، ويستعلواهم في الأرض ويتمكنوا بقوتهم"، وهذا في فهمنا وتقييمنا لا يستقيم مع المنهج القرآني. ترى؛ إذا تم استئصال وقتل جميع الكفار! لمن سنوجه الدعوة الإسلامية؟ و مع من سنلتزم بالحكمة والموعظة الحسنة؟ و مع من سنتجادل بالتي هي أحسن؟ و لمن سنقوم بتبليغ الدعوة؟ - والله أعلم.

7- " أن الغنائم حل للمسلمين في المعركة من أموال المشركين. كما أحل لهم أن يأخذوا فدية الأسرى بعد أن يثخنوا في الأرض ويتمكنوا فيها ويخضدوا شوكة عدوهم ويحطموها.

8- أن الأسرى في المعسكر المسلم ينبغي أن يرغبوا في الإسلام. بوعد الله لهم أن يعطيهم خيراً مما أخذ منهم من الغنيمة أو الفداء. مع تحذيرهم من الخيانة ببأس الله الذي أمكن منهم أول مرة... هذه - على وجه الإجمال - هي المبادئ والقواعد التي يتضمنها هذا الدرس؛ وهي تمثل جملة صالحة من قواعد النظام الإسلامي الداخلي والخارجي... وسنحاول أن نتناولها بشيء من التفصيل في مواجهة النصوص القرآنية...

هذه الآيات كانت تواجه حالة قائمة بالفعل في حياة الجماعة المسلمة، عند نشأة الدولة المسلمة بالمدينة؛ وتزود القيادة المسلمة بالأحكام التي تواجه بها هذه الحالة. وهي تمثل إحدى قواعد العلاقات الخارجية بين المعسكر المسلم وما حوله من

المعسكرات الأخرى. ولم تدخل عليها إلا تكملات وتعديلات جانبية فيما بعد؛ ولكنها ظلت إحدى القواعد الأساسية في المعاملات الإسلامية الدولية .  
إنها تقرر إمكان إقامة عهود تعايش بين المعسكرات المختلفة؛ ما أمكن أن تصان هذه العهود من النكث بها؛ مع إعطاء هذه العهود الاحترام الكامل والجدية الحقيقية . فأما إذا اتخذ الفريق الآخر هذه العهود ستاراً يدبر من ورائه الخيانة والغدر؛ ويستعد للمبادأة والشر؛ فإن للقيادة المسلمة أن تنبذ هذه العهود، وتعلن الفريق الآخر بهذا النبذ؛ وتصبح مطلقة اليد في اختيار وقت الضربة التالية للخائنين الغادرين... على أن تكون هذه الضربة من العنف والشدة بحيث تهرب كل من تحدته نفسه بالتعرض للمجتمع المسلم سراً أو جهراً!.. فأما الذين يسالمون المعسكر الإسلامي؛ ويريدون عدم التعرض للدعوة الإسلامية، أو الحيلولة دون وصولها إلى كل سمع؛ فإن للقيادة المسلمة أن توادعهم ما دام ظاهراً يدل على أنهم يجنحون إلى السلم ويريدونها... " 292 .

وبعد ذكره لهذه القواعد الشرعية في مقدمة تفسيره لسورة الأنفال استشهاد بكلام العلماء في ذكر الظروف التي واجهت هذه الآيات القرآنية في نزولها، وأقسام الناس تجاه الدعوة الإسلامية والمصالحة معهم، فذكر كلام ابن القيم رحمه الله قائلاً:  
"...أما الحالة الواقعة التي كانت هذه النصوص تواجهها في مجتمع المدينة يومذاك ، فقد نشأت من الظروف التي واجهتها القيادة المسلمة في أول العهد بالهجرة إلى المدينة، والتي يلخصها الإمام ابن القيم في "زاد المعاد" بقوله:

<sup>292</sup> سيد قطب؛ في ظلال القرآن؛ ج 3، ص 425 - 428

« ولما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة صار الكفار معه ثلاثة أقسام : قسم صالحهم ووادعهم على ألا يجاربه ولا يظاهروا عليه ولا يوالوا عليه عدوه - وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم - وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة. وقسم تاركوه فلم يصالحوه ولم يجاربه. بل انتظروا ما يقول إليه أمره وأمر أعدائه... ثم من هؤلاء من كان يجب ظهوره وانتصاره في الباطن... ومنهم من كان يجب ظهور عدوه عليه وانتصارهم. ومنهم من دخل معه في الظاهر، وهو مع عدوه في الباطن ليأمن الفريقين، وهؤلاء هم المنافقون فعامل كل طائفة من هذه الطوائف بما أمره به ربه تبارك وتعالى »... وكان من بين من صالحهم ووادعهم طوائف اليهود الثلاث المقيمين حول المدينة؛ وهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة. كما كان من بينهم قبائل من المشركين مجاورة للمدينة. وظاهر أن هذه الأوضاع لم تكن إلا أوضاعاً مؤقتة، تواجه أحوالاً واقعة؛ ولم تكن أحكاماً نهائية في العلاقات الدولية الإسلامية؛ وأنها عدلت فيما بعد تعديلات متوالية، حتى استقرت في الأحكام التي نزلت في سورة براءة.... " 293 .

وكما نلاحظ أن اهتمام المفسر الأستاذ سيد قطب بالتاريخ والسيرة النبوية المطهرة كبير جداً، حيث إنه رحمه الله كان يلجأ دائماً إلى كلام العلامة ابن القيم لاستقراء التاريخ الإسلامي الصحيح للوقوف على تطورات حركة الدعوة الإسلامية وما انتهت إليها في نهاية مطافها. وهذه منهجية علمية راسخة في تفسير هذا المفسر. فنجد هنا مرة أخرى يعود إلى كلام ابن القيم لاستعراض أحداث السيرة للوقوف على الأحكام المرحلية والنهائية فيما يخص مقاتلة الأعداء والمصالحة معهم وموقف الإسلام

<sup>293</sup> سيد قطب؛ في ظلال القرآن، ج 3، ص 427 - 428

منهم منذ البعثة إلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال رحمه الله: " وهذه المراحل التي مرت بها هذه العلاقات سبق في الجزء التاسع أن نقلنا لها تلخيصاً جيداً للإمام ابن القيم في زاد المعاد . ولا نرى بأساً من إعادة هذا التلخيص هنا لضرورته: » فصل في ترتيب سياق هديه ( صلى الله عليه وسلم ) مع الكفار والمنافقين

من حين بعث إلى حين لقي الله عز وجل... أول ما أوحى إليه ربه تبارك وتعالى: أن يقرأ باسم ربه الذي خلق. وذلك أول نبوته. فأمره أن يقرأ في نفسه، ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ... ثم أنزل عليه: ﴿ يا أيها المدثر. قم فأندر ﴾ فنبأه بقوله: ﴿ اقرأ ﴾، وأرسله بـ ﴿ يا أيها المدثر ﴾. ثم أمره أن يندر عشيرته الأقربين. ثم أندر قومه. ثم أندر من حولهم من العرب. ثم أندر العرب قاطبة. ثم أندر العالمين. فأقام بضعة عشرة سنة بعد نبوته يندر بالدعوة بغير قتال ولا جزية؛ ويؤمر بالكف والصبر والصفح. ثم أذن له في الهجرة وأذن له في القتال. ثم أمره أن يقاتل من قاتله، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله.. ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله.. ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام: أهل صلح وهدنة، وأهل حرب، وأهل ذمة... فأمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم، وأن يوفّي لهم؛ به ما استقاموا على العهد، فإن خاف منهم خيانة نبذ إليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد.. وأمر أن يقاتل من نقض عهده.. ولما نزلت سورة براءة نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها:

1- فأمر أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلوا في

الإسلام.

2- وأمره بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم. فجاهد الكفار بالسيف

والسنان، والمنافقين بالحجة واللسان.



3- وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ونبذ عهودهم إليهم... وجعل أهل العهد

في ذلك ثلاثة أقسام:

- قسماً أمره بقتالهم وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له، فحاربهم وظهر عليهم.  
- وقسماً لهم عهد موقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم.

- وقسماً لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه أو كان لهم عهد مطلق، فأمر أن يؤجلهم أربعة أشهر. فإذا انسلخت قاتلهم؛

1- فقتل الناقض لعهده.

2- وأجل من لا عهد له، أو له عهد مطلق، أربعة أشهر.

3- وأمره أن يتم للموئبي بعهده عهده إلى مدته، فأسلم هؤلاء كلهم ولم

يقيموا على كفرهم إلى مدتهم. وضرب على أهل الذمة الجزية.. «..»<sup>294</sup>.

ثم ذكر المفسر الشهيد كلاماً مهماً أرى من الضروري ذكره حتى تتضح الصورة الحقيقية لموقف الإسلام من غير المسلمين، والذي يعتقد كثير من الناس أنه موقف ظالم وغير منصف. إلا أن هؤلاء المتهمون لنزاهة الإسلام وإنصافه لو قرأوا التاريخ الإسلامي مع غير المسلمين منذ البعثة إلى يومنا هذا، ولو فهموه حق الفهم لما تجرأوا بالنقد والطعن وإصاق التهم الباطلة للإسلام والمسلمين والإسلام والمسلمون منه براء. قال المفسر الشهيد سيد قطب:

<sup>294</sup> سيد قطب؛ في ظلال القرآن، ج 3، ص 425 - 428 - 430

"...ويجب أن تدرس هذه النصوص في ضوء هذه الاعتبارات... ومع أنها تقرر بعض القواعد الأساسية، إلا أنها لا تمثلها في صورتها النهائية. فالصورة النهائية تمثلها نصوص سورة براءة، والتطبيقات العملية لها في أواخر حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما سيأتي... هؤلاء الذين لا يستطيع أحد أن يطمئن إلى عهدهم وجوارهم... جزاؤهم هو حرمانهم الأمن كما حرّموا غيرهم الأمن؛ وجزاؤهم هو تخوينهم وتشريدهم، والضرب على أيديهم بشدة لا ترهبهم وحدهم، إنما ترهب من يتسامح بهم ممن وراءهم من أمثالهم، والرسول - صلى الله عليه وسلم - ومن بعده من المسلمين مأمورون - إذا التقوا بأمثال هؤلاء في القتال - أن يصنعوا بهم ذلك الصنيع: ﴿فَأَمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَن حَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ﴾، [ الأنفال:57]... إنها طبيعة هذا المنهج التي يجب أن تستقر صورتها في قلوب العصابة المسلمة. إن هذا الدين لا بد له من هيبة، ولا بد له من قوة، ولا بد له من سطوة، ولا بد له من الرعب الذي يزلزل الطواغيت حتى لا تقف للمد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير « الإنسان » في « الأرض » من كل طاغوت. والذين يتصورون أن منهج هذا الدين هو مجرد الدعوة والتبليغ، في وجه العقبات المادية من قوى الطاغوت، هم ناس لا يعرفون شيئاً عن طبيعة هذا الدين! وهذا هو الحكم الأول... فأما الحكم الثاني فيتعلق بحالة الخوف من نقض العهد وتوقع الخيانة؛ وذلك بظهور أفعال وأمارات تدل على أن القوم يهمون بنقض العهد فعلاً: ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾، [ الأنفال:58]... إن الإسلام يعاهد ليصون عهده؛ فإذا خاف الخيانة من غيره نبذ العهد القائم جهرة وعلانية؛ ولم يخن ولم يغدر؛ ولم يغش ولم يخدع؛ وصارح الآخرين بأنه نقض يده من عهدهم. فليس بينه وبينهم أمان... وبذلك يرتفع الإسلام بالبشرية إلى آفاق من الشرف والاستقامة، وإلى

آفاق من الأمن والطمأنينة... إنه لا يبيت الآخرين بالهجوم الغادر الفاجر وهم آمنون مطمئنون إلى عهود ومواثيق لم تنقض ولم تنبذ؛ ولا يروّع الذين لم يأخذوا حذرهم حتى وهو يخشى الخيانة من جانبهم... فأما بعد نبذ العهد للحرب خدعة، لأن كل خصم قد أخذ حذره؛ فإذا جازت الخدعة عليه فهو غير مغدور به إنما هو غافل! وكل وسائل الخدعة حينئذ مباحة لأنها ليست غادرة!... إن الإسلام يكره الخيانة، ويحتقر الخائنين الذين ينقضون العهود؛ ومن ثم لا يجب للمسلمين أن يخونوا أمانة العهد في سبيل غاية مهما تكن شريفة... ويجب أن نذكر كذلك أن قانون الغابة هو الذي ظل يحكم المجتمعات الجاهلية كلها بعد ذلك إلى القرن الثامن عشر الميلادي حيث لم تكن أوربا تعرف شيئاً عن المعاملات الدولية إلا ما تقتبسه في أثناء تعاملها مع العالم الإسلامي. ثم هي لم ترتفع قط حتى اللحظة إلى هذا الأفق في عالم الواقع؛ حتى بعد ما عرفت نظرياً شيئاً اسمه القانون الدولي! وعلى الذين يبههم « التقدم الفني في صناعة القانون » أن يدركوا حقيقة « الواقع » بين الإسلام والنظم المعاصرة جميعاً...! " 295.

وفي تفسيره لقوله تعالى:

﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾، [الأنفال: 60]، ذكر رحمه الله:

" فالاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد؛ والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها؛ ويخص ﴿رباط الخيل﴾ لأنه الأداة التي كانت بارزة عند من كان يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة... ولو أمرهم بإعداد أسباب

<sup>295</sup> سيد قطب؛ في ظلال القرآن، ج 3، ص 425 - 428 - 430

لا يعرفونها في ذلك الحين مما سيجد مع الزمن لخاطبهم بمجهولات محيرة - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - والمهم هو عموم التوجيه... إنه لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في « الأرض » لتحرير « الإنسان »... وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة: أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها؛ فلا يصدوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها... والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على « دار الإسلام » التي تحميها تلك القوة... والأمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير « الإنسان » كله في « الأرض » : كلها... والأمر الرابع : أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية فتحكم الناس بشرائعها هي وسلطانها؛ ولا تعترف بأن الألوهية لله وحده؛ ومن ثم فالحاكمة له وحده سبحانه... إن الإسلام ليس نظاماً لاهوتياً يتحقق بمجرد استقراره عقيدة في القلوب، وتنظيماً للشعائر، ثم تنتهي مهمته! إن الإسلام منهج عملي واقعي للحياة؛ ... فلا مفر للإسلام - لإقرار منهجه الرباني - من تحطيم تلك القوى المادية، وتدمير السلطات التي تنفذ تلك المناهج الأخرى، وتقاوم المنهج الرباني... وينبغي للمسلم ألا يتمم ولا يجمع وهو يعلن هذه الحقيقة الكبيرة... ينبغي ألا يستشعر الخجل من طبيعة منهجه الرباني... إنه لا ينطلق بمنهج من صنع البشر؛ ولا لتقرير سلطان زعيم، أو دولة، أو طبقة، أو جنس ! إنه لا ينطلق لاسترقاق العبيد ليفلحوا مزارع الأشراف كالرومان؛ ولا لاستغلال الأسواق والخامات كالرأسمالية الغربية؛ ولا لفرض مذهب بشري من صنع جاهل قاصر كالشيوعية وما إليها من المذاهب البشرية... إنما ينطلق من صنع الله العليم الحكيم الخبير البصير؛ ولتقرير ألوهية الله وحده وسلطانه لتحرير « الإنسان » في « الأرض » من العبودية للعبيد... فالنص يقول :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، فهي حدود الطاقة إلى أقصاها. بحيث لا تقعد العصبية المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها. كذلك يشير النص إلى الغرض الأول من إعداد القوة .

﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾، فهو إلقاء الرعب والرهبية في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبية المسلمة في الأرض. الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون؛ ومن وراءهم ممن لا يعرفونهم ، أو لم يجهروا لهم بالعداوة، والله يعلم سرائرهم وحقائقهم...وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم. والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض؛ ولتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله. ولما كان إعداد العدة يقتضي أموالاً، وكان النظام الإسلامي كله يقوم على أساس التكافل فقد اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾، [الأنفال:60]، وهكذا يجرى الإسلام الجهاد والنفقة في سبيله، من كل غاية أرضية، ومن كل دافع شخصي؛ ومن كل شعور قومي أو طبقي، ليطمحض خالصاً لله ﴿في سبيل الله﴾ لتحقيق كلمة الله، ابتغاء رضوان الله. ومن ثم ينفي الإسلام من حسابه - منذ الوهلة الأولى - كل حرب تقوم على أمجاد الأشخاص والدول. وكل حرب تقوم للاستغلال وفتح الأسواق. وكل حرب تقوم للقهر والإذلال. وكل حرب تقوم لتسويد وطن على وطن، أو قوم على قوم، أو جنس على جنس، أو طبقة على طبقة... ويستبقي نوعاً واحداً من الحركة...حركة الجهاد في سبيل الله... والله - سبحانه - لا يريد تسويد جنس ولا وطن ولا قوم ولا طبقة ولا فرد ولا شعب. إنما يريد أن تسود ألوهيته وسلطانه وحاكميته. وهو غني عن العالمين.

ولكن سيادة ألوهيته هي وحدها التي تكفل الخير والبركة والحرية والكرامة للعالمين...".  
296

وبعد أن ذكر رحمه الله تفسيره لتلك الآيات السابقة مركزاً على رفض الإسلام لتمجيد الأشخاص والدول وكل حرب استغلالية وقهر وإذلال وكل حرب تقوم لتسويد وطن على وطن أو قوم على قوم أو جنس على جنس ولا طبقة على طبقة ولا شعب على شعب.. فإن الإسلام يبقى نوعاً واحداً من الحكم وهو: الحاكمية لله والألوهية لله رب العالمين، وهذه الألوهية والحاكمية هي التي تكفل الحرية والكرامة للناس أجمعين. شرع رحمه الله في ذكر الحكم الثالث قائلاً:

" والحكم الثالث في هذه النصوص هو الحكم المتعلق بمن يريدون المهادنة والموادعة للمعسكر الإسلامي؛ ويجنحون إلى السلم والمسالمة؛ وتدل ظواهرهم وأفعالهم على رغبتهم في السلم حقاً :

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾، والتعبير عن الميل إلى السلم بالجنوح، تعبير لطيف، يلقي ظل الدعة الرقيق. فهي حركة جناح يميل إلى جانب السلم، ويرخي ريشه في وداعة! كما أن الأمر بالجنوح إلى السلم مصحوب بالتوكل على الله السميع العليم الذي يسمع ما يقال ويعلم ما وراءه من محبآت السرائر. وفي التوكل عليه الكفاية والأمان.

وبالعودة إلى تلخيص الإمام ابن القيم لطوائف الكفار ومواقفهم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وموقفه كذلك منهم ، أول العهد بالمدينة إلى يوم بدر ونزول هذا الحكم، يتبين أن هذا النص يتعلق بالفريق الذي اعتزل رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - ولم يقاتله؛ وجنح إلى السلم ولم يظهر العداء والمقاومة للدعوة الإسلامية، ولا للدولة المسلمة. وقد أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يترك هذا الفريق، وأن يقبل مهادنته ومسالته- وذلك حتى نزلت براءة ونزل فيها إمهال من لم يكن له عهد، أو كان له عهد غير موقت، مدة أربعة أشهر، يكون له بعدها حكم آخر بحسب موقفه- ومن ثم فهو ليس حكماً نهائياً على إطلاقه الذي يؤخذ من نصه مجرداً عن هذه الملابسات، ومجرداً كذلك عن النصوص التالية له في الزمن، وعن التصرفات الواقعية بعده لرسول الله صلى الله عليه وسلم...ولكن النص كان له نوع من العموم في الحكم في حينه. فقد عمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - به حتى نزلت سورة براءة - ومن عمله به كان صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة...

ولقد اتجه بعض الفقهاء إلى اعتبار الحكم نهائياً ودائماً ففسروا الجنوح إلى السلم بقبول أداء الجزية ولكن هذا لا يتفق مع الواقع التاريخي؛ فإن أحكام الجزية نزلت في سورة براءة بعد السنة الثامنة للهجرة، وهذه الآية نزلت في السنة الثانية بعد بدر؛ ولم تكن أحكام الجزية موجودة. والأقرب إلى الصحة بمراجعة الأحداث وتواريخ النزول والطبيعة الحركية للمنهج الإسلامي، أن يقال: إن هذا الحكم ليس نهائياً؛ وأنه عدل أخيراً بالأحكام النهائية التي نزلت في سورة براءة " التوبة " والتي انتهى بها الناس إلى أن يكونوا مع الإسلام: إما محاربين يحاربون، وإما مسلمين تحكمهم شريعة الله، وإما أهل ذمة يؤدون الجزية وهم على عهدهم ما استقاموا...وهذه هي الأحكام النهائية التي تنتهي إليها حركة الجهاد الإسلامي. وكل ما عداها هو حالات واقعية يسعى الإسلام إلى تغييرها حتى تنتهي إلى هذه الأوضاع الثلاثة التي تمثل العلاقات النهائية...وعلى أية حال فالذي ننتهي إليه، أن قول الله تعالى ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ

فَاجْتَحَ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، لا يتضمن حكماً مطلقاً نهائياً في الباب، وأن الأحكام النهائية نزلت فيما بعد في سورة براءة . إنما أمر الله رسوله أن يقبل مسالمة وموادة ذلك الفريق الذي اعتزله فلم يقاتله سواء كان قد تعاهد، أو لم يتعاهد معه حتى ذلك الحين. وأنه ظل يقبل السلم من الكفار وأهل الكتاب حتى نزلت أحكام سورة براءة. فلم يعد يقبل إلا الإسلام أو الجزية - وهذه هي حالة المسالمة التي تقبل ما استقام أصحابها على عهدهم - أو هو القتال ما استطاع المسلمون هذا؛ ليكون الدين كله لله. ولقد استطردت - بعض الشيء - في هذا البيان وذلك لجلاء الشبهة الناشئة من الهزيمة الروحية والعقلية التي يعانيها الكثيرون ممن يكتبون عن « الجهاد في الإسلام »؛ فيثقل ضغط الواقع الحاضر على أرواحهم وعقولهم؛ ويستكثرون على دينهم - الذي لا يدركون حقيقته - أن يكون منهجه الثابت هو مواجهة البشرية كلها بوحدة من ثلاث : الإسلام، أو الجزية، أو القتال، وهم يرون القوى الجاهلية كلها تحارب الإسلام وتناهضه؛ وأهله - الذين ينتسبون إليه وهم لا يدركون حقيقته ولا يشعرون بها شعوراً جدياً - ضعاف أمام جحافل أتباع الديانات والمذاهب الأخرى؛ كما يرون طلائع العصبة المسلمة الحقة قلة بل ندرة؛ ولا حول لهم في الأرض ولا قوة... وعندئذ يعمد أولئك الكتاب إلى لِيّ أعناق النصوص ليؤولوها تأويلاً يتمشى مع ضغط الواقع وثقله؛ ويستكثرون على دينهم أن يكون هذا منهجه وخطته! إنهم يعمدون إلى النصوص المرحلية ، فيجعلون منها نصوصاً نهائية؛ وإلى النصوص المقيدة بمجالات خاصة، فيجعلون منها نصوصاً مطلقة الدلالة؛ حتى إذا وصلوا إلى النصوص النهائية المطلقة أولوها وفق النصوص المقيدة المرحلية! وذلك كله كي يصلوا إلى أن الجهاد في الإسلام هو مجرد عملية دفاع عن أشخاص المسلمين، وعن دار الإسلام عندما تهجم! وأن الإسلام يتهالك على أي



عرض للمسالمة والمسالمة معناها مجرد الكف عن مهاجمة دار الإسلام! إن الإسلام - في حسهم - يتفوق ، أو يجب أن يتفوق داخل حدوده - في كل وقت - وليس له الحق أن يطالب الآخرين باعتناقه، ولا بالخضوع لمنهج الله، اللهم إلا بكلمة أو نشرة أو بيان! أما القوة المادية - الممثلة في سلطان الجاهلية على الناس - فليس للإسلام أن يهاجمها إلا أن تهاجمه، فيتحرك حينئذ للدفاع!

ولو أراد هؤلاء المهزومون روحياً وعقلياً أمام ضغط الواقع الحاضر، أن يلتمسوا في أحكام دينهم ما يواجه هذا الواقع - دون ليّ لأعناق النصوص - لوجدوا فيه هذه الواقعية الحركية في أحكامه وتصرفاته المرحلية التي كان يواجه بها ضغط الواقع المشابه لما نواجهه نحن اليوم؛ ولاستطاعوا أن يقولوا: إنه في مثل هذه الحال كان الإسلام يتصرف على هذا النحو، ولكن هذه ليست هي القواعد الدائمة؛ إنما هي الأحكام والتصرفات التي تواجه الضرورة... وهذه أمثلة ونماذج من الأحكام والتصرفات المرحلية في أوقات الضرورات:

- لقد عقد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أول مقدمه المدينة مع اليهود حول المدينة والمشركين عهداً على المسالمة والموادعة والدفاع المشترك عن المدينة. مع التسليم بأن السلطة العليا في المدينة هي سلطة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتعهد منهم بالدفاع عن المدينة معه ضد قريش، والكف عن مناصرة أي مهاجم للمدينة، أو عقد أي حلف مع المشركين المحاربين دون إذن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم وفي الوقت ذاته أمره الله أن يقبل السلم ممن يجنحون إلى السلم، وإن كانوا لا يعقدون معه عهداً، وأن يوادعهم ما وادعوه... ثم تغير هذا كله فيما بعد كما ذكرنا.

1- ولما كانت غزوة الخندق؛ وتجمع المشركون على المدينة؛ ونقضت بنو قريظة العهد؛ وخاف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المسلمين؛ عرض على عيينة بن حصن الفزاري، والحارث بن عوف المري رئيس غطفان الصلح على ثلث ثمار المدينة ، وأن ينصرفا بقومهما ويدعا قريشاً وحدها. وكانت هذه المقالة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لهما مروضة ولم تكن عقداً. فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهما أنهما قد رضيا، استشار سعد بن معاذ وسعد بن عباد فقالا: يا رسول الله ، هذا أمر تحبه فنصنعه لك؟ أو شيء أمرك الله به فنسمع له ونطيع؟ أو أمر تصنعه لنا؟ فقال: « بل أمر أصنعه لكم، فإن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة » فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، والله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان، ولا نعبد الله ولا نعرفه، وما طمعوا قط أن ينالوا منا ثمرة، إلا شراء أو قرى. فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك، نعطيهم أموالنا! والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فسر بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال: « أنتم وذاك » وقال لعيينة والحارث: « انصرفا، فليس لكما عندنا إلا السيف ». فهذا الذي فكر فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إجراء لمواجهة الضرورة... وليس حكماً نهائياً.

2- وعقد رسول الله مع مشركي قريش صلح الحديبية - وهم على شركهم - بشروط لم يسترح إليها المسلمون، وذلك على وضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين، وأن يأمن الناس بعضهم من بعض، وأن يرجع عنهم عامه ذلك، حتى إذا كان العام المقبل قدمها وخلوا بينه وبين مكة فأقام بها ثلاثاً، وألا

يدخلها إلا بسلاح الراكب والسيوف في القرب، وأن من أتى المشركين من أصحاب النبي لم يردوه، ومن أتاه من أصحاب المشركين رده... وقد رضي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما ألهمه الله - هذه الشروط، التي تبدو في ظاهرها مجحفة، لأمر يريده الله ألهم به رسوله.. وفيها متسع - على كل حال - لمواجهة الظروف المشابهة؛ تتصرف من خلاله القيادة المسلمة..."

297

و هكذا نصل إلى ختام كلام الأستاذ سيد قطب حول هذه المسألة في تفسيره لهذه الآية؛ مسألة إعداد القوة والمسالمة مع العدو. وحسب ما تبين لنا أنه رحمه الله ذهب إلى أن الآيات في سورة الأنفال كانت أحكامها مرحلية ومؤقتة ولم تكن نهائية حسب ما أدى إليه اجتهاده الشخصي، وإن كنا نحن لا نوافق جملة وتفصيلاً في كل ما ذهب إليه، لأن الحالات التي ذكرها من مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق وصلاح الحديبية وفي أول مقدمه إلى المدينة وعقده صلحاً مع اليهود.. لم أجد فيما وقفت عليه و فيما فهمته من نصوص الشرع على أن تلك المواقف التي وقفها الرسول صلى الله عليه و سلم مع الأعداء؛ مواقف منسوخة ولحين ورود النسخ تبقى تلك النصوص والمواقف على عمومها تمثيلاً مع القاعدة الشرعية" العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".، بالرغم أنه رحمه الله لم يقل بالنسخ. ولكن ترجيحه على أن تلك المواقف مواقف مرحلية وغير نهائية فيما يخص الصلح

<sup>297</sup> سيد قطب؛ في ظلال القرآن، ج 3، ص 430 - 438

مع الأعداء؛ هذا الترجيح يثير تساؤلاً عندي؟ ماذا نفعل بتلك الحالات التي صالح الرسول صلى الله عليه و سلم فيها الأعداء؟  
فنحن مأمورون بالسير مع الآيات القرآنية وتوجيهاتها الربانية العامة. فمتى ما كانت الفرص مواتية للتصالح مع الأعداء وفقاً للضوابط التي ذكرناها ودون دنية في ديننا، ورأى الإمام أن في ذلك مصلحة للإسلام والمسلمين، و متى ما رأينا منهم جنوحاً نحو الصلح والمسالمة ولو ظاهراً؛ فتجب المصالحة والمسالمة في هذه الحالة حفظاً لدماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم، لأننا لم نأت إلى هذه الدنيا للعيش الأبدي تحت ظلال السيوف أو الرماح أو قصف الطائرات والدبابات والبارجات والغواصات. وإنما نلجأ إلى الجهاد وإلى استخدام القوة متى ما استبيحت بيضة المسلمين وأموالهم وأراضيهم وأعراضهم بإذن من الإمام العادل الذي اتفق عليه المسلمون بالبيعة والولاء والطاعة، وإلا فلا، ولا نفتح باباً للأفراد والأشخاص لرفع راية الجهاد، والله أعلم.

## الخاتمة

وفي خاتمة هذه الورقة أحمد الله سبحانه وتعالى حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده أن وفقني وأعانني على إنجازها وإتمامها في الوقت القياسي والضييق رغم الأعباء والضغط الأكاديمية الكثيرة في الجامعة وتزامن ثلاث مؤتمرات في ثلاثة أسابيع في جامعتنا، أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلها في ميزان حسناتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ولا شك أن مثل هذه الدراسات الحساسة يحتاج الباحث المسلم أن يراجع الكتب التفسيرية الأخرى؛ وما أكثرها لكي يخرج بنتيجة وحصيلة علمية مباركة أكثر شمولية و موضوعية. ولكن فيما يخص هذا المؤتمر المبارك في كليتنا بعد بضعة أيام، فإن شاء الله هذه الدراسة كافية لتسليط بعض الأضواء على جهود المفسرين القدامى والمعاصرين حول تفسيرهم لهذه الآيات المتعلقة بالحرب والسلام وبيان موقف الإسلام تجاه غير المسلمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سلطنة بروناي

10.02.2010

---

وقمت مراجعة الدراسة مجدداً قبل النشر بتاريخ 5 من ذي الحجة 1437

هـ، الموافق 16 سبتمبر 2016 - دوحة الخير والبركة - قطر



جهود الشيخ عبد الفتاح القاضي الأزهري  
في خدمة الدراسات القرآنية والدفاع عن القراءات  
ضد مطاعن المستشرقين - إغناس غولد زيهر نموذجاً

بقلم

الدكتور خيرالدين خوجة ( الكوسوفي )

أستاذ التفسير والدراسات القرآنية المساعد

كلية أصول الدين - جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية - سلطنة بروناي

2010

## بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة 298

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا  
ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد؛  
ما من شك أن الاهتمام بتفسير القرآن الكريم وعلومه وتجويده وقراءته يعتبر  
من أشرف العلوم وأنفسها، لكون هذه العلوم وهذه المباحث تتعلق بأشرف  
وأنفس الأشياء؛ ألا هو القرآن الكريم.

ولما كان موضوع ومبحث القراءات من الموضوعات القرآنية الهامة منذ قديم  
الزمان إلى يومنا هذا، فقد انكب على دراسة هذه الموضوعات أعداء الإسلام  
من المستشرقين العرب وغير العرب قديماً وحديثاً. إلا أن هذا الاهتمام البالغ من  
قبل هؤلاء القوم لم يأت حباً في القرآن الكريم ودفاعاً عنه وحفاظاً له، وإنما جاء  
هذا الاهتمام لأغراض استعمارية خبيثة وأهداف تبشيرية ذنيئة<sup>299</sup>، للاستيلاء  
على أراضي المسلمين وممتلكاتهم وللطعن والتشكيك في القرآن الكريم وتبخيس  
قدره<sup>300</sup>. واشتهر من بين هؤلاء المستشرقين الغربيين كثيرون من أمثال نولدكة  
وشاخت وبلاشير وماسينيون وإغناس غولد تسيهر ومكسيم رودنسون

<sup>298</sup> هذا البحث في الأصل ورقة علمية قدمت في المؤتمر العالمي عن: القراءات والقراء - والذي عقدته جامعة السلطان

زين العابدين بتاريخ 30 - 29 أكتوبر 2010م - بدينة دار الإيمان - ترنتغانو - ماليزيا

<sup>299</sup> انظر: آل حميد، سعد؛ أهداف الاستشراق ووسائله، ط1، جامعة الملك سعود، ط.د، ص: 5-15

<sup>300</sup> انظر: أبو شهبة، محمد؛ دفاع عن السنة و رد شبه المستشرقين و الكتاب المعاصرين - و يليه الرد على من ينكر

حجيه السنة، للعلامة عبد الغني عبد الخالق، مكتبة السنة، ط1، 1989، ص 10-50



وماكدونالد ومونتغمري وات، وغيرهم كثير<sup>301</sup>. وفي الدراسات القرآنية و تاريخ القرآن انتهت رياسة علم الاستشراق إلى إغناس غولد تسيهر، وأصبح هؤلاء أئمة الاستشراق من أقطاب الأعلام الغربية بلا نزاع. والأستاذ إغناس غولد تسيهر كان له اهتمام كبير بالدراسات القرآنية، يظهر ذلك جلياً في المؤلفات التي ألفها في هذا الشأن.

وإن نظرة فاحصة ودقيقة لمحتوى تلك المؤلفات ومناهج مؤلفيها في العرض والدراسة والتحليل لتنبئنا بتفاهة وخسة المنهج الاستشراقي عموماً في دراسة وتناول الحقائق القرآنية، من حيث عدم الدقة والتدليس والتلبيس والتضليل والتشويه والخلط بين الحق والباطل. كما أنها تتسم بعدم الموضوعية والافتقار للنزاهة العلمية. إضافة إلى أن طبيعة الدراسات الاستشراقية تتسم دائماً بدراسة المواضيع والمسائل الخلافية والمواطن الحساسة من الدين الإسلامي للتشكيك والتضليل وزرع بذور الفتنة والفساد في قلوب وعقول الناس عامة والمسلمين خاصة لصرفهم وصددهم عن الإسلام. وبالرغم من هذه الهجمات الشرسة والمطاعن المسمومة في القرآن الكريم وتاريخ نزوله وحقيقة القراءات القرآنية ومصادقيتها

<sup>301</sup> انظر: جبل، محمد حسن حسن؛ الرد على المستشرق اليهودي جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية، ط2، 2002، كلية القرآن الكريم، الأزهر، ص: 12-70، و قد وفق الأستاذ محمد حسن في تنفيذ مطاعن و شبهات الأستاذ غولد تسيهر ورده رداً علمياً مفحماً، و من جملة ما ذكر المؤلف الفاضل أنه في القسم الأول من كتابه تناول ادعاءات الأستاذ إغناس غولد تسيهر الذي عبر في كتابه ( مذاهب التفسير الإسلامي ) عن اختلاف النص القرآني ستة عشر مرة في ثمانية وعشرين سطراً. ثم عاد مرة أخرى واصفاً القرآن بالاختلاف والاضطراب..و من هذه العبارات: ( نلمح في صياغته المختلفة..)، ( هو غير موحد في جزئياته..)، ( رواية كلام الله على صيغ متغايرة..)، ( تداوله في فروض العبادة على نسق غير متفق..)، ( قراءات تختلف اختلافاً ليس من نوع عادم الأهمية..)، ( الميل إلى التسامح في اختلاف القراءات)، ( عدم استبعاد القراءات المختلفة..)، ( اعتماد أصالة كل هذ الروايات المختلفة)...إلى غير ذلك من العبارات في لجأته المحمومة كما عبر المؤلف حفظه الله تعالى.

وحقيقة السنة النبوية<sup>302</sup> ، فقد قيض الله عز وجل من هذه الأمة الإسلامية رجالاً لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن رد ودحض تلك الافتراءات والأباطيل والأكاذيب المصطنعة إلى قيام الساعة، من أمثال الأئمة الأعلام والمقرئين العظام، مثل الشيخ المقرئ أحمد عبد العزيز الزيات، والشيخ الدكتور محمود بن سبيويه البدوي، والشيخ المقرئ محمود بن عبد الخالق جادو - أستاذي ومعلمي و شخبي في مادة القراءات القرآنية بكلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة -، والشيخ الدكتور عبد الفتاح القاضي، والشيخ المقرئ الدكتور أيمن السويد والشيخ المقرئ عبد الحكيم بن عبد السلام خاطر والشيخ المقرئ عبد الرافع بن رضوان حفظه الله، غيرهم كثيرون.

وفي هذا البحث سيركز الباحث على جهود علم واحد من أعلام الدراسات القرآنية والقراءات، إحياء لذكوره وجهوده الجبارة؛ الشيخ المقرئ عبد الفتاح القاضي رحمه الله تعالى خدمة الدراسات والمؤسسات القرآنية والدفاع عن القرآن الكريم ضد مطاعن المستشرقين، والمستشرق إغناز غولد تسيهر على وجه التحديد. أسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد والإخلاص في القول والعمل إنه تعالى سميع قريب مجيب.

---

302 حول الهجمات الاستشراقية الشرسة على القرآن الكريم والسنة النبوية و افتراء الأستاذ إغناز غولد تسيهر على النبي صلى الله عليه وسلم بأنه تلقى التعاليم الإسلامية من اليهودية والنصرانية... الخ... انظر: نقد الخطاب الاستشراقي - الظاهرة الاستشراقية و أثرها في الدراسات القرآنية، للدكتور ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، ط1، 2002،

## المبحث الأول: التعريف بالمقرئ الشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله

### المطلب الأول: اسمه، تعلمه، شيوخه، تلاميذه، مناصبه

حول حياة وفكر الشيخ عبد الفتاح القاضي كتب بعض من تلامذته ومحبيه وهم قلة، ويصعب على الباحث أن يجد ترجمة كافية ووافية في مرجع واحد، فلا بد من تتبع والبحث في المواقع والمنتديات القرآنية على الأنترنت للحصول على مزيد من المعلومات . وأفضل من ترجم للشيخ رحمه الله هو أستاذ كاتب هذه السطور، الأستاذ الدكتور عبد العزيز القاري في بحث لفضيلته في مجلة كلية القرآن الكريم منذ قرابة ثلاثين سنة، فجزاه الله خيراً على هذه الدراسة المباركة والقيمة. كما أني رأيت ما نشره موقع جامعة أم القرى بمكة المكرمة أيضاً من ترجمة موجزة عن الشيخ عبد الفتاح القاضي فجزاهم الله خيراً، إضافة إلى بعض المنتديات القرآنية والمواقع التفسيرية، فأقول وبالله التوفيق:

هو فضيلة العلامة والحبر الفهامة - آية الدهر ووحيد العصر - الشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي. ولد في مدينة دمنهور بمحافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية في الخامس والعشرين من شهر شعبان، سنة : 1325هـ ، الموافق 14 من أكتوبر سنة 1907م. نشأ - رحمه الله تعالى - في بلدته المذكورة ، فحفظ القرآن الكريم وتلقى علم القراءات والتجويد على أعلام القراء في عصره

من شيوخه:

الشيخ علي عيادة (حفظ عليه للقرآن الكريم)، والشيخ محمود محمد غزال، والشيخ محمود محمد نصر الدين (جَوَّدَ عليهما القرآن الكريم وأخذ منهما القراءات العشر)، والشيخ همام بن قطب بن عبد الهادي، والشيخ حسن صبحي (أخذ منهما القراءات العشر، وأولهما أعلى إسنادًا في القراءات). وكان من شيوخه الشيخ محمود عبد الدائم، وشيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت، والدكتور عبد الله دراز، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ أحمد مكّي، وشيخ الأزهر الشيخ محمد الخضر حسين، وغيرهم، رحمهم الله جميعًا.

تعلمه:

التحق بالمعهد الأزهرى بالإسكندرية، وحصل على الشهادة الثانوية. ثم رحل إلى القاهرة فالتحق بالقسم العالى من جامعة الأزهر، ثم التحق بقسم التخصص القديم، شعبة التفسير والحديث. حصل على شهادة العالمية من الأزهر سنة 1352هـ الموافق 1932م. وعلى شهادة التخصص في التفسير والحديث (وهي تعادل الدكتوراه حاليًا) سنة 1355هـ الموافق 1935م<sup>303</sup>.

<sup>303</sup> انظر: مجلة كلية القرآن الكريم و الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الأول، 1403 هـ، دراسة الأستاذ الدكتور عبد العزيز القاري بعنوان: العلامة الشيخ عبد الفتاح القاضي و أثره في الدراسات القرآنية، ص 309-320، وانظر موقع جامعة أم القرى: [www.uqu.edu.sa](http://www.uqu.edu.sa)

### ومن تلامذته:

الدكتور زكريا البري (وزير الأوقاف بمصر سابقاً)، الدكتور موسى شاهين لاشين، الدكتور عوض الله حجازي، الشيخ الدكتور علي عبد الرحمن الحديفي (إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف)، الشيخ إبراهيم الأخضر (من أئمة المسجد النبوي الشريف سابقاً)، الشيخ محمد الصادق قمحاوي (مؤلف رسالة البرهان في التجويد) رحمه الله، الأستاذ الدكتور محمد سالم محيسن (صاحب مؤلفات شهيرة في القراءات وغيرها من العلوم) رحمه الله – وأستاذ وشيخ كاتب هذه السطور في مادة: ضبط القرآن، ومادة: عدّ آي القرآن، في كلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة –، الأستاذ الدكتور شعبان محمد إسماعيل (صاحب مؤلفات شهيرة في علوم القراءات وأصول الفقه وغيرها من العلوم)، الشيخ رزق خليل حبة، الشيخ محمود خليل الحصري (المقرئ العالمي الشهير) رحمه الله، الأستاذ الدكتور عبد العزيز القاري (العميد الأسبق لكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) – أستاذ وشيخ كاتب هذه السطور في مادة: التفسير التحليلي، في كلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة – الشيخ سعيد أحمد بن محمد عيسى السندي (مدير مدرسة دار القرآن بمدينة ميهر من محافظة دادو بإقليم السند، جمهورية باكستان الإسلامية) رحمه الله<sup>304</sup>، وغيرهم كثير.

### المطلب الثاني: مكائنه العلميه والوظائف التي تولها

<sup>304</sup> انظر: مجلة كلية القرآن الكريم و الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الأول، 1403 هـ، دراسة الأستاذ الدكتور عبد العزيز القاري بعنوان: العلامة الشيخ عبد الفتاح القاضي و أثره في الدراسات القرآنية، ص 309-320، وانظر موقع جامعة أم القرى: [www.uqu.edu.sa](http://www.uqu.edu.sa)

كان - رحمه الله تعالى - آية في الذكاء، بليغ الأسلوب، حاضر الذاكرة، عالماً مبرزاً في سائر العلوم النقلية والعقلية، من القراءات وعلوم القرآن، والفقه والأصول، والتفسير والحديث، واللغة العربية وآدابها، له أدب رفيع، وقدرة فائقة على النظم، خطيب مفاوّه، ومدرس ناب، إذا تكلم أبان عن مضمون كلامه، بلسان فصيح واضح يدل على سعة علمه وعلو منزلته. استفاد منه آلاف الطلبة ... حيث درّس سنوات طويلة في الأزهر، وفي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة<sup>305</sup>.

ذكر تلميذ الشيخ عبد الفتاح القاضي فضيلة الأستاذ الدكتور عبد العزيز القاري حفظه الله، في دراسته القيمة عن حياة الشيخ عبد الفتاح القاضي وجهوده العلمية أن مؤلفات الشيخ عبد الفتاح القاضي قد بلغت خمساً وعشرين مؤلفاً، ما بين تأليف وتحقيق وتحرير، ويكاد جميع مؤلفات الشيخ عبد الفتاح القاضي أن تكون في علوم القرآن وعلم القراءات والدفاع عنها، كما أن له بعض المؤلفات الشرعية الأخرى كما سنرى بعد قليل. والباحث في هذه المسألة سيعتمد على دراسة الأستاذ الدكتور عبد العزيز القاري في ذكر مؤلفات الشيخ عبد الفتاح القاضي وذلك لدقتها وشموليتها ومصداقيتها عن يقية الدراسات الأخرى الذين ترجموا للشيخ عبد الفتاح القاضي. ومن مؤلفاته رحمه الله:

305 انظر: المرجع السابق بتصرف

## 1- ( الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع )

شرح موجز على لامية أبي القاسم ابن فيرة الشاطبي المتوفى سنة (590 هـ) وهي المشهورة بالشاطبية. وعدد أبياتها ثلاثة وسبعون ومائة وألف، وهي من بحر الطويل. وقد شرحها كثير من الأئمة الأعلام، كعلم الدين السخاوي وبرهان الدين الجعبري، وأبي شامة، وابن القاصح، والموصلي المعروف بشعلة، وشرحها السيوطي، وقد رأيت شرحه في المكتبة الظاهرية بدمشق..

## 2- ( الإيضاح لمتن الدرة في القراءات الثلاث المتممة للقراءات

العشر) شرح متوسط على لامية ابن الجزري المعروفة بالدرة المضية، وهي في قراءات الأئمة الثلاث أبي جعفر المدني، ويعقوب الحضرمي، وخلف بن هشام الكوفي، وعدد أبيات هذه المنظومة مائتان وأربعون بيتاً، من بحر الطويل. والذي وصل إلينا من شروح على هذه المنظومة قليل يعد على أصابع اليد الواحدة، لذلك كان شرح الشيخ رحمه الله مع ما يمتاز به أسلوبه من تركيز ودقة عبارة ووضوح مهماً غاية الأهمية. يبلغ الكتاب في طبعته المصرية ( 130 ) صفحة من الحجم المتوسط.

## 3- ( البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية

والدرة ). هذا من أحسن مؤلفاته رحمه الله وأنفعها لطلاب القراءات، جمع

فيها القراءات العشر المتواترة من طريقي: التيسير والتحبير، والشاطبية والدرة، ورتبها على ترتيب القرآن الكريم، فيذكر كل ربع من القرآن على حدة ويذكر ما فيه من قراءات كلمة كلمة يبدأ بالأصول ثم بالفرش. وقد سبقه إلى هذا الأسلوب العلامة الصفاقسي على النوري التونسي المتوفى سنة ( 1117هـ) فقد رتب القراءات السبع على نفس الترتيب في كتابه (غيث النفع في القراءات السبع). يبلغ كتاب البدور الزاهرة في طبعته الأولى التي طبعت بمصر سنة 1375هـ ( 360 ) صفحة .

#### 4- ( شرح منحة مولى البر فيما زاده كتاب النشر في القراءات العشر

على الشاطبية والدرة ): أما منحة مولى البر فأرجوزة نظمها الشيخ محمد بن

محمد هلال الأبياري المصري عدد أبياتها ( مائة وأربعون بيتاً ) مطلعها:

قال محمد هلالي راجيا - إلهه عفواً عميماً كافياً  
حمداً لمولانا مصلياً على - محمد والآل ما تال تلا  
وهاك ما للكل نشر زاده - عما بدرة وحرز سرده

#### 5- ( النظم الجامع لقراءة الإمام نافع ): وهو نافع بن أبي نعيم إمام

القراءة بالمدينة النبوية زمن الإمام مالك بن أنس، حتى كان مالك يحيل إليه في القراءة ويقول: كل علم يسأل عنه أهله. وهو أول القراء في الترتيب التيسير والشاطبية، وتأتي قراءته فيهما من روايتي قالون وورش، وكذلك في معظم دواوين



القراءات. نظم الشيخ رحمه الله قراءاته في هذه المنظومة من بحر الرجز ، وعدد أبياتها ( 294 ) ومطلعها :

بمحمد منشي العالمين أبتدي - ثم الصلاة والسلام الأبدي  
على رسول الله خير الخلق - ومرشد الورى لنور الحق  
 وآله وصحبه الأعلام - وقارئ القرآن بالأحكام

6- ( شرح النظم الجامع ): شرح النظم السابق ذكره شرحاً وجيزاً لطيفاً واضح العبارة، يبلغ في طبعته الثانية بطنطا من مصر سنة (1961م) (194) صفحة

7- ( القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ): كتيب لطيف ذكر فيه قراءة الأئمة الأربعة وهم: ابن محيىن محمد بن عبدالرحمن المكى المتوفى سنة (123هـ) ، ويحىى اليزيدى أبو محمد يحيى بن مبارك البصرى المتوفى سنة ( 11هـ)، والأعمش أبو محمد سليمان بن مهران الكوفى المتوفى سنة ( 148هـ).

8- ( السر المصون فى رواية قالون من الشاطبية ): نظم لطيف فى بيان ما خالف فىه قالون ورشاً، وقد طبع بمطبعة عبد الحميد حنفى بالقاهرة.

9- ( شرح السر المصون ) : شرح فىها المنظومة السابقة شرحاً موجزاً.

10- ( الفوائد الحسان في عد آي القرآن ) نظم سلس عذب سهل

التركيب يبلغ ( مائة وثلاثين ) بيتاً من بحر الرجز، مطلعته :

- أحمد ربي وأصلي سرمداً - على رسول الله مصباح الهدى
- وهاك خلف علماء العدد - في الآي منظوماً على المعتمد
- سميته الفوائد الحسانا - أرجو به القبول والإحسانا

11- ( نفائس البيان شرح الفوائد الحسان ) : شرح فيه المنظومة السابقة

شرحاً وجيزاً واضح العبارة، يبلغ في طبعة الحلبي (56) صفحة من الحجم الصغير.

12- ( بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل ) : النظم للإمام

الشاطبي وهو في عد الآي ويسمى علم الفواصل، وقد نظم فيها واختصر كتاب البيان لأبي عمرو الداني وعدد أبيات المنظومة (297) بيتاً من بحر الطويل ، مطلعها:

- بدأت بحمد الله ناظمة الزهر - لتجني بعون الله عيناً من الزهر
- وعذت بري من شرور قضائه - ولذت به في السر والجمهور من أمري
- بحي مرید عالم متكلم - سمیع بصیر دائم قادر وتر

13- ( تاريخ المصحف الشريف ) : وموضوعه كما هو واضح من

عنوانه: المصاحف في عهد الصحابة، وكتابة القرآن الكريم في الكتب

الثلاثة، ورسم المصحف ونقطه وشكله، وما يجب على كاتب المصحف، ثم المصاحف في دور الطباعة، والمكي والمدني وترتيب الآيات والسور، والمباحث المتعلقة بنزول القرآن. يتناول هذه الموضوعات وغيرها بتفصيل واف وعبارات دقيقة، مبيناً الآراء، مع مناقشتها وترجيح ما يراه الأصوب منها، خاصة في المباحث المتعلقة بكتابة المصحف العثماني واشتماله على الأحرف السبعة. يبلغ الكتاب في طبعته الثانية بمطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة ( 168 ) صفحة من الحجم الصغير .

14- ( شرح المقدمة الجزرية ): والمقدمة الجزرية في التجويد أشهر من أن تعرف، يعرج عليها الطلاب بعد حفظهم لتحفة الأطفال والغلمان للشيخ سليمان الجمزوري، فيحفظون المقدمة ويجودون القرآن بمضمونها، وقد ذكر هذا الشرح الشيخ عبد الفتاح المرصفي في ترجمته للشيخ رحمه الله ولعله مخطوط فإنني لم أعثر عليه، ولم أسمع ذلك من الشيخ مع حرصي على معرفة مؤلفاته منه وقد أخبرني بها.

15- ( من علوم القرآن ): كتيب لطيف، تناول فيه المؤلف عدداً من المهمات من علوم القرآن: معنى القرآن، وأسمائه، والمكي والمدني، ونزوله، وكتابته وجمعه، وترتيبه، ومحكمه ومتشابهه، وأمثاله، وقسمه، وموهم الاختلاف من آياته، وأساليبه، وقصصه. كل ذلك في أسلوب أخاذ

واضح موجز، فهو من أحسن ما ألف في هذا الموضوع، خاصة للمبتدئين.

16- ( تاريخ القراء العشر وروايم وتواتر قراءاتهم ومنهج كل في القراءة): لم يترك لي هذا العنوان مجالاً للتعريف بهذا الكتيب، يبلغ في طبعته المصرية التي طبعت بالقاهرة ( 1970م ) ( 46 ) صفحة من الحجم المتوسط .

17- ( أبحاث في قراءات القرآن الكريم ): تناول في هذا الكتاب ثلاثة عشر موضوعاً مهماً من الموضوعات المتعلقة بالقراءات هي كما عدتها في المقدمة: الأحاديث الواردة في إنزال القرآن على سبعة أحرف<sup>306</sup> وشرحها بإيجاز، بيان المراد بالأحرف السبعة والرأي المختار فيها، حكمة

---

<sup>306</sup> حول حقيقة وسمات الأحرف السبعة يقول الدكتور رجب عبد المرضي عامر " 1- الأحرف السبعة أحداث بشواهد واقعية، تصور تعدداً في ألفاظ القراءة القرآنية التي أقرأها النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته..(فاقرؤوا ما تيسر منه )..2- تعددها ( على حروف كثيرة)صواب بإطلاق فلا تناقض بينها و إنما تنوع وتغاير (كلها شاف كاف ) . 3- استناد تعدد الحروف إلى الوحي بإقراء النبي صلى الله عليه وسلم وإقراره ( كذلك أنزلت )..4- تحديد المراد منها غير واجب على التعيين، فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يؤخر البيان عن وقت الحاجة، ولم يسأله الصحابة عنه، ولم يسأل التابعون الصحابة عنه و قد يترجح بالقرائن بين العلماء، 5- ضرورة وجوب تلقيها بالمشافهة والتلقين لا بالتشهي بمقياس ما . 6- صحة تسمية الحرف قراءة.. وتحديددها في الاستزادة النبوية بسبعة حقيقة، في الألفاظ لا المعاني . 7- تيسير قراءة القرآن لجميع الأمة، بمراعاة الأعدار الضرورية فيها، معافاة من الله وتخفيفاً عليها..8- تحريم المرء في القرآن الكريم بالنزاع في حروفه الثابتة أو إنكار حرف منها، فهو كفر..و قد كثرت أقوال العلماء في تحديد المراد بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن..ما بين اللغة واللهجة والقراءة..ولا تزال اجتهادات العلماء في تحديد المراد بالأحرف السبعة دائرة في نطاق لغة القرآن والحديث وواقع الأمة..و لكل اجتهاد قبوله وترجيحه..."، انظر: الرؤية الاستشراقية للأحرف السبعة والقراءات القرآنية - عرض ونقد، ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية 16- 1427/10/18 هـ ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص: 9- 10

إنزال القرآن على سبعة أحرف، ما يستنبط من الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، قراءات الأئمة السبعة وصلتها بالأحرف السبعة، قراءات الأئمة العشرة جزء من الأحرف السبعة، تواتر قراءات الأئمة العشرة، ضابط القراءة المتواترة، تقسيم القراءة الصحيحة. حكم إنكار القراءة المتواترة، سبب إضافة القراءة إلى الصحابي أو القارئ، القراءات اختيارات للقراء وبيان ذلك، رأينا في التحريات.

هذا الكتاب على وجازته حافل بعلم غزير وأبحاث هامة، وهو متضمن خلاصة آراء الشيخ رحمه الله في تلك الموضوعات التي كانت مثار اختلاف وتباين في الأفهام والاجتهادات، ورأيه رحمه الله في هذا الذي يسمونه ( التحريات ) واضح في الكتاب، وهو أنها اختيارات لا تلزم إلا مصنفها. يبلغ الكتاب في طبعة ( عبدالرحمن محمد بالقاهرة )، ( 31 ) صفحة من الحجم المتوسط.

## 18- ( القراءات في نظر المستشرقين والملحدون <sup>307</sup> ) : هذا الكتاب

من أحسن وأهم ما ألف الشيخ رحمه الله ، رد فيه على المستشرق (جولد زيهر ) الذي في كتابه ( مذاهب التفسير الإسلامي ) للقراءات فوقع في أخطاء فادحة دلت على أنه أراد الطعن في كتاب الله، حيث غلب الطبع التطبع، فإن المستشرقين من أمثاله مهما حاولوا أن يخفوا خبث نياتهم

<sup>307</sup> هذا الكتاب يعتبر من أهم الكتب للشيخ العلامة عبد الفتاح القاضي في الرد على المستشرقين عموماً، وعلى المستشرق الهنغاري الأستاذ إغناس غولد تسيهر خاصة، والذي ركزنا عليه في بحثنا في بيان جهود الشيخ عبد الفتاح رحمه الله.

وفساد طوياتهم، وأن يظهروا بمظهر الباحثين المنصفين إلا أن أقلامهم تكشفهم. وقد ناقش الشيخ شبهاث هذا المستشرق بأسلوب يتجلى فيه طول نفسه في التأليف، ورسوخه في علم القراءات وضبطه لها، فهو يكثر من ذكر الأمثلة والأدلة عند تفنيده لآراء المستشرق المذكور. يبلغ الكتاب في طبعته الثانية، والتي تولتها مكتبة الدار بالمدينة المنورة ( 203 ) صفحة من الحجم الصغير.

19- ( أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين ): كتاب كبير الحجم، جليل القدر يعد من أحسن م ألف في هذا الفن، وسبقه إلى ذلك كثيرون لكن المتأخر في أغلب الأحيان يكون أكثر جمعاً، كيف وقد التزم الشيخ رحمه الله في كتابه هذا ألا يورد من الأسباب إلا ما كان صحيح السند محقق الثبوت ملائماً لروح الآيات وهدفها، موائماً لسياقها وسباقها، لا يصادم أصلاً من أصول العقيدة، ولا يعارض نصاً من نصوص الشريعة، ولا ينافي قاعدة من القواعد التي أجمع عليها علماء الاسلام وتلقتها الأمة بالرضا والقبول كما يقول في الكتاب. وقد اعتنى فيه أيضاً بالعزو والتخريج ن لكنه لا يتعرض للأسانيد بنقد أو تحليل. يبلغ الكتاب في طبعته المصرية التي أخرجتها مكتبة عبدالرحمن محمد بالقاهرة ( 256 ) صفحة من الحجم الكبير.

20- ( أرجوزة الميراث ) منظومة في علم الفرائض، عدد أبياتها ( 158 )

بيتاً من بحر الرجز، مطلعها:

الحمد لله القديم الباقي - مقدر الآجال والأرزاق  
ثم الصلاة والسلام أبدأ - على النبي العربي محتداً  
وهذه أرجوزة الميراث - نظمتها للفتية الأحداث

21- ( شرح أرجوزة الميراث ): شرح الأرجوزة السابقة، شرحاً موجزاً لطيفاً

سهل به هذا العلم على المبتدئين والفتية الأحداث - كما عبر في منظومته  
- ، بذلك لم يستوعب في الأرجوزة ولا في الشرح أبواب الفرائض،  
فأخلاه من الأبواب الصعبة مثل: المناسخات، الخنثى. يبلغ الشرح في  
طبعته المصرية التي طبعت بالقاهرة سنة 1393هـ ( 139 ) صفحة من  
الحجم الصغير.

22- ( الصيام فضائله وأحكامه ): كتاب لطيف الحجم غزير الفائدة،

عنى فيه الشيخ رحمه الله بمسائل الصيام، بأسلوب فقهي لكنه ممتع مهذب  
للنفس، وقد بين فيه الأحكام مع ذكر مذاهب العلماء والإشارة إلى  
أدلتهم. نشره لأول مرة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في غرة رمضان  
عام 1392هـ . ويبلغ عدد صفحاته في هذه الطبعة ( 175 ) صفحة  
من الحجم الصغير .

هذا ما تركه الشيخ رحمه الله من مصنفات، رأينا أن أغلبها في العلوم  
القرآنية وأنه شارك فيها ناثراً وناظماً، وله أسلوب سلس عذب في النظم كما  
أن أسلوبه في النثر يمتاز بالدقة والايجاز والسهولة، وكان ينفر من الحشو

والتعقيد، وقد قرأت عليه كتابي ( قواعد التجويد ) من أوله إلى آخره فكان حريصاً على أن يخلو الكتاب من أي لفظة يمكن الاستغناء عنها. وله رحمه الله مشاركة في تحقيق المخطوطات... والكتب التي قام بتحقيقها هي :

1- ( تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ) للإمام محمد بن

الجزري، حققه وعلق عليه بالاشتراك مع الشيخ محمد الصادق قمحاوي وهو من تلامذته. نشرته دار الوعي بحلب سنة 1393هـ في ( 206 ) صفحة.

2- ( شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد على عقيلة أتراب

القصائد): أما العقيلة فهي رائية الشاطبي المشهورة في رسم المصحف وعدد أبياتها ( 298 ) من بحر البسيط ومطلعها:

الحمد لله موصولاً كما أمرا - مباركاً طيباً يستنزل الدررا

3- ( دليل الحيران شرح مورد الظمان ): مع ذيل الدليل في علم الضبط، أما

منظومة مورد الظمان في علم رسم القرآن فعدد أبياتها ( 454 ) بيتاً من بحر الرجز، وناظمها هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن إبراهيم الأموي الشريشي الشهير بالخراز، والشارح هو الشيخ العلامة إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي المتوفى سنة ( 1349هـ



( وقد حقق الشيخ القاضي النظم والشرح وعلق عليهما، ويبلغ الكتاب في طبعة دار القرآن بالقاهرة ( 479 ) صفحة 308 .

وأغلب مؤلفاته من مقررات المعاهد الأزهرية والجامعات الإسلامية، ووزق لها القبول في الخواص والعوام، جعلها الله في ميزان حسناته، ونفعه الله بها في القبر والحشر.

### الوظائف التي تولاها الشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله

- عين مدرساً في المعهد الأزهرى الثانوى بالقاهرة، عقب تخرجه مباشرة.
- عين شيخاً لقسم القراءات التابع لكلية اللغة العربية بالأزهر.
- عين مفتشاً عاماً بالمعاهد الأزهرية.
- عين شيخاً للمعهد الأزهرى بدسوق، ثم شيخاً للمعهد الأزهرى بدمنهور.
- عين وكيلاً عاماً للمعاهد الأزهرية ، ثم مديراً عاماً للمعاهد.
- عمل عضواً للجنة تصحيح المصاحف بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر منذ إنشائها سنة 1950م، وتولى رياستها منذ سنة 1957م حتى وفاته.
- عمل خطيباً في بعض مساجد القاهرة.
- عمل عضواً ثم رئيساً في لجنة اختبار القراء بإذاعة جمهورية مصر العربية.
- ولما تعاقدت معه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بناء على طلب

<sup>308</sup> انظر: مجلة كلية القرآن الكريم و الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الأول، 1403 هـ، دراسة الأستاذ الدكتور عبد العزيز القاري بعنوان: العلامة الشيخ عبد الفتاح القاضي و أثره في الدراسات القرآنية، ص 309-320، وانظر أيضاً: <http://uqu.edu.sa/page/ar/136413>

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمهما الله في عام 1394هـ،  
ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل عين رئيساً لقسم  
القراءات بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية إلى وفاته.

إخلاص الشيخ عبد الفتاح القاضي في التدريس وسر نجاحه واهتمامه بطلبة العلم

روى لنا الثقات من الأساتذة والمشايخ العلماء عن الشيخ عبد الفتاح رحمه الله  
أنه كان آية في الذكاء والفهم والتأثير. يذكر أستاذه الفاضل، الأستاذ الدكتور عبد  
العزيز القاري :

" لقد كان جميع من درس عليه متعلقاً به غاية التعلق، ولما سألت بعض أفاضلهم  
عن سر ذلك، أخبروني بأن المسألة التي يظل غيره يشرحها لهم أياماً، يشرحها الشيخ  
القاضي رحمه الله في دقائق معدودة فإذا بها واضحة كالشمس في رابعة النهار، فحملت  
ذلك المعنى في نفسي على سببين: أولهما صدق النية إن شاء الله فإن لذلك أثراً كبيراً  
وبركة ظاهرة في أعمال الإنسان، والآخر: رسوخه في هذا العلم، كيف وقد أفنى عمره  
كله فيه قراءةً و إقراءً وتعلماً وتعليماً، وبحثاً وتأليفاً وتحقيقاً.

وكانت له فراسة عجيبة لا تكاد تخطئ ، حدثني أحد طلابه - ولو شئت  
لسميته لكنه لا يأذن بذلك - أن الشيخ رحمه الله كان كلما رآه يقول: يا فلان ألا  
زلت على ظهرها؟ فلما تكرر منه ذلك، تغيظ الطالب إذ حضر في باله قوله تعالى:  
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ ، [فاطر:45] ،  
وصدقت الشيخ فقد جاءني هذا الطالب يراجعني في السماح له بمغادرة الكلية  
والانتقال منها إلى الرياض، وذلك قبل تخرجه بأشهر قليلة... وقرأ مرة أحد تلاميذه

و أنا أسمع : ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾، [الفجر:23]، فقال الشيخ له : يا فلان ما رأيك أن تقف على جهنم ! فلما خرجنا قال لي أحد الحاضرين : هذا وقف لا أنساه أبداً .

والأهم أن الشيخ رحمه الله كان له أسلوب مؤثر في طلابه، و كان يوثق صلته بهم، و يتفقد شئوهم إذا لقيهم، و يوبخهم إذا لم يزوروه في بيته، ولو استطاع على ضعف صحته لزارهم، فكان الجميع يشعرون بأبوته وحبده عليهم.

أما بعض المعلمين فتجدهم أشبه بالعساكر الجفافة الغلاظ، لا يراهم الطالب إلا وقت الحصة، مع أن التعليم مهمة تربوية تتطلب توثيق الصلة بين العالم وتلاميذه، كما كان شأن سلف هذه الأمة في حلقات العلم التي كانت تزخر بها المساجد..."

309

**أقول:** إن هذه الأخلاق القرآنية يجب أن تتمثل فينا نحن المدرسين في الجامعات في هذه الأيام مع أبنائنا الطلاب. لقد ساءني كثيراً خبر بعض الأساتذة عندما قال لطلابه في القاعة الدراسية: إن العلاقة بين الأستاذ والتلميذ أو الطالب يجب أن تكون في داخل القاعة فقط ! أما خارج القاعة وبعد انتهاء المحاضرة فلا سلام ولا كلام !! ولا شك أن مثل هذه العلاقات الدبلوماسية لبعض الأساتذة مع طلابهم أنتجت جيلاً من الطلاب والمعلمين يرثى عليهم بسبب القسوة والجفوة في المعاملة مع الآخرين، بل وربما أساتذة يجيدون فنّ الضرب حتى للتلاميذ في المراحل الابتدائية والمتوسطة، والله المستعان. وما حالات الشكاوى الكثيرة من أولياء أمور بعض التلاميذ عنا ببعيد، فهل لهذه الماساة التربوية نهاية و خلاص !؟ لتكن تربية وطريقة

الشيخ عبد الفتاح القاضي في التربية والتعليم أسوة حسنة لنا وأ نموذجاً صالحاً للعلماء الربانيين نقندي به.

## المبحث الثاني: جهود الشيخ عبد الفتاح القاضي الأكاديمية في الدفاع عن القراءات والدراسات القرآنية

لقد انصبت جهود الشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله في خدمته للقرآن الكريم وعلومه إلى ثلاث مجالات مهمة: مجال الإقراء و التعليم، مجال التأليف والتدوين، مجال المشروعات والمؤسسات العلمية لخدمة القرآن الكريم وعلومه. و أفضل من يحدثنا حول هذه المسألة هو تلميذ الشيخ عبد الفتاح القاضي الأستاذ الدكتور عبد العزيز القاري حفظه الله لأنه عايشه شخصياً في كلية القرآن الكريم وجهاً لوجه لفترة زمنية غير قصيرة، حيث جمعهم الزمالة في ساحة التدريس والدعوة في رحاب كلية القرآن الكريم، يقول فضيلته:

"... كان له دور رئيسي في هذا المجال رحمه الله ، فقد أسهم إسهاماً بارزاً في إثرائه بجهود استمرت أكثر من ربع قرن ، بأساليب ثلاث:

أولها : الإقراء والتعليم : فقد مكث يقرئ ويعلم في مجال العلوم القرآنية منذ عام (1355هـ) تقريباً ، وتخرج على يديه أجيال أهل القرآن، وممن قرأ عليه بالمدينة النبوية : كاتب هذه السطور قرأت عليه أجزاء من القرآن بحفص، ثم بدأت عليه الشاطبية فقرأت جزئين من أول المصحف بقراءة نافع، ثم بقراءة ابن كثير ولم أكمل، ومنهم الشيخ علي بن عبدالرحمن الحذيفي الإمام بالمسجد النبوي ووكيل كلية القرآن

الكريم قرأ عليه ختمة كاملة بحفص، ومنهم الشيخ منير بن محمد المظفر التونسي المتخرج من الكلية، قرأ عليه في البيت ختمة كاملة للعشرة من طريق طيبة النشر، ومنهم الشيخ إبراهيم الأخضر تلقى عليه القراءات الثلاث المكملة للعشر من طريق الدرة، وقرأ عليه ختمة كاملة. ومنهم في مصر: الدكتور موسى شاهين لاشين، والدكتور عوض الله حجازي، والدكتور زكريا البري، وغيرهم.

ثانيهما : الإسهام الفعال في المشروعات القرآنية التي تعد من أكبر و أهم الإنجازات القرآنية أثراً في زماننا وهي:

### 1- معهد القراءات بالقاهرة

أنشئ هذا المعهد سنة (1945م ) أي (1365هـ) تقريباً ، وكان أول أمره تابعاً لكلية اللغة العربية بالأزهر، والدراسة فيه ثمان سنوات منها سنة تسمى ( إجازة التجويد)، وثلاث بعدها تعادل ( الثانوية ) تسمى ( عالية القراءات ) و أربع سنوات بعدها ، تسمى (تخصص القراءات ).

وقد خرَّج أفواجاً من حملة كتاب الله تعالى خدموا القرآن الكريم وقاموا في مجال التعليم والإقراء أكرم مقام، كما درّس في هذا المعهد إلى جانب الشيخ القاضي علماء ميرزون في القراءات كفضيلة الشيخ عامر بن السيد عثمان أمد الله في عمره ومتعته بالصحة والعافية، والشيخ عبدالعزيز الزيات، والشيخ إبراهيم بن علي شحاته السمودي بآرك الله في عمر الجميع<sup>310</sup>.

<sup>310</sup> هؤلاء المشايخ والأئمة الثلاثة المشار إليهم من قبل الأستاذ الدكتور عبد العزيز القاري آنفاً "... كفضيلة الشيخ عامر بن السيد عثمان أمد الله في عمره ومتعته بالصحة والعافية، والشيخ عبدالعزيز الزيات، والشيخ إبراهيم بن علي شحاته

## 2- تصحيح المصاحف بمصر

وهذه تقوم بأعمالها لجنة منبثقة من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، تضم في عضويتها علماء بارزين محققين في علوم القراءات والرسم والضبط وعد الآي. وكان فضيلته رئيساً لهذه اللجنة حتى وفاته، مشرفاً على أعمالها وكان له دور في إخراج (مصحف الأزهر) الذي طبع حديثاً على غرار ( مصحف الملك فؤاد المشهور الذي تولت طباعته دار الكتب المصرية )، وقد أدخلت اللجنة بعض التعديلات على المصحف المذكور في ضبطه ووقفه. فكان رحمه الله دقيقاً متأنياً في عمله هذا طيلة إشرافه على هذه اللجنة، وحري به ذلك وهو من أعلم الناس بخطورة هذه المهمة، وشدة مساسها بكتاب الله.

لكننا رأينا في السنوات الأخيرة مصاحف كثيرة، أغلبها مطبوع في مصر، مشحونة بالأخطاء، مما يدل على أن القائمين على طبعتها لم يبذلوا أي جهد في العناية بتصحيحها، ومع ذلك وجدنا في آخر كل مصحف منها اسم اللجنة المذكورة برئاسة الشيخ القاضي، فسألته عن ذلك وأحضرت له بعض تلك المصاحف، فأنكرها وقال: لم أطلع على هذه المصاحف، واسم اللجنة مع اسمي أصبح ( إكليشة ) مسروقة توضع في آخر أي مصحف ؟

---

السمنودي.. " قد انتقلوا جميعاً إلى رحمته تعالى، رحمهم الله رحمة واسعة وجعلنا ممن يتفانون في خدمة القرآن الكريم مثلهم. فالشيخ عامر بن السيد عثمان توفي عام 1988م، و الشيخ عبد العزيز الزيات توفي 1424/8/16 هـ، و الشيخ إبراهيم بن علي شحادة السمنودي توفي في نوفمبر 2003م.

### 3- كلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة

كان إنشاء هذه الكلية فكرةً رائدةً في هذا المجال، إذ أن كل غيور على كتاب الله مشفق على حماه، كان يعلم مدى انصراف الناس منذ عقد من الزمن عن علومه وفنونه، خاصة علم القراءات وعلم الرسم والضبط والفواصل، فعزّ وجود العالم بهذه العلوم المتضلع بها فضلاً عن وجود المحقق المتبحر، وأصبح الحال حينذاك باعثاً على القلق والخوف على كتاب الله، كما خاف الصحابة الكرام عليه لما رأوا القتل استحر في القراء في الغزوات وخاصة في وقعة اليمامة، وكان القراء من الصحابة في مقدمة صفوف الجهاد دائماً. لكن مع الفارق بين الحالين، إذ كان حال الصحابة كما وصفت، بينما حالنا أنّ الخوف وقع على القرآن وعلومه لما تمادى الناس في الغفلة عن كتاب الله وانصرفوا عنه إلى ظاهر من الحياة الدنيا. فكان من أبرز ما شاهدنا من محاولات صادقة لحث الناشئة على الإقبال على تعلّم كتاب الله، ثلاثة مشروعات جليلة بعيدة الأثر بالغة الفائدة:

**الأول منها :** مدارس تحفيظ القرآن الكريم التي انتشرت في أرجاء هذه البلاد انتشاراً واسعاً، سواء منها ما كان أهلياً أو تابعاً لوزارة المعارف.

**والثاني:** ذلك المشروع الخيري الأهلي العظيم الذي كان فضل السبق فيه للثري الباكستاني (الشيخ يوسف سيّتي) تغمده الله برحمته، فهو الذي سنّ تلك السنة الحسنة، وهي زرع كتاتيب (تحفيظ القرآن الكريم) في سائر المساجد، بجميع الأحياء،

في جميع المدن، حيثما أمكن وقدر ما تتحمل النفقات، فانتشرت هذه الكتابات انتشاراً عجبياً ولقيت قبولاً من الناس، وأقبل عليها الصغار والكبار والذكور والإناث.

**الثالث :** كلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة التي نحن بصدددها، فقد كان في إنشائها إثراء واسع لمجال الدراسات القرآنية، إذ كانت أول مؤسسة تعليمية تخصص لهذا المجال على مستوى الدراسات الجامعية، وفي ذلك من التقدم والارتقاء بهذه الدراسات ما لا يخفى... وإن تعجب فعجب من أولئك الذين اعتبروا العلوم القرآنية تابعة لعلوم اللغة العربية، مع أن العكس هو الصحيح.

فكان من توفيق الله لمحيي القرآن وأهله، أن قيض الله لهم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز<sup>311</sup> أمد الله في عمره وبارك فيه، وهو رئيس إدارات البحوث والافتاء والدعوة والارشاد حالياً، وكان حينذاك رئيساً للجامعة الإسلامية، فحرص سماحته حرصاً شديداً على تأسيس هذه الكلية وإنشائها، وتوفير سائر الإمكانيات من أجلها، وبدأت بعشرين طالباً من أهل القرآن الذين يجيدون حفظه ويجودون قراءته، فكانوا أول فوج سعد بصحبة الشيخ القاضي والتلمذة عليه أربع سنين، وهم نخبة من أبناء العالم الإسلامي، منهم خمسة سعوديون.

فتولى الشيخ القاضي بدعم وتشجيع من سماحة الشيخ ابن باز حفظه الله وضع مناهج هذه الكلية، وكان لكاتب هذه السطور شرف المشاركة مع الشيخ في ذلك، ومعنا غيرنا. كما تولى رحمه الله اختيار نخبة من علماء هذا الفن جميعهم من مصر، فقدموا إلى الكلية بطلب من الجامعة. وقامت الكلية على أكتافهم، بناء شاباً قوياً مباركاً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

<sup>311</sup> العلامة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز انتقل إلى رحمته تعالى في 14 مايو 1999م



### ثالثها: التأليف

هو أبرز ما أسهم به الشيخ القاضي رحمه الله في نهضة الدراسات القرآنية. لقد أغنى سلفنا رحمهم الله المكتبة القرآنية بما صنّفوه وسطرته أناملهم المباركة، فشيّدوا أضخم مكتبة في الدنيا متعلقة بكتاب منزل، ومن يطالع فهارس المخطوطات يرى ذلك عياناً. لكن هذا الكنز العظيم مدفون تحت ركام النسيان والإهمال، إذ معظم أمهات العلوم القرآنية مخطوط لم يبصر النور بعد، وإذا استثنينا كتب التفسير، فلا يستثنى أي علم آخر من علوم القرآن.

ولذلك كان مجال الدراسات القرآنية ولا يزال بأمر الحاجة إلى نهضة جديدة، تبعث فيها تلك المخطوطات الدفينة، وتزود بجهود جديدة من الأبحاث والمؤلفات التي تثري هذه المكتبة. لقد أدلى شيخنا القاضي - غفر الله له - بدلوه في ذلك، فبلغت مؤلفاته ما بين منظوم ومثثور، خمسة وعشرين مؤلفاً، منها ثلاث في الفقه والفرائض، والباقي في العلوم القرآنية<sup>312</sup>.

<sup>312</sup> انظر للمزيد: <http://uqu.edu.sa/page/ar/136413>

وانظر أيضاً: هداية القاري في تجويد كلام الباري للشيخ العلامة عبد الفتاح العجمي المرصفي، ص 667-672، ومجلة كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الأول، 1402-1403 هـ، القسم الثاني: التراجم والشخصيات، بقلم فضيلة الدكتور عبد العزيز القارئ، ص 297-320، ومقدمة الوافي لحققه فضيلة الأستاذ الدكتور شعبان محمد إسماعيل، ص 27-35، وانظر أيضاً:

<http://www.maroc-quran.com/vb/t4252.html>

وانظر أيضاً: <http://www.ahlalalm.org/vb/showthread.php?p=164354>

وانظر أيضاً: <http://www.mazameer.com/vb/t9868.html>

وانظر أيضاً: مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الأول: عام 1403، بحث الأستاذ الدكتور عبد العزيز عبد الفتاح القارئ

**وفاته:**

توفي الشيخ عبد الفتاح القاضي بالقاهرة - إثر مرض ألمَّ به في المدينة المنورة -  
يوم الاثنين في الخامس عشر من شهر محرم سنة 1403 هـ الموافق 1982/11/1م،  
ودفن في القاهرة.

فرحه الله رحمة واسعة وجعلنا الله من أمثاله وجمعنا به في جنات النعيم يوم لا  
ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

## المبحث الثالث: مطاعن الأستاذ غولد تسيهر في القراءات ورد الشيخ عبد الفتاح القاضي لها

وفي هذا المبحث سنحاول أن نتطرق إلى بعض الشبه العلمية والتاريخية عن القراءات القرآنية التي ذكرها زعيم الإسلاميات في أوروبا، الأستاذ المستشرق اليهودي إغناس غولد تسيهر في كتابه ( مذاهب التفسير الإسلامي ) وردود الشيخ عبد الفتاح القاضي له. ولا يسمح لنا المقام في هذا البحث المعد لهذا المؤتمر المبارك استعراض وذكر جميع الشبه التي أوردها الأستاذ إغناس غولد تسيهر ، فما لا يدرك جله لا يترك كله. والذي يجدر ذكره في هذا المقام أن أدنى تمعن وتحليل لهذه الشبه التي أوردها الأستاذ غولد تسيهر يظهر فيها تضليله وتلاعبه وتدليسها وعدم نزاهته وخبث طويته اليهودية<sup>313</sup>. وإن " أستاذاً " مثل غولد تسيهر الذي قضى سنوات عديدة في تعلم اللغة العربية و الإسلام، عار عليه أن يعبث وأن يحرف وأن لا يستسلم للحقائق القرآنية<sup>314</sup> ، كان يليق به على الأقل أن لا يشكك وأن لا يضلّل، ولكن

<sup>313</sup> حول أهداف الاستشراق اليهودي ودور اليهود في الدراسات الاستشراقية... انظر: الاستشراق والحلفية الفكرية

للصراع الحضاري للدكتور محمود حمدي زقزوق، كتاب الأمة، ط2، 1404 هـ، ص 48

<sup>314</sup> وما يشهد على مغالطات الأستاذ إغناس غولد تسيهر وعدم دقته في عزو المعلومات إلى مظانها، مناقشة الأستاذ

الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله مع المستشرق الألماني اليهودي جوزيف شاخت أستاذ غولد تسيهر عندما التقى به في ليدن بهولندا، حيث قال الدكتور مصطفى السباعي: " و باحثته طويلاً (أي شاخت) في أخطاء جولده سيهر وتعمله في تحريف النصوص التي ينقلها عن كتبنا، فأنكر ذلك أول الأمر، فضربت له مثلاً واحداً مما كتبه جولده سيهر في تاريخ ( السنة فاستغرب ذلك، ثم راجع كتاب جولده سيهر - وكنا نجلس في مكتبته الخاصة - فقال معك الحق إن جولده سيهر أخطأ هنا، قلت له هل هو مجرد خطأ؟ فاحتد وقال لماذا تسيئون به الظن. فانتقلت إلى بحث تحليله لموقف الزهري من عبد الملك بن مروان، و ذكرت له من الحقائق التاريخية ما ينفي زعم جولده سيهر...، للتفصيل... انظر: وزان، عدنان محمد؛ الاستشراق والمستشرقون - وجهة نظر، سلسلة شهرية تصدر عن رابطة العالم الإسلامي، العدد 24، السنة الثالثة، 1404 هـ، ص

هذا هو شأن ومنهج أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن نهج نهجهم هو: الخلط بين الحق والباطل.

### المطلب الأول: الشبهة الأولى والرد عليها

- قال الأستاذ إغناس غولد تسيهر في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي):  
" ... فلا يوجد كتاب تشريع اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن .. " <sup>315</sup>.

### وكان رد الشيخ عبد الفتاح القاضي له كالآتي :

" ... إن النص القرآني لم يعتره ومحال أن يعتريه اضطراب <sup>316</sup>، أو أن ينزل بساحته قلق، لأن معنى الاضطراب والقلق وعدم الثبات في النص القرآني؛ أن يقرأ النص على وجوه مختلفة وصور متعددة ويكون بين هذه الصور تناقض في المعنى وتعارض في المراد وتضارب في الهدف. وهذا منفي عن القرآن قطعاً، فإن الروايات المختلفة والوجوه المتعددة <sup>317</sup> التي تواردت على النص القرآني لا تناقض فيها ولا تعارض في معانيها ولا تضارب في المراد. وإنما لو سبرنا القراءات متواترها ومشهورها وصحيحها لوجدنا أن الاختلاف بينها لا يعدو نوعين :

<sup>315</sup> إغناس غولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي - ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، دار اقرأ، ط 5، 1992،

بيروت، لبنان، ص 4

<sup>316</sup> انظر: نزول القرآن على سبعة أحرف، للشيخ مناع القطان رحمه الله، مكتبة وهبة، ط 1، 1991، ص 30-50

<sup>317</sup> حول توجيه القراءات وبيان الأسرار اللغوية والإعرابية انظر دراسة استاذ كاتب هذه السطور رحمه الله: محيسن، محمد سالم؛ المهذب في القراءات العشر وتوجيهها ، من طريق طبعة النشر، مكتبة الكليات الأزهرية ط2- 1978- دار النوار للطباعة.

**النوع الأول :** أن تختلف القراءتان في اللفظ وتتفقا في المعنى. وهذا النوع ما يرجع الى اختلاف اللغات كقراءتي في : ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] بالصاد والسين، وقراءتي ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ [الحديد: ٢٤] بضم الباء وسكون الخاء، وفتح الباء والخاء. وقراءتي: ﴿ يَحْسَبُ ﴾ [الهمزة: 3] بفتح السين وكسرها.

والحكمة في إنزال هذا النوع في القرآن تيسير تلاوته على ذوي اللغات المختلفة<sup>318</sup>. ومن هذا النوع ما لا يختلف فيه اللغات وإنما هما وجهان أو هي وجوه تجري في فصيح الكلام ... نحو: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: 193] بتخفيف الزاي من نزل ورفع الحاء من الروح والنون من الأمين، وبتشديد الزاي من نزل ونصب الحاء من الروح والنون من الأمين - ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ - "...<sup>319</sup>. ثم عقب الشيخ عبد الفتاح قائلاً بأن هذا النوع وارد على سنة العرب، فلا يرى بأساً في إيراد اللفظ على وجهين أو وجوه ما دام المعنى الذي يقصد بالخطاب مستقيماً، وفي هذا توسعة على القارئ<sup>320</sup>.

<sup>318</sup> حول بيان الحكمة الإلهية من نزول القراءات على حروف كثيرة و تيسير ذلك على القبائل العربية الكثيرة تحدث الإمام ابن الجزري رحمه الله حيث قال " ... وكان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، لغاتهم مختلفة، و سنتهم شتى، و يعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعلم والعلاج لا سيما الشيخ والمرأة ولم يقرأ كتاباً كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم. فلو كلفوا العادول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع.."، انظر: النشر في القراءات العشر، للإمام محمد بن محمد بن الجزري الشافعي الدمشقي، ج1، ص 22، وانظر أيضاً هذه الدراسة المهمة عن اللهجات العربية والقراءات: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، للدكتور عبده الراجحي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، ط1، 1999، ص 84-100

<sup>319</sup> القاضي، عبد الفتاح؛ القراءات في نظر المستشرقين، ط1، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1400 هـ، ص: 20-23

<sup>320</sup> لأنه كما قال العلماء: قد دخل كثير من الناس في الإسلام من قبائل مختلفة بلهجات متباينة ومنهم الطفل الذي لم يستقم لسانه، والخادم الذي يجهل، والشيخ والمرأة العجوز... فتسامح الإسلام معهم وأقرهم الرسول صلى الله عليه وسلم

## النوع الثاني:

" أن تختلف القراءتان في اللفظ والمعنى معاً مع صحة المعنيين كليهما فلا يكونان متناقضين ولا متعارضين. نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: 259] قرئ ﴿نُنشِزُهَا﴾ بالزاي والمعنى: نضم بعضها الى بعض حتى تلتئم وتجتمع، وقرئ ﴿نُنشِزُهَا﴾ بالراء والمعنى: نحييها بعد الموت للحساب...<sup>321</sup>. ثم عقب الشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله تعالى قائلاً: "والمعنيان مختلفان، ولكنهما لا يتناقضان ولا يتنافيان بل يلتقيان، لأن الله إذا أراد بعث الخلائق ضم عظامهم بعضها الى بعض حتى تتجمع ثم يحييها للجزاء..."<sup>322</sup>، ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ [الحديد: 18] قرئ بتشديد الصاد في كلمتين، والأصل؛ المتصدقين والمتصدقات ثم قلبت التاء صاداً وأدغمت في الصاد بعدها. والمعنى: الذين يخرجون صدقات أموالهم سواء كانت مفروضة أم مندوبة، وقرئ بتخفيف الصاد في كلمتين، والمعنى: الذين يذعنون للدين وتمتلى نفوسهم بالانقياد له والاستسلام لأحكامه. فالمعنيان مختلفان بيد أنهما مجتمعان في العبد المؤمن المتصدق<sup>323</sup>.

على إسلامهم كما وضع ذلك في حديثه: [إني بعثت إلى أمة أميين منهم الغلام والخادم والشيخ العاسي

والعجوز...]. انظر: تفسير الطبري، ج 1، ص 35، و البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي، ج 1، ص 227

<sup>321</sup> المرجع لسابق، ص 24، وانظر: النشر في القراءات العشر، للعلامة بن الجزري، ج 1، ص 50

<sup>322</sup> القاضي، عبد الفتاح؛ القراءات في نظر المستشرقين، ص 30

<sup>323</sup> حول توجيه معاني القراءات و بيان الفروق اللغوية بينها... انظر: . البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من

طريقي الشاطبية والدرة ، للشيخ العلامة عبد الفتاح القاضي، ط 1، من مطبوعات الجامعة الإسلامية، 1408 هـ، ص:

50-55، وانظر أيضاً:

ثم ذكر الشيخ عبد الفتاح الحكمة من هذا النوع من القراءات قائلاً: " وحكمة هذا النوع من الاختلاف أن تكون الآية بمنزلة آيتين وردتا لإفادة المعنيين جميعاً.."<sup>324</sup>

أما اختلاف القراءتين في اللفظ والمعنى مع تضاد المعنيين وتضارب الأهداف فلا أثر له في القرآن الكريم ومحال أن يكون فيه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. ولتأكيد عدم وجود قراءات متناقضة ومتضادة في القرآن الكريم، استشهد الشيخ عبد الفتاح القاضي بكلام الإمام أبو محمد بن قتيبة في كتابه (مشكل القرآن) عندما قال: "الاختلاف نوعان اختلاف تغاير... واختلاف تضاد. فاختلاف التضاد لا يجوز ولست بواجده بحمد الله في كتاب الله تعالى. واختلاف التغاير جائز.."، ثم أتى بالأمثلة من الآيات وبرهن على جوازه بأن كلاً من المعنيين صحيح وأن كل قراءة بمنزلة آية مستقلة<sup>325</sup>.

وخلاصة القول في هذه المسألة ذكر الشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله أن اختلاف القراءات إنما هو اختلاف تنويع وتغاير لا اختلاف تعارض متضارب، فإن هذا لا يتصور أن يكون في كلام العقلاء من البشر، فضلاً على أن يكون في كلام رب العالمين، وبهذا تبين أنه من المحال أن يعتري قلق أو اضطراب على النص القرآني. وعلاوة على ما ذكر فإن الروايات المعتمدة التي تُلّيت بما النص القرآني قد ثبتت بطريق التواتر الذي لا شك فيه<sup>326</sup>، وقطع نسبها إلى مصدرها الأصلي، وهو الرسول

<sup>324</sup> انظر: القاضي، عبد الفتاح؛ القراءات في نظر المستشرقين، ص 30-34

<sup>325</sup> المرجع السابق

<sup>326</sup> انظر: جبل، محمد حسن حسن؛ وثيقة نقل النص القرآني من رسول الله، دار الصحابة للتراث، مصر، ص: 157

<sup>327</sup>، بتلقي الصحابة لها مشافهة عنه ونقلها عن الصحابة التابعون سماعاً ونقلها عن التابعين أتباعهم، وهكذا إلى أن وصلت إلينا..و الله أعلم.

### المطلب الثاني: الشبهة الثانية والرد عليها

- قال الأستاذ إغناس غولد تسيهر في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) ما نصه:  
 "...وفي جميع الشوط القديم للتاريخ الإسلامي لم يحرز الميل إلى التوحيد العقدي للنص إلا انتصارات طفيفة.. " <sup>328</sup>.

### يقول الشيخ عبد الفتاح رحمه الله رداً عليه:

"... تفيد هذه الفقرة أن طائفة من المسلمين كانت تميل الى توحيد النص القرآني، ولكن ميلها إلى هذا التوحيد لم يظفر إلا بتأييد ضئيل. وهذه الدعوى لا دليل عليها، بل هنالك من الأدلة ما ينقضها ويأتي عليها من أساسها... إذ لم يثبت أن أحداً من المسلمين جال بخاطره أو حدثته نفسه بتوحيد نصوص القرآن الكريم، وأما ما قام به الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه من كتابة المصاحف وإرسالها إلى الأمصار الإسلامية وحما الناس على ما فيها، فليس الباعث عليه الميل الى توحيد نصوص القرآن، وإنما الحامل عليه جمع المسلمين على القراءات الثابتة عن رسول الله بطريق التواتر دون ما عداها من القراءات التي نزلت أولاً تيسيراً على

<sup>327</sup> أجمع العلماء على كون القراءات القرآنية توقيفية، فلا يجوز القراءة بالتشهي والاختيار بلا رواية، والأحاديث النبوية متضاربة في هذه المسألة. وقال الإمام الزركشي: "إن القراءات توقيفية وليست اختيارية؛ خلافاً لجماعة؛ منهم الزمخشري؛ حيث ظنوا أنها اختيارية تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء..." انظر: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 321، وانظر أيضاً: القراءات الواردة في السنة ومعه جزء فيه قراءات النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عمر حفص بن عمر الدوري، للأستاذ الدكتور أحمد عيسى المعصراوي، ط1، دار السلام، 2006، القاهرة، ص: 42-43

<sup>328</sup> إغناس غولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ص 5



الأمة ثم نسخت بالعرضة الأخيرة، ولقد كان خلو المصاحف من النقط والشكل محققاً لرغبة الخليفة عثمان ومساعداً له على جمع الناس على القراءات المتواترة دون المنسوخة والشاذة... وليس أدل على ما قلناه أن هذه المصاحف التي أمر الخليفة عثمان بكتابتها كان بينها اختلافاً في مواضع كثيرة تبعاً لإختلاف القراءات في هذه المواضع... "، ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى: "... فلو كان قصد عثمان توحيد النص القرآني لكتبت المصاحف بصورة واحدة فكتابتها على هذه الصور المختلفة دليل على أن عثمان لم يعمد إلى توحيد النص القرآني... " <sup>329</sup>.

### المطلب الثالث: لشبهة الثالثة والرد عليها

- قال الأستاذ إغناس غولد زيهر في الصفحة الثامنة من كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي" ما نصه :

"... وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي، الذي يقدم هيكله <sup>330</sup> المرسوم مقادير صوتية مختلفة، تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعية فوق هذا الهيكل أو تحته، أو عدد تلك النقاط، بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده، إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبهذا إلى اختلاف دلالتها. وإذا فاختلاف تحلية

<sup>329</sup> القاضي، عبد الفتاح؛ القراءات في نظر المستشرقين، ص: 50

<sup>330</sup> يقول مترجم كتاب ( مذاهب التفسير الإسلامي ) الدكتور عبد الحليم النجار في تعليقه على كلام الأستاذ إغناس غولد تسيهر: " لم يكن الخط العربي سبباً في اختلاف القراءات، بل كان مساعداً على استيعاب القراءات الصحيحة بحالته التي كان عليها عند كتابة المصاحف العثمانية، من إهمال النقط والشكل كما سبق، فليست العبرة بالخط... "، ص: 8، وانظر أيضاً: نظرات في علم القراءات، تأليف الدكتور سمير بن يحيى المعبر، دار حافظ، ط2، جدة، 2005، ص: 73 - 133

هيكل الرسم بالنقط واختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب مع الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطاً أصلاً أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه... " 331 .

وكان رد الشيخ عبد الفتاح القاضي على هذه الشبهة قائلاً :

"...وهذا رأي خاطئ ونظر خاسئ وزعم باطل وفرية منكرة إجترأ عليها إغناس غولد تسيهر ليقذف بها أقدس ما يقده المسلمون وهو كتاب الله عز وجل، ويوهمهم أن كتاب الله تعالى لم يكن موضع تحقيق ودقة ولم يكن محل ضبط وتحرر وأمانة، في ألفاظه وقراءاته ورواياته، وطرق أدائه. إن هذا الرأي تصادمه الحقائق التاريخية، وتعارضه الأدلة النقلية المتواترة في جملتها وتفصيلها، الدالة على أن القراءات مصدرها الوحي الإلهي عن الله عز وجل، ومنبعها النقل الصحيح عن رسول الله ، وعلى أنها سنة متبعة ينقلها الآخرون الأول، ويتلقاها الخلف عن السلف عن رسول الله ، عن جبريل أمين الوحي عن الله تعالى... " 332 .

ثم ذكر الشيخ عبد الفتاح رحمه الله تعالى بعضاً من شواهد التاريخ وأدلة النقل وبراهين العقل ما ينقض هذا الرأي ويأتي عليه من القواعد و نحن ننقل كلامه رحمه الله بتصريف يسير حيث قال :

" إن التاريخ هو خير شاهد وأصدق مخبر يدل على أن القرآن الكريم بجميع قراءاته ورواياته كان محفوظاً في صدور أصحاب رسول الله قبل أن تكتب المصاحف

331 تسيهر، إغناس غولد؛ مذاهب التفسير الإسلامي، ص 8

332 القاضي، عبد الفتاح؛ القراءات في نظر المستشرقين، ص 68

في عهد الخليفة عثمان ، بل وقبل أن يجمع القرآن في الصحف في عهد الصديق أبي بكر الصديق رضي الله. كما أن التاريخ يدل على أن قراءته ورواياته قد ذاع أمرها وانتشر بين الأناس خبيرا وتداول الناس القراءة بها في العهد النبوي، وقد نطقت بذلك الأخبار الصادقة والآثار الصحيحة التي لا مطعن فيها ولا وهن في أسانيدھا. ونقص عليك من هذه الأخبار ما لا يبقى معه أدنى شبهة ولا ريبة في أن القراءات مردها الرواية ومرجعها السماع ولا دخل لأحد من البشر فيها كائناً من كان، وليست خاصة الخط العربي الذي كتبت به المصاحف مدعاة من قريب أو من بعيد الى تنوع القراءات واختلاف القراء<sup>333</sup>.

**الخبير الأول:** عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهت إلى سبعة أحرف )<sup>334</sup>.

**الخبير الثاني:** عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : ( سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت إلى قراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فلبتته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت

<sup>333</sup> حول تنوع القراءات واختلافها .. انظر: القراءات؛ أحكامها ومصدرها، تأليف الدكتور: شعبان محمد إسماعيل،

ط3، 2004، دار السلام، ص39-50

<sup>334</sup> أخرجه الإمام البخاري في صحيحه؛ كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، كما رواه الإمام

مسلم في صحيحه؛ كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف

به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله أرسله... اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله : كذلك أنزلت، ثم قال اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني. فقال رسول الله كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فإقرؤوا ما تيسر منه )<sup>335</sup>. قال الحافظ بن حجر العسقلاني في الفتح: "وكان سبب اختلافهما، أن عمر حفظ هذه السورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قديماً... ومبادرة عمر بالإنكار محمولة على إنه لم يكن سمع حديث : ( أنزل القرآن على سبعة أحرف ) إلا في هذه الواقعة .

**الخبر الثالث:** عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال: ( إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف ... فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك... ثم أتاه الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين.... فقال أسأل الله معافاته ومغفرته و إن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الرابعة قال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا )<sup>336</sup>.

وقد ساق الشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله أدلة أخرى في هذا المساق كلها تدل على أن القراءات كلها توقيفية ومردها ومرجعها الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل.

<sup>335</sup> أخرجه الإمام البخاري في صحيحه؛ كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿فَأَقْرئُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل:20]

<sup>336</sup> أخرجه الإمام مسلم في صحيحه؛ كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، رقم: 820

وعلاوة على ما ذكر فإن مادة الإقراء تكررت في الأحاديث مما يدل على أن القراءات إنما ثبتت بالتوقيف والتلقين والتلقي والأخذ والمشاهدة والنقل والسماع، وأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا في الذروة العليا دقة وضبطاً لألفاظ القرآن الكريم، وإحكاماً لكلماته وحروفه، وحرصاً على إمطة أدنى تصحيف عن ساحته، وحسبنا برهاناً على ذلك موقف عمر بن الخطاب مع هشام بن الحكيم .

وذكر الشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله أيضاً في رده عليه دليلاً عقلياً وتاريخياً، أنه لما كتبت المصاحف العثمانية وأرسلت إلى الأمصار الإسلامية لم يكتف الخليفة عثمان بإرسالها إلى الأمصار وحدها لتكون الملجأ والمرجع، بل أرسل مع كل مصحف عالماً من علماء القراءة يعلم المسلمين القرآن وفق هذا المصحف وعلى مقتضاه. فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدينة، وبعث عبد الله بن السائب إلى مكة، والمغيرة بن شهاب إلى الشام، وعامر بن عبد قيس إلى البصرة، وأبا عبد الرحمن السلمي إلى الكوفة، فكان كل واحد من هؤلاء العلماء يقرئ أهل مصره بما تعلمه من القراءات الثابتة عن رسول الله بطريق التواتر التي يحتملها رسم المصحف، دون القراءات الثابتة بطريق الآحاد والمنسوخة، وإن كان يحتملها رسم المصحف. فالمقصود من إرسال القارئ مع المصحف تقييد ما يحتمله الرسم من قراءات بالمنقول منها متواتراً. فلو كانت القراءات مأخوذة من رسم المصحف ساغ لكل إنسان أن يقرأ بكل قراءة يحتملها رسم المصحف، سواء كانت ثابتة بطريق التواتر أو بطريق الآحاد أم كانت منسوخة... فإيفاد عالم مع المصحف دليل واضح على أن القراءة إنما تعتمد على التلقي والنقل والرواية، لا على الخط والرسم والكتابة...<sup>337</sup>،

ثم عقب الشيخ عبد الفتاح قائلاً:

<sup>337</sup> القاضي، عبد الفتاح؛ القراءات في نظر المستشرقين، ص 78 - 120

"...ونزيد هذا الدليل إيضاحاً فنقول: في القرآن الكريم كلمات تكررت في مواضع كثيرة ورسمت برسم واحد في جميع المواضع ولكنها في بعض المواضع وردت فيها القراءات التي يحتملها رسمها فاختلف فيها القراء وتنوعت فيها قراءاتهم. وفي بعض المواضع اتفق القراء على قراءتها بوجه واحد، لأن غيره لم يصح به النقل، ولم تثبت به الرواية مع أن الرسم يحتمله. أمثلة على ذلك: [كلمة: ﴿مَالِكٌ﴾] ، ذكرت في القرآن على أنها صفة أو حكم الصفة في ثلاثة مواضع: الأول: ﴿مَالِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] في الفاتحة، الثاني: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: 26] ، الثالث: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: 2]. رسمت هذه الكلمة برسم واحد في المواضع الثلاثة، وهو حذف الألف بعد الميم ، ولكن القراء اختلفوا في قراءتها في موضع الفاتحة فقط<sup>338</sup>، فمنهم من قرأها فيه بحذف الألف ، ومنهم من قرأها فيه بإثباتها. أما موضع آل عمران: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: 26] فقد اتفقوا على قراءتها فيه بإثبات الألف. مع انه لو قرئت الكلمة في هذا الموضع بحذف الألف لكان ذلك سائغاً لغة ومعنى ولكن لم تقرأ بالحذف في هذا الموضع لعدم ثبوت الرواية فيه بالحذف.

أقول وفي هذا منتهى الدقة والأمانة من قبل هؤلاء الرواة والحفاظ، رضي الله عنهم . أما موضع سورة الناس: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: 2] . ، فقد اتفق القراء على قراءة الكلمة فيه بحذف الألف، مع أنه لو قرئت هذه الكلمة في هذا الموضع بإثبات الألف لكان ذلك سائغاً لغة ومعنى ولكن لم تقرأ الكلمة في هذا الموضع بالإثبات لعدم ثبوت الرواية بإثبات الألف.

<sup>338</sup> حول أثر القراءات القرآنية في الأحكام والعلوم الشرعية... انظر: آل إسماعيل، نبيل بن محمد إبراهيم؛ علم

القراءات- نشأته - أطواره- اثره في العلوم الشرعية، مكتبة التوبة، ط1، الرياض، 1419 هـ، ص: 70، 223،

365، فقد ألفت هذه الدراسة شاملة وفريدة في نوعه مدعمة بالنصوص والشواهد، فجزى الله كاتبها خيراً الجزاء.

### الخاتمة

وفي ختام هذه الورقة نريد أن نؤكد ما تفضل به المرحوم الشيخ العلامة عبد الفتاح القاضي أن القراءات لم تكن بالاختيار والاجتهاد، ولم يكن تنوعها تابعاً للخط والرسم، وإنما هو تابع للسنة والرواية والنقل. ولا شك أن مثل هذه الافتراءات والجهالات المتعمدة من هؤلاء المستشرقين صناع الأكاذيب والأباطيل لا تقف على ساق ولا تثبت أمام التاريخ والواقع العلمي الموضوعي. ورأينا بعضاً من جهود الشيخ عبد الفتاح في الرد، إذ المقام لا يسمح أكثر من ذلك. ومن الحقائق الراسخة رسوخ الجبال أن طريق تَلْقَى القرآن كان هو التلقي والمشاهدة والسمع الصوتي المباشر، وهذا السماع الصوتي كان يتجلى في:

- سماع صوتي من جبريل لمحمد عليهما السلام.
  - سماع صوتي من الرسول إلى كتبة الوحي.
  - سماع صوتي من كتبة الوحي إلى الذين سمعوه منهم من عامة المسلمين.
  - سماع صوتي حتى الآن من حفظة القرآن المتقين إلى من يتعلمونه منهم<sup>339</sup>.
- أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم و أن ينفع به طلاب العلم بقدر إخلاصي فيه، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

<sup>339</sup> انظر للتفصيل حول هذه المسائل شبكة الردود الإسلامية التي تشرف عليها وزارة الأوقاف المصرية :

<http://www.rudood.com/modules.php?name=News&file=article&sid=313>

وانظر أيضاً موقع دار الإفتاء المصرية: <http://www.dar-alifta.org/ViewDI.aspx?ID=93>

انتهيت من كتابة هذا البحث في ليلة الثامن عشر من رمضان المبارك لعام

1432 هـ الموافق 2010/08/29م

سلطنة بروناي

-----

وقمت مراجعة الدراسة مجددا يوم الجمعة 23 من ذي القعدة 1437 هـ

الموافق 26 أغسطس 2016 في دوحة الخير والبركة - قطر





340 الآداب الروحية والمبادئ الإيمانية لتدبر القرآن الكريم  
( قراءة في جهود بعض المتقدمين والمعاصرين )

بقلم

الدكتور خيرالدين خوجة

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

2012

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، [النحل: 44]، وقال تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، [ص: 29]، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد المبعوث بالكتاب المبين، الفارق بين الهدى والضلال والغي والرشاد والشك واليقين وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار والتابعين الأبرار، ما تعاقب الليل والنهار إلى أن يقوم الناس للرب الواحد القهار، أما بعد؛

لقد كثر الحديث عن النجاح والسعادة والتفوق والقوة في هذا الزمان الصعب، وكثرت حوله المؤلفات والمحاضرات وكل فريق يدعي أن كتابه أو برنامجه أو مذهبه أو حزبه هو البلسم الشافي لهذه الأوضاع المؤلمة، وكل حزب بما لديهم فرحون! غير أن الأمر ليس كما يزعمون. إننا لن نسلم من هذه الأوضاع المأساوية ولن ترى أمتنا نوراً وسط هذا الظلام الدامس إلا إذا اقتبست نورها من كتاب رها وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، حفظاً وتلاوة، تدبراً وتفسيراً، تعلماً وتعلماً، عملاً به ودعوة إليه بإخلاص وولاء صادق. فلا نجاح ولا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

## أهمية البحث

إننا نعيش اليوم في زمان من أصعب الأزمنة التي مرت بالأمة الإسلامية على مر التاريخ من حيث الذل والقهر والتخلف لأبناء الأمة الإسلامية وتكالب الأعداء عليها لنهب ثرواتها وخيراتها وتشريد أبنائها ومصادرة ثقافتها الإسلامية واستبدال الثقافة العلمانية الغربية والأمريكية بالثقافة الإسلامية<sup>341</sup>.

<sup>341</sup> انظر: بكار، عبد الكريم؛ عصرنا والعيش في زمانه الصعب، دار القلم، دمشق، ط2، 2004، ص: 5-25

إن صورة الإسلام في ذهن الغربيين صورة غامضة، يكتنفها الكثير من الجهل والتشويش والعداوة الظاهرة، على الرغم من الحروب الدامية التي شنّها الغرب وأمريكا على المسلمين في العراق وأفغانستان وباكستان، والروس على مسلمي القوقاز والشيشان، والصرب على مسلمي البلقان في البوسنة والهرسك وكوسوفا، وإسرائيل على المسلمين العزل في فلسطين المحتلة... أقول: إن المفروض والمتوقع أن يكون عندهم فهم أفضل ورؤية أكثر إنصافاً للإسلام وحقيقته، ولكن للأسف وجدنا الجهل العريض والعميق لعامة الشعوب الغربية بجغرافية العالم الإسلامي وتاريخه ودينه وشؤونه. لقد وقع كثير من الغربيين ضحايا الدراسات الإستشراقية قديماً وحديثاً وضحايا الأفلام ووسائل الإعلام الصهيونية. فالشرقي والمسلم عندهم شخص غير مألوف، فظُّ غليظٌ قاسٍ، أسير الشهوات...!! فهم يعتقدون بأنه لا فائدة ترتجى من وراء معرفة أحوال تلك الشعوب المتخلفة أو النامية. فالشرق عندهم موطن السحر والخرافات والأوهام ومأوى الشياطين والكهّان، وموطن النسل الوفير. فالشرق عندهم لا يعرف حرية الأفراد ولا حرية التعبير، وكل ما لديهم من التقدم فهو بسبب التقدم التقني الغربي. والشرقي عندهم دموي إرهابي أصولي متطرف!! وعند التأمل نجد أن المغذي الأساسي لهذه الصورة القائمة هي رواسب الحروب الصليبية، والتشويه الإعلامي الصهيوني والموقف الاستشراقي المضلل وغير نزيه. بناء على ما سبق، تأتي هذه الدراسة محاولة تقديم علاج لهذه الرؤية البائسة والعقد الفكرية المعوجة لدى هؤلاء، ودعوتهم بالعودة إلى القرآن الكريم من خلال البحث الحر النزيه والتدبر الأمثل للآيات القرآنية، لأنه كتاب الزمن كله والإنسانية كلها وأن الدعوة القرآنية عامة لجميع الناس دون استثناء. وليت هؤلاء يعودون إلى القرآن الكريم ويكفوا أيديهم وألسنتهم عن الطعن في القرآن ونبي الإسلام والمسلمين ويدخلوا في دين الله أفواجاً من خلال القراءة المتأنية

للقرآن الكريم والتدبر العميق لأبعاد الأحكام الشرعية والحدود والأوامر الربانية المنزلة<sup>342</sup>.

### سبب البحث

لما رأيت إعراض الناس وغفلتهم عن القيام بواجب التدبر لكتاب الله عز وجل، وأن همهم نحو كتاب الله عز وجل تدبراً وفهماً وتمسكاً وتحفيظاً وتعليماً قد ضعفت، واتجاهات منحرفة في التفسير قد ظهرت، وكثيراً من الظروف السياسية والفكرية والدينية قد استجدت، وتكالب الأعداء قاطبة على الأمة الإسلامية قد اشتدت، فقد استغل بعض شياطين الإنس وجنود إبليس هذا الزمان الصعب، فقاموا بتوظيف وتشغيل أفكار الناس بالموضوعات والقضايا التكفيرية والتفسيقية والتبديعية وتفسير الآيات القرآنية تفسيراً ظاهرياً وباطنياً منحرفاً. ورأيت فريقاً آخر من هؤلاء مستغرغاً في البحوث الفكرية والجدليات الفلسفية العقيمة والقراءات المعاصرة والنظرات الألسنية والتاريخية للقرآن الكريم...، أقول: إني لما رأيت هؤلاء وهؤلاء؛ عزمت بعون الله تبارك وتعالى أن أفرد رسالة حول ضرورة عودة الناس عامة والدعاة خاصة إلى تدبر كتاب الله تبارك وتعالى تدبراً أمثل.

<sup>342</sup> إن شئت أن تقف على هذه الحقائق يمكنك مشاهدة لقطات فيديو مسجلة على الانترنت في يو تيوب بعنوان:

**The fastest growing** [www.turntoislam.com](http://www.turntoislam.com)، و من خلال البحث على غوغل: **religion in the world**

## منهج الباحث

إن المنهج الذي سرت عليه في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي الوصفي النقدي.

## الجديد في هذه الدراسة

إن الجديد في هذه الدراسة هو البحث والتتبع للآداب الروحية والمبادئ الأخلاقية المتناثرة في بطون مصنفات التفسير وعلوم القرآن قديماً وحديثاً حول كيفية تدبر كتاب الله عز وجل تدبراً أمثلاً، ومن ثمّ الجمع والتحليل والترتيب والتهذيب لما كتبه القدامى والمعاصرون وتقديمها في دراسة مستقلة بقالب منهجي آخر أكثر تيسيراً وتقريباً إلى الفهم والتطبيق، وذلك بتقسيمها إلى قسمين: الأول: الآداب الروحية والمبادئ الأخلاقية للتدبر، والثاني: الأسس العلمية والقواعد المنهجية للتفسير. وهذا التقسيم بهذا الاعتبار لم أجده لدى المؤلفين القدامى ولا المعاصرين. وفي هذه الدراسة سأركز على الآداب الروحية والمبادئ الأخلاقية للمتدبر<sup>343</sup> والله أعلم.

---

<sup>343</sup> وإن شاء الله في دراسة أخرى قادمة مستقلة سأحدث عن الأسس العلمية والقواعد المنهجية للمفسر، عسى أن تكون هذه الدراسة منهلاً سهلاً ينهل من معينها طلبة العلم الشرعي أولاً ولمن شاء من الباحثين في كتاب الله عز وجل ثانياً وعمامة الناس ثالثاً. وكما قال العالم الأزهرى شمس الدين البابلي المتوفى سنة 1077 هـ: [ لا يؤلف أحد كتاباً إلا في أحد أقسام سبعة، ولا يمكن التأليف في غيرها، وهي: 1- إما أن يؤلف في شيء لم يسبق إليه يخترعه، 2- أو شيء ناقص يتممه، 3- أو شيء مستغلق يشرحه، 4- أو طويل يختصره دون أن يخل بشيء في معانيه، 5- أو شيء مختلط يرتبه، 6- أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبينه، 7- أو شيء مفرق يجمعه ]. انظر: ملا المحي محمد أمين بن فضل الله ( خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ) ج4، ص 41، ط القاهرة، 1284 هـ

## خطة البحث

وقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة ومدخل ومبحثين وخاتمة. بينت في المقدمة سبب اختيار البحث وأهميته ومنهج الباحث وما الجديد في هذه الدراسة. وبينت في المدخل مصطلح التدبر المتعلق بالبحث لغة واصطلاحاً. ثم في المبحث الأول تحدثت عن مكانة القرآن الكريم في حياة الناس وتحتته مطلبان: الأول بينت فيه أحوال الناس مع القرآن وكان هذا المطلب بمثابة التشخيص للداء، و في المطلب الثاني بينت واجبنا نحو القرآن الكريم وحاجة القلب إلى التدبر وهو بمثابة العلاج لذلك الداء. وفي المبحث الثاني ذكرت كلاماً لبعض المفسرين القدامى والمعاصرين في المطلبين. وفي المبحث الثالث بينت ضرورة استحضار الآداب الروحية والمبادئ الأخلاقية عند التدبر، وجعلت تحتته مطلبين: الأول: الآداب الروحية والأخلاقية للمتدبر، والثاني، ذكرت فيه بعض الآداب الروحية والنفسية والأخلاقية الأخرى من منظور الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي. وعقبت ذلك بالخاتمة وفهرست المصادر والمراجع.

هذا، وأود في هذه المناسبة المباركة أن أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العطر إلى صاحبي الفضيلة حفظهما الله؛ الأستاذ الدكتور سعيد محمد إسماعيل الصاوي؛ ( أستاذ الثقافة الإسلامية مقارنة الأديان ) بكلية أصول الدين بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، والأستاذ الدكتور المكي اقلانية؛ ( أستاذ السنة وعلومها ) بكلية أصول الدين بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية على ما قدما من ملحوظات علمية ومنهجية ولغوية، حيث تفضلا علي بقراءة البحث و إبداء تلك الملحوظات القيمة قبل تسليمه إلى كلية أصول الدين لتحكيمه. فأنا لصاحبي الفاضلة

شاكراً ومقدراً وأسأل الله عز وجل أن يجزيهم خير الجزاء وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتهم يوم القيامة إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وكتبه

الفقير إلى عفو مولاه في كل أحواله

خادم القرآن والمسلمين

الدكتور خيرالدين خوجة الكوسوفي

سلطنة بروناي



## المدخل: تحديد المصطلح

### التدبر في اللغة والاصطلاح:

التدبر لغة: " هو النظر في عاقبة الأمر والتفكر فيه..". و " وتدبرُ الكلام: النظر في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرة بعد مرة؛ ولهذا جاء على وزن ( التفعّل ) كالتجرُّع والتفهّم والتبيّن؛ فهو مشتق من النظر في أدبار الأمور وعواقبها..".<sup>344</sup>

والتدبر اصطلاحاً: هو تفهّم معاني ألفاظ القرآن والتفكر في مدلولات الآية وإن كان اللفظ على ظاهره لم يشتمل على ذكر تلك الإشارات والمعاني.<sup>345</sup>

وبناء على المعنى اللغوي والاصطلاحي للتدبر يكون معنى تدبر القرآن هو: إمعان القارئ نظره في الآيات الكريمة والتفكير فيها والتأمل حولها والنظر إلى ما يمكن أن يكون في نهايات الآيات من العواقب والنتائج والدروس والعبر، لتتشبّع نفسه ويستغرق عقله في المفاهيم، ويهتدي سلوكه ببصائر الوحي الإلهي المقدس. كما أن معنى التدبر يشمل أيضاً معرفة معاني الألفاظ المتقاربة من التدبر وما تدل عليه الآية وما يفهم من السياق العام للآيات أو اللحاق أو السباق، وهذه المعاني تحرك العقل والقلب ببشائره وزواجه، والخضوع لأوامره واليقين بأخباره. قال الإمام ابن القيم (ت: 751):

<sup>344</sup> انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري؛ لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، ص4، ج27 وانظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج5، ص290، وانظر أيضاً: التعريفات للجرجاني، ص: 76، وانظر: الأصفهاني؛ الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، مفردات ألفاظ القرآن، نسخة محققة، دار القلم، دمشق. 1980.

<sup>345</sup> انظر: تفسير ابن كثير، ج1، ص501، وانظر: التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، ص2-5

"... وهذا يسمّى تفكُّراً وتذكُّراً ونظراً وتأمُّلاً واعتباراً وتدبُّراً واستبصاراً، وهذه معانٍ متقاربةٌ تجتمع في شيءٍ وتنفرد في آخر. ويسمّى تفكُّراً، لأنه استعمالُ الفكرة في ذلك، وإحضاره عنده. ويسمّى تذكُّراً، لأنّه إحضارٌ للعلم الذي يجب مراعاته بعد ذهوله وغيبته عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: 201]. ويسمّى نظراً، لأنّه التفاتٌ بالقلب إلى المنظور فيه. ويسمّى تأمُّلاً، لأنه مراجعةٌ للنظرِ كَرَّةً بعد كَرَّةٍ، حتى يتجلّى له وينكشف لقلبه. ويسمّى اعتباراً، وهو افتعالٌ من العبور، لأنّه يَعْبُرُ منه إلى غيره، فَيَعْبُرُ من ذلك الذي قد فَكَّرَ فيه إلى معرفةٍ ثالثةٍ، وهي المقصود من الاعتبار، ولهذا يُسَمَّى عِبْرَةً، وهي على بناءِ الحالاتِ كالجَلِيسَةِ والرَّكْبَةِ والقِتْلَةِ إيداناً بأنّ هذا العلم والمعرفة قد صار حالاً لصاحبه يَعْبُرُ منه إلى المقصود به، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾ [النازعات: 26]. وقال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [آل عمران: 13]. ويسمّى تدبُّراً، لأنّه نظرٌ في أدبارِ الأمور، وهي أواخرها وعواقبها، ومنه تدبُّرُ القول... " 346.

وتجدر الإشارة هنا إلى نقطة مهمة جداً أشار إليها الإمام الطبري رحمه الله، وهي أن تدبر معاني كتاب الله عز وجل يأتي بعد فهم كلام الله سبحانه وتعالى، وإلا ففقد الشيء لا يعطيه وهيئات أن يحصل التدبر دون الفهم والتعقل لما هو مكتوب ومسطور. قال الإمام الطبري (ت: 310): " وفي حثِّ الله عز وجل عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبيانات - بقوله جل ذكره لنبيه ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: 29]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ \* قرآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي

عَوَجَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿ [الزمر: 27-28]، وما أشبه ذلك من آي القرآن، التي أمر الله عباده وحثهم فيها على الاعتبار بأمثال آي القرآن والاتعاظ بمواعظه - ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آية. لأنه مُحَالٌ أن يُقال لمن لا يفهم ما يقال ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان والكلام إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه، ثم يتدبره ويعتبر به. فأما قبل ذلك، فمستحيل أمره بتدبره وهو بمعناه جاهل. كما محال أن يقال لبعض أصناف الأمم الذين لا يعقلون كلام العرب ولا يفهمونه، لو أنشد قصيدة شعر من أشعار بعض العرب ذات أمثال ومواعظ وحكم: اعتبر بما فيها من الأمثال، واذكر بما فيها من المواعظ إلا بمعنى الأمر لها بفهم كلام العرب ومعرفته، ثم الاعتبار بما نبهها عليه ما فيها من الحكم. فأما وهي جاهلة بمعاني ما فيها من الكلام والمنطق، فمحال أمرها بما دلت عليه معاني ما حوته من الأمثال والعبر... فكذلك ما في آي كتاب الله من العبر والحكم والأمثال والمواعظ، لا يجوز أن يقال: اعتبر بما إلا لمن كان بمعاني بيانه عالماً، وبكلام العرب عارفاً... "347.

وتدبر القرآن الكريم ليس من حق العلماء فحسب. وإنما هو حق جميع الناس مسلمين وغير مسلمين إذا فهموا معاني الآيات القرآنية مباشرة أو عن طريق الترجمات. والتدبر هو منظومة تشمل كافة بني البشر بما يحملون من قوى عقلية أودعها الله تعالى فيهم، وأن التدبر أيضاً منظومة نسبية، يختلف تعامل الناس والعلماء معه وفيه بقدر ما يُعطى له من جهد وتلاوة وتدبر وتعمق وغوص في معاني الآيات ودلالاتها وإشاراتها وبحر معارفها، ومطالعة لكتب التفسير.

<sup>347</sup> الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج1، ص 36-37، وللاستاذ الدكتور مساعد بن سليمان الطيار حفظه الله كتاب مهم للغاية حول هذا الموضوع بعنوان: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، منشور في موقع ملتقى أهل الحديث: www.ahlhadeeth.com، ص: 104 - 122

## المبحث الأول: مكانة القرآن الكريم في حياة الناس

## المطلب الأول: أحوال الناس مع القرآن الكريم ( التشخيص )

ناقش العلماء قديماً وحديثاً قضية تقاعس بعض المسلمين عن القرآن الكريم والتمسك بتعاليمه وأحكامه. حقاً إن المتأمل لحالنا مع هذا الكتاب العظيم في هذه الأيام ليجد البون الشاسع بين ما نحن فيه وما يجب أن نكون عليه. تجد فينا إهمالاً في التلاوة وتكاسلاً في الحفظ وتغافلاً عن التدبر وبعداً عن العمل والدعوة إليه، وعدم محبته وتقديره حق التقدير. قال الإمام الرباني ابن القيم رحمه الله: "الناس ثلاثة: رجل قلبه ميت، فذلك الذي لا قلب له، فهذا ليست الآية ذكرى في حقه. الثاني: رجل له قلب حي مستعد، لكنه غير مستمع للآيات المتلوة، التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة، إما لعدم ورودها، أو لوصولها إليه، وقلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضراً، فهذا أيضاً لا تحصل له الذكرى، مع استعداده ووجود قلبه. والثالث: رجل حي القلب مستعد، تليت عليه الآيات، فأصغى بسمعه، وألقى السمع، وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، مُلقي السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة. فالأول: بمنزلة الأعمى الذي لا يُبصر. والثاني: بمنزلة البصير الطامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه، فكلاهما لا يراه. والثالث: بمنزلة البصير الذي قد حدّق إلى جهة المنظور، وأتبعه ببصره، وقابله على توسُّط من البعد والقرب، فهذا هو الذي يراه. فسبحان من جعل كلامه شفاهاً

لما في الصدور. فاعلم أن الرجل قد يكون له قلبٌ وَقَادٌ، مليءٌ باستخراج العبر واستنباط الحكم، فهذا قلبه يُوقعه على التذكُّر والاعتبار، فإذا سمع الآيات كانت له نُورًا على نور، وهؤلاء أكمل خلق الله، وأعظمهم إيمانًا وبصيرةً، حتى كأنَّ الذي أخبرهم به الرسول - صلى الله عليه وسلم - مشاهدٌ لهم، لكن لم يشعروا بتفاصيله وأنواعه... فصاحبُ هذا القلب إذا سمع الآيات وفي قلبه نورٌ من البصيرة، ازداد بها نورًا إلى نوره. فإن لم يكن للعبء مثل هذا القلب فألقى السمع وشهد قلبه ولم يغب حصل له التذكُّر أيضًا..<sup>348</sup>.

والأعجب من ذلك أن ترى اليوم كثيرًا من المسلمين بل وتسمع من الطلاب والطالبات في الجامعات العربية وغير العربية عن تضييع أوقاتهم في مطالعة الصحف والمجلات، ومشاهدة المسلسلات المكسيكية والتركية، ومتابعة مباريات كرة القدم والسلة في الدوريات، وسماع الأغاني المخلة بالمروءة والانشغال بالملهيات، والتركيز على مشاهدة لقطات الفيديو على اليوتيوبات، سواء ما خبث منها أم طاب، والمحاذثة والسهر على الياهو والماسنجرات، وانشغال بالرسائل الواردة في الجوالات والإيميلات، واستغراق في حديث الفنانين والفنانات والمطربين والمطربات والراقصين والراقصات المتزوجين والمطلقات والخبيثين والخبيثات... إلخ، ظلمات بعضها فوق بعض، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ولا تجد لكتاب الله تعالى في أوقاتهم نصيبًا، ولا لروعة خطابه منهم مجيبًا، ولا لزواجه ورواده نذيرًا...!! فهم في غيِّهم وطغيانهم يعمهون وإلى ربهم لا يهتدون!! وترى أحدنا إذا قرأ القرآن لم يحسن النطق بألفاظه، ولم يتدبر معانيه ولم يفهم مراده، وأن حال الصادقين المخلصين مع القرآن إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون، ووجلَّت قلوبهم من وعيده، فهم من خشيته مشفقون،

<sup>348</sup> انظر: الفوائد، للإمام ابن القيم، ص 10-45

والتي لو أنزلت على جبل.. ﴿لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِّنْ حَشْيَةِ اللَّهِ﴾، [ الحشر: 21 ]. فلا ترق قلوبنا، ولا تخشع نفوسنا، ولا تدمع عيوننا، وصدق الله إذ يقول: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾، [ البقرة: 74 ]. وترانا نمر على الآيات تلو الآيات، والعظات تلو العظات، ولا نفهم معانيها، ولا ندرك مراميها، وكأن أمرها لا يعنينا وخطابها لا يناجيننا...، فقل لي بربك، مثلاً؛ ما معنى ﴿الصَّمَدُ﴾ ؟ وما المراد بـ: ﴿عَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾؟، وما هو: ﴿الْحَنَاسِ﴾، والليل إذا عَسَعَسَ ؟ والواحد منا يتلو هذه الآيات في يومه وليلته أكثر من مرة..؟! أي هجران بعد هذا الهجران، وأي خسران أعظم من هذا الخسران..؟! لا أجد له تبريراً وأرفضه جملة وتفصيلاً. كما أننا نجد آيات كثيرة قد ذمت قديماً هولاء المعرضين والمشركين الذين هجروا القرآن وكانوا لا يتدبرونه ولا يفقهونه مع كونهم فرسان العربية وأئمة البلاغة والخطابة والبيان قال تعالى:

- 1- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَآلَىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾، [لقمان: ٧].
- 2- ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، [الأنعام: ٢٥].
- 3- ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾، [الفرقان: 30].
- 4- ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، [الأعراف: ١٨٤].

ويظهر فيما سبق أن هجر القرآن الكريم والابتعاد عن تدبره قديماً وحديثاً له صور ومظاهر ويمكن تلخيصها في: هجر تلاوته وسماعه والإصغاء إليه، واستبداله بسماع الكلام الباطل والغناء الفاحش وهجر الإيمان والعمل به وعدم الوقوف عند حلاله

وحرامه، وهجر التحاكم إليه وتحكيمه، والرضا بالعبادات والأعراف والقوانين والأهواء وهجر الاستشفاء به في القلب والبدن<sup>349</sup>، وهجر الدعوة إليه وعدم نشر ترجمته باللغات المختلفة وعدم بيان إعجازه العلمي والتشريعي للناس في وسائل الاعلام الحديثة، المرئية والمسموعة والمقروءة. فأصبح القارئ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه، لأنه يقرأ و يكذب و يظلم وينافق فيكون من أهل اللعنة، والله أعلم. ومن رفع هذا القرآن رفعه الله ومن وضعه وضعه الله. إنها كرامة وأي كرامة أن يكون بين أيدينا كتاب ربنا وكلام مولانا الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً. قال ابن مسعود رضي الله عنه: [ينبغي أن يعرف أهل القرآن بالقيام إذا الناس نائمون، وبالبكاء إذا الناس يضحكون، وبالصوم إذا الناس يفطرون] <sup>350</sup>. ويمكن أن نضيف إلى كلام ابن مسعود رضي الله عنه القول:

أ - ينبغي أن يعرف أهل القرآن بالصدق والإخلاص إذا الناس يكذبون وينافقون.

ب- وبالأمانة والثقة إذا الناس يخونون.

ج - وبالجلود والسخاء إذا الناس يبخلون.

د - وبالجد والاجتهاد إذا الناس ينامون ويتكاسلون.

هـ - وبالاتسامة والحب إذا الناس يعبسون ويُقَطَّبُونَ.

ح - وبالغفو والصفح إذا الناس ينتقمون.

ط - وبال حلم والصبر إذا الناس يجهلون.

<sup>349</sup> انظر للتوسع: ابن القيم، الفوائد، ص 156

<sup>350</sup> المصدر السابق، ص 192، وانظر أيضاً: النووي، يحيى بن شرف الدين أبو زكريا، التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق محمد الحجار، دار ابن حزم، ط4، 1996، ص 44. ولكاتب هذه السطور رسالة بعنوان: البعد التربوي في فكر الإمام النووي من خلال كتابه: التبيان في آداب حملة القرآن، ط1، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، 2009.

- ي - ملتزمين بآداب الحوار والمناقشة إذا الناس يخالفون.  
 ك - بالابتعاد عن مجالس اللهو واللغو إذا الناس يخوضون.  
 ل - وبالابتعاد عن التجسس والغيبة والنميمة والحسد إذا الناس يقعون.  
 م - وبالتفاني والولاء المخلص للوطن وللمؤسسات التي هم فيها يعملون.  
 ف - وبالاهتمام بحسن المنظر وجمال الهيئة إذا الناس يزهدون... والله أعلم.

### المطلب الثاني: واجبنا نحو القرآن وحاجة القلب إلى التدبر والتفسير(العلاج

(

إن حق القرآن علينا كبير وواجبنا نحوه عظيم. فمن حقه علينا أن نحسن التعامل معه حفظاً وتلاوة واستماعاً وتدبراً وتأملاً وفهماً وتفسيراً وفقهاً لأسراره ودعوة إلى أحكامه. ويمكن تلخيص واجبنا نحو القرآن الكريم في هذه النقاط: 1- الاعتقاد فيه بعقيدة أهل السنة والجماعة على أنه كلام الله عز وجل المنزل على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الواصل إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المعجز بآية أو سورة منه، الموجود بين دفتي المصحف، تكلم الله به قولاً وأنزله على رسوله وحياً، 2- إنزاله منزلته وتعظيم شأنه واحترامه وتبجيله وكمال محبته. فهو كلام ربنا ومحبه محبة لقائله، وتبجيله تبجيل لقائله، 3 - تعلم علومه وتعليمه والدعوة إليه. قال صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"<sup>351</sup>. 4- فهم معانيه وتدبره ومعرفة تفسيره والاتعاظ به، 5- الحرص على حفظه وتعاهده. فهو غنيمة أصحاب الهمم العالية،

<sup>351</sup> رواه البخاري، ج 4، ص 1919، ح 4739



والعزائم الصادقة. فإن قصرت همتك عن حفظه كله فاحذر أن تكون ممن قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم:

" إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب " <sup>352</sup>. 6- إقامة حدوده والعمل به، والتخلق بأخلاقه وتحكيمه في أقوالنا وأفعالنا وأحوالنا وسائر أمورنا الدينية والدينية. فالعمل به أساس النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، وهجره طريق الذلة والهلاك في الدنيا والآخرة.

قال الإمام ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾، [الفرقان:30]: " .. فترك تصديقه من هجرانه، وترك تدبره وفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه الى غيره من شعر أو غناء أو لهو <sup>353</sup> من هجرانه.. " هذا باختصار شديد عن واجبنا نحو هذا الكتاب العظيم وعن حقه علينا <sup>354</sup>.

<sup>352</sup> رواه الترمذي في سننه ، رقم الحديث : 2135، وقال هذا حديث صحيح . قال الشيخ الألباني رحمه الله: في تحسينه نظر عندي! لأنه من رواية قابوس بن أبي ظبيان؛ وقد ضعفه جماعة من الأئمة. انظر: هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصاييح والمشكاة ومعه تخريج الألباني للمشكاة، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق: علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، دار ابن القيم ، الدمام ، ط 1 ، 1422 هـ ، ص: 2077

<sup>353</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 197

<sup>354</sup> للتوسع حول هذه المسألة أحيل القارئ الكريم إلى كتاب فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله، بعنوان:

كيف نتعامل مع القرآن العظيم - فهماً وتفسيراً، فإن فيه فوائد جمة، وقد لخص فضيلته مسألة واجبنا نحو القرآن في هذه النقاط: واجب التلاوة والتجويد، واجب الحفظ والتمكين، واجب التدبر والتعلم، واجب العمل والتخلق، واجب

الدعوة والتعليم، راجع هذه الصفحات: 12 - 65

المطلب الثالث: حال الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح مع القرآن الكريم

حتى يكون قلب المسلم حيّاً مستفيداً من عِبَر القرآن ومواعظه، يحسن بنا أن نستعرض قبسات من السنة النبوية المطهرة لكي نرى حال الرسول صلى الله عليه وسلم وتدبره للقرآن الكريم وحال الصحابة رضوان الله عليهم وحال السلف الصالح من بعدهم.

روى الإمام مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: "صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة. ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة؛ فمضى. ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها. يقرأ مترسلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ.." <sup>355</sup>. وكان صلى الله عليه وسلم يدعو الأمة إلى تدبر وفهم معاني القرآن، فحين نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [آل عمران:190-191]. تقول عائشة رضي الله عنها: " قام أي رسول الله صلى الله عليه وسلم [ ليلة من الليالي فقال : يا عائشة ذريني أتعبد لربي قالت : قلت : والله إني لأحب قربك وأحب أن يسرك قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلي فلم يزل يبكي حتى بلّ حجره ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلّ الأرض وجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك

<sup>355</sup> صحيح الإمام مسلم بشرح النووي، ج3، ص 34

ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ! لقد نزلت علي الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها <sup>356</sup> .

وأما حال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مع القرآن الكريم فحدث ولا حرج. كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: "ركعتان في تفكير خير من قيام ليلة بلا قلب" <sup>357</sup> . وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: "إنما نزل القرآن ليُعملَ به فاتخذ الناس قراءته عملاً. قيل: كيف العمل به؟ قال: ليحلوا حلاله، ويجرموا حرامه، ويأتمروا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه، ويقفوا عند عجائبه" <sup>358</sup> . وعملياً كان منهم من يقوم بآية واحدة يرددها طيلة الليل يتفكر في معانيها ويتدبرها. ولم يكن همهم مجرد ختم القرآن؛ بل القراءة بتدبر وتفهم. عن محمد ابن كعب القرظي قال: "لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ و ﴿الْقَارِعَةَ﴾ لا أزيد عليهما وأتردد فيهما وأتفكر؛ أحبُّ إليَّ من أن أهدِّي القرآن (أي أقرأه بسرعة)". وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، [الجاثية: ٢١]. وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية: ﴿وَأَمَّا زُوايَا يَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾، [يس: ٥٩]. وكان بعضهم يقول: آية لا أتفهمها ولا يكون قلبي فيها لا أعد

<sup>356</sup> قال الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها: إسناده جيد، ج1، ص 147.

<sup>357</sup> ذكره شيخ الإسلام عبد الله ابن المبارك في كتاب الزهد، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دارالكتب العلمية، ج1، ص

<sup>358</sup> للمزيد عن حال السلف مع القرآن الكريم انظر: الزركشي، بدرالدين؛ البرهان في علوم القرآن، فصل: آداب التلاوة

ج1، 450-454، وحول مبادئ التدبر للقرآن الكريم أدعوك إلى استماع محاضرات الشيخ الدكتور عصام بن صالح العويد على موقع البث الإسلامي: <http://www.liveislam.net/archive.php?sid=&tid=756> فإن في محاضراته الصوتية خيراً كثيراً حول هذه المسألة.

لها ثواباً. وحكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال: إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال. ولولا أنني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها. وعن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها. وقال بعض العارفين: [لي في كل جمعة ختمة، وفي كل شهر ختمة، وفي كل سنة ختمة، ولي ختمه منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد]. وذلك بحسب درجات تدبره ونظرة المتأني في الآيات<sup>359</sup>.

### المبحث الثالث: ومضات من كلام المفسرين حول فضل وفوائد تدبر القرآن الكريم

وحول أهمية التدبر وفائدته والحكمة من ورائه أرى من الفائدة أن أعرج قليلاً إلى كلام بعض المفسرين القدامى والمعاصرين وتفسيرهم لبعض الآيات التي دعت إلى تدبر القرآن والتأمل في معاني الآيات لكي نزداد يقيناً بموضوع التدبر وأهميته.

#### المطلب الأول: المفسرون القدامى

1- قال الإمام الزمخشري (ت 538 هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، [ص:29]، "...وتدبر الآيات: التفكير فيها، والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة... وعن الحسن: قد قرأ هذا القرآن عبید

<sup>359</sup> انظر للوتسع: الرومي، فهد بن عبد الرحمن؛ أصول التفسير ومناهجه، مكتبة التوبة، ط.د، الرياض، 1413، ص

وصبيان لا علم لهم بتأويله: حفظوا حروفه وضيعوا حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: والله لقد قرأت القرآن فما أسقطتُ منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل، والله ما هو بِحِفْظِ حروفه وإضاعة حدوده ، والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة [ أي الدافعون والكافون ] ، لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء. اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين ، وأعدنا من القراء المتكبرين " 360 .

2- وقال الإمام الفخر الرازي ( ت 606 هـ ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ، [ ص: 29 ] ، " ... فإن من لم يتدبر ولم يتأمل ولم يساعده التوفيق الإلهي لم يقف على هذه الأسرار العجيبة المذكورة في هذا القرآن العظيم... " 361 .

3- وقال الإمام القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، [ الحشر: ٢١ ] ، " حث على تأمل مواعظ القرآن، وبين أنه لا عذر في ترك التدبر، فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة متشققة من خشية الله، وأنتم أيها المقهورون بإعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده. ! " 362 .

وكما هو ملاحظ من كلام المفسرين رحمهم الله أنهم جميعاً ركزوا على ضرورة التدبر والتأمل في الآيات القرآنية حتى يقف القارئ على أسرار هذا الكتاب العظيم، كما

<sup>360</sup> الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله؛ تفسير الكشاف، ج6، ص 17

<sup>361</sup> الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب،

ج 13، ص 137

<sup>362</sup> القرطبي، أبو عبد الله؛ الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص 44

أنهم أشاروا إلى أن هذا الكتاب لو خوطب به الجبال والجمادات لانقادت لمواعظه وأوامره رغم صلابتها، فما بال الإنسان لا يفقه هذا الأمر الإلهي والسر الرباني! إن هذا لَشَيْءٌ عَجَاب. قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾، و بما أنه من عند الله ففيه ائتلافاً كثيراً وانسجاماً كبيراً.

### المطلب الثاني: المفسرون المعاصرون

1. قال الأستاذ سيد قطب ( ت 1386 هـ ) في تفسير لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾، [محمد: 24]، "... أولئك الذين يظنون في مرضهم ونفاقهم حتى يتولوا عن هذا الأمر الذي دخلوا فيه بظاهرهم ولم يصدقوا الله فيه، ولم يستيقنوه ﴿ أولئك الذين لعنهم الله ﴾...، وطردهم وحجبهم عن الهدى ﴿ فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾...، وهم لم يفقدوا السمع ولم يفقدوا البصر؛ ولكنهم عطلوا السمع وعطلوا البصر، أو عطلوا قوة الإدراك وراء السمع والبصر؛ فلم يعد لهذه الحواس وظيفة لأنها لم تعد تؤدي هذه الوظيفة. ويتساءل في استنكار: ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾، وتدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص الضمير. وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير، ﴿ أم على قلوب أقفالها ؟ ﴾ فهي تحول بينها وبين القرآن وبينها وبين النور؟ فإن استغلاق قلوبهم كاستغلاق الأقفال التي لا تسمح بالهواء والنور! "363.

2. قال الإمام الطاهر بن عاشور ( ت 1393 هـ ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾،

363 قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، ج6، ص 451

[النساء:82]، "فمعنى ﴿يتدبرون القرآن﴾ يتأملون دلالته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبر تفاصيله؛ وثانيهما أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأنّ الذي جاء به صادق. وسياق هذه الآيات يرجح حمل التدبر هنا على المعنى الأول، أي لو تأملوا وتدبروا هدي القرآن لحصل لهم خير عظيم، ولما بقوا على فتنهم التي هي سبب إضمارهم الكفر مع إظهارهم الإسلام. وكلا المعنيين صالح بحالهما، إلا أنّ المعنى الأول أشدّ ارتباطاً بما حكى عنهم من أحوالهم... " 364.

3. وقال الشيخ الشنقيطي (ت 1393 هـ) في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، (ص:29): "وقد ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه أنزل هذا الكتاب معظماً نفسه جل وعلا بصيغة الجمع، وأنه كتاب مبارك وأن من حكم إنزاله أن يتدبر الناس آياته، أي يتفهموها ويتعللونها ويمعنوا النظر فيها حتى يفهموا ما فيها من أنواع الهدى، وأن يتذكر أولوا الألباب، أي يتعظ أصحاب العقول السليمة، من شوائب الاختلال" 365.

وكما هو ملاحظ من كلام المفسرين المعاصرين أن سبب غشاوة قلوب الكفار وعدم اهتدائهم إلى دين الله عز وجل هو عدم تدبرهم لهذا الكتاب حق التدبر دون مقررات وأفكار مسبقة، وكما أشار الأستاذ سيد قطب... "وتدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص

364 ابن عاشور، محمد الطاهر؛ التحرير والتنوير، ج3، ص 483

365 الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج7، ص 9

الضمير. وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير...". بينما وجدنا الإمام ابن عاشور مركزاً على أن المراد من التدبر معنيان "أحدهما أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبر تفاصيله؛ وثانيهما أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق...". بينما الشيخ الشنقيطي رحمه الله ركز على أن الحكمة من إنزال القرآن "... أن يتدبر الناس آياته، أي يفهموها ويتفعلوها ويعنوا النظر فيها حتى يفهموا ما فيها من أنواع الهدى".

ومصدقاً لكلام هؤلاء المفسرين الأجلاء فهناك آيات كثيرة أشارت إلى تلك

المعاني التي ذكرها هؤلاء العلماء نختار طائفة منها:

- 1- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].
- 2- وقوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: 107-109].
- 3- وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، [الحديد: ١٦].
- 4- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، [المائدة: ٨٣].



نفهم من هذه الآيات المباركة أن عملية تدبر القرآن هي عملية عقلية وقلبية في آن واحد<sup>366</sup>. فإذا أدرك العقل معاني الآيات وأسرارها التي يقرأها فإنه سرعان ما يرسل الرسائل الإيمانية إلى بقية أطراف البدن للتأثر والتفاعل مع العقل أو مركز الإدراك. فحتى تنهمر عيوننا بالدموع وحتى تقشعر أبداننا وتوجل من خشية الله عز وجل لا بد من تهيئة الأجواء النفسية والإيمانية الملائمة والمساعدة للتدبر الأمثل، مثل تلاوة القرآن في الأسحار وفي قيام الليل حيث الهدوء المطلق والبعد عن عيون الناس. لقد أدرك سلفنا الصالح هذه المعاني الجليلة فكانت تجدهم قُوماً في الليل وفرساناً في النهار شجعاناً في ساحات القتال. وما ذلك إلا للنفحات الإيمانية والتجليات الإلهية التي كانوا يتعرضون لها في الأسحار والبركات التي كانوا ينالونها في هذه الأوقات، وهذا شئ مجرب وحقيقي، ولعلماء أمراض القلوب وتقويم السلوك الإنساني من أمثال الإمام الغزالي في (إحياء علوم الدين)، وشيخ الإسلام بن تيمية في (الفتاوى) والإمام ابن القيم رحمهم الله في (زاد المعاد) و (مدارج السالكين) كلام نفيس حول هذه المسائل، فارجع إليها إن شئت، والله أعلم.

المبحث الرابع: ضرورة استحضار الآداب الروحية والمبادئ الأخلاقية عند التدبر

### المطلب الأول: آداب المتدبر الروحية والنفسية

لم أجد حسب علمي حتى الساعة هذا التقسيم بهذا الاعتبار - أي المبادئ والآداب الروحية والنفسية للتدبر، والأسس والقواعد العلمية المنهجية للتفسير - فيما

<sup>366</sup> البوطي، محمد سعيد رمضان؛ من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، ط.د، 1982،

مكتبة الفارابي، دمشق، 10- 50

وقفت عليه وقرآته من كلام العلماء. وأئمة السلف والخلف أشاروا إلى هذه الآداب والأسس مجتمعة مع بعضها البعض، وقد رأيت من الفائدة تقسيمها على النحو المذكور سابقاً. ولقد أشار الإمام السيوطي رحمه الله إلى بعضها في ( الإبتقان) والإمام الزركشي في ( البرهان ) والإمام الغزالي في ( الإحياء ) وابن القيم في (الفوائد ) وكثير من المفسرين القدامى والمعاصرين رحمهم الله جميعاً. وبعد المطالعة لتلك المصادر والمراجع لكلا الفريقين رأيت أن أصنف خلاصة الفريقين مرتبة على النحو الآتي:

- 1- صحة الاعتقاد والتجرد عن الهوى.
- 2- حسن النية وصحة المقصد.
- 3- حسن الخلق والامتثال.
- 4- تحري الصدق والضبط في النقل.
- 5- التواضع ولين الجانب.
- 6- عزة النفس والجهر بالحق.
- 7- الهيبة والوقار والأناة والروية.
- 8- الوقوف عند كل آية والانفعال معها.
- 9- الإخلاص في القراءة واستحضار عظمة الله تعالى.
- 10- اليقين بأن ما يقرؤه ليس من كلام البشر.
- 11- عدم الطلب بالقرآن شرف المنزلة عند أبناء الدنيا.
- 12- الابتعاد عن المعاصي لأنها تذهب بنور الإيمان في القلب والوجه وتوهن القلب وتمرضه.
- 13- الاستعاذة بالله وعز جل وطرد حديث النفس أثناء التلاوة .

- 14- صون اليدين عن العبث والعينين عن تفريق النظر.
- 15- اختيار الوقت المناسب والذي يتجلى الله فيه على عباده وتتنزل فيه فيوضات رحمته. وأفضل القراءة ما كان في الصلاة، وأما القراءة في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير من الليل أفضل من الأول، وأما قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الفجر.
- 16- ترديد الآية للتدبر والبكاء أثناء التلاوة خاصة عند قراءة آيات العذاب أو المرور بمشاهده وذلك عندما يستحضر مشاهد القيامة وأحداث الآخرة ومظاهر الهول يوم القيامة.<sup>367</sup>
- 17- علم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد. قال الإمام الزركشي في البرهان: " اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة، أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو وهو مصرٌّ على ذنب، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم...<sup>368</sup>.
- 18- التوكل على الله والحذر من إفساد الأعمال بالرياء والعجب.
- 19- تفويض الأمر إلى الله تعالى والتضرع إليه أن يلهمه الرشد في فهم الآيات.

<sup>367</sup> انظر: البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي؛ ج 1، ص 449-452، وانظر أيضاً: الاتقان في علوم القرآن

للإمام السيوطي؛ ج 1، ص 445؛ و إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، الباب الثالث، كتاب: آداب تلاوة القرآن، ج 1، 280 - 320

<sup>368</sup> انظر: الاتقان في علوم القرآن، بتصرف شديد، ج 1، ص: 445؛ والبرهان في علوم القرآن ج 2، ص 175-

200-201، والموافقات في الشريعة الإسلامية للإمام الشاطبي، ج 3، ص 347 - 348

- 20- الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة<sup>369</sup>.
- 21- الواقعية والجدية أثناء التدبر.
- 22- الإمام بالملايسات التاريخية لنزول القرآن<sup>370</sup>.
- 23- الإكثار في آيات العقيدة من الإشارات والتناجح والتحليلات<sup>371</sup>.
- 24- التأكيد على قضية الحاكمية والألوهية لله حتى تستقر في قلوب الناس<sup>372</sup>.
- 25- الثقة بالنفس والشجاعة فيما يتبنى من الأفكار.
- 26- الذهاب بالخيال والأحاسيس إلى الجو الذي تنزل فيه القرآن في مكة والمدينة...<sup>373</sup>.
- 27- ملاحظة حركة الصحابة في جو مكة والمدينة بالقرآن، وتفاعلهم معه ..<sup>374</sup>، أو التأمل فيما سماه الأستاذ سيد قطب: ب: ظاهرة القرآن المكّي، وتقرير العقيدة وعدم تجاوزها إلى الأمور الثانوية<sup>375</sup>، "إن القيمة الكبرى في ميزان الله هي قيمة العقيدة، وأن السلعة الرائجة في سوق الله هي سلعة الإيمان، وأن النصر في أرفع صورته هو انتصار الروح على المادة، وانتصار العقيدة على الألم وانتصار الإيمان على الفتنة.." <sup>376</sup>.

<sup>369</sup> خالد عبد الرحمن العك؛ أصول التفسير وقواعده، ص 81 - 83 - 188، وانظر أيضاً: الزرقاني، عبد العظيم؛

مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص 250

<sup>370</sup> انظر: قطب، سيد؛ التصوير الفني في القرآن، ص 30-50، و في ظلال القرآن في الميزان، ص: 305-400

<sup>371</sup> انظر: زرزور، عدنان؛ مدخل إلى التفسير و علوم القرآن، ص: 267

<sup>372</sup> انظر: قطب، سيد؛ مقومات التصور الإسلامي، فصل: ألوهية وعبودية، ص: 41، وفصل: (حقيقة الألوهية)،

ص: 81

<sup>373</sup> الخالدي، صلاح عبد الفتاح، مفاتيح للتعامل مع القرآن، ص: 59.

<sup>374</sup> المرجع السابق، ص: 59.

<sup>375</sup> قطب سيد، معالم في الطريق: ص: 21-22.

<sup>376</sup> قطب، سيد، معالم في الطريق، ص: 170-171.

- 28- إدراك شمولية الرسالة الإسلامية في كافة الجوانب البشرية.
- 29- إدراك حاجة البشرية وجوعتها إلى الإيمان بالله تعالى، حيث عبر الأستاذ سيد قطب قائلاً " .. إنها جوعة من نوع آخر، جوعة إلى الإيمان بقوة أكبر من البشر، وعالم أكبر من المحسوس ومجال من الحياة الدنيا، وجوعة إلى الوثام بين ضمير الإنسان وواقعه، بين البشرية التي تحكم ضميره والشريعة التي تحكم حياته، بين منهج حركته الذاتية ومنهج الحركة الكونية من حوله. جوعة إلى " اله " واحد يتلقى منه شريعة قلبه وشريعة مجتمعه على السواء ... " 377 .
- 30- إدراك الحكمة لهذه الجوعة والحاجة البشرية هو أن: " ... المنهج الرباني الصادر عن علم ( بدل الجهل )، وكمال (بدل النقص)، وقدرة ( بدل الضعف )، وحكمة (بدل الهوى) ، القائم على أساس: إخراج البشر من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده دون سواه.. " 378 .
- 31- النظرة التكاملية في آيات القرآن الكريم.
- 32- الوقوف طويلاً أمام الآيات التي قرنت العمل مع الإيمان، التي هي الأساس في حياة الإنسان 379 .
- 33- عدم فصل الدين عن الدنيا، لأنه كما قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله: " ليس من طبيعة المنهج الإلهي أن ينحصر في المشاعر الوجدانية والأخلاقيات

<sup>377</sup> المصدر السابق: 68-69، وانظر فصل: ( ألوهية و عبودية )، في مقومات التصور الإسلامي، ص: 101،

وانظر: قطب، سيد، نحو مجتمع إسلامي، ص 29 .

<sup>378</sup> المصدر السابق: ص- 8، ويراجع فصل: (الربانية)، في كتاب: خصائص التصور الإسلامي و مقوماته للمؤلف، ص

43، وانظر المقدمة في: نحو مجتمع إسلامي، ص: 5-13، و يراجع بتوسع فصل: ( تيه وركام)، في: خصائص التصور

الإسلامي، ص: 22 .

<sup>379</sup> قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي، ص: 182-183 .

- التهديبية والشعائر التعبدية أو في ركن ضيق من أركان الحياة البشرية ركن ما يسمونه: الأحوال الشخصية<sup>380</sup>.
- 34- إعطاء الأولوية لدين الله في كل شيء، وأن دين الله لا يمكن أن يكون محكوماً أو مقوداً، وإنما يجب عليه أن يكون دائماً حاكماً أو قائداً أو مهيمناً... كلا إن "دين الله" لا يرضى إلا أن يكون سيداً مهيمناً، قوياً متصرفاً، عزيزاً كريماً، حاكماً لا محكوماً، قائداً لا مقوداً.. " <sup>381</sup>.
- 35- الثبات والصبر وعدم تطرق اليأس والشك إلى قلوبنا بسبب ما نراه من حولنا من الضربات والأزمات للإسلام والمسلمين<sup>382</sup>. وهذا اليقين يستمد من طول الصحبة للقرآن الكريم تدبراً وتأملًا في آياته، كما أشار إلى ذلك الأستاذ سيد قطب: "وهذا يقين نستمده من طول الصحبة لهذا القرآن وطول الصحبة كذلك للمحاولات البشرية في البيان. وطول المزاولة الشخصية للكتابة فترة من العمر طويلة.. " <sup>383</sup>.
- 36- فهم منهج الصحابة في قراءتهم وتدبرهم لكتاب الله، وهو أنهم كانوا يقرؤون القرآن بقصد التلقي والتنفيذ، وليس بقصد المتاع والقراءة المجردة، يقول رحمه

<sup>380</sup>قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج 7، ص: 89-90، و معالم في الطريق: ص: 38-39

<sup>381</sup>قطب، سيد، المستقبل لهذا الدين، الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، 1988، مطبعة الفيصل، ص:

93، و يراجع بتوسع فصل (الألوهية والعبودية) في: مقومات التصور الإسلامي، ص: 84-107، 1009، 132-134.

<sup>382</sup>قطب، سيد، المستقبل لهذا الدين، ص: 116-117، وانظر: قطب، سيد؛ خصائص التصور الإسلامي، فصل (

الثبات )، ص: 87)

<sup>383</sup>قطب، سيد، مقومات التصور الإسلامي ( القسم الثاني )، ص: 24-25، بيروت، دار الشروق، ط 4 1993،

وانظر: قطب، سيد؛ خصائص التصور الإسلامي للمؤلف، بيروت، دار الشروق، ط-8 1983، ص:10

- الله: " إن منهج التلقي للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول. ومنهج التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرّج الأجيال التي تليه " 384.
- 37- عدم التأثر بالقوانين الوضعية البشرية الشيوعية والديمقراطية والماركسية والاشتراكية والرأسمالية والعلمانية والإلحادية والعولمة والحداثة.
- 38- إدراك التأثيرات الكنسية - بشقيها الشرقية والغربية - على نظام العالم السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتشويه صورة الإسلام وتورط رهبانها وقسسها في الفضائح الأخلاقية والشذوذ الجنسي.
- 39- إدراك لخطط وأساليب الصهاينة من اليهود المتطرفين لطمس الهوية الدينية والمعالم الإسلامية في فلسطين المحتلة وتهويد القدس الشريف.

هذه هي القواعد التي وقفت عليها أثناء إعدادنا لهذه الدراسة، حاولنا قدر الإمكان تجنب التكرار. وما من شك أن المسألة أكبر بكثير من حصرها في هذه الصفحات المعدودة، ويمكن للباحثين الآخرين الإتيان بالمزيد والجديد من المراجع والمصادر الأخرى والله أعلم.

المطلب الثاني: آداب روحية ومبادئ أخلاقية من منظور حجة الإسلام أبي حامد الغزالي

ولقد رأيت كلاماً جميلاً لحجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله أرى من الفائدة اقتباس فقرات منه. و ربما يتوهم القارئ الكريم بعض الآداب على أنها مكررة في الوهلة الأولى، ولكنها ليس بمكررة عند التأمل والنظر، وللإمام الغزالي له طريقته

384 قطب، سيد، معالم في الطريق:ص-19

الخاصة في عرض وبيان وربط حلقات هذه المنظومة مع بعضها البعض بشكل فريد. وأود القول في هذه المناسبة: إن هذا الذي ذكره الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في أعمال الباطن للقارئ أثناء التلاوة يصلح بل ينبغي أن تكون قاعدة فكرية وأخلاقية ونفسية للمتدبر في كتاب الله عز وجل أيضاً. قال رحمه الله:

" الباب الثالث، في أعمال الباطن في التلاوة، وهي عشرة: 1- فهم أصل الكلام. 2- ثم التعظيم. 3- ثم حضور القلب. 4- ثم التدبر. 5- ثم التفهم. 6- ثم التخلي عن موانع الفهم. 7- ثم التخصيص. 8- ثم التأثير. 9- ثم الترتي. 10- ثم التبري.

**فالأول: فهم عظمة الكلام وعلوه؛** وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه.

**الثاني: التعظيم للمتكلم؛** ومثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف غشى عليه ويقول: هو كلام ربي هو كلام ربي...، فإذا حضر بياله العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار، وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد، وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته إن أنعم فبفضله وإن عاقب فبعده...،

**الثالث: حضور القلب وترك حديث النفس؛** قيل في تفسير ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، [ مريم: 12 ]، أي بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يكون متجرداً له عند قراءته منصرف الهممة إليه عن غيره...،



**الرابع: التدبر؛** وهو وراء حضور القلب فإنه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره. والمقصود من القراءة التدبر. قال علي رضي الله عنه: [لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها]. وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف إمام...، وعن أبي ذر قال: [قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَعْفُرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾]، [المائدة: 118]...

**الخامس: التفهم؛** وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل. وذكر أفعاله. وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام. وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا، وذكر أوامره وزواجه، وذكر الجنة والنار. ...، فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن...، ولهذا ينبغي إذا قرأ التالي قوله عز وجل ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾، [الواقعة: 63]، و﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾، [الواقعة: 58]، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾، [الواقعة: 68]، و﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾، [الواقعة: 71]، فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنى، بل يتأمل في المنى وهو نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب، وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة...، وأما أحوال المكذبين؛ كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته، وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وأنه إن غفل

وأساء الأدب واغترّ بما أمهل فرمما تدركه النعمة وتنفذ فيه القضية. وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لأن ذلك لا نهاية له...، ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾، [ محمد:16]...، وقد قيل: لا يكون المرید مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد، ويعرف منه النقصان من المزيد، ويستغني بالمولى عن العبيد...

**السادس: التخلي عن موانع الفهم؛** فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وحجب أسد لها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن. قال صلى الله عليه وسلم [ لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت ]، ومعاني القرآن من جملة الملكوت، وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من الملكوت، وحجب الفهم أربعة: أولها: أن يكون الهُـم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، وهذا يتولى حفظه شيطان وكُل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه. فهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنى تنكشف له المعاني...؟ ثانيها: أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة. فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه...، ثالثها: أن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، وهو كالخبث على المرآة فيمنع جليلة الحق من أن يتجلى فيه، وهو أعظم

حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون. وكلما كانت الشهوات أشد تراكمًا كانت معاني الكلام أشد احتجاباً، وكلما خفّ عن القلب أنقال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه. فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدا، ومعاني القرآن مثل الصور، التي تتراءى في المرآة. والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [إذا عظمت أممي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام، وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرّموا بركة الوحي]. قال الفضيل: يعني حرّموا فهم القرآن. وقد شرط الله عز وجل الإنابة في الفهم والتذكير، فقال تعالى: ﴿تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾، [ق: 8]، وقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾، [غافر: 13]، وقال تعالى ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، [الرعد: 19]. فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب. رابعها: أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وأن ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه: [إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن]... - انتهى كلام الإمام أبي حامد الغزالي عن حجب الفهم ثم يواصل كلامه قائلاً -

**السابع: التخصيص؛** وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن. فإن سمع أمراً أو نهيًا قدر أنه المنهي والمأمور. وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك. ولذلك قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، [هود: 120]...، وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الأحاد. فهذا القارئ الواحد مقصود، فما له ولسائر الناس،

فليقدر أنه المقصود. قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾، [الأنعام: 19]. قال محمد بن كعب القرظي: [من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله...]. ولذلك قال بعض العلماء: [هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده تندبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات]. وكان مالك بن دينار يقول: [ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن؟ إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض]...

**الثامن: التأثر؛** وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال و وَجَدُ يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره. ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه...، ولذلك قال الحسن: [والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا أكثر حزنه وقل فرحه، وأكثر بكاءه وقل ضحكته، وأكثر نَصْبُهُ وشغله وقلت راحته وبطالته...، فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة... ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود [اقرأ عليّ] قال: فافتتحت سورة النساء فلما بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾، [النساء: 41]، رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي: حسبك الآن. وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية. ولقد كان في الخائفين من خَرَّ مغشياً عليه عند آيات الوعيد. ومنهم من مات في سماع الآيات...، ولذلك قيل: إن من لم يكن متصفاً بأخلاق القرآن؛ فإذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى: مَالِكٌ وِلْكَامِي وَأَنْتَ مَعْرُضٌ عَنِّي. دع عنك كلامي إن لم تتب إلي...، فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة! اختلف في اثنين منهم. وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين. وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم...، وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل

والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاض والتأثر بالانزجار والائتمار. فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ.

**التاسع: الترقى؛** وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه. فدرجات القراءة ثلاث، أدناها: أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفاً بين يديه وهو ناظر إليه ومستمتع منه، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهاال. الثانية: أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه، فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم. الثالثة: أن يرى في الكلاء المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث إنه منعم عليه، بل يكون مقصوراً لهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره. وهذه درجة المقربين وما قبله درجة أصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين...، ولذلك قال بعض الحكماء: [كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه، ثم رفعت إلى مقام فوقه كنت أتلهه كأني أسمع من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمع من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيماً لا أصبر عنه]...، وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى إلى مشاهدة المتكلم في الكلام...

**العاشر: التبري؛** وأعني به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين الرضا والتزكية. فإذا تلا بآيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك، بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم. وإذا تلا

آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك، وقدر أنه المخاطب خوفاً وإشفاقاً. ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: [ اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري، فقيل له: هذا الظلم فما بال الكفر؟ فتلا قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾، [ إبراهيم:34]...، وهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات إليها وإلى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عياناً. وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها. وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب أوصافه، إذ منها الرحمة واللفظ والانتقام والبطش... " 385.

وبما أن مساحة هذا البحث لا تسمح لي بالتوسع أكثر، اكتفي بهذا القدر عسى ولعلي أكون قد وفقت لبيان بعض الآداب المطلوبة لتدبر الأمثل والمثمر للآيات القرآنية من خلال عرض وبيان ما كتبه بعض القدامى والمعاصرون من علمائنا الأجلاء رحم الله المبتئين منهم وحفظ الأحياء، وجعلنا من أمثالهم إنه تعالى سميع قريب مجيب وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته وتوفيقه تتحقق الأهداف وتنجز الأعمال، والصلاة والسلام على أشرف من صلى وصام وتدبر القرآن وجاهد بالنفس والمال، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى الصحب الكرام والآل، وعلى من اتبع سنته وسار على هديه بالأقوال والأعمال. لقد توصلنا بحمد الله وتوفيقه إلى نهاية هذا الدراسة المتعلقة باستحضار الآداب الروحية والمثل الأخلاقية لمن أراد تدبر القرآن الكريم حق التدبر. وقد أثبتت الدراسة أن هناك هجراً وإعراضاً عن تدبر القرآن الكريم من بعض الناس وأن كثيراً من المسلمين وغير المسلمين لديهم تصور خاطئ عن الإسلام، وقد بينا أن السبيل إلى تصحيح هذا التصور هو العودة إلى القرآن الكرم من جديد تدبراً وتأملاً في معاني الآيات، مؤكدين على أن تدبر القرآن الكريم ليس من حق العلماء فحسب وإنما هو حق جميع الناس بصرف النظر عن الخلفية الدينية أو العرقية أو الثقافية للمتدبر بشرط مراعاة السياق العام للآيات القرآنية والسباق واللاحق. وقد أثبتت الدراسة أن التدبر الأمثل يكون بالعودة إلى معرفة حال الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والسلف الصالح مع القرآن الكريم وكلام أهل العلم المحققين من المفسرين القدامى والمعاصرين. لقد اثبتت الدراسة أيضاً أن التوصل إلى التدبر الأمثل للقرآن الكريم يكون بالتزام واستحضار جملة من الآداب والضوابط الروحية والنفسية والأخلاقية لكون هذه الآداب والضوابط ضرورية وأساسية لمن أراد أن تنكشف له معاني الآيات القرآنية وتنجلي له الحقائق الربانية والمعاني الخفية واللطائف الإلهية والأسرار العلمية التي اشتمل عليها هذا الكتاب العظيم. وبينت الدراسة أن على المتدبر التخلي عن بعض الموانع والحجب التي تحول بينه وبين الفهم الصحيح والتدبر السليم لآيات القرآن الكريم؛ كأن يكون هم القارئ منصرفاً إلى تحقيق الحروف

بإخراجها من مخارجها، أو أن يكون مقلداً متعصباً لمذهب معين أو أن يكون مصرّاً على ذنب أو متصفاً بالكبر أو متبعاً لهواه... الخ، فإن هذه الموانع سبب ظلمة القلب وصدئه، وهو كالحبث على المرآة يمنع تجلية الحق، لأن القلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدأ ومعاني القرآن مثل الصور التي تظهر في المرآة، فهذه الآداب تعتبر رياضة للقلب والعقل بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرأة. ثم ختمت هذه الدراسة بذكر بعض الآداب والضوابط التي ذكرها حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله رحمة واسعة، والله أعلم. أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يدخر أجره لي ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم إنه تعالى أكرم مسؤول وخير مأمول وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد و على آله وأصحابه.

وكتبه الفقير إلى عفو مولاه

خادم القرآن والسنة

الدكتور خيرالدين خوجة ( الكوسوفي )

محاضر في التفسير والدراسات القرآنية - كلية أصول الدين - جامعة السلطان

الشريف علي الإسلامية - سلطنة بروناي دار السلام

2011/1/5 م

وقمت مراجعة الدراسة مرة أخرى قبل النشر بتاريخ 2016-08-27

بدوحة الخير والبركة في قطر.



# نحو منهج قرآني في تعليم العلوم الشرعية ظاهرة نزول القرآن الكريم منجمًا

( قراءة في الدروس والمقاصد الدينية والتربوية والاجتماعية )<sup>386</sup>

بقلم

الدكتور خير الدين خوجة

أستاذ التفسير والدراسات القرآنية المساعد

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

الدوحة - قطر

2011

---

<sup>386</sup> ورقة علمية قدمت في المؤتمر الإقليمي بعنوان:

دراسات أصول الدين في مؤسسات التعليم العالي في القرن 21 - تحديات وتوقعات - 3-4 أبريل 2011

كلية أصول الدين - جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية - سلطنة بروناي

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله شافع المذنبين، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار ومن سار على هديه ما دام الليل والنهار، ثم أما بعد؛

فلقد شاء الباري عز وجل أن يكون نزول القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منجماً حسب الوقائع والأحداث. يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ويقول عز من قائل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾، [الفرقان: ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

إن في هذا التنجيم للقرآن العظيم لحكماً باهرة وعبراً جليلة، ولا أبالغ إن قلت إن الجامعات والمؤسسات التعليمية العالمية الحديثة والعريقة قد اقتبست استراتيجيات التعلم والتعليم والتربية من تاريخ نزول القرآن الكريم منجماً. ولا أذكر أن هنالك كتاباً سماوا نزل منجماً غير القرآن الكريم، ولأجل هذا الحقيقة التاريخية والتربوية يتعين علينا العكوف على معرفة أسرار هذه الظاهرة القرآنية. فإن صح إطلاق مصطلح "التنجيم ظاهرة قرآنية" فهذه هي الظاهرة الوحيدة تستحق من المرين والمتعلمين أن يقفوا طويلاً لاستخراج أسرارها.

ولقد درس علماء التربية والمناهج ظاهرة التدرج في نزول الآيات القرآنية ومضامين التشريعات الربانية المقدسة وحلّلوا مدى إمكانية الاستفادة منها وتوظيفها في الدروس والمقررات المدرسية والجامعية. ما من شك أن المنهج القرآني في التربية والتعليم والتأسيس الفكري والعقدي؛ لمنهج رباني عظيم وفريد من نوعه وجدير بالاتباع في التربية والتعليم والتثقيف. ولقد كان بإمكان الله عز وجل أن يُنزل القرآن الكريم على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جملة واحدة وفي لحظة واحدة وتنتهي المسألة! ولكنه سبحانه أبي أن يشرع هذه المنهجية للناس مع نزول آخر كتاب سماوي سيكون له شأن كبير في الأرض وفي السماء إلى قيام الساعة.

لقد أراد الله عز وجل أن يستغرق نزول القرآن فترة زمنية طويلة، ذلك؛ حتى يتعلم الناس جميعاً والمسلمون خاصة الطريقة القرآنية المثلى في التربية والتعليم الناجح والموفق. إن العملية التربوية والتعليمية تعتمد على أمرين أساسيين: مراعاة المستوى الذهني للمتلقي وتنمية قدراته العقلية والنفسية والجسمية. وفي تاريخ نزول القرآن منجماً نلاحظ هذه الحقيقة وهذين الأمرين بوضوح وجللاء، حيث سلك القرآن الكريم في تربية الأمة الناشئة - في كلتا المرحلتين؛ المرحلة المكية والمرحلة المدنية - منهج التدرج والمرحلية لإصلاح النفس البشرية عقدياً وفكرياً وأخلاقياً، حتى استوى بهذا المنهج بناء الأمة الإسلامية وآنت أكلها بإذن ربها. تشير الدراسات الأكاديمية إلى أن المنهج الدراسي الذي لا يراعى فيه المستوى الذهني والاستعداد الفكري في كل مرحلة من مراحل التعليم من حيث الانتقال بالمتلقي من الإجمال إلى التفصيل، أو لا يراعى تنمية الجوانب العقلية والنفسية والجسمية للمتلقي؛ منهج غير ناجح لا يرقى بالأمة والشباب إلى مستقبل زاهر ومشرق.

## إشكالية البحث

إن نظرة فاحصة لحال المناهج والمقررات الدراسية المتعلقة بعلوم أصول الدين والشريعة الإسلامية في الجامعات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي، وحال الطلاب والطالبات في تلك المؤسسات التعليمية؛ لتؤكد لنا وجود بعض الخلل منهجياً وأكاديمياً من حيث عدم وجود الروابط العضوية وعدم الروابط الفكرية والتسلسل المنهجي والتكامل المعرفي المنشود. كما أن عدم الوحدة الموضوعية لتلك المقررات والمناهج في مختلف مستوياتها أمر ظاهر وبيّن. وقد تزامنت هذه الأزمة الأكاديمية - مع الأسف - مع وجود فئة أو ثلة من المدرسين والمربين الذين لم يتقنوا المهارات الأساسية في التربية والتعليم والتثقيف في كافة المراحل الدراسية. فمنهم من يكلف التلاميذ والطلاب والطالبات فوق طاقتهم الفكرية وقدراتهم البشرية دون مراعاة لتفاوتهم الفطري في الفهم والاستيعاب والحفظ، ودون مراعاة لانتمائهم الاجتماعي والثقافي، معرضاً أو متناسياً مبدأ الالتزام بقاعدة التدرج والمرحلية في التربية والتعليم! فكانت النتائج غير مرضية في المخرجات التعليمية. بل وأثبتت التجربة والمشاهدة أن هؤلاء الطلاب الخريجون عندما سألناهم عما إذا كانوا قد استفادوا من تلك المقررات الدراسية والطرق التدريسية أيام دراستهم في المراحل الدراسية المختلفة وأنه هل عاد بإمكانهم توظيف تلك العلوم والمعارف الشرعية في حياتهم الخاصة والعامة، قالوا إننا عاجزون عن ذلك ولم نستفد حق الاستفادة.

لنضرب على ذلك مثلاً: فالطلاب في مادة التفسير أو العقيدة أو الدعوة في السنة الأولى في الكلية يدرسون كتباً مختارة لمؤلفين معينين وموضوعات خاصة بالمقرر تعتبر مداخل إلى قلب الموضوعات الهامة، وعندما ينتقلون إلى الفصول الدراسية

اللاحقة، فبدلاً من الاستمرار مع نفس الكتب المقررة ولكن بشيء من التوسع والتفصيل عما درسوه في السنة الأولى، تفرض عليهم كتب أخرى من مؤلفين آخرين وموضوعات جديدة غير تلك التي بدأوا فيها في الفصول الأولى. فهنا يتعرض الطلاب إلى عدة مصادر للتلقي وعدة شخصيات علمية مختلفة كل له منهجه وطريقته الخاصة في الطرح والشرح ومعالجة الموضوع، والمبتدئ الحديث في العلوم الشرعية إذا تعرض إلى أكثر من مصدر للتلقي فإنه يخشى عليه التشتت والانشطار الفكري والذهني وعدم النضج المعرفي، والله أعلم. وما قيل في حق السنة الأولى والثانية يقال في حق السنة الثالثة والرابعة، وهلم جراً في الدراسات العليا. إن تربية الطالب وتنشئته فكرياً وعلمياً بهذه الطريقة لن تؤتي أكلها على الوجه الأكمل والأسلم. إن تشتت الطالب فكرياً ومنهجياً بسبب هذا الخلل التربوي وعدم إصلاح وبناء فكره في إطار معرفي ومنهجي موحد ومتكامل متسلسل علمياً موضوعياً، أقول إن هذه الحال حتماً ستؤدي بأبنائنا الطلاب وبناتنا وأخواتنا الطالبات إلى التخلف الفكري والتراجع الحضاري، وإلى عدم إتقان وفهم الإسلام والعلوم الشرعية فهماً سليماً وفق الكتاب والسنة وهدى علمائنا الربانيين من السلف الصالح.

لقد تبين لنا في المقابلات الشخصية الكثيرة أن معظم الطلاب الخريجين من الكليات الإسلامية المختلفة في الوطن العربي والإسلامي والحاصلين على الشهادات الجامعية لديهم معارف عامة عن الإسلام والشريعة الإسلامية ولكنها غير للأسف غير دقيقة وغير محققة، بدليل أنه عندما طلب منهم تدريس تلك الكتب والمراجع المقررة في المساجد أو المدارس قالوا إننا لم نستوعب موضوعات الكتاب جيداً ولم نفهمه حق الفهم بسبب عجلة الأستاذ في الشرح والبيان وإنهاء المقرر قبل مواعده، أو ربما عدم إنجاز المقرر أصلاً! ودون مراعاة المعلم لحالنا وقدرتنا الفكرية والعلمية،

فكان عاقبة الأستاذ والتلاميذ خسراً وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا! إن المؤسسات التعليمية التي لا تراعي مبدأ التدرج والمرحلية في التربية لن تنتج ولن تخرج أجيالا قادرين أكفاء للمستقبل. إن المقررات والمناهج الدراسية الشرعية التي لا تراعي التدرج في الموضوعات والمقررات من حيث الرقي بالتلاميذ والطلاب من الأدنى إلى الأعلى ومن الأيسر إلى الأشق؛ مؤسسات تحتاج إلى إعادة النظر في مناهجها ومقرراتها ومسيرتها التعليمية والتربوية. والخير كل الخير في اتباع الهدي الإلهي في نزول القرآن الكريم منجماً ومفرداً وفي اتباع الهدي النبوي في الوعظ والإرشاد، والاستفادة من الطرق والأساليب القرآنية المثلى في التدرج والمرحلية في قاعات المحاضرات والفصول مع الطلاب. إن معالجة هذه المسألة وتأصيلها تأصيلاً علمياً وأكاديمياً لن يكون إلا بالرجوع إلى طريقة الآيات القرآنية في النزول بالتدرج والإفادة من هذه المنهجية الربانية، حتى يكون القرآن الكريم نبراساً وأسوة لنا في الاقتداء بالمنهج الإلهي الفريد في كافة شؤوننا الدينية والدنيوية والعلمية والتربوية، كما أن مثل هذه القضايا التعليمية والتربوية الكبرى تحتاج إلى لجان علمية وأكاديمية وخبراء تربويين لمناقشتها وفصل القول فيها. كان هدفنا من تناولنا لهذه الظاهرة القرآنية الإشارة إلى أهمية المراجعة المستمرة للمناهج والمقررات والبرامج الأكاديمية والدينية وتحديثها وفق أسس الكتاب والسنة وهدى سلفنا الصالح.

### أهمية البحث

إذن؛ فنحن بحاجة إلى مراجعة هذه المسألة العلمية والتربوية وتأصيلها وفق منهج قرآني فريد. وما من شك أن المنهج القرآني في التربية والتعليم والتأسيس الفكري والعقدي؛ لمنهج رباني عظيم جدير بالاتباع. وقد كان بإمكان الله عز وجل أن يُنزل

القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جملة واحدة في لحظة واحدة وتنتهي المسألة! ولكنه سبحانه أبى أن يشرع هذه المنهجية للناس مع نزول آخر كتاب سماوي سيكون له شأن كبير في الأرض والسماء. لقد أراد الله عز وجل أن يستغرق نزول القرآن فترة زمنية طويلة، ذلك؛ حتى يتعلم الناس جميعاً والمسلمين خاصة الطريقة القرآنية المثلى في التربية والتعليم الناجح والموفق.

إن العملية التعليمية تعتمد على أمرين أساسين: مراعاة المستوى الذهني للطلاب، وتنمية قدراتهم العقلية والنفسية والجسمية. وفي تاريخ نزول القرآن منجماً نلاحظ هذه الحقيقة وهذين الأمرين بوضوح وجللاء، حيث سلك القرآن الكريم في تربية الأمة الناشئة منهج التدرج لإصلاح النفس البشرية عقدياً وفكرياً وأخلاقياً، وبذلك استوى بناء الأمة الإسلامية وآتت أكلها بإذن ربها. فتنجيم القرآن الكريم كان خير عون في حفظ القرآن وفهمه ومدارسته وتدبر معانيه والعمل بما فيه. وتشير الدراسات الأكاديمية أن المنهج الدراسي الذي لا يراعى فيه المستوى الذهني والاستعداد الفكري في كل مرحلة من مراحل التعليم والانتقال من الإجمال إلى التفصيل، أو لا يراعى تنمية الجوانب العقلية والنفسية والجسمية؛ منهج فاشل لا يرقى بالأمة والشباب إلى مستقبل زاهر ومشرق. والمدرس الذي يحمل الطلاب ما هو فوق طاقتهم العلمية حفظاً وفهماً، ولا يراعى حالهم بأناة وروية وتدرج وحكمة هو مدرس لا خبرة له يحتاج إلى إعادة تأهيله فكرياً وثقافياً وتربوياً في التعليم و في طرق التدريس.

ما قيل عن حال المدرس يقال عن حال المقررات والمناهج التي لا تنتظم موضوعاتها وفصولها، وليس هناك تدرج بالمعلومات والموضوعات من الأسهل إلى الأصبغ، وليس هناك ترابط في فصوله وأبوابه ولا تنسيق فكري في موضوعاته... كل هذه السلبيات تنفر الطلاب من قراءة هذا الكتاب أو المقرر الدراسي ويصعّب على

أستاذ المادة إنجازه. والخير كل الخير في اتباع الهدي الإلهي في نزول القرآن الكريم منجماً ومفرقاً في اتباع تلك الطرق والأساليب القرآنية المثلى في التدرج والمرحلية في قاعات المحاضرات والفصول مع الطلاب، وأيضاً في تأليف الكتب والمقررات الجامعية والمدرسية<sup>387</sup>.

## هدف البحث

تهدف هذه الورقة العلمية إلى تسليط الضوء على هذه المسألة الأكاديمية ومعالجتها وتأصيلها تأصيلاً علمياً معتمداً على الآيات القرآنية في طريقة نزول القرآن الكريم بالتدرج ومنجماً، حتى تكون لنا نبزاً في الاقتداء بالمنهج القرآني الفريد في كافة شؤوننا الدينية والدينية والعلمية والتربوية، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## أسئلة البحث

يهدف هذا البحث إلى إجابة التساؤلات الآتية:

- ما الصواب في مسألة تنجيم القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة؟
- إلى أي مدى راعت ظاهرة تنجيم القرآن الكريم أحوال العرب المشركين الفكرية والعقدية والنفسية والثقافية؟
- إلى أي مدى يمكن الإفادة من تنجيم القرآن الكريم تربوياً وأكاديمياً في الوقت الراهن؟

<sup>387</sup> انظر للمزيد: القطان، مناع؛ مباحث في علوم القرآن، ص 117-118، وانظر: الكيلاني، ماجد عرسان؛ التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند المسلم المعاصر، مؤسسة الريان، ط1، 1997، لبنان، ص: 62-103، يالجن، مقداد؛ سبل النهوض بالطلاب خلقياً وعلمياً إلى مستوى أهداف الأمة، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1999، ص: 65-85، 81، 86-90



- ما الدروس والمقاصد الدينية والاجتماعية المستفادة من ظاهرة تنجيم القرآن الكريم؟

### منهجية البحث

إن طبيعة هذه الدراسة لا تنفك عن منهجها. فطبيعتها اقتضت أن يسلك الباحث فيها منهجا استقرائيا تحليليا نقديا، وذلك بالرجوع إلى المصادر والمراجع المتعلقة بالدراسات القرآنية، مثل أمهات كتب التفاسير القديمة والمعاصرة، وكتب علوم القرآن القديمة والمعاصرة، وأيضا بالرجوع إلى بعض المصادر التربوية.

### الإضافة العلمية الجديدة:

إن الإضافة العلمية الجديدة من هذه الدراسة تكمن في إبراز الإعجاز القرآني في العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم والخادمة له، والدعوة إلى توظيف تلك العلوم المختلفة في حياتنا اليومية في مختلف المجالات. وقد علمت رحمك الله أن باب نزول القرآن الكريم يعد من أهم الأبواب والعلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، وبما أن القرآن الكريم معجز في آياته وسوره وعلومه إلى قيام الساعة، فلا بد من الاستفادة من هذه العلوم لمعالجة مشاكلنا التربوية والاجتماعية والعقدية.

## المبحث الأول: التأصيل القرآني والنبوي لظاهرة التنجيم

### المطلب الأول: التنجيم لغة واصطلاحاً

ذكر أهل اللغة أن التنجيم لغة: من قولهم نجّم بتشديد الجيم، والنجم الوقت المضروب...، حيث كانت العرب تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول ديونها وغيرها<sup>388</sup>، ويقال نجمت المال، إذا أدبته نجومًا، أي مفرقا ليس جملة واحدة<sup>389</sup>.

وأما التنجيم في الاصطلاح: فالمراد منه عند المفسرين وعلماء علوم القرآن: إنزال آيات القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم منجماً، أي مفرقاً، ليس دفعة واحدة، في أوقات مختلفة حسب الوقائع والاستفسارات.

### المطلب الثاني: تنجيم القرآن الكريم بين الحقيقة ودعاوي المشركين

ذكر أهل العلم بأن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بالتلاوة، المعجز بآية أو أقصر سورة منه، الواصل إلينا بالتواتر، الموجود بين دفتي المصحف. نزل على النبي صلى الله عليه في فترات متعددة خلال ثلاث وعشرين عاماً في كلتا المرحلتين؛ المكية والمدنية. هو أصدق كتاب على مر الدهور، و أصبح وثيقة إلهية على مر العصور، وذلك بشهادة العرب والعجم، لا

<sup>388</sup> الإفريقي، محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، د.ت، ط1، ج12، ص 570، مادة: نجم.

<sup>389</sup> الجوهري، الصحاح، ج5، ص 2039، مادة: نجم.

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو محفوظ في الصدور والسطور. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، [فصلت: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾، [النساء: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾، [النساء: ١٢٢].

لقد نقل إلينا القرآن الكريم أقوال المشركين المتناقضة، ومطاعنهم الحاقدة، ومطامعهم الباطلة حينما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وألحوا عليه أن ينزل عليه القرآن جملة واحدة كما كان شأن الكتب السابقة – كما زعموا – قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾، [الفرقان: ٣٢]. كما أنهم تحدوا الرسول صلى الله عليه وسلم في إنزال الآيات والمعجزات الحسية المختلفة كي يتأكدوا من صدق نبوته صلى الله عليه وسلم. وقد سجل القرآن الكريم هذه الدعاوي الباطلة تتلى إلى قيام الساعة. فالله عز وجل لم يحقق مطالبهم رحمة بهم حتى لا يهلكهم إذا هم كفروا بعد ذلك، ولأنه تعالى علم منذ الأزل أنهم كاذبون وأنهم لن يؤمنوا.

فلو أنه تعالى استجاب لطلبهم ثم كفروا بها؛ لحقَّ ولصَّبَّ عليهم العذاب صَبًّا. قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾، [الإسراء: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ

وَعَنْبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَافَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٠﴾، [الإسراء: 90-93].

ولقد تأملت ملياً قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾، [الفرقان: 32]، وتساءلت كثيراً في كيفية إمكان وجود هذا الفرق الشاسع بين نزول القرآن الكريم منجماً وبالتدرج، وبين نزول الكتب السابقة جملة واحدة! مع أن المنزّل واحد، وهو الله سبحانه وتعالى؟! دفعني هذا التساؤل إلى البحث عن الجواب الشافي في كلام المفسرين القدامى والمعاصرين.

إذاً بمفسر عظيم يشفي غليلي ويروي ظمئي ويريح فكري، هو العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله حيث قال في تفسير قوله تعالى ما نصه:

" عود إلى معاذيرهم وتعليقاتهم الفاسدة إذ طعنوا في القرآن بأنه نزل منجماً وقالوا: لو كان من عند الله لنزل كتاباً جملة واحدة. وضمير ﴿ كفروا ﴾ ظاهر في أنه عائد إلى المشركين، وهذه جهالة منهم بنسبة كتب الرسل، فإنها لم ينزل شيء منها جملة واحدة وإنما كانت وحياً مفزقاً. فالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام في الألواح هي عشر كلمات بمقدار سورة الليل في القرآن، وما كان الإنجيل إلا أقوالاً ينطق بها عيسى عليه السلام في الملأ، وكذلك الزبور نزل قطعاً كثيرة ومعنى كلمة الزبور تدل على معنى القطع والتجزئ. فالمشركون نسوا ذلك أو جهلوا فقالوا: هلا نزل القرآن على محمد جملة واحدة فنعلم أنه رسول الله. وقيل إن قائل هذا اليهود أو النصراني فإن صح ذلك فهو بهتان منهم لأنهم يعلمون أنه لم تنزل التوراة والإنجيل والزبور إلا مفزقة. فخوض المفسرين في بيان الفرق بين حالة رسولنا من الأمية وحالة

الرسول الذين أنزلت عليهم الكتب اشتغال بما لا طائل فيه فإن تلك الكتب لم تنزل أسفاراً تامة قط" 390 .

إذن؛ يفهم من كلام المفسر الطاهر بن عاشور أن المشركين إما أنهم تجاهلوا هذه الحقيقة أو تناسوا حقيقة كيفية نزول الكتب السابقة. بل؛ أقول إن كلام المشركين الذي حكاه القرآن الكريم لنا مجرد تمّيرٍ باطل واستهزاء محض ، ليس أكثر، ولهم أمنيات مماثلة ومشابهة، ولا علاقة لها بالحقيقة التاريخية والمنطق والمنهج السليم في تربية الناس، إذ لا يعقل عدم مراعاة هذا الجانب - أي التدرج والانتقال من السهل إلى الصعب - لدى الأجيال السابقة والتركيز عليه للأجيال المتأخرة. الكتب السابقة لم تنزل جملة كما يتوهم من كلام المشركين، ولو حدث هذا لكان هذا تناقضاً في المنهج القرآني وهذا محال على الله، والله أعلم.

والآيات القرآنية الكثيرة تحدثنا بجلاء و وضوح أن القرآن الكريم نزل مفزاً ومنجماً على الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي استقرائنا للآيات القرآنية حرصنا على ذكر وتصنيف كل تلك الآيات القرآنية حسب الموضوعات، والتي تشتمل على بعض الحكم والأسرار والتي تثبت وتدلل على نزول القرآن منجماً، مثل آيات التحدي والسؤال والاستفسار وكيد المشركين ومكرهم، وافتراءهم وأكاذيبهم وهمهم الباطلة في حق الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم. وفيما يلي من الآيات بيان هذه الحقيقة. قال تعالى: ﴿ وَفَرَّانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ [ الإسراء: 106]، وقال أيضاً: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [ الفرقان: 32]. وقال عز شأنه: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ

390 ابن عاشور، محمد الطاهر؛ التحرير و التنوير، ج 19، ص: 44

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ [هود: 120]. وقال جل وعلا: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾. [الفرقان: 33]. وقال أيضاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣]

في ضوء هذه الآيات القرآنية يمكننا الجزم بأن مسألة نزول القرآن الكريم منجماً قضية تاريخية حقيقية مسلمة بها. لقد دلت الآيات القرآنية على ذلك دلالة واضحة. وكما هو معلوم بأن مثل هذه المسائل الدينية والتاريخية لا يكتفى فيها فقط بذكر بعض الآيات القرآنية، بل يجب مساندها بالأحاديث النبوية أيضاً، لأن الحقائق القرآنية والمنهج القرآني لا يتعارض مع المنهج النبوي والحقائق النبوية، فإذا لوحظ التعارض بين ما هو قطعي الثبوت - وهو القرآن الكريم - وظني الثبوت - وهو الحديث النبوي الشريف -، فلا بد أن يكون أحدهما صحيحاً غير صريح، أو صريحاً غير صحيح، كما نص على ذلك أهل العلم.

### المطلب الثاني: التأصيل النبوي لظاهرة التنجيم

وأما تأصيل هذه المسألة بالأحاديث النبوية، فنقول إن هنالك أحاديث صحيحة تؤيد حقيقة نزول القرآن الكريم منجماً وعلى مراحل، وهو ما عرف بالمرحلة المكية والمرحلة المدينة أو القرآن المكي والقرآن المدني، ولكل من المرحلتين خصائصها وطبيعتها الخاصة بها. فمن هذه الأحاديث ما رواه الإمام البخاري في صحيحة من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

" إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل ، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر

لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل : لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنا أبدا ، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر:46]. وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده " 391.

ومنها حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

" قُلْتُ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا حَمَلَكُم أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى بَرَاءَةَ ، وَهِيَ مِنَ الْمَيْمِينِ وَإِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَنَانِي ، فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا ، وَلَمْ تَجْعَلُوا بَيْنَهُمَا سَطْرًا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطَّوَالِ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " كَانَ مِمَّا يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ السُّورِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا أَنْزَلَتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ ، يَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ الْآيَاتِ فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ السُّورَةُ ، يَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا ، وَكَانَتْ الْأَنْفَالُ ، أَوَّلَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ بَرَاءَةُ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ نُزُولًا ، وَكَانَتْ قِصَّتُهَا تُشَبِّهُ قِصَّتَهَا ، فَغَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يُبَيِّنْ أَمْرَهَا ، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا ، وَلَمْ أَجْعَلْ بَيْنَهُمَا سَطْرًا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَوَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطَّوَالِ ، فَفِي هَذَا مَا دَلَّ عَلَى أَنَّهَا إِذَا كُتِبَتْ فِي مَصَاحِفِ الصَّحَابَةِ مَعَ ذَلَالَةِ الْمُشَاهِدَةِ " ، وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، مَا دَلَّ عَلَى

391 البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه، تحقيق: محب الدين الخطيب، الناشر: المكتبة السلفية ، القاهرة، ط1، 1400 هـ، كتاب بدء الوحي، باب تأليف القرآن، ج6، ص 228، رقم: 4993

أَنَّهَا إِنَّمَا كُتِبَتْ فِي فَوَاتِحِ السُّورِ لِتُزَوَّلَهَا ، وَعِنْدَ نُزُولِهَا كَانَ يُعَلَّمُ انْتِضَاءً سُورَةً ، وَابْتِدَاءً أُخْرَى <sup>392</sup>.

كما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " إن أول ما نزل صدر سورة اقرأ " ، وفي الصحيحين أيضاً من حديث جابر رضي الله عنه أنه قال: " إن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر " <sup>393</sup>.

وذكر الإمام السيوطي عن عبد الرحمن السلمي أنه رحمه الله قال حدثنا الذين كانوا يقرؤون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرها أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة <sup>394</sup>.

روي البخاري ومسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار. حتى إذا أثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر. لقالوا لا ندع الخمر أبدا. ولو نزل لا تزنا لقالوا لا ندع الزنا أبدا. لقد نزل بمكة علي محمد صلي الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب " بل الساعة موعدهم والساعة أدهي وأمر " وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده.. " الحديث .

وروي الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: "قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويلعبون الميسر. فسألوا رسول الله صلي الله عليه وسلم عنهما. فأنزله الله "يسألونك عن الخمر والميسر" الآية .

<sup>392</sup> سنن أبي داود، بتحقيق الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني، باب من جهر بما (البسمة)، ج1، ص 287

<sup>393</sup> صحيح الإمام البخاري بشرح الحافظ ابن حجر العسقلاني، باب: كتاب بدء الوحي، ج1، ص3، و صحيح

الإمام مسلم بشرح النووي، باب كتاب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج1، ص 97

<sup>394</sup> السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن؛ الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص 468



فقال الناس ما حرم علينا إنما قال: "إثم كبير" وكانوا يشربون الخمر حتي كان يوم من الأيام صلي رجل من المهاجرين أم أصحابه في المغرب فخلط في قراءته فأنزل الله آية أغلظ منها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] ثم نزلت آية أغلظ من ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ قالوا: "انتهينا ربنا" الحديث .

وبهذا تم تشريع تحريم الخمر. وقد تدرج المولي عز وجل بالأمة التي شبت علي شرب الخمر ليصل بها إلي تركها مطلقاً وما كنا لنحصل علي فائدة التدرج هذه لاقتلاع عادة من أقبح العادات وأخبثها إلا بالتنجيم.

### المطلب الثالث: خلاصة القول في هذه المسألة

نخلص إلى القول؛ إن القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة - كما يتوهم من طلب المشركين - وإنما نزل مفرقاً وسلك في ذلك في مسلكاً تربوياً رائعاً وكان أسوة حسنة للأولين والآخرين في كيفية تأسيس المجتمعات وتربية الشعوب والطلاب في المدارس والجامعات تربية سليمة وصحيحة، فذلك من فضل الله علينا وعلى الناس أجمعين ولكن أكثر الناس لا يعلمون. وبما أن القرآن الكريم كان آخر الكتب السماوية نزولاً فكان لابد من مراعاة هذا المنهج التربوي العظيم انتقالاً بهم من مرحلة لأخرى ومن فريضةٍ إلى أخرى، فسبحان الذي يعلم السر وأخفى وما يصلح حال الإنسان ويفسده، وهو القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، [المالك:14]. فإذا أدركنا هذه الحقيقة القرآنية يجدر بنا الآن الاطلاع على بعض الأسرار والحكم والدروس المستفادة من ظاهرة تنجيم القرآن الكريم ونزوله مفرقاً، عسى ولعل أن تكون خطوطاً عريضة وإرشادات ربانية قيمة للمربين والمدرسين والأكاديميين، والله الموفق.

### المبحث الثاني: الدروس الدينية والتربوية والاجتماعية في ظاهرة التنجيم

مما لا شك فيه أن نزول القرآن الكريم منجماً احتوى أسراراً ودروساً وحكماً دينية واجتماعية وتربوية كثيرة، وعملية استخلاص هذه الحكم والدروس والعبر هي عملية بشرية اجتهادية، لأن بعض هذه الحكم والدروس منصوص عليها في الكتاب العزيز وبعضها غير منصوص عليها. ومن خلال التدبر الشخصي والمطالعة الشخصية

استطعنا أن نقف على عدد كبير لا بأس بها من تلك الحكم والدروس. أشار إلى بعضها بعض العلماء في كتب التفسير والمصنفات الأخرى القديمة منها والمعاصرة. وقبل ذكر الدروس والحكم المفصلة يجدر بنا ذكر كلام بعض العلماء من السلف والخلف في بيان أهمية وفلسفة نزول القرآن الكريم مفرقاً، فنشرع بذكر كلام الإمام السيوطي رحمه الله إذ يقول: " فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحونه فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم.. " 395.

ويعقب الأستاذ سيد قطب رحمه الله في بيان الحكمة من نزول القرآن منجماً قائلاً: " لقد جاء هذا القرآن ليربي أمة وينشئ مجتمعاً وقيم نظاماً، والتربية تحتاج إلى زمن وإلى تأثير وانفعال بالكلمة وإلى حركة تترجم التأثير والانفعال إلى واقع، والنفس البشرية لا تتحول تحولاً كاملاً شاملاً بين يوم وليلة بقراءة كتاب كامل شامل للمنهاج الجديد، إنما تتأثر بعد يوم بطرف من هذا المنهاج وتدرج في مراقبه رويداً رويداً وتعتاد على حمل تكاليفه شيئاً فشيئاً فلا تجفل كما تجفل لو قدم لها ضخماً ثقيلاً عسيراً وهي تنمو في كل يوم بالوجبة المغذية فتصبح بالتالي أكثر استعداداً للانتفاع بالوجبة التالية و أشد قابلية لها والتذاذا بها.. " 396.

ويشير الإمام الطاهر بن عاشور محملاً لكلام الإمام الزمخشري في بيان الحكمة من التنجيم: " وجاء في بيان حكمة إنزال القرآن منجماً بكلمة جامعة وهي ﴿ كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [ الفرقان:32]، لأن تثبيت الفؤاد يقتضي كل ما به خير للنفس، فمنه ما قاله الزمخشري: الحكمة في تفريقه أن نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه،

395 السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن؛ الإتيان في علوم القرآن، ج2، ص:469

396 قطب، سيد؛ في ظلال القرآن: ج 5، ص: 2562

لأن المتلقن إنما يقوي قلبه على حفظ العلم يلقي إليه، إذ ألقى إليه شيئاً بعد شيء وجزءاً عقب جزء، وما قاله أيضاً " أنه كان ينزل على حسب الدواعي والحوادث وجوابات السائلين " اهـ، أي فيكونون أوعى لما ينزل فيه لأنهم بحاجة إلى علمه، فيكثر العمل بما فيه وذلك مما يثبت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ويشرح صدره...وقلت: إن نزوله منجماً أعون لحفظه على فهمه وتدبره" <sup>397</sup>.

وأود الإشارة هنا إلى مسألة مهمة جداً وهي أن المتأمل في استنباط الحكم والأسرار والدروس التي اشتملت عليها ظاهرة تنجيم القرآن الكريم مسألة اجتهادية بحتة يتوصل إلى معرفتها من خلال استقراء النصوص القرآنية وتدبر ما جاء في ثنايا الآيات المباركة إما دلالة أو إشارة أو اقتضاء، وما قد يفهم من السياق العام للآيات أو السباق أو اللحاق، إضافة إلى ما أشار إليها بعض أهل العلم في مصنفاتهم وفي بطون كتب التفاسير القديمة والمعاصرة منها. و بالنسبة للدروس والحكم المستفادة من ظاهرة التنجيم آثرت تقسيمها إلى ثلاثة أقسام؛

أولاً: الحكم والعبر الدينية، ثانياً: الحكم والعبر التربوية ( وتدخل فيها الحكم العلمية والمعرفية)، وثالثاً: الحكم الاجتماعية. ومن خلال مطالعتي وبحثي حول هذا الموضوع المهم وُقِّعتُ بحمد الله وتوفيقه إلى رصد وتسجيل هذه الدروس والحكم:

<sup>397</sup> ابن عاشور، الطاهر محمد؛ التحرير والتوير، ج19، ص 44

## المطلب الأول: الحكم الدينية

1. تفخيم شأن القرآن وشأن من نزل عليه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وشأن من سينزل إليهم وهي الأمة الإسلامية<sup>398</sup>. يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾، [المزمل:5]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾، [الأحزاب:72]. وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:143]. وفي هذا النوع من التنزيل جمع الله للقرآن نزولين: النزول جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ، والنزول الثاني مفرقاً من سماء الدنيا على رسول الله صلى الله عليه وسلم منجماً. فالقرآن الكريم شارك بذلك الكتب السماوية الأولى، وانفرد بالفضل عليها في الثانية، وهذا يعود بالتفضيل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام<sup>399</sup> و أمته على سائر الأمم. قال تعالى: ﴿ كَذَّابٌ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [آل عمران: 11]

2. إن في تعدد النزول وأمكنته مبالغة في نفي الشك عن القرآن وزيادة للإيمان به وباعتقاً على الثقة فيه، لأن الكلام إذا سجل في سجلات متعددة وصحت

<sup>398</sup> القطان، مناع؛ مباحث في علوم القرآن: ص 52 ، أبو شهبه، محمد؛ المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص 53،

69

<sup>399</sup> انظر: أبو شهبه، محمد؛ المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص 69

له وجودات كثيرة، كان ذلك أنفى للريب عنه وأدعى إلى تسليم ثبوته و أدنى إلى وفرة الإيمان به مما لو سجل في سجل واحد أو كان له وجود واحد<sup>400</sup>. فمن القرآن ما نزل ليلاً ونهاراً، وصيفاً وشتاء، في السلم والحرب<sup>401</sup>، ومكة والمدينة، وتبوك وحديبية وعرفات وبدر وأحد... الخ<sup>402</sup>.

3. بيان تناقضات المشركين وتهمهم الباطلة<sup>403</sup> في حق الرسول صلى الله عليه وسلم وحق القرآن الكريم. لقد سجل لنا القرآن الكريم تلك الافتراءات إلى قيام الساعة، وأرى من الضروري ذكر هذه الآيات لكي نرى مواقفهم المذبذبة وكلامهم المتناقض وجنوتهم المفرط، وما كان ينبغي لمثل هؤلاء العرب الأفحاح أن يلوثوا أنفسهم وتاريخهم بمثل هذه المواقف المشينة. فيما يلي آيات من كتاب الله تبين هذه الحقائق. قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الطور: 33]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْعَاطُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾ [الأنبياء: 5]، وقال أيضاً: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ [الطور: 30]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: 41]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: 7]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: 7]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: 30]، وقوله

400 الرزقاني، عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن: ج 1، ص 39 - 40

401 السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن؛ الإتيقان في علوم القرآن، ج 1، ص 27

402 انظر: المصدر السابق،

403 هذه الحكمة تصلح إدراجها في قائمة الحكم الدينية والاجتماعية أيضاً.

تعالى: ﴿وَإِذَا تُلْتَمَسُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، [الأحقاف: 7]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾، [القمر: 2]، وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ [المدثر: 24]، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾، [الذاريات: 52]، وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مُجْنُونٍ﴾ [الطور: 29]، وقوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمِ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مُجْنُونٌ وَازْدَجِرْ﴾، [القمر: 9]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: 24]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: 5]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا تُلْتَمَسُ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: 15]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا تُلْتَمَسُ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المطففين: 13].

4. إثبات مصدر القرآن وأنه تنزيل من حكيم حميد<sup>404</sup>، لا بدليل أسلوبه ونظمه وعدم اختلاف مضمونه فقط، بل بدليل وقوع الأحداث والبشائر على النحو الذي تحدث عنه القرآن وأشار إليه طلية عصر التنزيل. كما أخبرنا القرآن عن أبي لهب أنه سيصلى ناراً وأنه لن يؤمن وأنه سيبقى على كفره، وكان بوسعه أن يسلم نفاقاً ولكنه بقي على حاله حتى وافاه الأجل<sup>405</sup>، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، [المسد: 1]، وقال تعالى: ﴿عُلِّيتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَعْلَبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ

404 هذه الحكمة تصلح أن تكون معرفة أيضاً

405 المرجع السابق: 103

بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ [الروم: 2-4]، وفي هذا الصدد يقول فضيلة أ.د. محمد عبد الله دراز رحمه الله تعالى:

"... وهنا نتساءل: كيف اتسق القرآن هذا التأليف المعجز وكيف استقام له هذا التناسق المدهش على حين إنه لم ينزل جملة واحدة بل مفرقاً تفرق الوقائع. الجواب: إنا نلمح هنا سرّاً جديداً من أسرار الإعجاز ونشهد سمة فذة من سمات الربوبية و نقراً دليلاً ساطعاً عن مصدر القرآن قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾، [النساء: 82] 406.

5. ذكر الإمام الشوكاني قول النحاس رحمه الله قائلاً: " وقال النحاس وكان ذلك أي إنزال القرآن منجماً من أعلام النبوة لأنهم لا يسألونه عن شيء إلا أجيبوا عنه وهذا لا يكون إلا من نبي، فكان ذلك تثبيناً لفؤاده و أفندتهم " 407 .

### المطلب الثاني: الحكم التربوية المعرفية

1. تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم لمواجهة التحديات والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والأخلاقية الصعبة، و حثه على الصبر أمام السلوكيات القمعية التي كان يتعرض لها من قبل المشركين. فالله عز وجل كان يقص عليه أبناء الرسل السابقين من أولي العزم وغيرهم حتى يقتدي بهم صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعُرْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾، [الأحقاف: 35]. ففي التنجيم تقوية لقلبه صلى الله عليه وسلم وتسليية

406 انظر: دراز، عبد الله؛ النبأ العظيم: ص61

407 الشوكاني، محمد؛ تفسير فتح القدير، ج 4، ص: 74



له، وتجديد لعهدده مع جبريل عليه السلام لكي يكون القرآن الكريم له نافذة أمل وبسمة رجاء يمدده بالقوة ويعده بالنصر مرة بعد مرة، لأنه صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا، يصيبه ما يصيبنا من الحزن والفرح والضعف والقوة والهلم والغم والموت والحياة، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾، [الفرقان: 32]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، [هود: 120]. وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾، [النحل: 127] [2]. مواكبة الأحداث الجسام ومواكبة مراحل الدعوة في المرحلة المكية أولاً والمرحلة المدنية ثانية. وكان القرآن هو المدد الإلهي المتجدد الذي يبعث الحياة في المجتمع الإسلامي الوليد لكي ينتقل المجتمع الإسلامي الجديد من جاهلية إلى إسلام ومن الفوضى إلى النظام<sup>408</sup>، والمرحلة المكية في الدعوة احتاجت إلى الصبر والثبات أمام الطغاة وصناديد الكفر، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ فِي ضَيْقٍ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾، [الحجر: 97]، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: 127]، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: 109]، وقوله سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: 115]، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: 48]، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: 10]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ

انظر: حوى، سعيد؛ الأساس في التفسير، ج 7 ص: 3874

قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَضَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾، [هود: ١٢]، قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

3. مسامرة الحوادث والطوارئ في تجدها وتفرقتها، فكلما جدت حادثة أو وقعت واقعة نزل القرآن حكماً عدلاً في فصل القضية، وتشتمل هذه الحكمة أمرين اثنين هامين للغاية:

أولها: إجابة السائلين على أسئلتهم عندما يوجهونها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في شتى المجالات، ومن خلال تنجيم القرآن تبين لنا حال المؤمن حينما كان يستفتي و يسترشد، و تبين لنا حال المكذب حينما كان يستشكل و يجادل<sup>409</sup>. تدل على ذلك آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجِّ﴾ [البقرة: 189]، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 215]، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: 217]، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: 219]، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: 220]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ

حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿البقرة: 222﴾، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴿المائدة: 4﴾، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴿الأنفال: 1﴾، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿الكهف: 83﴾، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿طه: 105﴾.

وثانيها: مجازاة الأفضية والوقائع في حينها بيان حكم الله فيها عند حدوثها. وهذه الوقائع وقعت تفصيلاً ولم تقع جملة، فلا مناص إذاً من فصل الله فيها بنزول القرآن على طبقها تفصيلاً وتدرجاً. والأمثلة كثيرة، مثل قصة حادثة الإفك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ﴿النور: 11﴾، وقصة المشتكية إلى الله، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿المجادلة: 1﴾، وغيرها ..<sup>410</sup>.

4. تصويب حركة التطبيق والتنفيذ أو الدلالة على مواطن الخطأ ووجوه التقصير في تنفيذ الأحكام والتشريعات<sup>411</sup>، أو وجود ضعف في صفوف المسلمين، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿التوبة: 43﴾، وقوله تعالى: ﴿الآن حَقَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴿الأنفال: 66﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ

410 دراز، عبد الله، النبأ العظيم: ص 58 - 61، و انظر: حوى، سعيد؛ الأساس في التفسير - ج7، ص 3864

411 انظر: زرزور، عدنان؛ مدخل إلى تفسير القرآن و علومه: ص 97 - 98

أَسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ ﴿﴾، [الأنفال: 67]

5. إن هذا النزول المنجم للقرآن الكريم هياً الفرصة لضم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى سائر قصص الأنبياء والمرسلين وحياة الأمم السابقين وأحداث التاريخ الكبرى منذ آدم عليه السلام، وهي الأحداث التي ختمت بأعظم وقائع التاريخ الإنساني وهي واقعة بعثة نبينا محمد بن عبد الله ونزول القرآن الكريم. يدل على ذلك قوله تعالى ﴿﴾ اصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿﴾، [الأحقاف: 35]، وقوله تعالى: ﴿﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿﴾، [الشورى: 13].

6. التدرج في التشريع والتكليف وإزالة المنكرات والظواهر السلبية والانتقال المتدرج من الأحكام المؤقتة أو المرحلية إلى الأحكام النهائية الدائمة المستقرة<sup>412</sup>، وذلك في الأمور المتمكنة من الأفراد والمجتمع، لاسيما المجتمع الجاهلي حتى يتخلى عن مفاسده والعادات المتعلقة بأخلاقهم وعقيدتهم فإنه لابد من الوقت والمهلة، لأنه من العسير جداً تغييرهم في وقت قصير،<sup>413</sup> والوقت الكافي عامل مهم في المعالجة وتربية الأمة الناشئة وإعدادها لبنة لبنة بحيث يتم بناؤها في نهاية المطاف من خلال الهدى الإلهي. إن للتدرج في نزول القرآن أسلوباً من أساليب المعالجة الفكرية

412 هذا الدرس أو هذه الحكمة يصلح أن تكون حكمة تربوية أيضاً لاشتمالها على أهداف تربوية وسلوكية.

413 انظر: زرزور، عدنان؛ مدخل إلى تفسير القرآن: ص: 92

والاجتماعية والثقافية والعقدية، سواء انتقلت دلالة الآية من تكليف أثقل إلى تكليف أخف أو العكس أو كان الحكم مساوياً و مماثلاً لحكم آخر، وفي هذا درس عظيم وعبرة لأولي الألباب من الأطباء والمدرسين والمعلمين والعلماء والدعاة وجميع المشغولين بإصلاح الناس عقدياً أو أخلاقياً أو نفسياً أو تربوياً، لأن منهج الدعوة في دور التأسيس يختلف عن مسلكها في مرحلة التكوين والبناء ومرحلة النضج والاستواء وقد ظهر هذا جلياً في مراحل تحريم الخمر، حيث كانت الآية الأولى في مراحل تحريم الخمر قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾، [النحل: ٦٧]، وكانت الآية الثانية: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا ﴾، [البقرة: 219]، وفي المرحلة الثالثة نزل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾، [النساء: 43]، وكانت المرحلة الرابعة الحاسمة في تحريم الخمر قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، [المائدة: 90].

وقد حدث هذا أيضاً في حكم الجهاد بالسيف حيث إنه لم يكن مأذوناً به أول الأمر في مكة ثم نزل الإذن بالقتال في أول عام بعد الهجرة، ثم بعد ذلك نزل ما يدل على وجوب الدفاع عن النفس بالقتال. حيث كانت الآية الأولى في هذه المرحلة التأسيسية في مكة للمجتمع المسلم الجديد الأمر بالكف والصبر والصفح قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ

خَشِيَّةٌ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾، [النساء: 77].

ولما اشتد إيذاء المشركين على المسلمين أذن الله لهم بالرد والدفاع قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾، [الحج: 39]. ثم لما اشتدت قوة المسلمين وكثر عددهم أمرهم الله تعالى بقتال الذين يقاتلونهم وقتال المشركين كافة، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، [التوبة: 36]، وقال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، [التوبة: 29]، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]، ثم كانت المرحلة النهائية حاسمة وصعبة على المسلمين حيث أمرهم القرآن الكريم بالجهاد والقتال وفرض ذلك عليهم وهو عليهم شاق. قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، [البقرة: 216].

وكما قال الإمام ابن القيم فإن القتال في أول الأمر كان: "محرمًا ، ثم مآذوناً به، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين.."<sup>414</sup>

7. التربية من خلال الواقع المعاش ومواجهة الحياة بمختلف ظروفها. وهذا أدعى إلى بيان الواقعية في هذا الدين وأن أحكامه أحكام عملية لا نظرية، وأدعى إلى الفهم والتدبر والمسارة في التنفيذ. ولو تم نزول القرآن الكريم جملة واحدة لتحول سريعاً إلى كلمة مقدسة خامدة، وإلى فكرة ميتة وإلى مجرد وثيقة دينية، لا مصدراً يبعث الحياة في حضارة وليدة. فالحركة التاريخية والاجتماعية والروحية التي نهض بأعبائها الإسلام لا سر لها إلا في هذا التنجيم<sup>415</sup>. يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، [التوبة: 105]، وقوله تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَمَثَائِلٍ وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾، [السبأ: 13]، وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾، [آل عمران: 133].
8. قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: 33]، فيه متابعة جدليات الذين كفروا فيما يقدمونه من أمثلة يصطنعونها بأرائهم يرون أنها هي الصور الأفضل التي ينبغي أن يكون عليها حال الرسول أو حال القرآن أو حال أحكام الشريعة و المنهاج<sup>416</sup>.
9. تسهيل حفظ القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم و المؤمنين كلون من ألوان الحفظ الذي تكفل الله تعالى بحفظ القرآن، حيث إنه صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فنزوله منجماً ساعد الرسول على تدبره وحفظه، بل حتى هذا القدر اليسير الذي كان يتنزل عليه في فترات مختلفة كان الرسول صلى الله

415 انظر: بن نبي، مالك؛ الظاهرة القرآنية، ص: 175

416 انظر: الميداني، عبد الرحمن جنبكة؛ تدبر سورة الفرقان: ص: 176 - 178

عليه وسلم يخشى من ذهابه ونسيانه. يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾، [القيامة: 16-19]، وقال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: 106].

10. هناك سر لغوي أو لطيفة بلاغية في قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: 32]، هي: أن الترتيل هو التمهّل والتأني في الكلام والتبيين له للتمكين والتحقيق وبناء المعرفة في المتلقين بناء تكاملياً، وذلك لا يحصل بإنزاله جملة واحدة، بل يحصل بإنزاله في دروس تعليمية قسماً بعد قسم مع الاستفادة من الأحداث والمناسبات. وقد جاء شرح هذه الحكمة في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: 106]، أي على تمهّل وتوقف وانتظار، ونزلناه بأناة وتمهّل وتحقيق مع كل قسم ينزل منه، فالتأكيد بالمفعول المطلق للإشارة إلى نوع التنزيل.

### ثالثاً: الحكم الاجتماعية:

1. على الصعيد الاجتماعي أراد الإسلام أن يحفظ على هذه الأمة اعتدالها وتوازنها وأن يجعلها وسطاً في عقائدها وأخلاقها وعبادتها ومعاملاتها، فمهد لذلك بتصحيح مقاييسها ودعوها إلى ما يحييها. فلما اتفقت جماعة من الصحابة على أن يجبوا أنفسهم ويعتزلوا النساء ولا يأكلوا لحماً ولا دسماً ولا يأكلوا من الطعام إلا قوتاً<sup>417</sup>، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

417 انظر: الزرقاني، عبد العظيم؛ مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص: 61 - 62



تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾،  
[المائدة: 87].

2. إن من حكم التنجيم رسم وانعكاس صورة المجتمع الآخر أو الفئات الثانية من المنافقين والمشركين وفضح سرائرهم ونواياهم مؤامراتهم<sup>418</sup>، وموالاته تقريع الكفار بالحجة بعد الحجة وتحديد تذكيرهم بانحرافهم وسوء عقيدتهم. ولو نزل القرآن دفعة واحدة لواجه الكفار التقريعات وتألموا لها أول مرة ثم ألقوها ونسيها الناس<sup>419</sup>. يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَخَذِرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مِمَّا تَحَدَّرُونَ ﴿٦٤﴾﴾، [التوبة: 64]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون وأولاً يرون أنهم يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً تَنْظَرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَأُكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قومٌ لا يفقهون ﴿١٢٤-١٢٧﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾، [الأنفال: 30]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾، [يوسف: 102]، وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾، [المنافقون: 1]، وقوله

418 زرزور، عدنان؛ مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص: 89 - 92، طعيمة، صابر؛ هذا القرآن قصة الذكر الحكيم:

ص: 25-27

419 أبو سليمان، صابر حسن محمد؛ روائع البيان في علوم القرآن: ص: 41 - 42

تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، [النور: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾، [محمد: 29]، وقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾، [البقرة: 10]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾، [الأحزاب: 12]، وقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾، [الأحزاب: 32]، وقوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾، [المائدة: 52].

3. وعلى الصعيد الاجتماعي أراد الإسلام أن يحفظ على هذه الأمة اعتدالها وتوازنها وأن يجعلها وسطاً في عقائدها وأخلاقها وعبادتها ومعاملاتها، فمهد لذلك بتصحيح مقاييسها ودعوتهما إلى ما يحييها فلما اتفقت جماعة من الصحابة على أن يجبوا أنفسهم ويعتزلوا النساء ولا يأكلوا لحماً ولا دسماً ولا يأكلوا من الطعام إلا قوتاً<sup>420</sup>، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، [المائدة: 87].

4. وقد رأيت كلاماً جميلاً للإمام الفخر الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ

420 انظر : الزرقاني، عبد العظيم؛ مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص: 61 - 62

تَرْتِيلاً﴿، [الفرقان: 32]، وقد جمع فيه رحمه الله الحكم والدروس الدينية والمعرفية والاجتماعية أرى من الضروري ذكرها مجتمعة هنا - تحت المطلب الثالث - فأليك كلامه رحمه الله:

" اعلم أن هذا هو الشبهة الخامسة لمنكري نبوه محمد صلى الله عليه وسلم، وأن أهل مكة قالوا تزعم أنك رسول من عند الله أفلا تأتينا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة جملة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود..، أجاب الله بقوله : ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ وبيان هذا الجواب من وجوه : أحدها: أنه عليه السلام لم يكن من أهل القراءة والكتابة فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة كان لا يضبطه ولجاز عليه الغلط والسهو، وإنما نزلت التوراة جملة لأنها مكتوبة يقرؤها موسى..، وثانيها: أن من كان الكتاب عنده، فرما اعتمد على الكتاب وتساهل في الحفظ فالله تعالى ما أعطاه الكتاب دفعة واحدة بل كان ينزل عليه وظيفه ليكون حفظه له أكمل فيكون أبعد له عن المساهلة وقلة التحصيل..، وثالثها: أنه تعالى لو أنزل الكتاب جملة واحدة على الخلق لنزلت الشرائع بأسرها دفعة واحدة على الخلق فكان يثقل عليهم ذلك، أما لما نزل مفرقاً منجماً لا جرم نزلت التكاليف قليلاً قليلاً فكان تحملها أسهل..، ورابعها: أنه إذا شاهد جبريل حالاً بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته فكان أقوى على أداء ما حمل، وعلى الصبر على عوارض النبوة وعلى احتمال أذى قومه وعلى الجهاد..، وخامسها: أنه لما تم شرط الإعجاز فيه مع كونه منجماً ثبت كونه معجزاً، فإنه لو كان ذلك في مقدور البشر لوجب أن يأتوا بمثله منجماً مفرقاً..، وسادسها: كان القرآن ينزل بحسب أسئلتهم والوقائع الواقعة لهم فكانوا يزدادون بصيرة، لأن بسبب ذلك كان ينضم إلى الفصاحة الإخبار عن الغيوب..، وسابعها: أن القرآن لما نزل

منجماً مفرقاً وهو عليه السلام كان يتحداهم من أول الأمر فكأنه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكل أولى. فبهذا الطريق ثبت في فؤاده أن القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة..، وثامنها: أن السفارة<sup>421</sup> بين الله تعالى وبين أنبيائه وتبليغ كلامه إلى الخلق منصب عظيم فيحتمل أن يقال إنه تعالى لو أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم دفعة واحدة لبطل ذلك المنصب على جبريل عليه السلام فلما أنزله مفرقا منجماً بقي ذلك المنصب العالي عليه فلاجل ذلك جعله الله سبحانه وتعالى مفرقا منجماً... أما قوله تعالى: ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ فمعنى الترتيل في الكلام أن يأتي بعضه على أثر بعض على تودة وتمهل. وأصل الترتيل في الأسنان، وهو تفلُّجها، يقال ثغر رتل وهو ضد المترص، ثم إنه سبحانه وتعالى لما بين فساد قولهم بالجواب الواضح قال: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ من الجنس الذي تقدم ذكره من الشبهات إلا جئناك بالحق الذي يدفع قولهم، كما قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾، [الأنبياء : 18] وبين أن الذي يأتي به أحسن تفسيراً لأجل ما فيه من المزية في البيان والظهور، ولما كان التفسير هو الكشف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه ، فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا<sup>422</sup>.

و في ختام هذه الدراسة أود أن أسجل مقتطفات من مقال جميل بعنوان: لماذا نزل القرآن مفرقا... ولم ينزل جملة واحدة؟ في إحدى المواقع في الشبكة العنكبوتية ورأيت من الفائدة ذكر أهم النقاط المتعلقة بظاهرة تنجيم القرآن أو نزوله مفرقا:

<sup>421</sup> أي الملائكة الكرام عليهم السلام، أو المنصب الملائكي ، كما قال تعالى: ( بأيدي سفرة كرام بررة) والله أعلم.

الرازي، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين؛ تفسير مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001، ج24، ص

هذا السؤال أو التساؤل قديم سأله المعارضون للرسول ( صلى الله عليه وسلم ) من باب المعارضة له في شيء ما، ولو نزل جملة لقالوا لم لم ينزل مفرقاً؟ ولكن سؤلهم أو اعتراضهم هذا أفادنا كثيراً في معرفة الحكمة من الله سبحانه منزل الكتاب حيث ذكر اعتراضهم ورد عليه: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [ الفرقان:32 ] ؟ كما نزلت الكتب السابقة: التوراة والإنجيل حسب ما بلغهم. فرد الله عليهم في الآية نفسها : ﴿ كذلك... ﴾ " أي أنزلناه مفرقاً" ﴿ لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ﴾ .

ثم تأتي الآية الأخرى فتسوق لنا حكمة غير الأولى: ﴿ وقرءاناً فرّقناه ليتقرأه على الناس على مكثٍ ونزلناه تنزيلاً ﴾ . ومعنى فرقناه: جعلنا نزوله مفرقاً منجماً وفي قراءة: فرّقناه بتشديد الراء. ما ألد الرشفة بعد الرشفة يأخذها الظامئ من كوب عصير بارد ليستديم لذة هذا العصير في فمه مدة!... وما أطيب الأمن والراحة النفسية للإنسان. يتعهده حاميه وراعيه الفينة بعد الفينة، ويزوره المرة بعد المرة، ويزوده كلما زاره بطاقة تقوية، وتشد أزره وتحميه!...، هذا شيء نحسه من واقع الحياة التي نعيشها والطبيعة التي تحكمننا، والقرآن هدى وشفاء، تشريع وتكليف، نزل على الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ليقود على هديه البشر، ويداوي به أمراضهم الاجتماعية، ويمدهم بطاقة مادية وروحية، وهو ليس بالقصير الذي يمكن قراءته في جلسة، أو حفظه في يوم، ولهذا كان من حكمة الله أن ينزل على الرسول مفرقاً، حتى يتمكن ( صلى الله عليه وسلم ) وهو وصحابته من حفظه...، فهم يعتمدون على الحفظ، ولذلك، برعوا فيه،

ولابد أن يكون القرآن أمره كذلك، يعتمد فيه على الحفظ، حتى وإن كتب على حجارة ملساء أو عظام مفرطحة، أو غير ذلك مما يستطيعون الكتابة عليه؛ لأن الورق لم يكن متوفراً لديهم بالصورة التي نراها عندنا، أو بالصورة التي تمكنهم من كتابة القرآن كله عليه...، فكيف إذن يمكنهم حفظه لو نزل دفعة واحدة؟ هذا أمر عسير، ومن المتعذر على الإنسان أن يجد له حلاً.. والله قد أخذ عباده بالتيشير عليهم: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فلم يكن مفر من نزول القرآن مفزقا: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقَانًا لَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ أي على مهل وتؤدة، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ متتالياً لذلك. فإذا حفظوا اليوم ما نزل، ثم حينما ينزل شيء يحفظونه، ويضمونه إلى ما حفظوه من قبل كان الحفظ سهلاً عليهم كما نفعل نحن اليوم ويفعل كل الناس والطبيعة واحدة والقدرة في جملتها واحدة...، حقيقة يولد الإنسان ويشب حتى يبلغ فيكلف بكل ما في القرآن، ولكنه مسلم وابن لمسلم، وشب وترى في جو إسلامي وتعود في صغره على آداب الإسلام وتشريعاته، فلا يصعب عليه القيام بعد ذلك بتكاليفه.. فالأمر يختلف عن ندعوة لينسلخ من شركه في بدء الدعوة لينضم لزمرة المؤمنين والدعوة غريبة ولها أعداؤها.. فلا بد من التدرج في التكاليف بما يتناسب وحالة الداخلين الجدد في الإسلام...، ولكن مما ينبغي معرفته مع ذلك أنه ليس معنى نزوله مفزقا أن كل آية منه نزلت على دفعة، بل معنى نزوله مفزقا أن نزوله كان على دفعات وأوقات استمرت من بدء البعثة، حتى توفي الرسول عليه الصلاة والسلام أي مدة ثلاثا وعشرين سنة.. فقد ينزل جبريل بآية، وقد ينزل بآيات، وقد ينزل بسورة صغيرة، وقد ينزل بسورة كبيرة كالأنعام مرة واحدة...، أما أغلبية سور القرآن فقد نزلت على دفعات...، بل كانت الآيات تنزل، وجبريل يرشد الرسول الى أن هذه الآيات توضع في سورة البقرة

مثلا قبل آية كذا أو بعدها.. ثم تنزل آيات أخرى بعد ذلك ويرشد جبريل إلى وضعها مثلا في سورة آل عمران وهكذا...، حتى إذا أتى رمضان من السنة نزل جبريل على الرسول (صلى الله عليه وسلم) يدارسه ما نزل في السنة الماضية من القرآن بالترتيب الذي أرشد إليه...".<sup>423</sup>

### الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته وقوته وفضله تتم الصالحات وتنجز الأعمال المباركات، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف المخلوقات سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله الذي أخرجنا من الظلمات إلى طريق الهدى والرشاد، وعلى آله وأزواجه الطاهرات وأصحابه الشرفاء أهل القربات، ومن سار على هديهم واقتفى سنتهم إلى أن يقوم الناس لرب الأرض والسماوات. أما بعد:

فبعد هذه الرحلة الممتعة في عالم وحكم وأسرار تنجيم القرآن، تبين لنا بصدق وجلاء صدق هذا القرآن الكريم على أنه من لدن رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين. كما تبين لنا من خلال ظاهرة تنجيم القرآن الكرم صدق نبوة هذا النبي الأمي الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى، والذي أرسله الله بشيراً ونذيراً إلى الناس أجمعين.

لقد أراد الله سبحانه وتعالى رب السماوات والأرضين من وراء هذا التنجيم لكتابه الكريم على رسوله الأمين أن يهدينا سواء السبيل وأن يرينا صراطه المستقيم، كما أنه سبحانه أراد أن يثبتنا على هذا النهج القويم ببركة منهجية التشريع المتدرج والتكليف المرحلي، وأن يرينا السبيل الأمثل والمنهاج الأقوام في كيفية تربية الناشئة والمجتمع بكافة أطيافه أجمعين، وأن يقول الله للعالمين إن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل، عسى أن توفقوا في الدنيا وأن تكونوا من الناجحين، وأن تحشروا مع النبيين والصديقين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. فالحمد لله على نعمة الإسلام والقرآن أولاً وآخراً، وله الفضل والمنة سبحانه على أن هدانا للإيمان والإسلام وما كنا لنهتدي لو لا هداية الرحمن الملك الديان. فيا رب بجاه حبيبيك



المصطفى ونبينا المرتضى بلغ مقاصدنا إلى ما تحبه وترضى وتوفنا مسلمين وألحقنا  
بالصالحين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

الفقير إلى عفو مولاه في كل أحواله غفر الله له ولوالديه

الدكتور خيرالدين خوجة ( الكوسوفي )

أستاذ التفسير والدراسات القرآنية المساعد

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

وتمت مراجعة الدراسة مجددا قبل النشر في دوحة الخير والبركة بقطر ضحوة يوم  
السبت 24 من ذي القعدة 1437 هـ الموافق 27 أغسطس 2016



## فضل القرآن الكريم وأثره في حفظ اللغة العربية وإثرائها

بقلم

الدكتور خيرالدين خوجة ( الكوسوفي )

أستاذ التفسير والدراسات القرآنية المساعد

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

2012

ملخص البحث<sup>424</sup>

من المسلم به أن نزول القرآن الكريم باللغة العربية كان له أعظم الأثر في توطيد هذه اللغة وتقوية سلطانها على الألسنة، وتهديتها وتنقيحها واتساع أغراضها التعبيرية وفنون القول فيها. يبدو ذلك في تنوع المعاني والأخيلة والأساليب والألفاظ. لقد قام القرآن العظيم بدور بليغ عميق في اللغة العربية وأدبها وبلاغتها وفي النقد الأدبي عند العرب. إن المعجزة القرآنية الباهرة استعلت على جميع المواهب الأدبية العريقة وأدت إلى انقلاب واسع في اللغة العربية، وإلى رقي بارز في أدبها وبلاغتها وفي النقد الأدبي. ويتجلى فضل القرآن الكريم على اللغة العربية في هذه الجوانب باختصار؛ توطيد اللغة العربية ومد سلطانها في العالم بانتشار الإسلام، تهذيب ألفاظها والتجديد في معانيها، إرساء قيم جديدة روحية وفكرية وإنسانية، نشأة علوم اللغة ونموها وازدهارها، حماية البيان العربي من التدهور والذوبان أمام تحديات اللغات الدخيلة والأعجمية والفلسفات الأرسطية والترجمة اليونانية.

وأما آثار القرآن الكريم على اللغة العربية فيمكن ملاحظتها في عدة جوانب؛ فقد أنقذ القرآن الكريم العرب من شتات اللهجات القبلية الكثيرة وعمل على تقارب اللهجات وألسنة أهلها بالنطق بأفصح لهجات العربية. لقد نزل الله عز وجل القرآن الكريم بلهجة قريش وراعى أهم الفوارق اللغوية بين اللهجات العربية فأنزل القرآن على سبعة أحرف. وقد هذب القرآن الكريم اللغة العربية من غريب الألفاظ

<sup>424</sup> هذه الدراسة قدمت في المؤتمر العالمي عن اللغة العربية بين التطور والانقراض، في جاكرتا - أندونيسيا عام 2011، ثم نشرت في المجلة العلمية المحكمة قسم اللغة العربية بجامعة بنجاب بباكستان عام 2013

والعبارات، فأحالتها إلى لغة صافية شفافة جذابة وانتهج القرآن الكريم أسلوباً زاهياً أنيقاً جزلاً له حلاوة وعليه طلاوة. كما أن القرآن الكريم أدخل على لغة العرب معاني جديدة ما كانوا يعرفونها ولا يعرفون التعبير عنها مثل؛ الإسلام والإيمان والفرقان والشرك والكفر والنفاق والصوم والصلاة والزكاة. وأيضاً سيطر القرآن الكريم على الملكات الأدبية واجتذب اهتمامها وعنايتها بأبلغ الأساليب وأروع الخصائص الأدبية، فاعتنى العلماء بلفظ القرآن من نواحي مختلفة لتحديد مدلوله ومعناه، ودرسوا تركيب الألفاظ، فظهر علم النحو، وبحثوا في البناء الداخلي فقدموا علم الصرف، ثم درسوا أنماط التعبير الفني في القرآن، فأنشأوا علم البلاغة؛ البيان والمعاني والبديع. هذه الورقة تهدف إلى تسليط الأضواء إلى هذه الجوانب المشرقة لبيان فضل القرآن الكريم و أثره البالغ على حفظ اللغة العربية من الضياع والنوبان بشيء من التفصيل، وذلك بالرجوع إلى دراسات وتحليلات المتقدمين والمعاصرين حول هذه المسألة.

## بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب بلسان عربي مبين ولم يجعل فيه عوجاً، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، سيدنا ومعلمنا وإمامنا وقدوتنا ونبينا محمد وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار المختبين بالليل والمجاهدين بالنهار، ومن استن بسنتهم واقتفى أثرهم إلى أن يقوم الناس لرب السموات والأرضين والبحار. أما بعد؛

إن مما لا يختلف عليه عاقلان أن تعلم العلم الشرعي ومعرفة أسرار كتاب الله عز وجل و أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر واجب على كل مسلم مكلف عاقل، أجمعت عليه الأمة سلفاً وخلفاً. وبما أن مصدرَي ديننا الحنيف الكتاب والسنة قد أوحاهما الله باللغة العربية ولا سبيل إلى فهمهما وإدراكهما إلا بتعلم اللغة العربية، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وإن قوماً تكاسلوا عن تعلم اللغة العربية كان عاقبة أمرهم حُسرًا، إذ اعتمدوا على الترجمات المختلفة لنصوص الكتاب والسنة، وجعلوها مطيتهم لفهم الشرع والتحدث باسمه. فكانوا ضحايا لسوء الفهم والتأويل والتفسير. فمن أراد أن يتفهم القرآن والسنة فعليه بتعلم واتقان اللغة العربية. يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾، [ الشعراء: 192-195 ]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾، [ الشورى: 7 ]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ

أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ هُمْ ذِكْرًا ﴿١﴾، [طه: ١١٣]، وقال أيضاً: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، [فصلت: ٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، [يوسف: ٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، [الزخرف: ٣]، وقال أيضاً: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، [الزمر: ٢٨].

فهذه الآيات المباركة فيها دلالة واضحة على ربانية وعربية قرآنا، وسلامة اللغة العربية من التناقض والاعوجاج. إننا نلاحظ التناقض والاعوجاج في بعض اللغات الأخرى، مثل اللغة الإنكليزية وغيرها، ولكن هذا الاعوجاج يستحال أن يوجد في اللغة العربية. ولقد أدرك السلف الصالح من علمائنا أهمية فهم وحفظ و من ثم نشر الشريعة الإلهية، و أدركوا أنه لا يمكن نشرها إلا من خلال الوسيلة واللغة التي نزلت بها فانكبوا على تعلم اللغة العربية وهم من غير العرب، فأصبحوا أئمة وفرساناً في الشريعة والتفسير والحديث واللغة، مثل الإمام الطبري والإمام الرازي والإمام البخاري والإمام مسلم وسيبويه وغيرهم كثير. ومع انتشار رقعة الإسلام في أرجاء المعمورة انشرت اللغة العربية بين صفوف المسلمين العرب وغير العرب، وأقبل المسلمون يتعلمون كتاب الله عز وجل ويحفظونه ويعلمونه لغيرهم. فقد أصبغ القرآن الكريم قداسة على اللغة العربية و أدرك المسلم أنه إذا ما أراد التقرب إلى الله عز وجل بتلاوة وفهم كتابه الكريم، لازم مجالس العلماء وحلقات العلم وتعلم منهم اللغة العربية حتى يستطيع أن يتلو كتاب الله حق تلاوته. وقد تعرضت اللغة العربية عبر العصور إلى يومنا هذا إلى هجمة شرسة منتظمة من قبل المستشرقين وبعض المتلوثين بالفكر الغربي، ولو لا كتاب الله عز وجل المحفوظ من قبل الله تبارك وتعالى وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأصابت اللغة العربية ما أصاب باقي اللغات من الانصهار

والاضمحلال والذوبان وانتشار العامية والفوضى. فله الحمد أولاً وآخراً وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من الأمم، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

### المبحث الأول: فضل القرآن الكريم على اللغة العربية

إن حديثنا عن القرآن الكريم وأثره في اللغة العربية، حديث الشيء عن ذاته، فالقرآن الكريم عربي المبني فصيح المعنى، وقد اختار الله تعالى لكتابه أفصح اللغات. أنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم ليكون معجزة المعجزات الحسية والمعنوية إلى قيان الساعة. وكانت هذه المعجزة أعظم برهان على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. أنزل الله عز وجل هذه المعجزة على قوم أولي بأس لغوي وبياني شديد، وهذه المعجزة ناسبت حال القوم الذين برعوا فيه. كان مشركو مكة وما جاورها من الديار والقرى قد برعوا في العربية والفصاحة والخطابة والبيان وإليهم انتهت رياسة علم المعاني والبيان والبديع. وللقرآن الكريم الفضل الكبير على اللغة العربية كوعاء شرف يحمل معانيه العظيمة، وقد كان حرص المسلمين على القرآن الكريم هو الداعي لحرصهم على اللغة العربية ومقاومة ما قد يطرأ عليها من لحن، مما أدى إلى وقوف أولي الأمر واللغويين موقف المدافع<sup>425</sup>. يقول الأستاذ الدكتور حسن ضياء الدين عتر، أستاذ التفسير والدراسات القرآنية في جامعة طيبة

<sup>425</sup> جيري، عبد الله عبد الناصر؛ لهجات العرب في القرآن الكريم - دراسة تحليلية، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان،



بالمدينة المنورة - رحمه الله تعالى - والتي جمعنا بفضلته ساحة العمل والدعوة والتدريس بجامعة طيبة:

" ولقد بلغ العرب أرفع مستوى عرفته الإنسانية في الفصاحة والبلاغ وارتقوا في ذلك فوق جميع الأمم مراتب ظاهرة فكان لإظهار الله تعالى القرآن على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الفوائد ما لا يساويه غيره من المعجزات، فإنه لو اقتصر الأمر على إظهار معجزات مادية على منوال قلب العصا حية أو إحياء الموتى، مما لم يألف العرب جنسه وليس لهم بحاله معرفة ولا بصيرة، لاحتمل أن يتوهموا أنهم إنما عجزوا عن مثله لذلك السبب خاصة. فلما خص الله محمداً بالقرآن أبعدهم عن الوقوع في تلك الشبهة. فالفصاحة دأبهم ومفخرتهم، بها يتبارون ويصولون. فكان القرآن المعجز مما يعلمون مزينته لأول وهلة ييسر من التأمل. وهذه الطريقة السديدة في المعجزات عين الحكمة، فلا يحسن العدول عنها إلى غيرها.. " 426.

وقد أشار القاضي عياض رحمه الله إلى وجوه الاعجاز قائلا: " ومن وجوه اعجازه المعدودة، كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، [الحجر: ٩]، وقال: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلًا مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾، [فصلت: ٤٢]. وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا خبرها " 427.

426 عتر، حسن ضياء الدين؛ المعجزة الخالدة، دار نور المكتبات، جدة، ط4، 2005، ص 110

427 عياض، قاضي؛ الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، المطبعة العثمانية، مصر، 1312 هـ، ص 232

وقد تحدى الله عز وجل المشركين وكفار قريش، فرسان العربية والبلاغة الذين عارضوا النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي أنزل عليه؛ أن يأتوا بحديث مثله، أو بسورة مثل سور القرآن أو بمثل آية من آيات القرآن، ولكنهم عجزوا ولم يستطيعوا ولن يستطيعوا إلى قيام الساعة. قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، [البقرة: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، [يونس: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، [هود: ١٣]. وفي آخر المقام أثبت الله عز وجل العجز للجميع قائلاً: ﴿قُلْ لَنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، [الإسراء: ٨٨].

لقد أدرك الإمام الثعالبي هذه الحقيقة عن أهمية وميزة هذه اللغة وعبر عنها بأبلغ تعبير عندما ذكر في مقدمة كتابه الشهير فقه اللغة وسرّ العربية أن: "من أحب الله تعالى، أحب رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم -، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، واعتقد أن محمداً خير الرسل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في

الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان، لكفى بها فضلاً يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثمره " 428 .

وقد ذكر العلماء بأنه قد ساد في العصور الأخيرة الجهل بالدين والعربية، وفقد كثير من الناس السليقة العربية الأصيلة وأضحى اللغة الفصحى بين أهلها مقام الغريب، ولو لا نعمة الله عز وجل وفضله ورحمته على المسلمين بالهداية القرآنية وحفظه تعالى للتراث اللغوي والبلاغي القرآني من خلال مؤلفات الدراسات اللغوية وجهود العلماء المخلصين، لأصابت اللغة العربية ما أصاب بقية اللغات من الاضمحلال والذوبان ما الله به عليم. يقول الأستاذ محمد هاشم: " من المسلم به أن نزول القرآن الكريم باللغة العربية كان له أعظم الأثر في توطيد هذه اللغة وتقوية سلطتها على الألسنة<sup>429</sup>، وتهذيبها وتنقيحها واتساع أغراضها التعبيرية وفنون القول فيها، ويبدو ذلك في تنوع المعاني والأخيلة والأساليب والألفاظ... كما يبدو تأثير العرب بأسلوب القرآن الكريم جلياً، إذ انطبعت في لغتهم العذوبة والفصاحة والجزالة، فإنه خالط قلوباً قاسية فألأنها وطباعاً قاسية فهذبها، وأضفى على اللغة العربية عذوبة لفظ، ورقة أسلوب، وسماحة ترتيب، وقوة حجة، ورزانة منطق، ودقة أداء، وغزارة

428 التعالي؛ فقه اللغة وسر العربية، ط.د.، القاهرة، 1938م، ص1

429 انظر للمزيد؛ من عجائب القرآن اللغوية، للأستاذ الدكتور فؤاد محمود سندي، الإصدار الثالث ملتقى الأحبة في مكة

المكرمة، ط1، 2008، ص 17-32

معنى... وكان من فضل القرآن الكريم على اللغة تهذيبها من الحوشية، والسير بها إلى السهولة والمتانة. ووضوح القصد وبلوغ الغرض من أوضح الطرق وأجود الأساليب، فإن المسلمين طالما ربطوا شفاهم بآياته في صلاتهم وعبادتهم، واستجلوا مظاهر الأدب الرفيع المعجز في عباراته وأمثاله واستعاراته ومجازه وكنائياته وتمثيله... وقد جاء القرآن الكريم مخالفاً لكلام العرب في الطريقة والمذهب وفي المنزلة والمصنعة، وان جانس لغتهم في المادة والتركيب، ولولا ذلك لذهب في كلامهم، وكان سبيله سبيل القصائد والخطب والأقاصيص وغيرها... وكان مثله حينئذ مثل ما يبقى من أمور الإنسان، ولكن أبي الله لآيته واعجازه أن يكون كذلك، فأنزل القرآن حاوياً لأهم أسباب الارتقاء من الغلبة والانفراد والتميز... وكان نزوله بهذه الطريقة المعجزة سبباً في حفظ العربية واستنباط علومها، وكان أصل ذلك هو التحدي به الذي كان من حكمته أن ينظر العرب في أساليب القرآن ووجه نظمه، ليتدبروا طريقته، ويجربوا عليها أنفسهم ويحملوها على الاتيان بما تحداهم به إن استطاعوا، حتى إذا استيقنوا العجز من أنفسهم، وأجمعوا عليه مع توفر الدواعي وقيام الحاجة إليه... وهكذا أضاف القرآن الكريم معاني جديدة وأساليب لغوية لم يعهدوها، وتراكيب غير مألوفة على سمعهم، إلى غير ذلك مما أكسب اللغة العربية ثراء ودقة وجمالاً... " 430.

<sup>430</sup> انظر للمزيد : <http://arabic.bayynat.org.lb/nachratbayynat/idaaat/idaat218.htm> تم

تصفح الموقع بتاريخ 2010/05/25 م يوم الأربعاء

وقد أكسب القرآن الكريم اللغة العربية بقاء وثباتاً إلى قيام الساعة والحمد لله أولاً وآخراً. وبجانب كون القرآن الكريم حافظاً أساسياً للغة العربية من الضياع، فقد أجمع العلماء والباحثون على كون القرآن أيضاً حاوياً وحافظاً للهجات العربية الأصيلة من الانقراض من خلال اشتغال القرآن الكريم على القراءات القرآنية المتواترة والشاذة والتي رواها لنا الثقات من القراء الأجلاء مشافهة بالتواتر جيلاً عن جيل إلى يومنا هذا. ففي هذا الكنز العلمي العظيم يظهر فضل الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً للعالمين، وأن مصير اللغة العربية والمسلمين مرتبط بمصير الدين الإسلامي ومدى تمسك الناس بشرائعه وأحكامه و أوامره ونواهيه. وفي هذه الحقيقة العلمية والتاريخية يقول بعض العلماء:

"...ولا يخفى أن الانسانية لم تعرف طول تاريخها لغة خلدها كتابها إلا اللغة العربية فقد أعطى اللغة إكسير الحياة وسر البقاء. وقد حفظ لنا هذا الكتاب نصوصاً من لهجات العرب التي لا يرقى شك إلى فصاحتها<sup>431</sup>. وسلامة ألفاظها لغة وأداء، وذلك في القراءات القرآنية التي تمثل منهجاً في النقل لا يصل إلى وثاقته علم آخر مهما يكن حتى منهج الحديث. وعلى هذا يكون هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة، وقراءاته المختلفة...ومن المعلوم أيضاً أنه عندما جمعت اللغة العربية ودونت لم يعوّل إلا على ألفاظ القرآن الكريم،

<sup>431</sup> للمزيد حول هذه المسألة انظر: لهجات العرب في القرآن الكريم - دراسة استقرائية تحليلية، للأستاذ عبد الله عبد

وألفاظ الشعر الصحيح، وكلام أعرق القبائل وأبعدها عن تأثير الأعاجم فيها، كقيس وتميم وهذيل وأسد وغيرها. والقرآن الكريم هو الذي حفظ لنا أسس لساننا سليمة، ولولاه لما كان من المستبعد أن يكون اليوم لكل قطر عربي لغة خاصة، هي بالنسبة إلى اللغة العربية الفصحى كالفرنسية والإيطالية والاسبانية بالنسبة إلى اللاتينية... وعلى هذا فإن مصير اللغة العربية مرتبط بمصير الدين، وبسبب هذه الميزة اتصل حاضر الأمة العربية بماضيها، وحافظت اللغة العربية على ذاتها... إن القرآن الكريم جنس لغوي، لا يزال أهله متميزين بهذه الجنسية حقيقة أو حكماً، حتى يأذن الله بانقراض الخلق، ولو لا هذه العربية التي حفظها القرآن الكريم، لما اطرده التاريخ الإسلامي، ولما تماسكت أجزاء هذه الأمة ولا استقلت بها الوحدة الإسلامية" <sup>432</sup>.

### المبحث الثاني: أثر القرآن الكريم على اللغة العربية

يذكر الباحثون والمهتمون بهذه المسائل أن أي لغة من اللغات تبقى ملازمة لأهلها، كما أنها ترقى بقوتهم وتضعف بضعفهم، فهذا المظهر الاجتماعي خاضع لقانون النشو والارتقاء. ويحكي لنا التاريخ أن كثيراً من لغات الأمم والحضارات ذابت لوعة الهوان والضياع والدوبان، بخلاف الحضارة الإسلامية واللغة العربية، والذي حفظها القرآن الكريم، وكانت اللغة العربية أقوى اللغات في مواجهة التحديات

<sup>432</sup> المرجع السابق بتصرف، ص 73، 143، 206، وانظر أيضاً: المعجزة الخالدة، للأستاذ الدكتور حسن ضياء الدين عتر، ص 372-392، وانظر أيضاً: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني للأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، ط 3، 2008، عمان، ص 491-506

والمصاعب عند اختلاط العرب مع الأعاجم. كل ذلك بسبب المقومات المدنية والحضارية التي تحتويها اللغة العربية ببركة لغة القرآن الكريم. ولا يذكر التاريخ أن الإنسانية عرفت في تاريخها لغة خلدتها كتاب رباني إلا اللغة العربية، وأن القرآن الكريم أعطى للغة العربية إكسير الحياة وسر البقاء واستمدت اللغة العربية من كلمات القرآن الكريم روح الثبات وشجاعة الحياة. فكان القرآن الكريم الروح التي جعلت العربية الفصحى لغة كل العصور، وكل فضل جاءنا من اللغة العربية فمرده إلى القرآن الكريم، والحمد لله أولاً وآخراً<sup>433</sup>. ومن أهم ما أحدثه القرآن الكريم في اللغة العربية من آثار أذكر ما يلي:

### 1. المحافظة على اللغة العربية من الضياع

إن أثر القرآن الكريم على اللغة العربية كان بالغاً للغاية من حيث المضمون والشكل. فنصوص القرآن نصوص مقدسة وسرمدية إلى قيام الساعة، فبقاء النصوص القرآنية بقيت اللغة العربية حية نابضة فعالة إلى يومنا هذا. لقد أشار الدكتور يوسف الشرجبي بعض الأسرار وراء خلود اللغة العربية: " أن السر الكامن وراء خلود اللغة والحفاظ عليها من الاندثار هو القرآن الكريم بما كان له من أثر بالغ في حياة الأمة العربية، وتحويلها من أمة تائهة إلى أمة عزيزة قوية بتمسكها بهذا الكتاب الذي صقل نفوسهم، وهذب طباعهم، وطهر عقولهم من رجس الوثنية وعطن الجاهلية، وألف بين قلوبهم وجمعهم على كلمة واحدة

<sup>433</sup> للمزيد حول هذه المسألة انظر: لهجات العرب في القرآن الكريم - دراسة استقرائية تحليلية، ص 210، وانظر

أيضاً: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن باقوري، دار المعارف، مصر، ط.د، ص 28-32

توحدت فيها غاياتهم، وبذلوا من أجلها مهجهم وأرواحهم، ورفع من بينهم الظلم والاستعباد، ونزع من صدورهم الإحـنَ والضغائن والأحقاد، فقد كان القرآن الكريم ولا يزال كالطود الشامخ يتحدى كل المؤثرات والمؤامرات التي حيكت وتحاك ضد لغة القرآن، يدافع عنها، ويدود عن حياضها، يقرع أسماعهم صباح مساء... فلما كان القرآن الكريم بهذه المنزلة لا جرم أن المسلمين أقبلوا عليه ودافعوا عنه، واعتبروا أن كل عدوان على القرآن هو عدوان على اللغة العربية، وأن النيل من اللغة العربية هو نيل من القرآن، ولذلك فإن بقاء اللغة العربية إلى اليوم وإلى ما شاء الله راجع إلى الدفاع عن القرآن، لأن الدفاع عنه -لكونه أصل الدين ومستقى العقيدة- يستتبع الدفاع عنها لأنها السبيل إلى فهمه، بل لأنها السبيل إلى الإيمان بأن الإسلام دين الله، وأن القرآن من عند الله لا من وضع أحد...، ويبدو هذا الأمر واضحاً لمن تتبع اللغات وما تعرضت له من انقسام وانشطار واندثار بعد أن كانت لغة علمية محكية وصناعية، وليست اللغة اللاتينية عنا ببعيدة فقد كانت لغة وحضارة وسطوة وقوة فبقيت أثراً بعد عين. وعلى العكس من ذلك فإن اللغة العربية لم تكن لها هذه القوة وهذه المنعة، وليست لغة حضارة وصناعة، إنما كانت لغة صحراء وأمية، بكل ما تفرضه بيئة الصحراء من بساطة وضيق عيش، وبعد عن العلوم والمعارف، ثم إن العرب قد تعرضوا للحروب والدمار كغيرهم، ولكن ما زالت لغتهم قوية ساطعة تنبض بالحياة والنشاط، وما ذلك إلا بفضل القرآن الكريم، الذي تكفل



الله بحفظه، فحفظ به اللغة التي نزلت به، ولم يتكفل بحفظ غيره من الكتب المقدسة فبادت اللغة التي نزلت فيها واندثرت... " 434.

## 2. تقوية اللغة والرقى بها نحو الكمال

لا يشك عاقلان في كون القرآن الكريم مصدر طاقة وقوة وحيوية للغة العربية، و لولا هذه الطاقة الربانية والقرآنية ما كانت لتصل إلى ما وصلت إليه بما وهبها الله من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية الرفيعة. يقول العلامة الرافعي رحمه الله:

"نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معاً، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه إذ النور جملة واحدة، وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرج من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض، وإنما كان ذلك، لأنه صفى اللغة من أكدارها، وأجرها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملاً من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهراً لا يقضى العجب منه لأنه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته، ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود لأنها

434 انظر للمزيد: <http://www.al-maqha.com/t7344.html> ، ثم تصفح الموقع بتاريخ

2010/05/20م ، وانظر أيضاً: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، ط. دار المعارف، مصر:

1969م، ص 33.

هي لغتهم التي يعرفونها<sup>435</sup>. ورغم الهجمات الشرسة التي تتعرض لها اللغة العربية من خلال نشر اللهجات العامية العربية بشكل منهجي ومنظم من خلال تأسيس الأقسام الخاصة في بعض الجامعات الأمريكية والعربية، ووضع مقررات عربية خاصة للهجة السورية والعراقية<sup>436</sup> والتونسية والمغربية غير أنهم اعترفوا بقوة اللغة العربية وحيويتها وسرعة انتشارها. يقول المستشرق أرنست رينان:

"من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، وصعب حل سره، انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء، فبدأت فجأة في غاية الكمال، سلسلة أي سلاسة، غنية أي غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها إلى يومنا هذا أي تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة، من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها..."<sup>437</sup>.

ويقول جورج سارنوت:

"ولغة القرآن على اعتبار أنها لغة العرب كانت بهذا التجديد كاملة، وقد وهبها الرسول - صلى الله مرونه جعلتها قادرة على أن تدون الوحي الإلهي أحسن تدوين بجميع دقائق معانيه ولغاته، وأن يعبر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة، وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى في التعبير عن المقاصد. ويقول بروكلمان: "بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأن اللغة العربية هي وحدها اللسان

<sup>435</sup> الرفاعي، صادق، تاريخ آداب العرب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974م ج2 ص 74

<sup>436</sup> مطبقاني، مازن بن صلاح، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، دار أشبيليا، ط1، 2000، ص 140-141

<sup>437</sup> مطبقاني، مازن بن صلاح، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، ص 140-141

الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت اللغة العربية منذ زمان طويل رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى التي تنطلق بها شعوب إسلامية...<sup>438</sup>. وقد أشار الأستاذ الدكتور حسن ضياء الدين عتر في هذا الصدد إلى بعض الآثار القرآنية الأخرى على اللغة العربية، أرى من الفائدة ذكرها باختصار، حيث قال رحمه الله:

1- استنقذ القرآن المجيد العرب من شتات اللهجات القبلية الكثيرة، فعمل على

تقارب اللهجات وائتلاف ألسنة أهلها بالنطق بأفصح لهجات العربية...،

2- هذب القرآن اللغة العربية من الحوشي والغريب فأحاله إلى لغة صافية شفافة

جذابة...،

3- أدخل القرآن الكريم على العرب معاني جديدة ما كانوا يعرفونها ولا يعرفون

التعبير عنها<sup>439</sup>، فهناك ألفاظ ابتدأها القرآن الكريم ابتداءً كالإسلام

والإيمان والفرقان والشرك والكفر والنفاق والصوم والصلاة والزكاة...، وهناك

المضامين الحسية الشيقة الخالدة، مثل لفت النظر إلى ملكوت السموات

والأرض، واشتقاق الأدلة العقلية الملزمة مثل البراهين الدالة على وحدانية

الله وعظمته و قدرته ووجوب عبادته وحده لا شريك له...، فالقرآن العظيم

<sup>438</sup> انظر المرجع السابق، وانظر: الجندي، أنور؛ اللغة العربية بين حماها وخصومها، ط. مطبعة الرسالة، بيروت، ص 25

<sup>439</sup> انظر للمزيد حول هذه المسألة بحث الدكتور يوسف بن عبد العزيز الشبل بعنوان: أسلوب الالتفات في القرآن الكريم،

مجلة الدراسات القرآنية - مجلة علمية دورية محكمة، ( العدد 2-1429 )، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -

الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص 131 - 170

نزل في مائة و أربع عشرة سورة أنزلها علام الغيوب بياناً فريداً بديعاً معجزاً  
 في عبائه ومعانيه، في شكله و محتواه على حد سواء...،  
 4-اعتاد العرب على مواسم وأسواق كانوا يقيمونها في مواطن من  
 جزيرتهم...،حتى صار كل سوق مجمعاً أدبياً لغوياً رسمياً له مُحْكَمُونَ تضرب  
 لهم القباب...،وكثيراً ما تنشب بين فرسان البيان منافسات حامية الوطيس  
 ينقسم فيها أهل الأدب إلى جهات متخاصمة...،وتتشابك فيها الحجج  
 والدلائل...،دون أن يقدم التحكيم فيها قولاً حاسماً يفض المنازعات  
 البلاغية إذ كانوا يعتمدون على الذوق والفطرة السليمة، ولم يكونوا مجمعين  
 على نموذج أدبي أعلى يتخذون مقياساً في تمييز الأفصح والأبلغ، وبالتالي  
 لم تكن لديهم قواعد وضوابط بيانية يجديهم الرجوع إليها فتياً فكانوا  
 يذهبون في ذلك مذاهب شتى...،فهل لهذا التفرق من تلاق؟! لما فاجأهم  
 القرآن بسلسيل بيانه وعقدت الدهشة ألسنتهم من تفوق بلاغته وجلالة  
 مكانته؛ خضعت له أعناقهم واذعنت أذواقهم، وأيقنوا أنه لا سبيل إلى  
 مجاراته...،فانقادت إليه ملكاتهم و سجاياهم وسارعوا ينهلون من بحر  
 بيانه...، وأقبلوا على دراسة ملامح الجمال الأدبي...،حتى استخلصوا منه  
 قواعد البلاغة والفصاحة، فكان القرآن لهم المثل النموذجي الأسمى،  
 والمقياس المثالي الذي أجمعت القلوب والأذواق على الركون إليه والاحتكام  
 إلى بيانه...،

5- لا تزال آثار القرآن البليغة تترى في ألوان الأدب العربي؛ شعراً ورجزاً وحكمة وخطابة ونثراً. إذ ظهرت فيها جميعاً تعابير وصور، بعضها مقتبس من القرآن وبعضها يصطبغ بصبغته وينسج على منواله. أما الموضوعات فبعضها جديد بالكلية كالتصوف والزهد، وبعضها دخله التجديد والقوة والحيوية كالحماسة، لكن جميع الموضوعات تأثرت بالقرآن تأثراً بيناً لا مرء فيه<sup>440</sup>، إذ ظهرت فيها قيم جديدة كثيرة روحية وعقلية واجتماعية وإنسانية مستقاة من القرآن بحرص مرهف وتقديس ظاهر.

6- سيطر القرآن على الملكات الأدبية واجتذب اهتمامها وعنايتها...، فلا جرم أن الفضل في نشوء علوم اللغة ونموها وازدهارها عائد إلى القرآن المجيد ذاته. فالقرآن هو الحاكم المهيمن على هذه العلوم، والكلمة منه حجة لها أو عليها و ليس لها من سبيل عليه وهذا أمر جلي واضح. ومن عجب أن يتوهم بعض الجهلاء غير ذلك، فيتشددون مفتعلين إشكالات بين نصوص القرآن العظيم وقواعد اللغة العربية!! وذلك لأنهم غفلوا أن ليس عليه من سلطان وأنه هو المهيمن عليها الحاكم فيها! فالشاهد القرآني هو الحكم الفصل بين مختلف الآراء في كافة علوم اللغة...، وتوالت التصانيف بعدئذ

<sup>440</sup> انظر للمزيد حول هذه المسائل: مجلة البحوث والدراسات القرآنية - مجلة علمية محكمة متخصصة بالقرآن الكريم وعلومه تصدر مرتين سنوياً، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، العدد (الرابع) السنة الثانية 1428 هـ، بحث الدكتور صالح بن محمد آل أبو بكر الزهراني، بعنوان: أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة، ص 126-176

من ( نظم القرآن ) للجاحظ، و ( دلائل الإعجاز ) و ( أسرار البلاغة ) لعبد القاهر الجرجاني وغير ذلك كثير.

7- يتضح لك و لكل باحث أن القرآن هو جذوة حركة النقد الأدبي عند العرب وأنه الباحث الرئيسي الموجه لها وللدراسات البلاغية كافة. فإن تأملت الدراسات النقدية ومقاييسها في فنون القول تجدها جميعاً قد خضعت للنهج القرآني الذي أظهرته دراسات إعجاز القرآن المبين، كما احتكمت إلى الشاهد القرآني فهو المثل الأعلى والمقياس النموذجي الرفيع. ومن نهجه و منحاه يؤخذ فصل الخطاب في التفاضل بين الأساليب<sup>441</sup>.

8- لما نشطت دراسة تفسير القرآن ودراسة اعجازه البياني، تعمقت الأبحاث بحظ وافر في علم الذوق، فتجلى أثر القرآن في تربية الذوق الأدبي العربي. وانطلق علماء القرآن والبيانون من النظر في جلال الربوبية وأثرها في القرآن إلى الطبع وأثره في الشعر، وإلى ملاحظة صورة النظم في النفس قبل التعبير - كما أوردها الخطابي - فقطعوا في علم النفس الأدبي شوطاً، وإن لم يعرفوه باسمه الحديث. تؤكد لك ذلك بحوثهم في الأثر النفسي للتعبير وما يعتمد

441 للوقوف على سر الأساليب القرآنية صرفياً ونحوياً... انظر دراسة وموسوعة الأستاذ الدكتور عبد الخالق عضية رحمه الله، الأستاذ بجامعة الأزهر وجامعة أم القرى بمكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، بعنوان: دراسات لأسلوب القرآن ( 11 عشر مجلداً )، فإن فيها خيراً كثيراً و فوائد جمدة واستدراكات وملاحظات كثيرة على النحاة واللغويين القدامى وذلك من خلال الشواهد القرآنية، ط 1، 1373 هـ، مكة المكرمة، والذي قال عنها المحقق الكبير الشيخ محمود شاكر رحمه الله: "... ولم يسبقه أحد في هذا العمل، ولا أن أحداً من أهل زمانه كان قادراً عليه بمفرده، بسبب الصبر والجلد ومعرفة وأمانة في الاطلاع ودقة في النقل...". وقد قام كاتب هذه السطور ومعد هذه الورقة العلمية بمراجعة وعرض هذه الدراسة، وطبعت هذه المراجعة العلمية في المدينة المنورة عام 2009 م، فارجع إليها إن شئت.

عليه من صور. فالصور البيانية في علم البيان تعتمد على التشبيه والاستعارة والكناية، وتتمتع فيها الألفاظ بخصائص حيوية تفيض بالإيحاء وترسم في الخيال صوراً تثير المعاني في النفس إثارة مؤثرة. وهكذا عنوا بتأمل سمات قوة القرآن في التصوير بتحريض جميع الحواس الإنسانية من سمع وبصر وحس وذوق وشم، حتى يثبت الصور في الخيال والادراك والوجدان.

9- كلما أمعنت في دراسة النقد العربي وجدت نفسك مضطراً إلى مطالعة دراسات الإعجاز القرآني، وأدركت ان ملكة النقد إنما انتشت بذورها في صميم دراسات الإعجاز ونمت وترعرعت أغصانها في ظلال القرآن ورعايته. فإن القرآن العظيم صاحب الفضل الكبير في تربية ملكة النقد الأدبي عند العرب وتطورها. وإن لأسلوبه الذي امتاز بالتفوق في روعة التعبير وجمال الأداء، أثراً بليغاً مبيناً في مقاييس الأدب وموازينه فقد أصبح الشاهد القرآني هو الحكم الفصل بين فنون القول وأنماط الأساليب. فإن دراسات النقد العربي قد نهلت من القرآن المبين، وماتزال تروي رياضها النظرة من ينبوعه الصافي الرقراق.

10- افْتُنَّ أدياء العرب بأسلوب القرآن وإحكام نظمه، وأجمعوا على إقبال عليه قديماً و حديثاً. ولا عجب! فإنك ترى العبارة منه أو الكلمة حين يقتبسها أديب تشع في سماء كلامه كالكوكب الساطع قال الجاحظ: " وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع أي من القرآن. فإن ذلك مما يورث الكلام والبهاء والوقار والرقّة وحسن الموقع...".

إن أسلوب القرآن البالغ الروعة ليس له نظير سابق ولا نظير لاحق في اللغة العربية. فعلى سنته حاول الأدباء أن يصوغوا آثارهم الأدبية من شعر وخطابة وحكمة وأمثال، مهتدين بهدي ديباجته الكريمة وحاشيته الرقيقة و عباراته السلسة...، فظهرت في القرآن نتائج فريدة في اللغة والأدب والبلاغة والنقد، لم يحدث كتاب قط مثلها في لغة من لغات العالم. تكلم ظاهرة أدبية فذة رائعة ومزية عظيمة عجيبة، امتازت بها العربية على سائر لغات العالم، لأنها جميعاً لم تشرف بكتاب إلهي مبین كالقرآن العظيم... " 442 .

### 3- توحيد لهجات اللغة العربية

من المعلوم أن لهجات اللغة العربية كانت مختلفة، تحتوي على الفصح والأفصح، والرديء والمستكره، حتى إن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف من أجل التخفيف على العرب في قراءته وتلاوته، ولا شك أن لغات العرب متفاوتة في الفصاحة والبلاغة، ولذلك نجد عثمان رضي الله عنه قد راعى هذا الجانب في جمعه للقرآن، وقال للجنة الرباعية: "إذا اختلفتم أنتم فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلغتهم" وما ذلك إلا لأن لغة قريش أسهل اللغات وأعذبها وأوضحها وأبينها.

---

442 حسن، ضياء الدين عتر، المعجزة الخالدة، ص 372 - 382 بتصرف، ولمعرفة قوة وفضل اللغة العربية وقدرتها على مواجهات التحديات والمصطلحات العلمية المعاصرة... انظر: بحث الطيب الأستاذ الدكتور محمود فوزي المناوي بعنوان: متى يتكلم العلم العربية - الطب نموذجاً، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - المملكة العربية السعودية، ص



ونجد الإمام السيوطي رحمه الله ينقل عن الإمام الواسطي قوله مبيناً فضل لهجة قريش على بقية اللهجات العربية في جزيرة العرب: ".... لأن كلام قريش سهل واضح، وكلام العرب وحشي غريب. ولذلك حاول العرب الاقتراب منها، وودوا لو أن ألسنتهم انطبعت عليها حين رأوا هذا القرآن يزيدنا حسناً، ويفيض عليها عذوبة، فأقبلوا على القرآن الكريم يستمعون إليه، فقالوا على الرغم من أنفهم: "إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وأسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه" 443.

ولم يزل المسلمون يقبلون عليه ويتلونونه حتى تلاوته آتاء الليل وأطراف النهار، حتى صاروا بفضل القرآن خير أمة أخرجت للناس، ينطقون لغة واحدة عربهم وعجمهم، وكان بذلك جامعاً للعرب والمسلمين على لغة قريش وما يقاربها، وليس بينهم هذا التفاوت والاختلاف في اللهجات كما كان قبل نزول القرآن، وبذلك دخلوا في مرحلة تاريخية فريدة هي توحيد لغتهم وألسنتهم فيما بين بعضهم البعض بل وعلى مر العصور وكر الدهور... "444.

وكما هو معلوم أن العرب كانوا متفرقين إلى الشعوب والقبائل قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لكل قبيلة منهم جهة خاصة في النطق بالكلمات، وكانت العرب تجتمع كل عام في سوق عكاظ ومواسم الحج ويحضرها عدد كبير من الخطباء والشعراء وفرسان البيان والشعر. وفي هذا المؤتمر السنوي التجاري والعلمي العام أفكارهم كانت تتلاقح ولا تتناطح، ويستفيد بعضهم من بعض، وبهذه الطريقة طرأت

443 كلام عتبة بن ربيعة عندما قرأ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أوائل سورة فصلت، تفسير ابن كثير، ج3، ص

444 السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، المزهرة في علوم اللغة العربية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مصر، ج1،

على هذه اللهجات زيادة ونقصان وتطور وتحريف إلى أن بزغ فجر الإسلام فأن أنزل الله عز وجل كتابه باللسان العربي المبين حتى أحدث هذا الوحي الإلهي الخاتم ثورة علمية ولغوية جديدة بين العرب، وسارعت العرب إلى اتباع طريقته في الفصاحة والبيان<sup>445</sup>. وأضحى القرآن الكريم شهادة ومعيار المركز بالنسبة للعرب **Criteria of Center** يحتكم إليه في معرفة الفصح من الأفسح. والتقريب بين اللهجات العربية كان متاحاً من خلال هذه التجمعات والمناسبات العامة، غير أن هذه اللغة لم تكن يوماً من الأيام لغة الجميع، لأنهم كانوا يعتبرون التحول من لهجة إلى أخرى عاراً. وهكذا ذاب فيما بينهم تناكر اللغات واختلاف اللهجات تحت راية الإسلام وحكمه، وتعلم المسلمون اللغة العربية بأسلوب سهل ميسر عجيب معتمدين على منهج قرآني فريد، كما هو الحال في كثير من بلاد المسلمين في الهند وباكستان وتركيا وعندنا أيضاً في الجزيرة البلقانية في البوسنة والهرسك وكوسوفا وألبانيا ولله الحمد والمئة أولاً وآخراً. وبهذه الطريقة أصبحت اللهجات المستكرهة في سلة التاريخ يستشهد بها ولا تستخدم في الحياة العامة. وعندما خرجت اللغة العربية من الجزيرة العربية بالفتوحات الإسلامية فإذا هي لغة أهل الشام والعراق ومصر وفارس وغيرها، وانتقلت من كونها لغة دين إلى كونها لغة شعب ودولة<sup>446</sup>، وأصبحت لكل المسلمين في العالم اللغة الشرعية الوحيدة والجائزة في العبادة، وأجمع أئمة المذاهب الأربعة على عدم جواز الصلاة بلغة أخرى غير العربية.

<sup>445</sup> انظر: لهجات العرب في القرآن الكريم، دراسة استقرائية تحليلية، ص 207

<sup>446</sup> انظر: المرجع السابق، ص 211-213

#### 4- تحويل اللغة العربية إلى لغة عالمية

من المعروف أن اللغة هي صورة صادقة لحياة الناطقين بها، والعرب قبل نزول القرآن الكريم، لم يكن لهم شأن ويذكر أو موقع بين الأمم آنذاك حتى تقبل الأمم على تعلم لغتهم<sup>447</sup>، والتعاون معهم فليست لغتهم لغة علم ومعرفة، وكذلك ليس لديهم حضارة أو صناعة، كل ذلك جعل اللغة تقبع في جزيرتها فلا تبحر إلا لتعود إليها. وقد ظلوا كذلك، حتى جاء القرآن الكريم، يحمل أسمى ما تعرف البشرية من مبادئ وتعاليم، والقرآن الكريم ضمن لها الحياة الطيبة والعمر الطويل، فها هي ذي حية قوية، تنطق بها الملايين عالمياً. ومما لا شك فيه أن أول ما يجب على من يدخل في الإسلام هو تعلم اللغة العربية لإقامة دينه، وصحة عبادته، فأقبل الناس أفواجاً على تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولولا القرآن الكريم لم يكن للغة العربية هذا الانتشار وهذه الشهرة.

#### 5- أحدث فيها علوما لم تكن لتوجد لولاه

مثل: علوم تشريعية كالحديث والفقه وأصولهما، وعلوم لغوية كالنحو والصرف والبلاغة وفقه اللغة، وعلوم فلسفية كالمنطق والفلسفة الإسلامية والتوحيد وعلم الكلام وغيرها من العلوم.

<sup>447</sup> انظر أيضاً: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - مجلة علمية محكمة، العدد 144، السنة 41، 1429 هـ، بحث الدكتور عبد العزيز بن صالح العمار، بعنوان: التفسير البلاغي لسورة الإخلاص والمعوذتين، ص 313 - 370

## 6- جعلها تتفوق على كثير من لغات الأقبام التي جاورها العرب

بل وغير العرب أيضاً، كما هو مشاهد وملموس اليوم عندما نقارن العربية بلغات أخرى مثل الإنكليزية والفرنسية والألمانية وغيرها...<sup>448</sup>.

## 7- تأثير القرآن الكريم على النفوس البشرية

أما عن تأثير القرآن الكريم على النفوس البشرية، المؤمنة والكافرة فحدث ولا حرج. وكيف لا تتأثر النفوس البشرية والله عز وجل قد حدثنا في كتابه أن هذا القرآن الكريم قادر على أن يؤثر حتى الجمادات والصخور والجبال...، وأفضل ما وقفت في هذه المسألة؛ دراسة الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، وأرى من الفائدة اقتباس فقرات من كلامه إتماماً للفائدة العلمية وللقارئ الكريم. قال حفظه الله:

" للقرآن تأثير بليغ أحاذ على النفس الإنسانية، وهذا يدل على أنه كلام الله، لأن النفس البشرية لا تتأثر هذا التأثير عندما تسمع أو تقرأ أي كلام من كلام البشر. صحيح أن الكلام البليغ يؤثر في النفوس الواعية، سواء كان هذا الكلام شعراً أم نثراً، وكلما زادت بلاغة الكلام وفصاحته ازداد تأثيره في النفوس، لكن أثر القرآن في النفوس يزيد عن تأثير أي كلام بشري فصيح فيها. وقد أشار القرآن إلى أن له أثراً خاصاً عجبياً، حتى لو خاطب الله به الجمادات لأثر فيها وزلزلها. قال تعالى: ﴿لَوْ

<sup>448</sup> انظر <http://www.nayli.com/vb/showthread.php?t=9862> ، تم تصفح الموقع بتاريخ

أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾، [الحشر: 21]

الكفار محجوبون عن القرآن المؤثر، لو أنزل الله القرآن على جبل لأثر فيه بحث يخشع الجبل و يتصدع من خشية الله، ولكن الله لم يخاطب به الجبل، وإنما خاطب به البشر، وحري بهم أن يتأثروا به و يخشعوا الله! ولكن الناس لم يتأثروا جميعاً بهذا القرآن، فهناك من تأثروا به، وهناك من أعرضوا عنه. الكفار أعرضوا عنه، ولما سمعوا آياته نفروا منه، وبذلك كانت قلوبهم أقسى من الجبال والسبب في ذلك هو الحجاب الذي جعلوه على قلوبهم، فمنع من وصول نور القرآن إليها، وبذلك جنوا على أنفسهم. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٥﴾، [الإسراء 45-46].

وإن الكفار المحجوبين عن القرآن يعلمون أثره في النفوس عندما تنفتح عليه، وكانوا يخشعون أن يقبل عليه الأتباع ولذلك كان الملاء من الكفار يتواصلون على أن لا يسمعوا القرآن، وأن لا يسمعوا القرآن، وأن يحدثوا اللغو والضجة والضوضاء في والتشويش، لئلا يسمع أتباعهم القرآن. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾، [فصلت: 26].

أما القرآن فإنه (واثقٌ)، من أثره في النفوس، لذلك طالب المسلمين أن يتلوه على الكافر المستجير، وأن يسمعه إياه ليتأثر به. قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ

الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغُهُ مَا مَنَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ... ﴿٦﴾، [التوبة: 6].

هذا عن أثر القرآن في نفوس الكفار، أما بالنسبة للمؤمنين فإن قلوبهم مفتوحة لأنوار القرآن، ونفوسهم متأثرة به، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَفَشَّرُ مِنْهُ جُلُودٌ لِّذِينَ يُحْسِنُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِّلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٦﴾﴾، [الزمر: 23] "... 449

وقد ذكر الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي نماذج من تأثير القرآن في نفوس الكفار، قصة استماع ثلاثة من زعماء قريش للقرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة طيلة ثلاث ليل متتالية. ثم ذكر نماذج من تأثير القرآن في نفوس المؤمنين من الصحابة، وذكر قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم قصة الأستاذ سيد قطب رحمه الله مع المرأة المسيحية من يوغسلافيا السابقة عام 1949 في رحلته على ظهر السفينة من مصر إلى نيو يورك وتأثيرها الشديد بالآيات القرآنية.

449 صلاح، عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، 491 - 492، وانظر أيضاً: من

عجائب القرآن اللغوية، للأستاذ الدكتور فؤاد محمود محمد سندي، ص 41 - 101

## الخاتمة

نخلص من هذا الكلام في نهاية هذه الورقة أن فضل القرآن الكريم وتأثيره البالغ لم يكن على اللغة العربية في الحفظ والإثراء فحسب، بل إنما كان على الكون والخلق والعالمين أجمعين، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل عظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه العبد الفقير إلى عفو مولاه في كل أحواله

خادم القرآن والسنة

الدكتور خيرالدين خوجة ( الكوسوفي )

يوم الإثنين المبارك، الموافق لـ 2010/06/28

مدينة بريزن - جمهورية كوسوفا

---

وتم مراجعة هذه الدراسة مرة أخرى ضحوة يوم السبت 3 ذي الحجة 1436 هـ الموافق 2014/09/27  
الدوحة - قطر

## قضايا دينية اجتماعية سياسية في ميزان القرآن

قراءة تحليلية معاصرة في تفسير وفكر الأستاذ سيد قطب

بقلم

الدكتور خيرالدين خوجة ( الكوسوفي )

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية المشارك

كلية المجتمع - قطر

2016



أخي الكريم حفظك الله تذكر دائماً أن:

" الإسلام منهج. منهج حياة. حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها. منهج يشمل التصور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة (الوجود)، ويحدد مكان (الإنسان) في هذا الوجود، كما يحدد غاية وجوده الإنساني.. ويشمل النظم والتنظيمات الواقعية التي تنبثق من ذلك التصور الاعتقادي وتستند إليه، وتجعل له صورة واقعية متمثلة في حياة البشر، كالنظام الأخلاقي والينبوع الذي ينبثق منه، والأسس التي يقوم عليها، والسلطة التي يستمد منها. والنظام السياسي وشكله وخصائصه. والنظام الاجتماعي وأسس ومقوماته. والنظام الاقتصادي وفلسفته وتشكيلاته. والنظام الدولي وعلاقاته وارتباطاته..."<sup>450</sup>

" أما إقامة "النظام الإسلامي" ليظل البشرية كلها ممن يعتقدون عقيدة الإسلام وممن لا يعتقدونها، فتقتضي الجهاد لإنشاء هذا النظام وصيانته، وترك الناس أحراراً في عقائدهم الخاصة في نطاقه. ولا يتم ذلك إلا بإقامة سلطان خير وقانون خير ونظام خير يحسب حسابه كل من يفكر في الاعتداء على حرية الدعوة وحرية الاعتقاد في الأرض!"<sup>451</sup>.

" الأستاذ سيد قطب "

<sup>450</sup> المستقبل لهذا الدين، ص 2

<sup>451</sup> خصائص التصور الإسلامي، ص 14

## ملخص البحث

لقد صدق الإمام السيوطي في مقولته الشهيرة: " وإن كتابنا القرآن هو مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء... ".

لقد أنزل الله عز وجل القرآن الكريم ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم:1]، جعل الله عز وجل هذا القرآن معجزة حية باقية إلى يوم الدين، وما لا شك فيه أن ألوان الإعجاز في القرآن الكريم قد تنوعت وتعددت. فهنالك الإعجاز العلمي والتشريعي والتاريخي والغيبى والنفسي والطبي والفلكي... إلخ.

وبما أن القرآن معجزة ربانية لكل عصر ومصر وكتاب الإنسانية كلها وكتاب الزمن كله، فهو المنهج الإلهي المؤثر والواضح، وهو الزاد المطلوب والمفقود لكثير من الناس في هذا العصر، وهذا المنهج الإلهي من خصائصه أنه شامل، يشمل النظم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية، وأن حاجة البشر إلى هذا المنهج كبيرة. إن مواصفات وخصائص هذا المنهج الرباني قد ذكرت في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وكثير من المفكرين والعلماء القدامى والمعاصرين قد تناولها بالشرح والبيان والتفسير. إن أغلب النظم الاجتماعية والسياسية المعاصرة هي نظم وضعية بشرية بحتة - أو نظم فيها بقايا جاهلية معاصرة - كما يرى الأستاذ سيد قطب. فالإسلام لا بد أن يكون حاكماً لا محكوماً، قائداً لا مقوداً، فهو منهج غير المنهج الوضعي البشري الذي عرفته أوروبا. ففي المنهج الرباني لا عداوة بين الدين والدنيا والحضارة، ولا عداوة بين متطلبات الروح والجسد والعقل. إن النظام الإسلامي هو النظام الوحيد الذي ينقذ العالم من الإرهاق الفكري والأخلاقي والاقتصادي والسياسي، ويحقق لهم الحرية

والراحة النفسية والفكرية والاجتماعية الكاملة للناس أجمعين. فلا بد من الرجوع إلى النظام الإسلامي الوحيد لصنع جيل خالص القلب، خالص العقل، خالص التصور، خالص الشعور، مرتاح البال. إن طبيعة هذا الدين يرفض اختزال المعارف في ثلاثيات الأذهان الباردة، ولا بد لنا في هذا العصر أن نستفيد من طريقة الجيل الأول في قراءة القرآن الكريم للتلقي والتنفيذ والعمل والنجاح، وأن منهج التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرج الأجيال المعاصرة. هذه الورقة العلمية ستحاول بإذن الله أن تجيب على بعض هذه التساؤلات من خلال قراءتنا وتحليلنا لتفسير الأستاذ سيد قطب (في ظلال القرآن) إضافة إلى بعض مؤلفاته الأخرى، وبالله التوفيق والهداية والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته.

المصطلحات الرئيسية في البحث: منهج، التشريع، خصائص، نظم الإسلامية، جاهلية.

## بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بحسب كل الذوات والصفات، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ على أصحاب الحاجات وأرباب الضرورات، مالكِ يَوْمِ الدِّينِ في إيصال الأبرار إلى الدرجات وإدخال الفجار في الدركات، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ في القيام أداءً جملة التكليفات، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ بحسب كل أنواع الهدايات، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ في كل الحالات والمقامات، غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ من أهل الجهالات والضلالات. والصلاة على محمد المؤيد بأفضل المعجزات والآيات، وعلى آله وصحبه وأزواجه الطاهرات، أمهات المؤمنين والمؤمنات وسلم تسليمًا كثيرًا. فاللهم أخرجنا من ظلمات الوهم وأكرمنا بنور الفهم، وافتح علينا بمعرفة العلم، وسهل أخلاقنا بالحلم، وأخرجنا من بحور الشكوك والشبهات إلى جنات الحقائق واليقينيات إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات. وبعد؛

لقد جعل الله عز وجل القرآن الكريم مصدر عزة ورفعة للمسلمين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]، قال بعض أهل العلم: أي فيه شرفكم وقوتكم في الدنيا. ولقد كان من نهج وهدى السلف الصالح التحاكم إليه في كل شأن من شؤون حياتهم الخاصة والعامة وفي كل أمر من أمور الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وكان هذا الاحتكام إلى القرآن بكل طواعية وانقياد دون أدنى مقاومة أو ارتياب، تعبدًا لله وتقربًا إليه سبحانه لرفع الدرجات، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ

وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿الأحزاب: ٣٦﴾.

كما أن الجيل الأول الذي عاصر نزول القرآن من الصحب الكرام والتابعين لهم بإحسان توجهوا إلى القرآن بغرض التلقي والتنفيذ، بغرض التعلم والعمل فكانوا مباركين وموفقين بهذا المنهج المستقيم، وفتحوا القلوب والعقول قبل فتح القلاع والحصون. فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا القرآن والعمل به توجهوا إلى القرآن بغرض القراءة المجردة والثقافة المحضة للإكثار من المعارف والمعلومات؛ فلم يكونوا مباركين ولا موفقين بهذا المنهج السقيم وكان عاقبة أمرهم خسرًا. ولقد آن الأوان لأمة الإسلام أن تنهض من جديد بهذا القرآن حتى يكونوا من أحباب الرحمن بحسن الفهم والعمل بالقرآن؛ اقتداء بسيد ولد عدنان نبينا محمد عليه أفضل الصلاة أتم السلام. ولكي تستقيم حياة العباد ويضبط أمر البلاد؛ أوجب الله عز وجل طاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر من المسلمين، فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. ولا يجوز الخروج عليهم بحال من الأحوال، اللهم إلا إذا رأينا كفرا بواحا منه، عندنا فيه من الله برهان وحجة وسبب للخروج عليه.

وكان من رحمة الله بالناس أن جعل دعوة الإسلام للناس أجمعين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، كما أن القرآن الكريم نزل من لدن رب العالمين

لتنظيم شؤون العباد والبلاد؛ سواء من الناحية العقيدية أو الاجتماعية أو السياسية أو الأخلاقية أو الاقتصادية، وكيف لا يكون القرآن منظماً لحياتنا العامة والخاصة، ومخرجاً الناس من كل أنواع الشبهات والظلمات إلى ساحة حقائق الأنوار واليقينيات، وقد قال عز من قائل، مزكياً كتابه الكريم ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: ١١].

ولقد اشتملت التشريعات القرآنية على أوامر جليلة ومبادئ مقدسة لتنظيم حياتنا العقيدية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية. ففي مجال العقيدة والتوحيد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦]. وفيما يتعلق بالعدالة في توزيع الثروة المالية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، وقال عز من قائل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. وفيما يتعلق بالمحافظة على مال اليتيم وعدم أكل ماله بالباطل قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وفيما يتعلق بالالتزام بالأوامر الأخلاقية والدينية العامة واجتناب النواهي والمحظورات قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنزَلْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِبَاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا

الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ  
وَصَّاتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿[الأنعام: ١٥١]﴾. وقد أوصانا الله عز وجل باتباع صراطه  
المستقيم المشتمل على تلك التشريعات والأوامر والنواهي والأحكام المنزلة على لسان  
رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ  
وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:  
١٥٣]، وتوعدنا إذا ما ابتعدنا وأعرضنا عن منهجه القويم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ  
عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

وبسبب الإعراض عن تلك الإرشادات الربانية والهجر لتلك الأوامر الإلهية،  
فإن الأمة الإسلامية بعد الخلافة الراشدة إلى يومنا هذا عاشت ولا تزال تعيش بين  
آمال النهضة والوعود القرآنية المشرقة تارة، وبين دركات السقوط والهاوية والتخلف  
والرجعية تارة أخرى. فهي في الوقت الراهن تعاني محلياً وعالمياً من الضعف والتمزق  
الداخلي الطائفي المذهبي، والفشل الصناعي، والتخلف العلمي، والجمود الفكري،  
وفقدان منهج السير على الهدى الرباني رغم امتلاكها لكل المقومات الطبيعية والبشرية  
والاقتصادية. إنها لا تهتدي إلى القرآن منهجاً وعملاً، ولا إلى الله عز وجل إيماناً وثقة،  
ولا إلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم تمسكاً واتباعاً. لم يشهد التاريخ الإسلامي  
المعاصر ولا القديم مرحلة أشد ذلة وتخلفاً، وأضعف وأجبن موقفاً من هذه المرحلة  
التي كُتبت لنا العيش فيها في هذا القرن (القرن العشرون وبدايات الحادي والعشرين).  
إن أكبر دليل وأعظم برهان على هذه الحقيقة المؤلمة والمررة؛ الحروب التي حدثت في  
العراق وأفغانستان وبلاد البلقان (البوسنة والهرسك وكوسوفا ومقدونيا) وبلاد القوقاز

( الشيشان)، والحرب الجارية الآن في سوريا وأنا أسطر هذه الأسطر<sup>452</sup>. يا لها من عار وخيبة أمل! عشرون شهراً؛ المجازر والإبادة الجماعية وحمامات الدماء لا تتوقف! القصف والتدمير مستمر! القتل والتشريد على قدم وساق! صرخات الثكالي والأيتام والأرامل والأطفال والشيوخ العزل وصلت عنان السماء؛ وامتعصماه! و وا عُمرَاه! أسمعت لو أنها نادت الأحياء! ولكن لا حياة لمن تنادي! هل من مجيب؟! هل من معين؟! هل من نخوة معتصم معاصر! هل من صلاح الدين! هل من خليفة أو رئيس أو ملك أو أمير مسلم يستجيب لصرخات المضطرين؟

قادة المسلمين أجمعين في القارة الأرضية كلها؛ غير قادرين على التدخل العسكري لوقف بطش الشبيحة الأسدية والمرتزة النصيرية من قوات النظام السوري المجرم القاتل الفتاك!! حسي الله عليهم أجمعين ولا حول ولا قوة إلا بالله! فإلى متى هذا الذل والهوان؟! إلى متى هذا الشجب الشفهي المحلي والدولي؟! علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى. إنهم يحتكمون إلى القوانين البشرية العبثية، وينتظرون قرارات دول مجلس الأمن الوهمية، ويستمعون إلى الإدانات المكررة من الاتحاد الأوروبي والأمريكي؛ الشكلية، ويرون التأييد الروسي والصيني والإيراني اللاإنساني علناً جهاراً لهذه الحرب وهذه الطائفة العلوية الشيوعية الاشتراكية العلمانية، المهلكة للحرث والنسل؛ والأمة الإسلامية للأسف لا تزال ترجو من الدساتير البشرية المصنوعة أن تخرجها من تيهها وتخلفها وتنتظر النصر من هؤلاء. فلا حاكمية لله، ولا اتباع لمنهج الله، ولا طاعة لرسوله الكريم! ولا رفع لراية الجهاد لحماية حقوق المسلمين وأعراضهم! إنها تحتضر وتوجه صرخات مؤلمة للخروج مما هي فيه! فلا منجى ولا ملجأ من الله

<sup>452</sup> وأنا الآن أعيد النظر مجدداً لهذه الدراسة قبل النشر وقد دخلت الحرب في سوريا عامها السادس!!! والدماء والأشلاء والكيماوي والقصف الوحشي الروسي مع نظام الأسد، والمليشيات الشيعية الإيرانية والباكستانية واللبنانية والعراقية لا تكف عن المذابح والتدمير وإهلاق الحرث والنسل...، إلى الله الشكوى وحسي الله على الظالمين أينما كانوا وبغض النظر من كانوا.



إلا إليه سبحانه! متناسية أن مفاتيح النجاح والتفوق والتغيير في يدها، قال تعالى:  
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا تَعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ  
سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

### أسئلة الدراسة

هذه الورقة العلمية ستحاول الإجابة على التساؤلات الآتية:

- 1- ما منهج الجيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم مع القرآن الكريم؟
- 2- ما مدى تأثير الأستاذ سيد قطب بذلك المنهج؟
- 3- ما منهج القرآن الكريم في معالجة القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية؟
- 4- ما حقيقة التصور للعقيدة والشريعة الإسلامية عند الأستاذ سيد قطب؟
- 5- ما الزاد الفكري والعقدي والثقافي المطلوب للمفسرين والدعاة إلى الله

### لإنجاح تطبيق الشريعة الإسلامية بكافة نظمها؟

للقوف على أجوبة هذه الأسئلة سنقف عن قرب على فكر وتجربة فارس من  
فرسان الفكر والتفسير والدعوة الإسلامية - الأستاذ سيد قطب رحمه الله من خلال  
تفسيره لبعض الآيات القرآنية في **ظلال القرآن** وبعض مؤلفاته الأخرى، عسى ولعل  
تكون مثل هذه الدراسات مشجعة للقادة المسلمين خاصة، والمسلمين عامة لاسترداد  
تطبيق الشريعة الإسلامية على بصيرة وعلم ونور، وباسترداد تطبيق الشريعة الإسلامية  
تسترد كرامة وعزة المسلمين المفقودة. نسأل الله تبارك وتعالى التوفيق والسداد إنه تعالى  
ولي ذلك والقادر عليه.

## سبب اختيار الدراسة

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد؛ ولعمري لن تجد فيها مثل الضلال! كتب الله عز وجل لهذا التفسير القبول في قلوب الناس قبل عقولهم، ونال هذا التفسير وصاحبه حب القراء - العرب والأعاجم - وإعجابهم محلياً ودولياً وإن لم يلتقوا بصاحبه. شهد بذلك القاضي والداني، العرب والعجم، المسلم والكافر، السياسي والعلماني، الملحد والمتدين، الخطيب والإمام، التلميذ والأستاذ، الرجل والمرأة، الشاب والفتاة، المثقف والفلاح. وما كان لهذا التفسير أن يحظى بهذا القبول لولا صدق وإخلاص صاحبه مع نفسه أولاً ثم مع الله عز وجل ثانياً، ثم إيمانه بالفكرة والقضية التي آمن بها ثالثاً. لقد جاهد وكتب لأجلها ودافع عنها، وأخيراً دفع حياته ثمناً لها. فهو حقاً مفسر قد كتب تفسيره بعدد من الأمدّة: مداد الحبر، والدم، ثم زرعه في تربة الإخلاص، وسقاه بماء الصدق، وتعهده بقوة الشجاعة وحصنه بسر الخشية والتقوى. نحسبه عند الله من الشهداء، ولا نزكي على الله أحداً والله حسيناً وحسيبه. ولكون هذا التفسير من التفاسير المعاصرة قد ناقش قضايا عقيدية واجتماعية وسياسية كثيرة متجاوزاً بذلك عصر الخلافات الفلسفية والمذهبية التقليدية الضيقة، مركزاً على رسالة القرآن العالمية والشاملة؛ فإنني على يقين بأن الفكر التفسيري لصاحبه قد بلغ أشده واستوى على سوقه، كما أن ثمارها قد أينعت وآتت أُكُلها بإذن ربها في كل البلاد. فهو جدير بالمطالعة والدراسة والتحليل والنقد البناء والإستكشاف. إن الآراء والاجتهادات التي ذهب إليها صاحب هذا التفسير قد نبعت من خلاله معاشته وفهمه للقرآن الكريم مباشرة لفترة طويلة من عمره، وفي نهاية المطاف يظل رحمه الله بشراً يصيب ويخطئ، ولا يخفى على شريف علمكم ما للمصيب من الأجر المضاعف وما للمخطئ من

أجر. فهو مأجور بكلتا الحالتين، ليت قومي وإخواني وزملائي الباحثون والعلماء والمشايخ يفقهون هذه الحقيقة الشرعية المغيبة من أقلوبهم وعقولهم. فهو عاش كمفسر لكتاب الله وباحث عن الحق فيه. فالذين ردوا عليه أو انتقدوه أو اتهموه؛ فهؤلاء جميعاً ينتقدوه من خلال علم التفسير المجرد؛ كفن وعلم مستقل له شروطه وآلياته وضوابطه وأصوله وقواعده ومناهجه. إن الانصاف العلمي المنهجي النزيه والموضوعي؛ يقتضي أن نرد عليه من خلال علم التفسير وقواعده وأصوله، وأن نثبت أخطاءه وخلله وانحرافه من خلال نظرنا لقواعد التفسير ومدى احترام الأستاذ سيد قطب لها والتزامه بها، والنظر في مدى توافر هذه المؤهلات العلمية والثقافية لدى هذا المفسر<sup>453</sup>.

هذا العمل هو المطلوب منا جميعاً، وللأسف لحد الآن لم أجد شيئاً من ذلك! جميع الذين ردوا عليه واتهموه؛ ناقشوه من مختلف المنطلقات الفكرية والثقافية والعقيدية التي ينتمون إليها ولم يناقشوه كمفسرين! فهذا أمر طبيعي أن يختلفوا معي ومعك ومعهم! لأن الرؤى والاجتهادات لا تتساوى، فهذه التعددية من رحمة الله ومن سنة الله في الكون، ولا حرج في ذلك، والله أعلم.

### إشكالية الدراسة:

تكمن الإشكالية في هذه الدراسة؛ أنه قد لوحظ في الآونة الأخيرة في كتابات بعض الدارسين والمحسوبين على العلم والإسلام، في قديم الزمان ومعاصره، أن القرآن الكريم غير قادر على حل مشاكلنا الإجتماعية والدينية والسياسية والإقتصادية، وأنه

<sup>453</sup> لكتاب هذه السطور بحث محكم منشور بعنوان "المؤهلات العلمية والثقافية التي يجب أن يتحلى بها المفسر في

العصر الحديث - الأستاذ سيد قطب أمودجاً" من مطبوعة (جمعية المحافظة على القرآن الكريم) المؤتمر العالمي الثاني

تفسير القرآن - مناهج آفاق" بعمان - الأردن، عام 2008

ينبغي تبني النظام العلماني الذي يفصل الدين عن الدولة! ظانين أن القرآن الكريم له منهج غير شمولي وغير وسطي وغير واقعي لمتطلبات الناس والعصر الذي نعيش فيه، إلى آخر ما هنالك من الافتراءات والترهات! وبالطبع هذا الفكر هو فكر مجحف وغير منصف في حق القرآن الكريم والشريعة الإسلامية. صاحب هذا المقولة إما جاهل بحقيقة الإسلام أو متجاهل! فجاء فارس من فرسان هذا الدين يبين بطلان هذه المقولة جملة وتفصيلاً.

### الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات السابقة عن فكر ومنهج الأستاذ سيد قطب وتفسيره فحدث ولا حرج، قد فصلت القول فيها في كتابي الأخير بعنوان: خريطة الدعوة إلى رب الأنام في تفسير الأستاذ سيد قطب لسورة الأنعام، فإني أحيل القراء الكرام إلى هناك<sup>454</sup>، فلا أرى من المناسب إقحام تلك الدراسات هنا على حساب عمق البحث العلمي هنا.

هذا وقد قسمت بحثي إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة. ذكرت بالمقدمة أهمية البحث وسبب اختياري لهذا الموضوع وأسئلة البحث. وتحدثت في المبحث الأول عن حال السلف الصالح مع القرآن وتأثر الأستاذ سيد قطب بذلك. وتحدثت في المبحث الثاني عن بعض القضايا العقيدية مثل التصور الاعتقادي في الإسلام – المضمون والأبعاد، وتحدثت في المبحث الثالث عن بعض القضايا الاجتماعية مثل طبيعة المجتمع الكافر ومعنى الدخول في الإسلام حقيقة وصفات المجتمع المسلم المثالي،

<sup>454</sup> انظر: خوجة، خيرالدين؛ خريطة الدعوة إلى رب الأنام في تفسير الأستاذ سيد قطب لسورة الأنعام، ط 1،

2015، مترو ويتسا – كوسوفا، ص 11-19

وتحدثت في المبحث الرابع عن بعض القضايا السياسية مثل الأنظمة البشرية واتخاذ الأرباب من الله ومعنى الحاكمية لله. ثم ذكرت الخاتمة والنتائج.

## المبحث الأول : حال الجيل الأول مع القرآن وتأثر الأستاذ بمنهج ذلك الجيل

### المطلب الأول: حال الجيل الأول مع القرآن

يرى الأستاذ سيد قطب رحمه الله أن القرآن الكريم هو عمدتنا وحجتنا وإمامنا وسر قوتنا في أمورنا كلها؛ الدينية والدنيوية، فمن ابتغى الهدى والرشاد في غيره أضله وأذله الله. قال رحمه الله:

" هذا القرآن هو كتاب هذه الدعوة. هو روحها وباعثها. وهو قوامها وكيانها. وهو حارسها وراعيها. وهو بيانها وترجمانها. وهو دستورها ومنهجها. وهو في النهاية المرجع الذي تستمد منه الدعوة - كما يستمد منه الدعاة - وسائل العمل ، ومنهاج الحركة ، وزاد الطريق... " 455.

كما أنه رحمه الله يحذر الأمة الإسلامية من الوقوع في أخطاء منهجية في التعامل مع القرآن<sup>456</sup>. إن الذي يعصم الأمة الإسلامية من الوقوع في مثل هذه الأخطاء هو: استحضار حال الجيل الأول الذي عاصر نزول القرآن وكيفية تعامله مع هذا الكتاب، فقال رحمه الله:

"...ولكن ستظل هنالك فجوة عميقة بيننا وبين القرآن ما لم نتمثل في حسنا، ونستحضر في تصورنا أن هذا القرآن خوطبت به أمة حية، ذات وجود حقيقي؛ ووجهت به أحداث واقعية في حياة هذه الأمة؛ ووجهت به حياة إنسانية

455 قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، دار الشروق، ط2، 1980، القاهرة، ج2، ص 2 من مقدمة تفسير سورة آل

عمران

456 حول كيفية التعامل الأمثل مع القرآن الكريم تلاوة وحفظاً وفهماً وتدبراً وتفسيراً... راجع كتاب الدكتور يوسف

القرضاوي: كيف نتعامل مع القرآن، ص: 10 - 175، دار الشروق، ط1، 1999، القاهرة.

حقيقية في هذه الأرض؛ وأديرت به معركة ضخمة في داخل النفس البشرية وفي رقعة من الأرض كذلك. معركة تموج بالتطورات والانفعالات والاستجابات...<sup>457</sup>.

وعلى رحمه الله يرى بأن الذي حال بين تقدم الأمة الإسلامية والاستفادة المباشرة من القرآن الكريم هو وجود ذلك الحاجز المعنوي بمثابة الران على القلب الذي حال بينها وبين القرآن الكريم. ويتمثل هذا الحاجز في تلاوات وتراتيل المسلمين الذين يتلون كتاب الله بألستهم ولا تتجاوز حناجرهم؛ فهم غير مبالين بتطبيق المعاني المستنبطة من القرآن في واقع حياتهم، فقال رحمه الله:

"...وسيظل هنالك حاجز سميك بين قلوبنا وبين القرآن، طالما نحن نتلوه أو نسمعه كأنه مجرد تراتيل تعبدية مهومة، لا علاقة لها بواقعات الحياة البشرية اليومية التي تواجه هذا الخلق المسمى بالإنسان، والتي تواجه هذه الأمة المسماة بالمسلمين! بينما هذه الآيات نزلت لتواجه نفوساً ووقائع وأحداثاً حية، ذات كينونة واقعية حية؛ ووجهت بالفعل تلك النفوس والوقائع والأحداث توجيهها واقعياً حياً...<sup>458</sup>.

وتكمن ضرورة الاقتداء بمنهج الجيل الأول - منهج السلف الصالح - في التعامل مع القرآن الكريم؛ في كون القرآن معجزة حية باقية إلى قيام الساعة. فمعجزة القرآن الكريم لم تنته بنزوله في وقت مضى وعلى أمة قد خلت! كلا إنها معجزة مستمرة باقية إلى قيام الساعة، قادرة على مواجهة الواقع البشري المرير بكل ألوانه وأشكاله - هو رحمه الله سمي هذا الواقع المؤلم بـ: ( الجاهلية المعاصرة ). فالقرآن الكريم كتاب حيٌّ قادرٌ حركي ينبض بالحياة والحركة لمواجهة ومقاومة التحديات المختلفة. قال رحمه الله:

<sup>457</sup> قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، ج2، ص 2-3

<sup>458</sup> قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، ج2، ص 4

"...ومعجزة القرآن البارزة تكمن في أنه نزل لمواجهة واقع معين في حياة أمة معينة، في فترة من فترات التاريخ محددة، وخاض بهذه الأمة معركة كبرى حولت تاريخها وتاريخ البشرية كله معها، ولكنه - مع هذا - يعايش ويواجه ويملك أن يوجه الحياة الحاضرة، وكأنما هو ينتزل اللحظة لمواجهة الجماعة المسلمة في شؤونها الجارية، وفي صراعها الراهن مع الجاهلية من حولها، وفي معركتها كذلك في داخل النفس، وفي عالم الضمير، بنفس الحيوية، ونفس الواقعية التي كانت له هناك يومذاك..."<sup>459</sup>.

أقول: إن نظرة الأستاذ سيد قطب إلى طريقة تعامل الجيل الأول - جيل السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين - مع القرآن الكريم فهماً وعملاً، تلقياً وتنفيذاً في واقع حياتهم، لعبت دوراً أساسياً في صقل فهمه لإدراك قوة القرآن الفاعلة وحقيقة حيويته الكامنة ف توجيه الأمة الإسلامية، فقال رحمه الله: "...ولكي نحصل نحن من القرآن على قوته الفاعلة، وندرك حقيقة ما فيه من الحيوية الكامنة، ونتلقى منه التوجيه المدخر للجماعة المسلمة في كل جيل...، ينبغي أن نستحضر في تصورنا كينونة الجماعة المسلمة الأولى التي خوطبت بهذا القرآن أول مرة...، كينونتها وهي تتحرك في واقع الحياة، وتواجه الأحداث في المدينة وفي الجزيرة العربية كلها؛ وتتعامل مع أعدائها وأصدقائها؛ وتتصارع مع شهواتها وأهوائها؛ ويتنزل القرآن حينئذ ليواجه هذا كله، ويوجه خطاها في أرض المعركة الكبيرة: مع نفسها التي بين جنبيها، ومع أعدائها المتربصين بها في المدينة وفي مكة وفيما حولهما... وفيما وراءهما كذلك..."<sup>460</sup>.

459 المصدر السابق، الجزء والصفحة.

460 المصدر السابق



لقد أدرك الأستاذ سيد قطب رحمه سر تأثير القرآن الكريم في النظر في طريقة معاشة الجيل الأول للقرآن الكريم وفي كيفية تعامله المباشر معه في شؤونه اليومية. لقد كان القرآن خير معلم لهم؛ بسط لهم كلتا يديه لكي يرببهم ويثقفهم وينهض بهم إذا ما عثروا خطوة خطوة بالتدرج، تماماً مثل الإنساني المرابي المشفق والمهتم بمن يربيه، فقال رحمه الله:

"...أجل ... يجب أن نعيش مع تلك الجماعة الأولى؛ ونتمثلها في بشريتها الحقيقية، وفي حياتها الواقعية، وفي مشكلاتها الإنسانية؛ ونتأمل قيادة القرآن لها قيادة مباشرة في شؤونها اليومية وفي أهدافها الكلية على السواء؛ ونرى كيف يأخذ القرآن بيدها خطوة خطوة. وهي تعثر وتنهض. وتحيد وتستقيم. وتضعف وتقاوم. وتتألم وتحتمل. وترقى الدرج الصاعد في بطء ومشقة، وفي صبر ومجاهدة، تتجلى فيها كل خصائص الإنسان، وكل ضعف الإنسان، وكل طاقات الإنسان...<sup>461</sup>.

وبعد بيان الأستاذ لهذه الحقيقة التاريخية والمعلم المنهجي في كيفية التعامل مع القرآن الكريم؛ أكد بقوة بأن الأمة الإسلامية بإذن الله ستعيد مجدها وقوتها وفعاليتها بهذا القرآن الكريم؛ إن تعاملت مع القرآن الكريم وفق تلك الأسس والضوابط، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يقال للقرآن إنه كتاب قديم لا يصلح لقيادة البشرية؛ كما لا يصلح أن يقال إن الشمس قديمة ولا بد من استبداله بنجم جديد، فهذا أمر مضحك! قال رحمه الله:

"...إننا بهذه النظرة سنرى القرآن حياً يعمل في حياة الجماعة المسلمة الأولى؛ ويملك أن يعمل في حياتنا نحن أيضاً. وسنحس أنه معنا اليوم وغداً. وأنه ليس مجرد تراتيل عبودية مهومة بعيدة عن واقعنا المحدد، كما أنه ليس تاريخاً مضى وانقضى

<sup>461</sup> قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، ج2، ص 2 - 4

وبطلت فاعليته وتفاعله مع الحياة البشرية. إن القرآن حقيقة ذات كينونة مستمرة كهذا الكون ذاته. الكون كتاب الله المنظور. والقرآن كتاب الله المقروء. وكلاهما شهادة ودليل على صاحبه المبدع؛ كما أن كليهما كائن ليعمل... والكون بنواميسه ما زال يتحرك ويؤدي دوره الذي قدره له بارئه. الشمس ما زالت تجري في فلکها وتؤدي دورها، والقمر والأرض، وسائر النجوم والكواكب لا يمنعها تطاول الزمان من أداء دورها...، والقرآن كذلك أدى دوره للبشرية، وما يزال هو هو. فالإنسان ما يزال هو هو كذلك. ما يزال هو هو في حقيقته وفي أصل فطرته. وهذا القرآن هو خطاب الله لهذا الإنسان - فيمن خاطبهم الله به. خطاب لا يتغير، لأن الإنسان ذاته لم يتبدل خلقاً آخر، مهما تكن الظروف والملابسات قد تبدلت من حوله، ومهما يكن هو قد تأثر وأثر في هذه الظروف والملابسات...، والقرآن يخاطبه في أصل فطرته وفي أصل حقيقته التي لا تبدل فيها ولا تغيير... " 462.

### المطلب الثاني: تأثر الأستاذ بمنهج ذلك الجيل

ما من شك أن القرآن الكريم كلما أعيد قراءته مرة بعد مرة وتارة تلو الأخرى؛ فإن معين المعاني الجديدة تتدفق بالقوة وتتولد وتتكاثر من جديد تلقائياً في قلب وعقل قارئ القرآن المخلص، وهذا أمر مجرب لكثير من المخلصين المشتغلين بالقرآن الكريم، ولعل هذه من بركات خدمة ومعجزة القرآن الكريم. فهو يعطي لك العلوم والأسرار والحكم والمعاني بقدر ما أنت تعطي له من الاهتمام والحفاظة والرعاية والإكرام والمحبة والإخلاص والوفاء والعمل. وهذا الذي حدث تماماً مع الأستاذ سيد

462 المصدر السابق، وانظر: زروق، نصير؛ مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب، دار السلام، ط1،

قطب. لقد امتاز فكر الأستاذ التفسيري بالأصالة والعمق<sup>463</sup>، وكان سر هذا العمق في الفهم، وسر هذه الرزانة هو طول الصحبة للقرآن الكريم تلاوة وفهماً وتدبراً وتفسيراً وعملاً ودعوة إليه؛ "...وهذا يقين نستمدّه من طول الصحبة لهذا القرآن. وطول الصحبة لذلك للمحاولات البشرية في البيان. وطول المزاولة الشخصية للكتابة فترة من العمر طويلة...<sup>464</sup>.

لقد أدرك رحمه الله أنه يجب أن يكون التعامل مع القرآن الكريم مباشراً دون واسطة، كما أنه ينبغي أن يجعل النص القرآني هو الأساس والمحور يحتكم إليه وينقاد له، ولا ينبغي إخضاع النص القرآني لآرائنا ومعتقداتنا السابقة كما هو الحال مع بعض المنتسبين للعلم. إن كلام العلماء والمفسرين للنصوص القرآنية ليس إلا مجرد عوامل وجسور مساعدة للتعامل مع القرآن، وليس كلام العلماء هو الهدف والمقصد. فهم - رحمه الله جميعاً وجزاهم الله خيراً - قاموا بدور الوسيط والجسر، وبينوا ما فهموا في إطار اجتهادهم الشخصي، ولكنهم لم يغلقوا أبواب الفهم للنصوص القرآنية أو النبوية لمن يأتي بعدهم إذا توفرت فيهم آليات الفهم والاجتهاد. فهذه حقيقة علمية ينبغي أن لا ننساها. يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

"... سلكت منهجاً قد يكون غريباً بعض الشيء على القارئ الحديث الذي تعود- حتى في البحوث الإسلامية الخالصة، أن يرى الآيات القرآنية تساق لمجرد الاستشهاد في مواضع من البحث على القضية التي يقررها الكاتب بعبارته... المنهج الذي سلكناه هنا على النقيض من هذا.. منهجنا يحاول أن يجعل النص القرآني هو الأصل الذي يتولى تقرير الحقائق التي يتألف منها البحث، وأن يجعل عبارتنا البشرية

<sup>463</sup> انظر: قطب، سيد؛ مقومات التصور الإسلامي، دار الشروق، ط4، القاهرة، 1998، ص153-154

<sup>464</sup> المصدر السابق: ص39

مجرد عامل مساعد... نريد لهذا القارئ أن يتعود التعامل مع القرآن ذاته تعاملاً مباشراً. كلما أعوزته حقيقة في شأن من شؤون الحياة كلها، وأراد أن يصل إلى الحق...".  
465

ويقرر الأستاذ سيد هذه القاعدة؛ قاعدة الاستلham المباشر من القرآن الكريم دون مقررات أو روايب سابقه، كما أن على الدعاة والمسلمين أن يفهموا العقيدة الإسلامية صافية بأسلوبها الخاص وليس على أسلوب الطريقة الفلسفية. قال رحمه الله:

"منهجنا إذن أن نستلهم القرآن الكريم مباشرة، وألا نواجهه بمقررات سابقة إطلاقاً، لا مقررات عقلية ولا مقررات شعورية من روايب الثقافات التي لم نستقها من القرآن ذاته، نحاكم إليها نصوصه، أو نستلهم معاني تلك النصوص وفق تلك المقررات السابقة. لقد جاء النص القرآني -ابتداءً- لئيشئ المقررات الصحيحة التي يريد الله أن تقوم عليها تصورات البشر، وأن تقوم عليها حياتهم، وأقل ما يستحقه هذا التفضل من العلي الكبير، أن يتلقوها وقد فرغوا قلوبهم وعقولهم من كل غبشٍ دخيل، ليقوم تصورهم الجديد نظيفاً من كل روايب الجاهليات -قديمها وحديثها على السواء- مستمداً من تعليم الله وحده، لا من ظنون البشر، التي لا تغني من الحق شيئاً...، لا بد أن تُعرض العقيدة بأسلوب العقيدة، إذ أن محاولة عرضها بأسلوب الفلسفة يقتلها ويطفئ إشعاعها وإيحاءها، ويقصرها على جانب واحد من جوانب الكينونة الإنسانية الكثيرة"<sup>466</sup>.

<sup>465</sup> قطب، سيد؛ مقومات التصور الإسلامي، ص 39

<sup>466</sup> قطب، سيد؛ خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص 13

من هنا ندرك سر اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم في تحديد وتوحيد مصدر التلقي والتعلم في فترة التكوين الأولى لجيل الصحابة؛ وهو التركيز والاعتماد على كتاب الله سبحانه وحده، لتخلص نفوسهم له وحده ويستقيم عودهم على منهجه وحده. ومن ثم غضب أن رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستقي العلم والمعرفة من نبع آخر.. عندما رأى صحيفة من التوراة - أي في يد عمر -، كل ذلك حصل بغرض صنع جيل خالص القلب، خالص العقل، خالص التصور، خالص الشعور، خالص التكوين، مصون من مؤثر آخر غير المنهج الإلهي..<sup>467</sup>. ولا يمكننا صناعة جيل تلك هي صفاتهم ومناقبهم إلا بالتعلم من طريقة ذلك الجيل في تعاملهم مع القرآن الكريم، والذي عاصر نزول القرآن وملايساته وظروفه الاجتماعية والنفسية. ولقد نوه الأستاذ سيد قطب أكثر من مرة إلى أن الجيل الأول كان يقرأ القرآن ليتلقى أمر الله في خاصة شأنه وشأن الجماعة التي يعيش فيها بهدف العمل والتطبيق وليس بهدف الدراسة والثقافة والمتاع:

"... إن منهج التلقي للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول. ومنهج التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرج الأجيال التي تليه"<sup>468</sup>.

وقد يعترض معترض على هذه الحقيقة التاريخية أو القاعدة المنهجية، غير أن الأستاذ سيد قطب سرعان ما فصل وأزال هذا الإشكال المنهجي العالق في أذهان الكثيرين من الناس قائلاً:

"... إن طبيعة هذا الدين ترفض اختزال المعارف الباردة في ثلاثيات الأذهان الجامدة! إن (المعرفة) في هذا الدين تتحول لتوها إلى (حركة) وإلا فهي ليست من

<sup>467</sup> قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ط1، مطبعة الفيصل، 1988،

ص17

<sup>468</sup> قطب، سيد؛ معالم في الطريق، دار القلم، ط3، بيروت، 2001، ص: 19

جنس هذا الدين!...، وحين كان القرآن يتنزل، لم يتنزل بتوجيه أو حكم إلا لتنفيذه لساعته أي ليكون عنصراً حركياً في المجتمع الحي...، إن كل نص قرآني يمثل استجابة حية لحالة واقعة أو دفعة حية لإنشاء حالة مطلوبة...، ومن ذلك تنزلت الأحكام التشريعية كلها في المدينة كحركة في المجتمع المسلم الذي قام هناك، ولم ينزل حكم واحد منها في مكة ليختزن - كمعرفة مجردة، حتى يجيء وقت التنفيذ في المدينة!...، إن المعرفة للمعرفة ليست منهجاً إسلامياً...، في الإسلام المعرفة للحركة. والعلم للعمل، والعقيدة للحياة... " 469.

ومن خصائص ذلك الجيل الأول أن أحدهم عندما كان يعتنق الإسلام فهو يبدأ عهداً جديداً في حياته ويطوي صفحة الماضي - الجاهلية - بأكملها؛ وينزل من الماضي عن طريق عزلة شعورية في داخل نفسه، وإن بدى في ظاهر الأمر أنه يتاجر ويتعامل مع المجتمع الجاهلي من حوله. لقد أشار الأستاذ إلى هذه الحقيقة قائلاً:

"...لقد كان الرجل حين يدخل الإسلام يخلع على عتبته كل ماضيه في الجاهلية. كان يشعر في اللحظة التي يجيء فيها إلى الإسلام أنه يبدأ عهداً جديداً...، كانت هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضي المسلم في جاهليته وحاضره في إسلامه، تنشأ عنها عزلة كاملة في صلاته بالمجتمع الجاهلي من حوله وروابطه الاجتماعية...، حتى ولو كان يأخذ من بعض المشركين ويعطي في عالم التجارة - اليومي - فالعزلة الشعورية شيء والتعامل اليومي شيء آخر... " 470.

469 قطب، سيد؛ مقومات التصور الإسلامي - القسم الثاني، ص 15 - 30؛ وانظر: خصائص التصور الإسلامي -

القسم الأول، للمؤلف سيد قطب، ص 10

470 قطب، سيد؛ معالم في الطريق، ص 19-20

## المبحث الثاني: قضايا دينية معاصرة من منظور الأستاذ سيد قطب

لقد كان للإسلام فضل عظيم في إنقاذ الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد الخالص، من ظلمات الجور إلى نور العدل والمساواة، من ظلمات الخرافة والتقليد الأعمى إلى نور العقل والبرهان الساطع، من ظلمات الفرضيات والشكوك إلى نور الحقائق واليقينيات. يقول الأستاذ سيد قطب:

" جاء الإسلام، وفي العالم ركام هائل، من العقائد والتصورات، والفلسفات، والأساطير، والأفكار والأوهام، والشعائر والتقاليد، والأوضاع والأحوال... يختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالزائف، والدين بالخرافة، والفلسفة بالأسطورة... والضمير البشري - تحت هذا الركام الهائل - يتخبط في ظلمات وظنون، لا يستقر منها على يقين. والحياة الإنسانية - بتأثير هذا الركام الهائل - تتخبط في فساد وانحلال، وفي ظلم وذل، وفي شقاء وتعاسة، لا تليق بالإنسان، بل لا تليق بقطيع من الحيوان!"

471

وفيما يلي من المطالب مناقشة بعض القضايا العقيدية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية من منظور الأستاذ سيد قطب، والله الموفق والهادي والمعين.

471 قطب، سيد؛ خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص 19

## المطلب الأول: التصور الاعتقادي في الإسلام: حقيقة المضمون والأبعاد

يرى الأستاذ سيد قطب رحمه الله أن الإسلام منهج إلهي شامل وكامل منظم لحياة الإنسان بأكمله وفي كل المجالات، ولكون الإسلام موصوفاً بهذه الخصائص والمميزات، فقد تعب الأعداء نفسياً وفكرياً في توجيه الهجمات المختلفة على الإسلام، مشيراً إلى أن المبادئ الإسلامية في جملتها ما هي إلا:

"...منهج يشمل التصور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة الوجود ويحدد مكان الإنسان في هذا الوجود، كما يحدد غاية وجوده الإنساني...، ويشمل النظم والتنظيمات...، كالنظام الأخلاقي...، وخصائصه، والنظام الاجتماعي وأأسسه ومقوماته، والنظام الاقتصادي وفلسفته وتشكيلاته والنظام الدولي وعلاقته وارتباطاته<sup>472</sup>،... لقد كانت هذه الخصائص في هذا الدين...، خصائص الشمول والواقعية والهيمنة...، هي التي تعبت منها الصليبية في هجومها على الأمة المسلمة...، في الوطن الإسلامي كما أنها هي التي تعبت منها الصهيونية العالمية كذلك<sup>473</sup>.

ولإبراز أهمية وحقيقة التصور الاعتقادي في الإسلام، فإننا نفضل عرض فكر

الأستاذ حول هذه المسألة من خلال المعالم التالية:

<sup>472</sup> قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين، ص 3

<sup>473</sup> المرجع السابق، ص 5؛ وانظر: مقدمة كتاب: نحو مجتمع إسلامي، للأستاذ سيد قطب، ص 2-3



## أولاً: أثر العقيدة الإسلامية على الناس

ولكون الإسلام منهجاً إلهياً فإن أثره وفضل هذا المنهج الإلهي كان كبيراً، يظهر ذلك واضحاً في كونه أنه استطاع خلال فترة وجيزة جداً أن يؤثر في حياة البشر وعاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم وجعل منهم أئمة وقادة للعالم بعد أن كانوا في أحط المستوى البشري سواء من الناحية الدينية أو السياسية أو الاجتماعية والخلقية، قائلاً: " لقد استطاعت تلك الفترة أن تنشئ في واقع الحياة البشرية عدداً كبيراً من الشخصيات النموذجية تتمثل فيها الإنسانية العليا بصورة غير مسبقة، فإن البناء الروحي والاجتماعي والسياسي، الذي قام على أساس هذا المنهج السامق الفريد والذي لم يستغرق بناؤه سوى قرن واحد من الزمان - بل ونصف قرن في الحقيقة، قد ظل يقاوم...، جميع العدوات التي ساورته وجميع الهجمات الوحشية التي شنت عليه...، أكثر من ألف عام...، فما تزال هذه الأصول قادرة على البعث الجديد حين يعتنقها جيل جديد"<sup>474</sup>، حيث أن السر في هذا الأمر هو تعامل هذا المنهج مع الفطرة الإنسانية، كما أشار الأستاذ إلى ذلك:

"والسر الكامن فيه هو تعامله المباشر مع الفطرة واستمداده المباشر من رصيدها المكنون. وهو رصيد هائل، ورصيد دائم، وحيثما التقى مع هذا المنهج تفجرت ينابيع الثروة وفاض فيضه المكنون..."<sup>475</sup>، معللاً سر هذه القضية قائلاً:

<sup>474</sup> قطب، سيد؛ خصائص التصور الإسلامي، ص28

<sup>475</sup> المصدر السابق: ص41-42

"...إنه منهج سامق فعلاً ولكنه في الوقت ذاته منهج فطري يعتمد على  
رصيد الفطرة...، وحين تستقيم النفس مع فطرتها وحين تلي حاجاتها وأشواقها وحين  
تطلق طاقاتها للعمل والبناء، فإنها تجرى مع الحياة في يسر وطواعية..."<sup>476</sup>.  
ويرى الأستاذ سيد قطب أن ازدهار الشريعة الإسلامية في فترة تاريخية مضت  
لا يعني عدم قدرة عودتها مرة أخرى! لأن الذي حدث لم تكن معجزة خارقة لا  
تتكرر! وإنما تم ذلك بجهد بشري وحدود طاقتهم، قال رحمه الله:  
"... وهذا الذي يحدث لم يتم بمعجزة خارقة لا تتكرر ولكنه تحقق - وفق سنة  
الله الدائمة - بجهد بشري وفي حدود الطاقة البشرية فدلّت هذه السابقة على إمكان  
تكرار هذه الظاهرة"<sup>477</sup>.

### ثانياً: جوعه خاصة لا يسدها إلا هذه العقيدة الربانية

وأما عن عظمة هذا المنهج الإلهي وحاجة الناس إليه فيقارنها الأستاذ بنوع  
خاص من الجوع الذي لا يسد مكانه إلا هذا الغذاء الروحي الرباني؛ وهو الإيمان  
بالله العلي الكبير، قائلاً:

" ولقد يُشغِلُ الإنسانُ بعضَ الوقتِ بجوعه الجسد، وما يتعلق بها من الإنتاج  
بشتى وسائله وصنوفه، ومن المتاع الحسي بشتى ألوانه ومذاقاته... ولكن هذه الجوعه  
وكل ما يتعلق بها لا تستغرق الكينونة الإنسانية، وإشباعها لا يسد سائر الجوعات  
(الإنسانية). وما أن تهدأ هذه الجوعه حتى تتحرك في الكائن الإنساني جوعه أخرى.

<sup>476</sup> المصدر السابق: ص 28-29

<sup>477</sup> المصدر السابق: ص 45

جوع لا يسدها الطعام، ولا يرويها الشراب، ولا يكفيها الكساء، ولا تسكنها كل ضروب المتاع...! إنها جوع من نوع آخر! جوع إلى الإيمان بقوة أكبر من البشر؛ وعالم أكبر من المحسوس؛ ومجال أكبر من الحياة الدنيا...! وجوع إلى الوثام بين ضمير الإنسان وواقعه، بين الشريعة التي تحكم ضميره والشريعة التي تحكم حياته. بين منهج حركته الذاتية ومنهج الحركة الكونية من حوله. جوع إلى (إله) واحد؛ يتلقى منه شريعة قلبه وشريعة مجتمعه على السواء... 478 .

فإذا ما اعترف الإنسان المسلم بهذا المنهج الإلهي، فإنه يجب أن يتذكر بأن دين الله لا يمكن أن يكون محكوماً أو مقوداً، وإنما يكون حاكماً أو قائداً، متبوعاً وليس تابعاً. يقول رحمه الله:

"... كلا إن (دين الله) لا يرضى إلا أن يكون سيداً مهيمناً قوياً متصرفاً، عزيزاً كريماً، حاكماً لا محكوماً. قائداً لا مقوداً... "479، كما أن هذا الدين المتمثل في رسالة الإسلام لا يتعارض مع العلم ولا يطرد العلوم المادية ونتاجها، وليس بديلاً عن العلم والحضارة، ففي هذا الصدد يقول الأستاذ: "...إن الدين ليس بديلاً من العلم والحضارة، ولا عدواً للعلم والحضارة، إنما هو إطار للعلم والحضارة، ومحور للعلم والحضارة، ومنهج للعلم والحضارة في حدود إطاره ومحوره الذي يحكم كل شؤون الحياة... " 480 .

478 قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين، ص69؛ وانظر: فصل: ألوهية وعبودية، من: مقومات التصور الإسلامي،

ص101

479 المرجع السابق، ص93. وانظر: فصل: ألوهية وعبودية مقومات التصور الإسلامي، ص87؛ وراجع أيضاً هذه الصفحات: 107، 109، 132، 134 من نفس المصدر؛ وانظر: نحو مجتمع إسلامي، للأستاذ سيد قطب، فصل: نظام رباني، ص150-152، وأيضاً: مقومات التصور الإسلامي، فصل: ألوهية، ص146

480 قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين؛ ص103؛ وانظر: معالم في الطريق، للأستاذ سيد قطب، ص:70

### ثالثاً: الصبر والثبات أمام ضخامة الباطل

وقد يقول قائل بأن الذي يحول بيننا وبين تطبيق الشريعة الإسلامية أو عودة الإسلام إلى حياة المسلمين من جديد هو: ضخامة الباطل المتمثل في جاهلية أبناء هذا القرن في ظل الظروف الراهنة، كما أن جاهلية هذا القرن تتميز بالمكر والخبث والتعقيد، بخلاف الجاهلية الأولى، حيث كان فيها شيء من السذاجة والفتوة. يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: "...الجاهلية الأولى كانت جاهليات جهل وسذاجة وفتوة، أما الجاهلية الحاضرة فجاهلية علم وتعقيد واستهتار وأن البشرية اليوم تعاني من التميّع والاستهتار والاستخفاف بالعقيدة؛ بكل عقيدة، وكل رأي، وكل مذهب، كما تعاني من نفاق القلب وكيد الضعف، وخبث الاحتيال، وكلها عقبات في طريق الدعوة على الله ومعوقات عن الاستقامة على منهج الله..."<sup>481</sup>.

إننا، إذن بصدد إنجاز مشروع ضخمة على مدى الحياة؛ إلى الموت، وهذا يقتضي الصبر والثبات والتمسك وعدم الاستسلام للضربات الموجعة من قبل أهل الباطل، ولكن بما أننا على الحق فيجب الثبات والصمود، ويذكرنا الأستاذ بهذه النصيحة:

" نحن اليوم في مثل هذا الموقف بكل ملابساته وكل سماته، مع الجاهلية كلها من حولنا فلا يجوز - من ثم - أن ينقصنا اليقين في العاقبة المحتومة، التي يشير إليه كل شيء من حولنا... ومن ثم ينبغي ألا يخالجنا الشك في أن ما وقع مرة في مثل هذه الظروف لا بد أن يقع. ولا يجوز أن يتطرق إلى قلوبنا الشك بسبب ما نراه من حولنا

<sup>481</sup> قطب، سيد؛ خصائص التصور الإسلامي، ص 95-96

من الضربات الوحشية التي تكال لطلائع البعث الإسلامي في كل مكان ولا بسبب ما نراه كذلك من ضخامة الأسس التي تقوم عليها الحضارة المادية...، إن الذي يفصل في الأمر ليس هو ضخامة الباطل، وليس هو قوة الضربات التي تكال للإسلام إنما الذي يفصل في الأمر قوة الحق ومدى الصمود للضربات...".

وبسبب غروب شمس الحضارة الغربية وإفلاسها في عالم القيم - كما عبر الأستاذ - "...تقف البشرية اليوم على حافة الهاوية لا بسبب التهديد بالفناء المعلق على رأسها فهذا عرض للمرض وليس هو المرض...ولكن بسبب إفلاسها في عالم القيم...لم يعد لديه ما يعطيه للبشرية من القيم..."<sup>482</sup>.

#### رابعاً: الزاد المطلوب للثبات

فإذا كانت هذه حال جاهلية اليوم وحقيقتها، فلا بد من زاد يقوينا ويمكننا على السير على هذا الطريق والثبات أمام الجاهلية. فما الزاد المطلوب للسير والثبات على هذا المنهج الصعب والمعقد؟ يوصي رحمه الله بالتزود بالزاد المطلوب والمفقود لدى كثير من الناس، وهذا الزاد هو زاد واحد؛ هو الثقة المطلقة بوعده الله ونصره وتأييده لعباده المؤمنين "...إنه الشعور بالله على حقيقة، أنه التعامل مباشر مع الله، والثقة المطلقة بوعده الجازم الحاسم..."<sup>483</sup>، وأن: "...حاجة البشر إلى هذا الدين أكبر من حقد الحاقدين على هذا الدين..."<sup>484</sup>.

ومما لا شك فيه أن هذا المفهوم مستخلص من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]،

<sup>482</sup> قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين، ص 43 - 44

<sup>483</sup> المرجع السابق، ص 96

<sup>484</sup> قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين، ص 3- 4

وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]

### خامساً: مواصفات المنهج والعقيدة الربانية

ومقابل هذا الإفلاس القيمي عند هؤلاء يأتي المنهج الإسلامي منقداً للإنسانية جمعاء، موصوفاً بقيم وخصائص ربانية المصدر وربانية الوجهة. إنه منهجي مبني على العلم والقوة والحكمة والعبودية المطلقة لله سبحانه، حيث يقول رحمه الله: "...قاعدة المنهج الرباني الصادر عن علم بدل الجهل وكمال بدل النقص وقدرة بدل الضعف وحكمة بدل الهوى القائم على أساس: إخراج البشر من عبادة العباد إلى<sup>485</sup>، عبادة الله وحده دون سواه<sup>486</sup>...". وبسبب كون هذا المنهج متصفاً بهذه الصفات والمميزات اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون هناك فروق عديدة بينه وبين المناهج أو النظم الوضعية الأخرى، وإن اختلفت وتعددت أسماؤها، فيقول رحمه الله: "...أن مفرق الطريق بين منهج هذا الدين وسائر المناهج غيره، أن الناس في نظام الحياة الإسلامية يعبدون إلهاً واحداً يفرّدونه بالألوهية والربوبية والقوامة...، بينما هم في سائر النظم يعبدون آلهة وأرباباً متفرقة يجعلون لها القوامة عليهم من دون الله...، وهم مثلهم بشر... عبيد كما أنهم عبيد... ونحن نسمي هذه النظم التي يعبد الناس كما يسميها الله؛ نظماً جاهلية مهما تعددت أشكالها وبيئاتها وأزمانها...<sup>487</sup>.

<sup>485</sup> المرجع السابق، ص4، ويراجع فصل "الربانية" في كتاب: خصائص التصور الإسلامي، للأستاذ سيد قطب،

ص43. وانظر: فصل "الألوهية وعبودية" في كتاب: مقومات التصور الإسلامي، للأستاذ سيد قطب، ص152

<sup>486</sup> قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين، ص3-7

<sup>487</sup> المرجع السابق، ص5

هذه المفاهيم لا شك أن الأستاذ سيد قطب توصل إليها من خلال قراءته وفهمه للآيات القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢]، قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].

### سادساً: الالتزام بهذا المنهج حتى يكون المسلم في دين الله

علل الأستاذ ضرورة الالتزام بالمنهج الرباني الأصيل لتصديق الولاء لله والانتماء للإسلام، لأن الإنسان إذا خضع لمنهج ما - بغض النظر عن كونه بشرياً أو ربانياً فهو على دين ذلك المنهج شاء أم أبى. قال رحمه الله:

"...أن كل منهج للحياة هو (دين). فدين جماعة من البشر هو البشر الذي يصرف حياة هذه الجماعة، غير أنه إن كان المنهج الذي يصرف حياة هذه الجماعة من صنع الله أي منبثقاً من تصور اعتقادي رباني فهذه الجماعة في (دين الله)، وإن كان المنهج الذي يصرف حياة هذه الجماعة من صنع الملك، أو الأمير، أو القبيلة أو الشعب، (أي منبثقاً من مذهب أو تصور أو فلسفة بشرية) فهذه الجماعة في (دين الملك) أو (دين الأمير) أو (دين القبيلة) أو (دين الشعب). وليست في (دين الله) لأنها لا تتبع منهج الله، المنبثق ابتداءً من دين الله دون سواه. و(دين الله) هو الذي يقدم التفسير الشامل الكامل للوجود وعلاقته بخالقه العظيم<sup>488</sup>، ولا شك أن

488 قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين، ص18

هذا المفهوم مستنبط من قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَاءَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

## سابعاً: لا فصل للدين عن الدنيا في الإسلام

ولقد كان من أهم صفات وخصائص هذا الدين الإلهي المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصية الشمول؛ فلا يعقل لدين هذه ميزته أن ينفصل عن تنظيم كافة شؤوننا في الحياة الدنيا؛ سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو أخلاقياً، إذ لا معنى لهذا الدين والنظام الإلهي أن ينحصر في ركن ضيق من أركان العبادة فقط! وفي هذا الصدد يقول رحمه الله:

"... فإنه لا معنى للدين أصلاً إذا هو تخلى عن تنظيم الحياة الواقعية، بتصوراته الخاصة، ومفاهيمه الخاصة وشرائعه الخاصة، وتوجيهاته الخاصة...<sup>489</sup>، و "... ليس من طبيعة (الدين) أن ينفصل عن الدنيا، وليس من طبيعة المنهج الإلهي أن ينحصر في المشاعر الوجدانية والأخلاقيات التهذيبية والشعائر التعبدية أو في ركن ضيق من أركان الحياة البشرية... ركن ما يسمونه (الأحوال الشخصية)...<sup>490</sup>، و "... ليس من طبيعة (الدين) أن يشرع طريقاً للآخرة لا يمر بالحياة الدنيا! طريقاً ينتظر الناس في نهايته فردوس الآخرة عن غير طريق العمل في الأرض وعمارتها، والخلافة فيها عن الله وفق منهجه الذي ارتضاه... " <sup>491</sup>.

489 : المرجع السابق، ص25

490 قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين، ص27

491 المرجع السابق، ص18



وقد سمى الأستاذ هذا الفصل للدين عن الدنيا بـ: **الفصام النكد**، والذي تولد في ظل ظروف أوربية نكدة خاصة بها وبالكنييسة الأوربية<sup>492</sup> ولا علاقة لها بالإسلام وتاريخ المسلمين البتة، وكان من نتائجها فصل الدين عن الدولة. قال رحمه الله:

"... لقد تم ذلك (**الفصام النكد**) في ظروف نكدة! وكانت له آثاره المدمرة في أوروبا...، ثم في الأرض كلها، حين طغت التصورات الغربية، والأنظمة الغربية، والأوضاع الغربية، على البشرية كلها في مشارق الأرض ومغاربها...، ولم يكن بد- وقد انفصمت حياة المخاليق عن منهج الخالق- أن تسير في هذا الطريق البائس؛ وأن تنتهي إلى هذه النهاية التعيسة؛ وأن تحيط بالبشر الدائرة التي يتعذبون الآن في داخلها، ويذوق بعضهم بأس بعض، بينما هم عاجزون عن معرفة طريق الخلاص منها.. وهم يصرخون فيها...!!<sup>493</sup>."

وإذا عرفت شيئاً من عظمة منهج الإسلام ، فقد تبين لك سبب محاربة الأعداء للإسلام وأهله في كل عصر وكل مصر، في كل وقت وكل حين، حيث يقول الأستاذ:

"...ومن أجل هذه الخصائص في الإسلام يحاربه أعداؤه هذه الحرب المنكرة، لأنه يقف لهم في الطريق، يعوقهم عن أهدافهم الاستعمارية الاستغلالية، كما يعوقهم عن الطغیان والتأله في الأرض كما يريدون! ومن أجل هذه الخصائص يطلقون عليه حملات القمع والإبادة كما يطلقون عليه حملات التشويه والخذاع والتضليل... " <sup>494</sup>.

<sup>492</sup> للتفاصيل حول الكنييسة والمسيحية واليهودية المحرفة... انظر: يوسف، محمد حسن؛ الصفحة السوداء للكتاب

المقدس، دار الكتاب العربي، ط 1، 2006، القاهرة، ص: 79-121

<sup>493</sup> قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين ، ص 18-19

<sup>494</sup> قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين، ص: 58-59

## المطلب الثاني: آصرة التجمع والوحدة

وفي تعقيب الأستاذ سيد قطب لتفسير الآية السابقة من سورة الأنفال ناقش الآليات الفعالة للتجمع والوحدة بين المسلمين. تركزت هذه الآليات على رابطة العقيدة الإسلامية دون الأواصر الأخرى، حتى تبرز إنسانية الإنسان وإعلاء هذا الجانب على الجوانب الأخرى، قائلاً:

" وبعد فإن الإسلام - وهو يبني الأمة المسلمة على هذه القاعدة وفق هذا المنهج ؛ وقيم وجودها على أساس التجمع العضوي الحركي؛ ويجعل آصرة هذا التجمع هي العقيدة - إنما كان يستهدف إبراز "إنسانية الإنسان" وتقويتها وتمكينها ، وإعلاءها على جميع الجوانب الأخرى في الكائن الإنساني. وكان يمضي في هذا على منهجه المطرد في كل قواعده وتعليماته وشرائعه وأحكامه... "495.

إذن؛ فلسفة الإسلام في التركيز على ضرورة التجمع والوحدة على آصرة وقاعدة العقيدة كان بغرض إبراز إنسانية الإنسان وتقويتها وتمكينها وإعلانها على بقية الجوانب. لقد صدق رحمه الله فيما ذهب إليه لأن رابطة العقيدة والدين هي رابطة أصيلة فطرية ربانية؛ فطر الله الناس عليها قبل أن يخلق الله الناس أجمعين، لا تبديل لخلق الله. فالناس جميعاً قد أقروا بوحداية الله وربوبيته وألوهيته وحاكميته قبل أن يُخلقوا، فهم حنفاء مسلمون من الأزل، ولكن الشياطين من الإنس بقوانينهم وتشريعاتهم وأعرافهم اجتالتهم وصرفتهم عن الجادة. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: 172]، وكما جاء في

495 المصدر السابق، ج3، ص 1559

الحديث القدسي بألفاظ متقاربة: فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عياض  
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي حُطْبَتِهِ... وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ  
 كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ،  
 وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا... " 496 .

ثم إن الاستاذ سيد قطب ذكر القول الفصل في هذه المسألة مؤكداً أنه لا  
 شيء يدانيه من آصرة العقيدة... كل الآليات الأخرى للتجمع والوحدة تتلاشى  
 أمامها مهما كان الأمر، قال رحمه الله:

"...إنه لا يجعل هذه الآصرة هي النسب، ولا اللغة، ولا الأرض، ولا الجنس،  
 ولا اللون، ولا المصالح، ولا المصير الأرضي المشترك... فهذه كلها أواصر يشترك فيها  
 الحيوان مع الإنسان. وهي أشبه شيء وأقرب شيء إلى أواصر القطيع، وإلى  
 اهتمامات القطيع، وإلى الحظيرة والمرعى والثغاء الذي يتفاهم به القطيع! أما العقيدة  
 التي تفسر للإنسان وجوده، ووجود هذا الكون من حوله تفسيراً كلياً؛ كما تفسر له  
 منشأ وجوده ووجود الكون من حوله، ومصيره ومصير الكون من حوله؛ وترده إلى  
 كائن أعلى من هذه المادة وأكبر وأسبق وأبقى، فهي أمر آخر يتعلق بروحه وإدراكه  
 المميز له من سائر الخلائق، والذي ينفرد به عن سائر الخلائق؛ والذي يقرر "إنسانيته"  
 في أعلى مراتبها؛ حيث يخلف وراءه سائر الخلائق.

ثم إن هذه الآصرة - آصرة العقيدة والتصور والفكرة والمنهج - هي آصرة  
 حرة؛ يملك الفرد الإنساني اختيارها بمحض إرادته الواعية. فأما أواصر القطيع تلك  
 فهي مفروضة عليه فرضاً، لم يخترها ولا حيلة له كذلك فيها... إنه لا يملك تغيير نسبه

496 مسند الإمام أحمد، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط و عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001، رقم

الحديث: 523؛ وصحيح الإمام مسلم بشرح النووي، دار القلم، ط2، 2003، بيروت، برقم: 2866

الذي نماه؛ ولا تغيير الجنس الذي تسلسل منه؛ ولا تغيير اللون الذي ولد به. فهذه كلها أمور قد تقرر في حياته قبل أن يولد، لم يكن له فيها اختيار، ولا يملك فيها حيلة... كذلك مولده في أرض بعينها، ونطقه بلغة بعينها بحكم هذا المولد، وارتباطه بمصالح مادية معينة ومصير أرضي معين - ما دامت هذه هي أواصر تجمعته مع غيره - كلها مسائل عسيرة التغيير؛ ومجال "الإرادة الحرة" فيها محدود... ومن أجل هذا كله لا يجعلها الإسلام هي آصرة التجمع الإنساني... فأما العقيدة والتصور والفكرة والمنهج، فهي مفتوحة دائماً للاختيار الإنساني، ويملك في كل لحظة أن يعلن فيها اختياره؛ وأن يقرر التجمع الذي يريد أن ينتمي إليه بكامل حريته؛ فلا يقيد في هذه الحالة قيد من لونه أو لغته أو جنسه أو نسبه، أو الأرض التي ولد فيها...،

ثم ذكر الأستاذ سيد قطب النتائج الباهرة من هذا المنهج الإلهي، مشيراً إلى عظمة الإسلام وسعته ورحمته أن جعل رابطة العقيدة هي الأساس لجميع الأقسام والأجناس، وأن بوتقة العقيدة هي البوتقة الوحيدة التي يجب تنصب فيها خصائص الأجناس البشرية بمختلف أطرافها وشرائحها حتى تتمازج وتنصهر فيما تلك الفروقات القومية والطبقية والجهوية والسلطوية مسجلاً نماذج تاريخية من الشعوب والحضارات الأخرى قائلاً:

"... كان من النتائج الواقعية الباهرة لهذا المنهج أن أصبح المجتمع المسلم مجتمعاً مفتوحاً لجميع الأجناس والأقوام والألوان واللغات، بلا عائق من هذه العوائق الحيوانية السخيفة! وأن صبت في بوتقة المجتمع الإسلامي خصائص الأجناس البشرية وكفاياتها؛ وانصهرت في هذه البوتقة وتمازجت؛ وأنشأت مركباً عضوياً فائقاً في فترة تعد نسبياً قصيرة؛ وصنعت هذه الكتلة العجيبة المتجانسة المتناسقة حضارة رائعة ضخمة تحوي خلاصة الطاقة البشرية في زمانها مجتمعة...، لقد اجتمع في المجتمع

الإسلامي المتفوق: العربي والفارسي والشامي والمصري والمغربي والتركي والصيني والهندي والروماني والإغريقي والأندونسي والإفريقي... إلى آخر الأقسام والأجناس. وتجمعت خصائصهم كلها لتعمل متمازجة متعاونة متناسقة في بناء المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية. ولم تكن هذه الحضارة الضخمة يوماً ما "عربية" إنما كانت دائماً "إسلامية". ولم تكن يوماً ما "قومية" إنما كانت دائماً "عقيدية"... ولقد اجتمعوا كلهم على قدم المساواة، وبأصرة الحب، وبشعور التطلع إلى وجهة واحدة...، وتبرز فيها "إنسانيتهم" وحدها بلا عائق... وهذا ما لم يتجمع قط لأي تجمع آخر على مدار التاريخ... لقد كان أشهر تجمع بشري في التاريخ القديم هو تجمع الإمبراطورية الرومانية مثلاً...

فقد ضمت بالفعل أجناساً متعددة؛ ولغات متعددة، وأرضين متعددة... ولكن هذا كله لم يقيم على أصرة "إنسانية" ولم يتمثل في قيمة عليا كالعقيدة..، كذلك قامت في التاريخ الحديث تجمعات أخرى... تجمع الإمبراطورية البريطانية مثلاً... ولكنه كان كالتجمع الروماني الذي هو وريثه! تجمعاً قومياً استغلالياً؛ يقوم على أساس سيادة القومية الإنجليزية، واستغلال المستعمرات التي تضمها الإمبراطورية... ومثله الإمبراطوريات الأوربية كلها: الإمبراطورية الأسبانية والبرتغالية في وقت ما، والإمبراطورية الفرنسية<sup>497</sup>...

وكلها في ذلك المستوى الهابط البشع المقيت! وأرادت الشيوعية أن تقيم تجمعاً من نوع آخر، يتخطى حواجز الجنس والقوم والأرض واللغة واللون. ولكنها لم تقمه على قاعدة "إنسانية" عامة. إنما أقامته على القاعدة "الطبقية"... فكان هذا

<sup>497</sup> والإمبراطورية السلافية الروسية والصربية عندنا في الجزيرة البلقانية - البوسنة والهرسك وكوسوفا ومقدونيا والجبل الأسود منذ القرن السابع عشر إلى القرن العشرين - (الحرب الأخيرة 1990 - 1995 في البوسنة والهرسك، والحرب في كوسوفا (1999-1997)

التجمع هو الوجه الآخر للتجمع الروماني القديم...، باعتبار أن "المطالب الأساسية  
" للإنسان هي "الطعام والمسكن والجنس" - وهي مطالب الحيوان الأولية - وباعتبار  
أن تاريخ الإنسان هو تاريخ البحث عن الطعام !!! والذين يعدلون عنه إلى أي  
منهج آخر، يقوم على أية قاعدة أخرى من القوم أو الجنس أو الأرض أو الطبقة...  
إلى آخر هذا النتن السخيف هم أعداء الإنسان حقاً!...، ليعودوا بالإنسان إلى  
التجمع على مثل ما تتجمع عليه "البهائم" من الحظيرة والكلاء! بعد أن رفعه الله إلى  
ذلك المقام الكريم الذي يتجمع فيه على ما يليق أن تتجمع عليه "الناس" !  
وأعجب العجب أن يسمى التجمع على خصائص الإنسان العليا تعصباً  
وجموداً ورجعية، وأن يسمى التجمع على مثل خصائص الحيوان تقدماً ورقياً  
ونخضة...، ولكن الله غالب على أمره... وهذه الانتكاسات الحيوانية الجاهلية في  
حياة البشرية لن يكتب لها البقاء... وسيكون ما يريد الله حتماً... " 498.

## المبحث الثالث: قضايا اجتماعية معاصرة من منظور الأستاذ سيد قطب

### المطلب الأول: طبيعة المجتمع الكافر وكيفية مواجهته

إن التعرف على سمات وملامح المجتمع الذي لا يدين بدين الإسلام؛ أمر ضروري لا محالة، أخذاً بالحيلة والحذر خشية الوقوع في مخالف ومكر أعداء الإسلام وأعداء أولياء الرحمن. فهم جسد واحد؛ كيان واحد؛ لهم هدف واحد، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١].

إن المجتمع الكافر كتلة واحدة وله كيان عضوي واحد، وبناء على هذه التركيبة العضوية فهو يتحرك ويدافع ويكافح على هذا الأساس؛ وإذا ما أراد المسلمون مواجهتهم فلا بد للمسلمين إلا أن يواجهوا هؤلاء إلا بنفس الصورة والطريقة، وبنفس المميزات والخصائص والخطط والأساليب التي للمجتمع الكافر سواء بسواء. وإذا فهم المسلمون هذه الحقيقة وتصرفوا في تحقيق الولاء للمسلمين والبراء من أعدائهم بهذا المفهوم وبهذه الصورة؛ ستكون النتيجة مباركة، وإلا ستكون هنالك فتنة وفساد كبير في الأرض. وفي تفسير الأستاذ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣] قال رحمه الله:

" إن الأمور بطبيعتها كذلك - كما أسلفنا. إن المجتمع الجاهلي لا يتحرك كأفراد؛ إنما يتحرك ككائن عضوي، تندفع أعضاؤه، بطبيعة وجوده وتكوينه، للدفاع الذاتي عن وجوده وكيانه. فهم بعضهم أولياء بعض طبعاً وحكماً..، ومن ثم لا يملك

الإسلام أن يواجههم إلا في صورة مجتمع آخر له ذات الخصائص، ولكن بدرجة أعمق وأمتن وأقوى. فأما إذا لم يواجههم بمجتمع ولاؤه بعضه لبعض، فستقع الفتنة لأفراده من المجتمع الجاهلي - لأنهم لا يملكون مواجهة المجتمع الجاهلي المتكافل أفراداً - وتقع الفتنة في الأرض عامة بغلبة الجاهلية على الإسلام بعد وجوده. ويقع الفساد في الأرض بطغيان الجاهلية على الإسلام؛ وطغيان ألوهية العباد على ألوهية الله؛ ووقوع الناس عبيداً للعباد مرة أخرى. وهو أفسد الفساد: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ ولا يكون بعد هذا النذير نذير، ولا بعد هذا التحذير تحذير...، والمسلمون الذين لا يقيمون وجودهم على أساس التجمع العضوي الحركي ذي الولاء الواحد والقيادة الواحدة، يتحملون أمام الله - فوق ما يتحملون في حياتهم ذاتها - تبعة تلك الفتنة في الأرض، وتبعة هذا الفساد الكبير...، إن هذا الدين منهج حياة لا يتمثل في وجود فعلي، إلا إذا تمثل في تجمع حركي... أما وجوده في صورة عقيدة فهو وجود حكمي، لا يصبح [ حقاً ] إلا حين يتمثل في تلك الصورة الحركية الواقعية...، وهؤلاء المؤمنون حقاً، لهم مغفرة ورزق كريم... والرزق يذكر هنا بمناسبة الجهاد والإنفاق والإيواء والنصرة وتكاليف هذا كله... وفوقه المغفرة وهي من الرزق الكريم. بل هي أكرم الرزق الكريم...<sup>499</sup>.

فكما رأينا في تفسير الأستاذ سيد قطب رحمه الله أنه يريد من المسلمين أن يكونوا يقظين ومدركين للواقع المعيش المحييط بنا مع مراقبة حركة المجتمع الكافر وكيفية تطويره للوسائل وتغييره للإستراتيجيات ونشره لأفكاره بين أوساط الناس. فعلى المسلمين أن يوعوا هذه الحقيقة وإلا ستكون فتنة في الأرض وفساد كبير بسبب تقدمهم وتطويرهم لوسائلهم وبسبب تخلف المسلمين وعدم فهمهم لهذه الحقائق

<sup>499</sup> قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، ج3، 1452



المرئية. وهذه اللفتة في غاية الأهمية، وللأسف المسلمون في بعض البلدان في سبات عميق ولا يعي ما يجري حوله ومن بيده الإعلام والبرامج والتكنولوجيا والسياسة!

## المطلب الثاني: حقيقة وصفات المجتمع المسلم المثالي

مما لاشك فيه أن الوصول إلى الدرجات العلا من الكمال والنضج الفكري والثقافي والعلمي والأخلاقي والإجماعي والسياسي؛ هو من أهداف القرآن الكريم ومقاصده السامية التي ركز عليها القرآن الكريم في آيات عديدة. لقد تمثلت هذه الأهداف في الحياة الواقعية في عصر النبوة وعصر الجيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، بالطبع بنسب متفاوتة لأنهم كانوا بشرا مثلنا ولم يكونوا ملائكة مقربين الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. إذن الوصول إلى درجات المجتمع المثالي أمر سهل وقابل للتطبيق ولكنه مشروط بشروط، ومتى توفرت هذه الشروط تحققت أوصاف المجتمع المثالي القرآني.

يمكن ملاحظة هذه الحقيقة في مثل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اٰقْتَدِهٖ قُلْ لَا اَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا اِنْ هُوَ اِلَّا ذِكْرًا لِّلْعٰلَمِيْنَ﴾ [الأنعام: ٩٠]، قوله تعالى: ﴿اِنَّهُمْ كَانُوْا يُسٰرِعُوْنَ فِي الْخَيْرٰتِ وَيَدْعُوْنَآ رَغْبًا وَّرَهْبًا وَّكَانُوْا لَنَا خٰشِعِيْنَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَالرَّسُوْلَ فَاُولٰٓئِكَ مَعَ الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّيْنَ وَالصّٰدِقِيْنَ وَالشّٰهَدَآءِ وَالصّٰلِحِيْنَ وَحَسُنَ اُولٰٓئِكَ رَفِيْقًا﴾ [النساء: ٦٩]، وقوله سبحانه: ﴿اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّيْنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ اٰدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْرٰٓئِيْلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا اِذَا تَتَلٰٓى عَلَيْهِمْ آيٰتُ الرَّحْمٰنِ خَرُّوْا سُجَّدًا وَّبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، وقوله

جل وفي علاه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، إلى آخر ما هنالك من الآيات المباركات فيها أوصاف لهؤلاء المباركين من الأنبياء والرسل والأجيال التي خلت.

ولقد شغلت هذه الحقيقة القرآنية بال الأستاذ سيد رحمه الله تعالى كثيرا مما دفعه إلى البحث والمطالعة المكثفة والدراسة المتأنية للتفاسير والآيات القرآنية وسنن النهوض والسقوط للمجتمعات والحضارات المختلفة؛ القديمة والمعاصرة وخلص إلى القول بأن صفات المجتمع المسلم المثالي الذي يريده القرآن الكريم يمكن تحقيقها والتوصل إليها إن نحن صدقنا مع الله وأخلصنا لله، وتفهمنا الشريعة الإسلامية على حقيقتها كما نزلت. لنعش مع هذه المقتطفات من تفسيره.

وفي تفسير الأستاذ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، تطرق رحمه الله إلى بيان الأبعاد النفسية والدلالات الإيمانية والآثار الإيجابية لحقيقة الدخول في الإسلام والاستسلام الحقيقي لله عز وجل ولمنهجه القويم وأثر ذلك على سلوكياً وأخلاقياً وعقيدياً مقارنة مع بعض الدول الغربية، فقال رحمه الله:

"إنها دعوة للمؤمنين باسم الإيمان. بهذا الوصف المحب إليهم، والذي يميزهم ويفردهم، ويصلهم بالله الذي يدعوهم... دعوة للذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة...، وأول مفاهيم هذه الدعوة أن يستسلم المؤمنون بكلياتهم لله، في ذوات أنفسهم، وفي الصغير والكبير من أمرهم...، استسلام الطاعة الواثقة المطمئنة الراضية. الاستسلام لليد التي تقود خطاهم وهم واثقون أنها تريد بهم الخير والنصح والرشاد؛ وهم مطمئنون إلى الطريق والمصير، في الدنيا والآخرة سواء...، وهي دعوة توجه في كل حين للذين آمنوا؛ ليخلصوا ويتجردوا؛ وتتوافق خطرات نفوسهم واتجاهات

مشاعرهم مع ما يريد الله بهم، وما يقودهم إليه نبيهم ودينهم، في غير ما تلجج ولا تردد ولا تلفت. والمسلم حين يستجيب هذه الاستجابة يدخل في عالم كله سلم وكله سلام. عالم كله ثقة واطمئنان، وكله رضى واستقرار. لا حيرة ولا قلق، ولا شرود ولا ضلال. سلام مع النفس والضمير. سلام مع العقل والمنطق. سلام مع الناس والأحياء. سلام مع الوجود كله ومع كل موجود. سلام يرف في حنايا السريرة. وسلام يظلل الحياة والمجتمع. سلام في الأرض وسلام في السماء...، هي عقيدة جميلة فوق أنها عقيدة كريمة. عقيدة تسكب في روحه السلام؛ وتطلقه يعانق الوجود كله ويعانق كل موجود؛ ويشيع من حوله الأمن والرفق، والحب والسلام. والاعتقاد بالآخرة يؤدي دوره الأساسي في إفاضة السلام على روح المؤمن وعالمه؛ ونفي القلق والسخط والقنوط... إن الحساب الختامي ليس في هذه الأرض؛ والجزاء الأوفى ليس في هذه العاجلة... إن الحساب الختامي هناك؛ والعدالة المطلقة مضمونة في هذا الحساب...، فأولى به ألا يغدر ولا يفجر؛ وأولى به ألا يغش ولا يخدع؛ وأولى به ألا يطغى ولا يتجبر؛ وأولى به ألا يستخدم أداة مدنسة ولا وسيلة خسيصة. وأولى به كذلك ألا يستعجل المراحل، وألا يعتسف الطريق، وألا يركب الصعب من الأمور...، وشعور المؤمن بأنه يمضي مع قدر الله، في طاعة الله، لتحقيق إرادة الله... وما يسكبه هذا الشعور في روحه من الطمأنينة والسلام والاستقرار؛ والمضي في الطريق بلا حيرة ولا قلق ولا سخط على العقبات والمشاق...، والتكاليف التي يفرضها الإسلام على المسلم كلها من الفطرة ولتصحيح الفطرة. لا تتجاوز الطاقة؛ ولا تتجاهل طبيعة الإنسان وتركيبه؛ ولا تحمل طاقة واحدة من طاقاته لا تطلقها للعمل والبناء والنماء...، والمجتمع الذي ينشئه هذا المنهج الرباني، في ظل النظام الذي ينبثق من هذه العقيدة الجميلة الكريمة، والضمانات التي يحيط بها النفس والعرض والمال... كلها

مما يشيع السلم وينشر روح السلام. هذا المجتمع المتواد المتحاب المترابط المتضامن المتكافل المتناسق. هذا المجتمع الذي حققه الإسلام مرة في أرقى وأصفى صوره. ثم ظل يحققه في صور شتى على توالي الحقب، تختلف درجة صفائه، ولكنه يظل في جملته خيراً من كل مجتمع آخر صاغته الجاهلية في الماضي والحاضر، وكل مجتمع لوثته هذه الجاهلية بتصوراتها ونظمها الأرضية! هذا المجتمع الذي تربطه آصرة واحدة - آصرة العقيدة - حيث تذوب فيها الأجناس والأوطان، واللغات والألوان، وسائر هذه الأواصر العرضية التي لا علاقة لها بجوهر الإنسان ...،

هذا المجتمع الذي يسمع الله يقول له: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾... والذي يرى صورته في قول النبي الكريم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"... هذا المجتمع الذي من آدابه: ﴿وَإِذَا حِيْتُمْ بِنَجِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾، ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا...﴾، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْقُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ...﴾...، "كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله" ...،

ثم هذا المجتمع النظيف العفيف الذي لا تشيع فيه الفاحشة؛ ولا يتبجح فيه الإغراء، ولا تروج فيه الفتنة، ولا ينتشر فيه التبرج، ولا تتلفت فيه الأعين على العورات، ولا تترف فيه الشهوات على الحرمات، ولا ينطلق فيه سعار الجنس وعرامة اللحم والدم كما تنطلق في المجتمعات الجاهلية قديماً وحديثاً...، هذا المجتمع الذي تحكمه التوجيهات الربانية الكثيرة، والذي يسمع الله - سبحانه - يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ... ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ...﴾، ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُونَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...﴾ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ...﴾...، وفي مثل هذا المجتمع تأمن الزوجة على زوجها، ويأمن الزوج على زوجته، ويأمن الأولياء على حرماهم وأعراضهم، ويأمن الجميع على أعصابهم وقلوبهم. حيث لا تقع العيون على المفاتن، ولا تقود العيون القلوب إلى المحارم. فإما الخيانة المتبادلة حينذاك وإما الرغائب المكبوتة وأمراض النفوس وقلق الأعصاب... بينما المجتمع المسلم النظيف العفيف آمن ساكن، ترف عليه أجنحة السلم والطهر والأمان!

وأخيراً إنه ذلك المجتمع الذي يكفل لكل قادر عملاً ورزقاً، ولكل عاجز ضماناً للعيش الكريم، ولكل راغب في العفة والحصانة زوجة سالحة، والذي يعتبر أهل كل حي مسؤولين مسؤولية جنائية لو مات فيهم جائع؛ حتى ليرى بعض فقهاء الإسلام تغريمهم بالدية. والمجتمع الذي تكفل فيه حريات الناس وكراماتهم وحرماهم وأموالهم بحكم التشريع، بعد كفالتها بالتوجيه الرباني المطاع. فلا يؤخذ واحد فيه بالظنة، ولا يتسور على أحد بيته، ولا يتجسس على أحد فيه متجسس، ولا يذهب فيه دم هدرًا والقصاص حاضر؛ ولا يضيع فيه على أحد ماله سرقة أو نهبًا والحدود حاضرة. المجتمع الذي يقوم على الشورى والنصح والتعاون. كما يقوم على المساواة والعدالة الصارمة التي يشعر معها كل أحد أن حقه منوط بحكم شريعة الله لا بإرادة حاكم، ولا هوى حاشية، ولا قرابة كبير...،

هذه كلها بعض معاني السلم الذي تشير إليه الآية وتدعو الذين آمنوا للدخول فيه كافة. ليسلموا أنفسهم كلها لله؛ فلا يعود لهم منها شيء، ولا يعود لنفوسهم من ذاتها حظ؛ إنما تعود كلها لله في طواعية وفي انقياد وفي تسليم... ولا يدرك معنى هذا السلم حق إدراكه من لا يعلم كيف تنطلق الحيرة وكيف يعربد القلق في النفوس التي لا تطمئن بالإيمان، في المجتمعات التي لا تعرف الإسلام، أو التي عرفتته ثم تنكرت له، وارتدت إلى الجاهلية، تحت عنوان من شتى العنوانات في جميع الأزمان...، هذه المجتمعات الشقية الحائرة على الرغم من كل ما قد يتوافر لها من الرخاء المادي والتقدم الحضاري، وسائر مقومات الرقي في عرف الجاهلية الضالة التصورات المختلفة الموازين.

وحسبنا مثل واحد مما يقع في بلد أوربي من أرقى بلاد العالم كله وهو "السويد". حيث يخص الفرد الواحد من الدخل القومي ما يساوي خمسمائة جنيه في العام. وحيث يستحق كل فرد نصيبه من التأمين الصحي وإعانات المرض التي تصرف نقدا والعلاج المجاني في المستشفيات. وحيث التعليم في جميع مراحلها بالمجان، مع تقديم إعانات ملابس وقروض للطلبة المتفوقين وحيث تقدم الدولة حوالي ثلاثمائة جنيه إعانة زواج لتأثيث البيوت... وحيث وحيث من ذلك الرخاء المادي والحضاري العجيب... ولكن ماذا؟ ماذا وراء هذا الرخاء المادي والحضاري وخلو القلوب من الإيمان بالله؟ إنه شعب مهدد بالانقراض، فالنسل في تناقص مطرد بسبب فوضى الاختلاط! والطلاق بمعدل طلاق واحد لكل ست زيجات بسبب انطلاق النزوات وتبرج الفتن وحرية الاختلاط! والجيل الجديد ينحرف فيدمن على المسكرات والمخدرات؛ ليعوض خواء الروح من الإيمان وطمأنينة القلب بالعقيدة. والأمراض النفسية والعصبية والشذوذ بأنواعه تفترس عشرات الآلاف من النفوس والأرواح

والأعصاب... ثم الانتحار... والحال كهذا في أمريكا... والحال أشنع من هذا في روسيا... إنها الشقوة النكدة المكتوبة على كل قلب يخلو من بشاشة الإيمان وطمأنينة العقيدة...، ولما دعا الله الذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة... حذرهم أن يتبعوا خطوات الشيطان. فإنه ليس هناك إلا اتجاهان اثنان. إما الدخول في السلم كافة، وإما اتباع خطوات الشيطان. إما هدى وإما ضلال. إما إسلام وإما جاهلية. إما طريق الله وإما طريق الشيطان. وإما هدى الله وإما غواية الشيطان... ويمثل هذا الحسم ينبغي أن يدرك المسلم موقفه، فلا يتلجلج ولا يتردد ولا يتحير بين شتى السبل وشتى الاتجاهات...، ليس هنالك حل وسط، ولا منهج بين بين، ولا خطة نصفها من هنا ونصفها من هناك! إنما هناك حق وباطل. هدى وضلال. إسلام وجاهلية. منهج الله أو غواية الشيطان... " 500.

تفسير في غاية الوضوح، خال من التعقيد اللغوي أو الفلسفي العقيم. إنها دعوة إلى الإسلام الكامل والمطلق لله جل في علاه. إنها دعوة إلى الإيمان المطلق والعمل المطلق، للصغير والكبير، والمتقف والفلاح، والرجال والنساء، والحكام والمحكومين. إنها دعوة إلى يقظة وإلى الوعي وإدراك ما يحاك للمسلمين من فتن ومؤامرات داخلية وخارجية حتى يكونوا على بصيرة وعلم. وما يلحقها إلا الذين صبروا وما يلحقها إلا ذو حظ عظيم. رحم الله الأستاذ سيد قطب، وغفر الله لنا في تقصيرنا، ووقفنا إلى تحقيق مرضاته في الدنيا باتباع شرعه واجتناب نهيه.

## المبحث الرابع: قضايا سياسية من منظور الأستاذ سيد قطب

<sup>500</sup> قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، ج1، 211، وانظر للتفاصيل أخرى مشاهمة كتاب: أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط8، 2002، ص 161 - 175

## المطلب الأول: الأنظمة البشرية واتخاذ الأرباب من دون الله

### تمهيد في غاية الأهمية:

هذه القضية في غاية الأهمية قد شغلت فكر واهتمام الأستاذ سيد قطب رحمه الله إلى درجة كبيرة حتى ظن بعض الناس أنه لا يجيد ولا يحسن الحديث في غيره!! وأخذت حيزا كبيرا من دراساته وتفسيره وكتاباته عموما، بحيث تكاد لا تجد كتابا له رحمه الله إلا وتجد هناك حديثا إما جانبيا أو مباشرة عن الحاكمية والألوهية والربوبية واتخاذ الناس أربابا من دون الله. ولاغرابة من هذا الإهتمام؛ إذ هو الذي ينبغي أن تصرف له الجهود كافة لتوضيح وتثبيت تلك المسائل العقدية في قلوب المسلمين قبل مطالبتهم بالتكاليف الشرعية، وهذا هو المنهج القرآني في تربية ودعوة الناس إلى الله جل وعلا.

إنها العقيدة الصافية المبنية على القرآن والسنة النبوية الصحيحة. إنه التوحيد الخالص والمخلص لله جل وعلا. إذ لا خير في عمل أو عقيدة أشرك الإنسان مع الله أحدا غيره. فلا غرابة أن نجد له رحمه الله حديثا مسهبا أيضا هنا في تفسيره للآيات القرآنية التي تتحدث حول هذه المسألة. وإن نظرة فاحصة ومتأنية وموضوعية لاستكشاف ومعرفة الحكمة من اهتمام الأستاذ سيد قطب بهذه القضية الجوهرية ليدرك تمام الإدراك أنه كان محقا ومصيبا في اجتهاده فيما ذهب إليه، لكي يدرك الناس عامة والمسلمون خاصة أن مسألة اتخاذ الأرباب من دون الله، واعتماد تشريعات وقوانين بشرية وضعية رومانية أو غربية أو أمريكية لإدارة شؤون العباد والبلاد في المجال العقدي والأخلاقي والأسري والإقتصادي والتربوي والمعرفي والسياسي، والإبتعاد عن



القرآن الكريم والسنة النبوية في هذه القضايا؛ إنما هو عين الشرك تماما وكما قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]، وكما قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]

وعندما نقرر هذه الحقيقة، لا نقصد بتاتا عدم الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى في مجال إدارة شؤون وقوانين المرور وشؤون الوافدين والمتقاعدين وكيفية القبض على المجرمين والمخالفين لقوانين الدولة من خلال استخدام تكنولوجيا المعاصرة في تسهيل أمور الناس ومعاملاتهم الإلكترونية في البنوك والمؤسسات العلمية والدوائر الحكومية والمدارس والجامعات والشؤون الأمنية. لأن القرآن الكريم سكت عن هذه الأشياء وتركها خاضعة للعرف وتجارب الأمم الأخرى، كما هو معلوم للقاصي والداني في التاريخ والحضارة الإسلامية من استفادة المسلمين الأوائل من غير المسلمين في مسألة البريد واتخاذ الدواوين والسجلات للجنود والعسكر والموظفين ونقش النقود من الحضارة الفارسية والحضارة الرومانية أيام الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن صحابة رسول الله أجمعين.

وأما ما يتعلق بمسألة الأحوال الشخصية والأسرية في أحكام الزواج والطلاق والإرث والرضاعة والحضانة والرعاية الأسرية للأولاد والعجزة والمسنين والوالدين، وكل ما يتعلق بتلك الأحوال الشخصية المنصوصة عليها في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة وسيرة الخلفاء الراشدين وهدى السلف الصالح، فمدارها ومرجعها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة. وأيضا مسألة الأحكام الشرعية في نظم المعاملات المالية والتجارية والصناعية والزراعية وغيرها؛ فجميع تلك المعاملات أيضا مدارها ومرجعها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، اللهم في المسائل والنوازل

والمعاملات الجديدة والمستحدثة التي لم ينص عليها القرآن والسنة أو لم تحدث في زمن الخلفاء الراشدين، فمدار ومرجع هذه المسائل لمعرفة الحلال والحرام فيها هم: إجماع علماء المسلمين المعتبرين والمشهود لهم بالصلاح والتقوى والعلم والمعرفة. فواجب هؤلاء جميعا البحث عن الحلول الموجودة أو إمكانية الحلول المستوردة والتي لا تتصادم مع الشريعة الإسلامية.

هذا هو مفهوم القانون والدستور الذي فهمناه وفهم الناس عامة والأستاذ سيد قطب أيضا. لا أنا ولا أنت ولا زيد ولا عمرو من الناس يرضى لنفسه أو أهله أن يحتكم إلى القوانين الوضعية والبشرية المستوردة من فرنسا أو سويسرا أو أمريكا أو غيرها من الدول والثقافات في شؤون الطلاق وأحكام الزواج!! هذا هو جلّ همّ الأستاذ سيد قطب رحمه الله في كتاباته، وهذا الذي فهمته أنا أيضا منه رحمه الله. وإن كان يقصد الأستاذ سيد قطب في كتاباته وآرائه غير الذي ذكرنا؛ فأنا منه براء فيما ذهب إليه. ولا أعتقد أنه لو قدر له - رحمه الله - أن يعيش في زماننا أن يحرم علينا التكنولوجيا وجميع ما ذكرناه من الأمور آنفا، أي في القضايا العلمية والمعرفية والتربوية والإدارية والصناعية والتجارية... إلخ.

كثير من الناس ضلوا السبيل ولم يفهموا قصد الأستاذ سيد قطب في هذه المسائل، ومن استخداماته لمصطلحات الجاهلية للناس، نعم حتى أنا يمكنني القول لزيد من الناس بأنه "جاهلي" إذا رأيت أنه يتحاكم إلى القانون الغربي أو الشرقي في مسألة الزواج والطلاق هروبا من المسؤولية الإسلامية وتقليدا لغيره من باب التيسير لنفسه!! نعم ذلك الإنسان وحاله هذا؛ هو جاهلي قح بل ومركب!! فلا غموض في كلام الأستاذ سيد قطب، ولا نحمل كلامه فوق ما يتحمل، ولا نفسر بتفسير يشوبه الهوى والانتصار للذات!! إن الذي يتحاكم إلى تلك التشريعات الغربية أو الشرقية؛

فهو بلسان الأستاذ سيد قطب ولسان القرآن الكريم هو: تحاكم إلى الطاغوت!! فهو شريك لله في تشريع القوانين!! أيا كان هذا الطاغوت أو القانون أو الدستور فهو شرك لله. هذا باتفاق العلماء في قديم الزمان وحديثه، ومن شك في هذه الحقيقة فنحن أيضا نشك في عقل الشاك وعقيدته. وأرى في هذا التمهيد غنية لحسن فهم كلامه وعدم حمله فوق ما لا يحتمل. لنرى الأستاذ سيد رحمه الله كيف ربط تفسير الآية القرآنية بتلك الحقائق التي أشرنا إليها آنفا.

وفي تفسير الأستاذ سيد قطب لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، تطرق إلى مسألة المشرعين من البشر واتخاذ بعض الناس أرباباً من دون الله، من حيث تلقي التشريعات والقوانين من هؤلاء! واعتبر الأستاذ هؤلاء الناس بأنهم شركاء لله يشرعون للناس ما لم يأذن به الله! سواء اعترف الناس بهذه الحقيقة أم لم يعترفوا، فهذا الاعتراف باللسان أو القلب هو اعتراف سلبي من منظور الأستاذ سيد قطب، لأنه لا ينشئ آثاره الواقعية في الحياة ولا تأثير لهذا الاعتراف في تغيير سلوكيات وعقيدة الناس، فقال رحمه الله:

"... وأول ما يلزم حقيقة التوحيد أن تتوحد الربوبية، فتتوحد العبودية<sup>501</sup>... لا عبودية إلا لله. ولا طاعة إلا لله. ولا تلقي إلا عن الله. فليس إلا لله تكون العبودية. وليس إلا لله تكون الطاعة. وليس إلا عن الله يكون التلقي... التلقي في التشريع، والتلقي في القيم والموازين، والتلقي في الآداب والأخلاق.

<sup>501</sup> وهذا التقسيم للتوحيد يتوافق مع التقسيم الذي عليه علماء بلاد الحرمين : توحيد الربوبية و الألوهية ( العبودية) والأسماء والصفات. وطبعا الأستاذ سيد لم يذكر القسم الثالث هنا، ولكنه أشار إليه في أماكن أخرى من مؤلفاته.

والتلقي في كل ما يتعلق بنظام الحياة البشرية... وإلا فهو الشرك أو الكفر. مهما اعترفت الألسنة، ومهما اعترفت القلوب الاعتراف السلبي الذي لا ينشئ آثاره في حياة الناس العامة...، وأظهر خصائص الألوهية بالقياس إلى البشرية: تعبد العبيد؛ والتشريع لهم في حياتهم، وإقامة الموازين لهم. فمن ادعى لنفسه شيئاً من هذا كله فقد ادعى لنفسه أظهر خصائص الألوهية؛ وأقام نفسه للناس إلهاً من دون الله. وما يقع الفساد في الأرض كما يقع عندما تتعدد الآلهة في الأرض على هذا النحو. عندما يتعبد الناس الناس. عندما يدعي عبد من العبيد أن له على الناس حق الطاعة لذاته؛ وأن له فيهم حق التشريع لذاته؛ وأن له كذلك حق إقامة القيم والموازين لذاته، فهذا هو ادعاء الألوهية ولو لم يقل كما قال فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]...، والإقرار به هو الشرك بالله أو الكفر به...، وإنها لدعوة منصفة من غير شك. دعوة لا يريد بها النبي صلى الله عليه وسلم أن يتفضل عليهم هو ومن معه من المسلمين...، كلمة سواء يقف أمامها الجميع على مستوى واحد. لا يعلو بعضهم على بعض، ولا يتعبد بعضهم بعضاً. دعوة لا يأبأها إلا متعنت مفسد، لا يريد أن يفيء إلى الحق القويم. إنها دعوة إلى عبادة الله وحده لا يشركون به شيئاً. لا بشراً ولا حجراً. ودعوة إلى ألا يتخذ بعضهم بعضاً من دون الله أرباباً. لا نبياً ولا رسولاً. فكلهم لله عبيد. إنما اصطفاهم الله للتبليغ عنه، لا لمشاركته في الألوهية والربوبية. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾...، وهذه المقابلة بين المسلمين ومن يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، تقرر بوضوح حاسم من هم المسلمون. المسلمون هم الذين يعبدون الله وحده؛ ويتعبدون لله وحده؛ ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله...، إن الناس في جميع النظم الأرضية يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله...، يقع هذا في أرقى الديمقراطيات كما يقع في أحط الديكتاتوريات سواء...،

فالعبودية عبادة لا يتوجه بها إلا الله. وفي النظام الإسلامي وحده يتحرر الإنسان من هذه الرقبة... ويصبح حراً. حراً يتلقى التصورات والنظم والمناهج والشرائع والقوانين والقيم والموازن من الله وحده، شأنه في هذا شأن كل إنسان آخر مثله. فهو وكل إنسان آخر على سواء. كلهم يقفون في مستوى واحد، ويتطلعون إلى سيد واحد، ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله. والإسلام - بهذا المعنى - هو الدين عند الله. وهو الذي جاء به كل رسول من عند الله... لقد أرسل الله الرسل بهذا الدين ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله. ومن جور العباد إلى عدل الله... فمن تولى عنه فليس مسلماً بشهادة الله. مهما أول المؤولون، وضلل المضللون...<sup>502</sup>.

الكلام في غاية الروعة والوضوح كما أسلفنا سابقاً، وليس بعد التوضيح توضيح.

### المطلب الثاني: الحاكمية لله

لقد استغرق حديث الأستاذ سيد قطب رحمه الله حول مسألة الحاكمية وقتاً طويلاً وصفحات عديدة في تفسيره نظراً لكون هذه المسألة من أمهات العقيدة والقضايا الإسلامية، وهو يعجب رحمه الله من بعض الدعاة المتحدثين باسم الإسلام كيف لم يفهموا معاني ودلالات وأبعاد هذه القضية! فهؤلاء الدعاة "المتحمسون" للأسف لم يفهموا قوة العلاقة بين العقيدة والشريعة الإسلامية! متجاهلين بأن هذه التفرقة أو الفصل كان نتيجة الجهد المكثف لأعداء الإسلام "جنود مدربون للإفساد والتضليل عبر القرون".

<sup>502</sup> قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، ج1، 407

فأمثال هؤلاء " المتحمسين والمحين للإسلام " لم يقرؤوا القرآن حق القراءة! ولم يستقرؤوا نصوصه كاملة غير منقوصة...عندما حكموا على عابد الوثن بالشرك والكفر والخروج من الملة! ولم يحكموا على المتحاكم إلى الطاغوت بالكفر والشرك! لعمرى إن هذا لشيء عجاب، متناسين أو متجاهلين قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]. لقد أراد الأستاذ سيد قطب رحمه الله أن يبين للناس عامة والمسلمين خاصة هذه المعادلة الدينية المنطقية والتي لا تتقبل انفصاما ولا انفكاكا بتاتا. فهناك تلازم بين العقيدة والشريعة الإسلامية، إذا وجد أحدهما يلزم من ذلك وجود الآخر. فهذه الحقيقة معلومة في علم المنطق أيضا. فإذا وجدت آثار المشي والأقدام على رمال الصحراء؛ يلزم من ذلك وجود إنسان أو بشر قد مر من ها هنا. وإذا وجدت آثار البعرة فإنها تدل على وجود البعير كما هو معلوم. فوجود العقيدة بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد؛ يلزم من هذا وجود الشريعة الإسلامية وتطبيق تلك الشريعة على حد سواء، والذي لا يدين بالعقيدة الإسلامية ولكنه لا يطبق الشريعة الإسلامية فهذا تناقض في فكر الشخص الذي اختار لنفسه بالرضا وطواعية ومحض اختيار أن يكون مسلما!! لقد بين الأستاذ سيد قطب رحمه الله أن هذا المفهوم لفصل الشريعة عن العقيدة كان نتيجة لجنود التضليل المدربين، جنود من شياطين الإنس عبر العصور إلى يومنا من خلال نشر وتبني أنظمة بشرية مختلفة من شيوعية وداروينية وماركسية ولنينية وفرويدية وإلحاد واشتراكية وغيرها من النظم البشرية الوضعية التي ما أنزل الله بها من سلطان، ظلمات بعضها فوق بعض..

ففي تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، يقول رحمه الله:

"...إن هذا الدين شريعته كعقيدته في تقرير صفة الشرك أو صفة الإسلام. بل إن شريعته من عقيدته في هذه الدلالة... بل إن شريعته هي عقيدته... إذ هي الترجمة الواقعية لها... كما تتجلى هذه الحقيقة الأساسية من خلال النصوص القرآنية، وعرضها في المنهج القرآني. وهذه هي الحقيقة التي زُحِجَ مفهوم «الدين» في نفوس أهل هذا الدين عنها زحزحة مطردة خلال قرون طويلة، بشتى الأساليب الجهنمية الخبيثة... حتى انتهى الأمر بأكثر المتحمسين لهذا الدين - ودعك من أعدائه والمستهترين الذين لا يحفلون به - أن تصبح قضية الحاكمية في نفوسهم قضية منفصلة عن قضية العقيدة! لا تجيش لها نفوسهم كما تجيش للعقيدة! ولا يعدون المروق منها مروقاً من الدين، كالذي يمرق من عقيدة أو عبادة! وهذا الدين لا يعرف الفصل بين العقيدة والعبادة والشريعة. إنما هي الزحزحة التي زاولتها أجهزة مدربة، قروناً طويلة، حتى انتهت مسألة الحاكمية إلى هذه الصورة الباهتة؛ حتى في حس أشد المتحمسين لهذا الدين! وهي هي القضية التي تحتشد لها سورة مكية - موضوعها ليس هو النظام وليس هو الشريعة، إنما موضوعها هو العقيدة - وتحتشد لها كل هذه المؤثرات، وكل هذه القرارات؛ بينما هي تتصدى لجزئية تطبيقية من تقاليد الحياة الاجتماعية. ذلك أنها تتعلق بالأصل الكبير... أصل الحاكمية... وذلك أن هذا الأصل الكبير يتعلق بقاعدة هذا الدين وبوجوده الحقيقي .

إن الذين يحكمون على عابد الوثن بالشرك، ولا يحكمون على المتحاكم إلى الطاغوت بالشرك ويتخرجون من هذه ولا يتخرجون من تلك... إن هؤلاء لا يقرأون

القرآن، ولا يعرفون طبيعة هذا الدين... فليقرؤوا القرآن كما أنزله الله؛ وليأخذوا قول الله بجد: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وإن بعض هؤلاء المتحمسين لهذا الدين ليشغلون بالهم وبال الناس ببيان إن كان هذا القانون، أو هذا الإجراء، أو هذا القول، منطبقاً على شريعة الله أو غير منطبق... وتأخذهم الغيرة على بعض المخالفات هنا وهناك... هؤلاء المتحمسون الغيورون على هذا الدين، يؤذون هذا الدين من حيث لا يشعرون. بل يطعنونه الطعنة النجلاء بمثل هذه الاهتمامات الجانبية الهزيلة... إنهم يفرغون الطاقة العقيدية الباقية في نفوس الناس في هذه الاهتمامات الجانبية الهزيلة... إنهم يؤدون شهادة ضمنية لهذه الأوضاع الجاهلية. شهادة بأن هذا الدين قائم فيها، لا ينقصه ليكمل إلا أن تصحح هذه المخالفات. بينما الدين كله متوقف عن « الوجود » أصلاً، ما دام لا يتمثل في نظام وأوضاع، الحاكمة فيها لله وحده من دون العباد...<sup>503</sup>.

من خلال هذين المثالين في هذه الدراسة في حديثنا عن بعض القضايا السياسية في بيان الأستاذ سيد قطب رحمه الله لخطورة اتخاذ الأرباب والشركاء من دون الله، ومفهوم الحاكمة المطلقة لله و شدة العلاقة والتلازم بين العقيدة والشريعة وعدم الفصل بينهما، لغنية عن ذكر الأمثلة الأخرى المتعلقة بالموضوع، لأن إطار الدراسة لا تسمح أكثر من ذلك.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل منا هذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم بقدر تعبنا وإخلاصنا فيه، إنه تعالى خير مأمول وأكرم مسؤول، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

<sup>503</sup> قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، ج3، ص 1216-1217



## الخاتمة والنتائج

الحمد لله الواحد القهار والكبير المتعال والذي بقدرته ولطفه يوفق عباده الضعفاء والأذلاء إلى إتمام بحوثهم وإنجاز أعمالهم، فلو لا فضل الله ورحمته علينا لما كنا من الموفقين، وبعد؛

بحمد الله وتوفيقه فقد توصلت في هذه الدراسة إلى عدة نتائج أشير إلى

بعضها:

- 1- بينت الدراسة أن الجيل الأول من الصحابة والتابعين تميز بمنهج فريد يعتمد على التلقي والتعلم للعمل والتنفيذ وليس التلقي لغرض المتاع والدراسة والثقافة.
- 2- أثبتت الدراسة أن المعرفة تتحول إلى العمل الحركة ولا يجوز اختزال المعارف في الأذهان لمجرد العلم أو النظرية غير قابلة للتطبيق.
- 3- تمخضت من الدراسة أن المجتمع الكافر كيان حي يتحرك مثل العضو الواحد، فلا بد من مواجهته بنفس الطريقة والأسلوب والخطة.
- 4- أظهرت الدراسة أن رابطة العقيدة هي مقدمة ومفضلة على بقية الروابط الاجتماعية.
- 5- برهنت الدراسة أن العقيدة الإسلامية هي بمثابة القاعدة لدى البنیان. فلا يمكن تنفيذ شيء من الأوامر والأحكام والمبادئ الشرعية إلا بعد غرس العقيدة أولاً في قلوب المسلمين.
- 6- بينت الدراسة خطورة اتخاذ الأرباب من دون الله في كافة شؤوننا في الحياة الدنيا.

7- أكدت الدراسة على إثبات الحاكمية المطلقة لله تبارك وتعالى وعدم الفصل بين العقيدة والشريعة، وأن هذا الفصل كان نتيجة لأعداء الإسلام من شياطين الإنس والجنود المدربين للتضليل والإفساد عبر القرون إلى يومنا هذا.

8- كما أن الدراسة قد بينت براءة الأستاذ سيد قطب رحمه الله فيما ذهب إليه من خلال تفسيره لتلك الآيات، لأن كثيرا من الناس ظالمون له بسوء التأويل لكلامه جملة وتفصيلا.

9- دعت الدراسة إلى الإحتكام إلى القرآن الكريم في كل قضية من قضايا العصر، سواء كان ذلك في الجانب العقدي أو الإجتماعي أو السياسي لكون القرآن الكريم هاديا للتي هي أقوم، ومن أصدق من الله حديثا ومن أصدق من الله قيلا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى عفو مولاه في كل أحواله:

خادم القرآن: الدكتور خيرالدين خوجة ( الكوسوفي

يوم الجمعة الموافق 19-08-2016 بدوحة الخير والبركة في قطر

كلية المجتمع - الدوحة - قطر

## اتجاهات التفسير في أوروبا في القرن الرابع عشر

الإتجاه الاجتماعي في تفسير<sup>504</sup> القرآن عند علماء الألبان - الشيخ المفكر

الحاج شريف أحمدي أنموذجاً

( دراسة تحليلية نقدية لمنهجه في التفسير )

تأليف

د. خير الدين خوجة ( الكوسوفي )

أستاذ التفسير والدراسات القرآنية المساعد

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

وجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية سلطنة بروناي، وجامعة طيبة

بالمدينة المنورة، والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا سابقاً.

2012

---

<sup>504</sup> هذه الدراسة قدمت في المؤتمر العالمي عن مناهج تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا عام 2006، ثم نشر في مجلة علمية ( البيان في الدراسات القرآنية ) المحكمة بالرياض بالمملكة العربية السعودية عام 2012

# Kur'ani – Perkthim me Komentim ne Gjuhen Shqipe

Perktheu dhe Komentoi:

H. Sherif Ahmeti

( القرآن – ترجمة و تفسير معانيه إلى اللغة الألبانية )<sup>505</sup>

بقلم:

الشيخ المفكر الحاج شريف أحمدي رحمه الله

---

<sup>505</sup> تشرف بالأمر بطباعة هذا المصحف الشريف و ترجمة معانيه و تفسيره إلى اللغة الألبانية، خادم الحرمين الشريفين " الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود"، ملك المملكة العربية السعودية عام 1413 هـ ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ، وتمت طباعته في مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، وجعله هدىً ورحمة للذين يتلونه حق تلاوته بكرة وأصيلاً، والصلاة والسلام على الهادي البشير النذير محمد بن عبد الله، الذي نزل عليه القرآن ورثته تراثاً، وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الكرام الذين حفظوا القرآن ونقلوه لنا جملة وتفصيلاً، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم وجاهد بالقرآن جهاداً كبيراً. أما بعد:

الحمد لله الذي شرفنا بخدمة القرآن تعلمًا وتعليمًا، وتبيينًا لفضائله ومزاياه، وترجمةً لمعانيه وإجلاءً لأسراره ودرره، ووقفنا لدراسة جهود السابقين من العلماء الربانيين، الذين قضوا نحبهم في خدمة القرآن تلاوةً وحفظاً وتفسيراً. فله الحمد والمنة. لقد كشف الباحثون والعلماء النقب عن دور وجهود علماء الألبان في العصر الحديث في خدمة القرآن الكريم، فكان لزاماً علينا القيام ببيان ودراسة تلك الجهود المباركة، وإدراجها في سلسلة حلقات جهود العلماء السابقين العلمية المشكورة في خدمة القرآن الكريم.

لقد شاء الله بحكمته أن أتشرف في رسالتي للدكتوراه، الموسومة ب: (الاتجاهات الفكرية والدينية في الدراسات القرآنية لدى علماء الألبان في العصر الحديث - القرن التاسع عشر والعشرين)، أن أتناول جهود أكثر علماء الألبان في العصر الحديث وإبراز جهودهم المضيئة في خدمة القرآن الكريم، ودراسة أفكارهم واتجاهاتهم المذهبية والفكرية في التفسير. فقد تناولت فيها بالدراسة والتحليل أربع شخصيات علمية ألبانية بارزة، وهم: الشيخ الحافظ إبراهيم داليو، رائد الاتجاه العقدي الماتريدي

في التفسير، والشيخ الحافظ علي كورتشا، رائد الاتجاه الإصلاحية في التفسير، والشيخ حسن تحسين، رائد الاتجاه العلمي الفلسفي في التفسير، رحم الله عز وجل هؤلاء الثلاثة السابقين، والدكتور علي فخري إلياسي حفظه الله تعالى، رائد الاتجاه العلمي التجريبي في التفسير.

و أما هذه الدراسة التي بين أيديكم، فقد كانت بذرة قمت بزرعها في كوالا لامبور بماليزيا، ولم يكتب لها رؤية النور والنضج والاستواء إلا في المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم. فهي لبنة جديدة في دراساتي السابقة حول جهود علماء الألبان في الدراسات القرآنية في أوروبا. أسأل الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يتقبل منا صالح الأعمال وألا يجرمنا من الدراسات والبحوث الأخرى المتعلقة بالقرآن الكريم، سواء لعلماء الألبان أم لغيرهم، إنه تعالى أكرم مسئول وخير مأمول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## تمهيد

## انتشار الإسلام في الأراضي الألبانية في الجزيرة البلقانية

لقد كان للإسلام و لجهود الدولة العثمانية في نشر هذا الدين الحنيف وتعزيزه بين أوساط الألبان في الأراضي الألبانية في أوربا فضل عظيم في الحفاظ على هويتهم الدينية و العرقية، فوجود الدولة العثمانية أوقف عملية الانصهار القومي والعربي والديني للألبان الذين كانوا يتعرضون لها أمام السلافيين من الصرب واليونانيين والبلغاريين المتعصبين<sup>506</sup>. ومعلوم أن الدولة العثمانية لم تمارس عملية الإكراه على إجبار الألبان للدخول في الإسلام، فالألبان كانوا يدخلون في دين الله طواعية وعن طيب نفس منهم، بينما الصرب الأرثوذكس كانوا يمارسون شتى الضغوط والأساليب والممارسات القمعية لإجبار الألبان على اعتناق النصرانية<sup>507</sup>.

والغريب أنك تجد اليوم جمهور المثقفين الألبان وباحثيهم في العصر الحديث يعتقدون ويدرسون الطلاب في الجامعات الألبانية خلاف ما هو ثابت تاريخياً، حيث يرى هؤلاء أن الإسلام انتشر عنوة وبالسيوف، وأن العثمانيين مارسوا العنف والإكراه، و إلا لم يكن الألبان ليسلموا عن طيب نفس منهم !! ولا شك أن هذه مغالطة تاريخية باطلة، وفكرة صليبية كاثوليكية ألبانية، يريد إحياءها بعض الذين يتعاونون

<sup>506</sup> للتوسع انظر :

P.Alpan Kaci, Nesim, **Shqiptaret ne perandorine Osman e**, Albin, Tirane, 1997, 35,41,125; Frasherri Sami, **Shqiperia c'ka qene, c'eshte, e c'do behete**, 36.

<sup>507</sup> المصدر السابق، ص 471-472

مع بعض الجهات الأوروبية التنصيرية والتبشيرية، بهدف ارتداد الألبان عن الإسلام، والعودة إلى الديانة الكاثوليكية.

النزعة التجديدية عند الألبان

كانت رياح الفكر الديني الإصلاحية تهب من المشرق العربي متجهة إلى العالم الإسلامي وأيضاً إلى الأراضي الألبانية والبوسنية<sup>508</sup> في جزيرة البلقان في أوروبا. طلبة العلم الألبان كانوا يتجهون إلى المشرق العربي وإلى بعض البلاد الآسيوية كالهند وتركيا، لتعلم العلوم الدينية المختلفة لكون تلك البلاد مراكز عالمية للعلم والثقافة في ذلك الوقت<sup>509</sup>. ومع مرور الزمن تشكلت علاقات أخوية دينية بين هؤلاء الطلاب الألبان وأساتذتهم، حيث تزامنت هذه العلاقة مع الفترة التي نادى فيها بعض العلماء والمفكرون الإسلاميون المتأثرون بالمناهج والأفكار الغربية<sup>510</sup> بإجراء إصلاحات

---

انظر: الأرنؤوط، محمد موفاكور. 1993. الإسلام في يوغسلافيا من بلغراد إلى سرايفو. (عمان: دار البشير، ط.د.)، و انظر أيضاً:

Karcic, Fikret, **Drustveno-pravni aspekt Islamskog reformizma – Pokret za reformu serijatskog prava i njegov odjek u Jugoslaviji u prvoj polovini XX vijeka**, Sarajevo, 1990, 29–67.

<sup>509</sup> انظر:

Dela Roka, Roberto Moroco, **Kombesia dhe feja ne Shqiperi**, 209; Pirraku, **Kultura kombetare shqiptare**. 393., Muhamed

<sup>510</sup> حول جهود و أعمال هؤلاء المفكرين و المشايخ، مؤسسو المدرسة الإصلاحية فقد كُتبت الكثير، و نال هؤلاء اهتمام كثير من الباحثين الغربيين والمسلمين.. انظر مثلاً دراسة أ.د. الرومي، فهد بن عبد الرحمن: **منهج المدرسة الإصلاحية العقلية في التفسير**، (الرياض: ط1994، 1)، و انظر أيضاً:

Crecelius, Daniel Neil, **The Ulema and the state in modern Egypt**, Princeton, N.J, Princeton University Press, 1967, Ph.D. thesis; Jansen, J.J.G, **The interpretation of the Koran in modern Egypt**.



تعليمية حول المناهج الدراسية الأزهرية و إعادة النظر في بعض القضايا الدينية، وعلى رأسها قضية تحرير المرأة المسلمة وحالتها الاجتماعية<sup>511</sup>.

إن نظرة عابرة وفاحصة لحركة فلسفة الفكر الديني الإسلامي في الأراضي الألبانية في أوروبا، وإلى طبيعة الجدل والنقاش الحاد الذي كان يدور بين علماء الألبان المنادين بالإصلاح و بين المحافظين منهم، تجعلنا أن نجزم بأنهم كانوا مهتمين أيضاً بهذه القضايا الدينية التي شغلت الساحة الفكرية في العالم العربي والإسلامي.

ومن القضايا العصرية الأخرى التي ناقشها العلماء الألبان في بدايات القرن العشرين في أوروبا، حيث الشيوعية والإلحاد في أوجها؛ كانت قضية الاجتهاد ومجالاته وضوابطه<sup>512</sup>، ومسألة وجود الله عز وجل والحاجة إلى الدين أو التدين، وقضية التمدن والحضارة الإسلامية ومواجهة التحديات الغربية وحقوق الإنسان في المجتمع، وقضية العلمانية، والتسامح الديني والتعايش السلمي بين أتباع الأديان والعرقيات المختلفة، وقضية الإلحاد والشيوعية والرأسمالية والاشتراكية وغيرها من القضايا الفكرية الساخنة التي كانت في عهدهم<sup>513</sup>.

---

<sup>511</sup> حول تاريخ التجديد الفكر الديني و إصلاحه وبعض المجددين الكبار من السلف والخلف... انظر:

Maududi, Abul A'La, **A short history of the Revivalist Movement in Islam**, transl. by Al-Ash'ari, The Other Press, Petaling Jaya, K.Lumpur, Malaysia, 1999, 24 –77.

<sup>512</sup> راجع: الموافقات في أصول الشريعة الإسلامية، للإمام الشاطبي، تحقيق: الشيخ إبراهيم رمضان مقابلة عن الطبعة التي شرحها الشيخ عبد الله دراز، (بيروت: دار المعرفة، ط4، 1999)، ج4، ص 463-638.

<sup>513</sup> راجع على سبيل المثال المجلة الإسلامية الشهيرة الأخرى بعنوان: ( **Kultura Islame** )، الثقافة الإسلامية، والتي كانت تصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والتي أتيت بما من ألبانيا، و قد صورت جملة من الأعداد المختلفة فيها مواضيع مختلفة، راجع مثلاً العدد: 3-4، نوفمبر و ديسمبر، 1941م، مقالاً بعنوان: ( **Islami eshte gjalle** )، ( الإسلام لا يزال حيًا ).

## رواد الاتجاه الإصلاحى التجديدي عند الألبان

وأبرز الذين ناقشوا هذه المسائل من علماء الألبان ومفكرهم نذكر على سبيل المثال: المفكر الألباني الشهير مهدي فراشيري: ( Mehdi Frasherri 514)، والمفكر الشيخ الحافظ عصمت دبرا: ( Hafiz Ismet Dibra ) .. 515، والعالم الألباني المجدد الحاج وهبي دبرا 516، ( Haxhi Vehbi Dibra ) ، والأستاذ الشيخ قدرى ( Hoxhe Kadriu ) 517، والشيخ المفكر الحافظ 518 على كرايا، ( Hafiz Ali Kraja )، والشيخ المفكر الحافظ علي كورتشا Hafiz Ali Korca، و غيرهم كثير، رحم الله الجميع وغفر لنا ولهم.

وبناءً على هذه المناقشات العلمية الحادة بين المحافظين والإصلاحيين الألبان، فإن التيار الإصلاحى بدأ يتقوى ويؤثر في الرأي العام بشكل ملحوظ وكبير للغاية، مما أدى بالمشيخة الإسلامية العليا وهي أكبر مؤسسة دينية إسلامية في ألبانيا إلى

514 انظر: تطور الثقافة الإسلامية عند الألبان في القرن العشرين باللغة الألبانية:

Zekaj, Ramiz, **Zhvillimi i kultures islame te shqiptaret gjate shekullit XX**, 312-314.

515 انظر للتوسع النقاش الذي جرى بينهما:

Basha, Ali.M, **Islami ne Shqiperi gjate shekujve**, 140-141.

للمزيد انظر:

Xhelili, Qazim, **Vehbi Dibra – personalitet dhe veprimtar i shqar Zhvillimi i iletizjes kombetare**, Albin, Tirane, 1998, 4-20; Zekaj, Ramiz **kultures Islame te shqiptaret gjate shekullit XX**, 288-291.

517..للتفاصيل انظر:

Skendi, Eqber, **Hoxhe Kadriu-Kadri Prishtina**, Rilindja, Prishtine, 1992, 8-20, 217-219; Morina, Qemajl, **Hoxhe Kadri Prishtina-Mendimtar Islam**, Kryesia e Bashkesise Islame, Prishtine, 2000,7-97.

518 للمزيد انظر:

Zekaj, Ramiz, **Zhvillimi i kultures islame nder shqiptaret**..328-329

الإعلان والتصريح في قرارها رقم: 2، سنة 1937-03-01 بإلغاء الحجاب، والسماح بكشف الوجه واليدين وجواز ممارسة نشاطها في الحياة الإنسانية العامة. و تشير المصادر التاريخية إلى أن اتجاه التفسير الإصلاحي والاجتماعي السياسي للقرآن كان ظاهرة حاضرة في كتابات وكلام وخطب علماء الألبان في ذلك العصر. بجانب هذا التيار الاجتماعي في التفسير، وجد أيضاً اتجاه صوفي<sup>519</sup> في بعض تفاسير علماء الألبان.

ومن الاتجاهات التفسيرية التي ظهرت في العصر الحديث لدى علماء الألبان كان الاتجاه العلمي الفلسفي المتمثل في فكر الشيخ الفيلسوف حسن تحسين أفندي (Hoxha Hasan Tahsin Efendiu)، كما ظهر أيضاً في كتابات ودراسات علماء الألبان في العصر الحديث الاتجاه العلمي التجريبي في التفسير المتمثل في فكر الدكتور الطبيب الاستشاري علي فخري إلياسي Prim.Dr.Sci.Med. Ali Fahri Iljazi . والساحة العلمية والفكرية في الأراضي الألبانية كانت مليئة بالأفكار الإصلاحية والتجديدية<sup>520</sup>.

---

<sup>519</sup> المصدر السابق، ص 104-105، و انظر للتوسع في القضايا الصوفية الكبيرة كتاب: نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، د. عرفان عبد الحميد فتاح، ص 175-249، ونحن بإذن الله تبارك وتعالى سنقوم بدراسة هذا الاتجاه والاتجاه الآخر الاستشراقي عما قريب إن شاء الله تعالى.

<sup>520</sup> انظر للتوسع حول هذه الموضوعات:

Morina, **Qemajl, Hoxhe Kadri Prishtina – Mendimtar Islam**, Kryesia e Prishtine, 2000, 25-35, 37-48, 63-67. Bashkësisë Islame, و حول بعض القضايا الفكرية والمذهبية الأخرى و المتشابهة بتلك التي ذكرنا، انظر : بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي، الذي عقد في استنبول سنة 1992م، ترجمة أرخان محمد علي، - 55 . , 83ط1، 1997، Nesil Basim-Yayın ,Yeni Bosna, Istanbul,

في ظل هذه الظروف والأجواء الاجتماعية الدينية المتوترة بدأت تظهر ترجمات مجزأة<sup>521</sup> لنصوص القرآن الكريم. فوجد في المجتمع الألباني من فسر ثلث القرآن الكريم تفسيراً علمياً منهجياً، مثل تفسير الشيخ الحافظ إبراهيم داليو رحمه الله: ( Hafiz Ibrahim Dalliu). (خلاصة أو صفوة معاني القرآن الكريم)، كما أنه وجدت هناك تفاسير مطولة لبعض الآيات والسور لبعض العلماء الآخرين، مثل التفسير المطول لسورة الفاتحة من الشيخ المفكر: ( Haxhi Vehbi Dibra Agolli)، الحاج وهي دبرا آغولي، والتفسير الوجيز من الشيخ الحافظ علي كورتشا: ( Hafiz Ali Korca)، وترجمة معاني القرآن والتفسير المختصر الذي نحن بصدد دراسته للشيخ الحاج شريف أحمددي: (Haxhi Sherif Ahmeti) رحمه الله تعالى، وغير هؤلاء الذين ذكرناهم<sup>522</sup>.

<sup>521</sup> حول جواز ومنع ومشاكل وضوابط الترجمة للقرآن الكريم انظر أبحاث الأساتذة الكرام: د/ سعاد يلدريم، و د/ عبد القهار العاني، و د/ حبيب الرحمن إبرمسا في المؤتمر العالمي حول ترجمة القرآن الكريم المنعقد في كوالا لمبور بماليزيا:

**7th International Conference on Translation –The Translation of Religious Texts**, 6–8 December, 1999, Kuala Lumpur, Malaysia, 101–106, 293–315, 319–355.

<sup>522</sup> و تشير بعض المصادر التاريخية الأخرى إلى أن أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة الألبانية كانت من اللغة الإنكليزية (ترجمة George Sale) على يد مستشرق مسيحي ألباني اسمه: Ilo Mitko Qafzezi في المهجر في رومانيا، فظهر المجلد الأول عام 1921م، ثم بعد ست سنوات ظهر المجلد الثاني عام 1927م. و حول الخلفية التاريخية لترجمات القرآن الكريم إلى اللغة الألبانية، كاملة و مجزأة.. انظر دراسة الأستاذ الدكتور فتحي مهديو بعنوان:

Mehdiu, Feti; **Perkthimet e Kur'anit ne gjuhen shqipe**, Logos–A, Shkup, 1999، و بحث الأستاذ المؤرخ الألباني غازمند شبوزا حول الترجمات الكاملة و المجزأة للقرآن الكريم عند الألبان بعنوان:

Shpuza, Gazmend, **Kur'an ne gjuhen shqipe**, 19.06.2005, Instituti i Historise.

هذه مقدمة هامة عن اتجاهات التفسير في أوروبا وبالذات في الأراضي الألبانية في الجزيرة البلقانية أحببنا من خلالها أن نمهد لهذه الدراسة التي بين أيديكم حتى تكون حلقاتها متصلة مع بعضها وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله و أصحابه.

## الفصل الأول: التعريف بهذا التفسير المختصر ويشتمل على عدة مباحث

المبحث الأول: التعريف بالشيخ المفسر رحمه الله  
مولده، تعلمه، أعماله و وفاته:

ولد الشيخ المفكر الحاج شريف أحمدي في قرية غمناسيلا Gumnaselle محافظة لبیان Lipjan في كوسوفا الحالية عام 1920م. تخرج من المدرسة الابتدائية في قرية أخرى تسمى بانول Banulle . أنهى الثانوية الشرعية (علاء الدين ) في بريشتنا Prishtina - عاصمة كوسوفا عام 1944. و في عام 1965م انضم إلى سلك التدريس في نفس الثانوية الشرعية التي تخرج منها. وفي عام 1970 عُيِّن مديراً لها إلى عام 1984م. و في سنة 1985م عُيِّن مفتياً عاماً في كوسوفا. ظل على منصب الإفتاء إلى أن أُحيل إلى التقاعد سنة 1990م، و بمناسبة افتتاح أول كلية للدراسات الإسلامية في عاصمة كوسوفا- برشتينا، انتدب الشيخ شريف أحمدي إليها للتدريس.

اشتهر رحمه الله باهتمامه الكبير في حضور حلقات ومجالس العلم للعلماء، فقد حضر دروس الشيخ أحمد ماردوكي Ahmet Mardoki في المدرسة الدينية بيريناز: Pirinaz في بريشتينا، و لازمه لمدة عشر سنوات، وحصل على الإجازة العالية منه. ومن الثابت واللافت للنظر أن الشيخ رحمه الله لم يتلمذ بين يدي الأساتذة والمدرسين العرب ولم يدرس في الدول العربية قط، ولم يتخرج من الجامعات العربية والإسلامية، وهو مع ذلك استطاع أن يمسك بزمام اللغة العربية من خلال

الحلقات العلمية التي كان يحضرها للمشايع و العلماء الألبان، فوفقه الله عز وجل وفتح عليه في العلوم الدينية والشرعية والعربية، مما أهله ذلك إلى القيام بمشروع تفسير القرآن الكريم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، و الله ذو الفضل العظيم.

### أعماله :

في سنة 1968م ترجم من اللغة البوسنية إلى اللغة الألبانية الكتاب الإسلامي المشهور بعنوان: ( علم الحال: Ilmihali )<sup>523</sup>. عُيِّنَ مديراً لتحرير المجلة الإسلامية المشهورة بعنوان: Edukata Islame - التربية الإسلامية )، وكانت له مقالات وبحوث متسلسلة في هذه المجلة. ظل مديراً لها إلى عام 1983م. ثم ترجم وفسر سورة يس إلى اللغة الألبانية، وفي عام 1987م سلم إلى المطبعة ترجمة القرآن الكريم مع تفسيره المختصر. طُبع من هذا المصحف المفسر في ليبيا: 50,000 (خمسون ألف نسخة )، وفي القاهرة: 30,000 (ثلاثون ألف نسخة)، و أخيراً في المدينة المنورة: 1,000,000 (مليون نسخة).

### وفاة الشيخ و ثناء الآخرين له

انتقل الشيخ المفسر الحاج شريف أحمددي إلى الرفيق الأعلى عام 1998م، واجتمع العلماء وطلبة العلم الشرعي لتشيع جنازته والصلاة عليه من كافة مدن كوسوفا وحضر حشد كبير من الناس للصلاة عليه وتشيع جنازة هذا العالم والأستاذ الكبير، وصُلِّيَ عليه في المسجد الكبير في العاصمة بريشتنا. حضر جنازته وفود رفيعة المستوى

<sup>523</sup> هذا الكتاب كتاب منهجي ديني إسلامي، فيه المبادئ الإسلامية العامة. بهذا الكتاب بدأ الجيل الجديد من الصبيان رحلته إلى الإسلام، فهو كتاب مهم و مشهور و معروف لدى الألبان و البوسنيين والأتراك.

من مقدونيا وسنجد ومدراء المدارس الحكومية وغيرهم، وكانت لهم كلمات خالدة بهذه المناسبة، حيث أثنوا على الشيخ وذكروا مناقبه وجهوده العلمية التي امتاز بها المرحوم. لقد امتاز الشيخ المرحوم بمواقفه القومية والدينية ضد النظام الشيوعي الصربي اليوغوسلافي. كما كان له دور كبير في الحفاظ على الهوية الإسلامية الألبانية والهوية القومية الألبانية من الانصهار والذوبان أمام المخططات والمؤامرات الشيوعية الصربية، وذكر بعض الحاضرين بمواقف الشيخ الشجاعة والباسلة في عدم جواز هجرة المسلمين الألبان إلى تركيا حتى لا تخلو الأرض للصرح الحاقدين والعنصريين..<sup>524</sup>. فرحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

### المبحث الثاني: التعريف بهذه الترجمة و هذا التفسير

تقع هذه الترجمة للقرآن الكريم مع تفسيرها المختصر في 767 صفحة، من الحجم الوسط: 21.5 x 13.5. استهل هذا التفسير بمقدمة من قبل رابطة العالم الإسلامي باللغة العربية بتعاون مع المجمع لطباعة المصحف الشريف، جاء فيها بعد البسملة قوله تعالى:

---

<sup>524</sup> هذه الترجمة لحياة الشيخ نقلتها من آخر كتاب صدر من بعض تلاميذ الشيخ الحاج شريف أحمددي، حيث قام هؤلاء بجمع مقالات وآراء وأعمال أستاذهم ولكنهم لم يوفقوا لجمع كافة الأعمال، والشيخ رحمه الله كان يتمنى أن تجمع و أن تنشر كل أعماله في هذا الكتاب، و لعل تلامذته المخلصون يدركون تقصيرهم، ويوفون بعهدهم و ينفذون وصية شيخهم وأستاذهم و يستدركون القراء بإصدار كتاب آخر قد جمعوا فيه كل أعمال الشيخ رحمه الله تعالى، لأن المسلمين الألبان بحاجة ماسة إلى تلك الأعمال والبحوث العلمية والدينية. طبع هذا الكتاب سنة 1995م بعنوان: **Komente dhe Mendime Islame** (تعليقات ووجهات نظر إسلامية). وانظر أيضاً المجلة الإسلامية الألبانية: **Ditura Islame** (العلم الإسلامي)، و المجلة: **Perpjekja Jone** (محاولتنا)، ص: 199-204



﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾، [ص: 29]،  
 وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا  
 كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم " خيركم من تعلم القرآن  
 و علمه " <sup>525</sup>.

جاء فيها أيضاً الثناء العطر للجهود الجبارة التي يبذلها خادم الحرمين الشريفين  
 واهتمامه البالغ بطباعة وترجمة المصحف الشريف ونشره إلى كافة أنحاء العالم. لقد  
 أثبتت الرابطة ضرورة ترجمة القرآن الكريم وتفسيره و نشره إلى كافة اللغات العالمية،  
 ومنها اللغة الألبانية. وبما أن الكمال المطلق لله تعالى، فإن تفسير وترجمة هذا المصحف  
 الشريف جاء في حدود الطاقة العلمية لهذا العالم الجليل الشيخ المفكر شريف أحمددي،  
 وبناء عليه فإنه قد يصيب وقد يخطئ، ذلك، لأن الترجمات القرآنية مهما بلغت  
 ذروتها في الدقة والتعبير فإنها لا يمكن أن تصل إلى المقاصد العليا لنص القرآن الكريم.

### المبحث الثالث: معالم منهج المفسر - مقدمات هامة عن القرآن الكريم

لقد ذكر المفسر الشيخ شريف أحمددي رحمه الله في مقدمته موقفه تجاه بعض  
 القضايا القرآنية المهمة. هذه المسائل المهمة وموقف الشيخ منها تعتبر من معالم منهجه  
 واتجاهه في التفسير، فكان لزاماً علينا أن نتطرق إليها ونذكر منهج المفسر من بعض

<sup>525</sup> صحيح الإمام البخاري المسمى: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه  
 وأيامه، تحقيق: محمد نزار تميم & هيثم نزار تميم، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان، الحديث رقم: 5027،  
 ص: 1108

القضايا العلمية المتعلقة بعلوم القرآن، ونكون بذلك قد سلطنا مزيداً من الضوء على فكر ومنهج الشيخ رحمه الله تعالى. لقد استهلت هذه المقدمة من قبل الشيخ بعنوان: Veshtrim Rreth Kur'anit (نظرة عامة حول القرآن الكريم)، فمن المسائل التي ناقشها:

## 1- الوحي: المفهوم و المصطلح

بين فيها المفسر أن القرآن الكريم كلام رب العالمين بلا نزاع، أوحى إلى خاتم الأنبياء والرسل بواسطة جبريل،<sup>526</sup> - عليه السلام -، المكتوب في المصحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبتدأ بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس. ثم عقب بذكر بعض خصائص القرآن الكريم، و منها : أن القرآن الكريم ليس من صنع وإنتاج عقل البشر، وأنه كلام الله عز وجل، منطوق وبلغه عربية، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيرٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾، [الشعراء: 192-194]، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾، [النمل: 6]

ثم إنه - رحمه الله - فند مزاعم بعض المستشرقين ومن نهج نهجهم، القائلين إن جبريل عليه السلام بلغ النبي صلى الله عليه وسلم معنى القرآن الكريم فقط، وليس الألفاظ، وأن محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام هو الذي عبر عن ذلك المعنى بألفاظ من عنده؟! فعقب الشيخ قائلاً بأن هذه الشبهات باطلة ولا أساس لها، لكونها تتعارض مع صريح القرآن والسنة النبوية والإجماع، وأنه ما كان لإعجاز القرآن البياني

<sup>526</sup> من الملحوظات الدينية على فضيلة المفسر الشيخ الحاج شريف أحمددي رحمه الله، هي أنه كلما ذكر اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم و اسم جبريل عليه السلام فهو لم يعقب بالصلاة والسلام عليهما. وقد حثنا الرسول صلى الله عليه وسلم على الصلاة والسلام عليه كلما ذكر اسمه.

واللغوي أن يتحقق لو كانت ألفاظه من عند النبي صلى الله عليه وسلم أو من عند جبريل عليه السلام، والله يقول في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾، [ التوبة:6] . فالشيخ رحمه الله- أثبت فيها أن القرآن الكريم لفظه ومعناه من الله عز وجل.

ثم تطرق الشيخ شريف أحمددي إلى موضوع الوحي وتعريفاته وأنواعه وكيفية نزوله مستدلاً بالآية الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى:51]، وذكر معاناة الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء تلقيه الوحي والطريقة التي كان يأتيه بها الوحي.

ثم تطرق إلى المصدر التشريعي الثاني، السنة النبوية المطهرة. حيث أثبت حجيتها وأطلق عليها: الوحي بالنفخ في الروح. فالسنة هي وحي من الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، [النجم:3-4]،

## 2- موضوعات القرآن الكريم ومحتوياته

ذكر- رحمه الله- عند حديثه عن محتويات القرآن الكريم وموضوعاته أن القرآن الكريم كتاب دين وتربية دائمة، وكتاب هداية ورحمة للفرد والمجتمع الإنساني كله. هذا الكتاب ينمي روح السلام بين الناس و يحثهم على الارتقاء الحضاري والسمو الروحي، ويمتاز بالشمولية في الأحكام والمبادئ، كما أنه يهدف إلى الإصلاح الاجتماعي. فمن الناحية الدينية اشتمل القرآن الكريم على عقيدة التوحيد والإيمان الصحيح بالله الواحد الأحد جل جلاله، والإيمان بالملائكة، والكتب واليوم الآخر. ومن الناحية

العلمية اشتمل على دعوة للبحث والتدبر للمخلوقات والكائنات التي خلقها الله عز وجل في هذا الكون، بغية التوصل إلى أسرارها الناطقة بعظمة الله تعالى والدالة على قدرة الله عز وجل. أما من الناحية التاريخية فقد قصّ علينا قصص الأمم السابقة وأخبارهم لغرض الاعتبار والاتعاظ والاهتداء. و أما عن سرّ كون تلك الكتب والشرائع السابقة مؤقتة، فإنها كانت تهدف إلى تهيئة وإعداد تلك الأمم والشعوب على معرفة الله عز وجل والإيمان به، ولقبول آخر كتاب منزل شامل ودائم<sup>527</sup>، صالح لكل زمان ومكان.

### 3 - إعجاز القرآن الكريم

أكد الشيخ المفسر فيها عن كون القرآن الكريم معجزة دائمة وباقية، لأنه كلام الله، والكلام صفة من صفات الله عز وجل، ومن شأن تلك الصفة الديمومة... فكل نبي أو رسول كانت له معجزته الخاصة به، والكتاب المنزل عليه كان يمثل منهجه العملي. وأما معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (القرآن) فهو في آن واحد منهج ومعجزة...، ولكي يتحقق إعجازه فإن نصه يجب أن يحفظ بدقة وأمانة، فلذلك تكفل الله عز وجل بالحفظ من التحريف والتغيير والتبديل.

و في هذا الصدد ناقش الشيخ المفسر مسألتين مهمتين للغاية، هما: مسألة التطبيق العملي للقرآن، ومسألة الحفظ له من التبديل والتحريف. ومن لطائف ما ذكر أنه مع مرور الزمن يضعف دافع التطبيق، بخلاف دافع الحفظ، فإنه يزداد ويقوى. ولو أنا طبقنا القرآن الكريم تمام التطبيق في حياتنا لكان طبيعيًا ومنطقيًا بأن يُحفظ هذا القرآن، ولكن غفلتنا وابتعادنا عن توجيهات القرآن الكريم وتعليماته، تجعلنا ألا نسير

<sup>527</sup> راجع تفسير الشيخ شريف أحمددي، ص: 13-14

بخط متوازٍ مع شدة حفظ الله سبحانه وتعالى له. وأكبر برهان على أن الله عز وجل حافظ كتابه أنك تجد بعض المسلمين قد عزم أن ينسخ القرآن الكريم و أن يكتبه كاملاً وفي صفحة واحدة وبحروف دقيقة للغاية وبخط جميل. وترى الآخر يتنافس مع الآخر في إصدار أجمل وأحسن طبعة للقرآن الكريم. و في هذا دليل على أن الله عز وجل هو الذي يحفظ كتابه وليس هم الذين يطبقونه في حياتهم<sup>528</sup>.

#### 4 - مجالات إعجاز القرآن الكريم

ذكر الشيخ - رحمه الله- أن هناك مجالات وجوانب تثبت إعجاز القرآن الكريم، ولكنه خشية الإطالة ذكر ثلاثة جوانب فقط: الجانب اللغوي، والجانب العلمي والجانب النفسي.

##### أ- معجزة القرآن اللغوية

ذكر أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب الذين بلغوا في الفصاحة والبلاغة شأواً بعيداً. والقرآن الكريم قد تحداهم في هذا الجانب الذي نبغوا فيه، ولكنهم عجزوا عن تقليده والإتيان بمثله، فلما عجزوا عن ذلك ما كان منهم إلا أن يقولوا بأن هذا القرآن ضرب من السحر وأن الرسول ﷺ ساحر! والشيخ -رحمه الله- رد على هذا الافتراء معللاً بأنه لو كان صحيحاً فيما ذهبوا إليه، للزم من ذلك أن يُسحر هؤلاء، لأن من شأن الساحر أن يسحر المسحور و أن يسلب إرادته وحرية، ولكن الحقيقة كانت خلاف ذلك. فهؤلاء العرب الفصحاء المعارضون للرسول صلى الله عليه وسلم ورغم اتهامهم إياه ب: السحر، و لكنهم في حقيقة الأمر لم يؤمنوا به، فهذا دليل قطعي على

<sup>528</sup> انظر التفسير المختصر للشيخ الحاج شريف أحمددي، ص: 14

كذبهم على أن محمداً عليه الصلاة والسلام لم يكن ساحراً ولم يسحرهم، وإلا فكيف يمكن للمسحور أن يعارض إرادة الساحر وألا يتقيد بأوامره<sup>529</sup>؟!

### ب- معجزة القرآن العلمية

بعد أن ذكر الشيخ المفسر ديمومة إعجاز القرآن الكريم لكونه نزل من لدن إلهٍ حيٍّ قيوم، ذكر بأن سر دوام إعجازه يكمن في كون القرآن الكريم معجزة علمية أيضاً، بخلاف المعجزات الأخرى، والسبب في كونه معجزة علمية يعود إلى اكتشافات بعض الناس لبعض أسرار القرآن الكريم العلمية في الآونة الأخيرة. فالقرآن الكريم في المراحل الأولى من نزوله قد أشار إشارة عابرة إلى هذه القضايا العلمية الحديثة المكتشفة، ولكن الناس في ذلك الوقت كانوا غير قادرين على فهم دقائق القرآن الكريم و أسراره العلمية.

إن القرآن الكريم أشار أيضاً إلى أسرار أخرى و اعتبرها حقائق، سواء أدركها العقل البشري ذلك أم لم يدركها، فهو بإشارته إلى تلك الحقائق كأنه يريد أن يقول لنا بلسان حاله: إذا قلت لكم شيئاً أو أخبرتكم عن شيء فلا تبحثوا عن الدليل، فأنا الدليل. وإذا وجد من بينكم من لا يصدق بهذا الكلام ويريد أن يعتمد على حواسه الشخصية، فإنني سأمكن لهم ذلك وسأريهم آياتي في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم بأن الذي قلته هو حق، يقول الله عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، [ فصلت:53].

<sup>529</sup> انظر التفسير المختصر للشيخ الحاج شريف أحمددي، ص:15

فالقرآن الكريم مرق حجاب الزمان والمكان وفيه أبعاد زمنية ومكانية، وقارئ القرآن سوف يلاحظ هذه الحقيقة أثناء قراءته للقرآن. إن أسرار معاني القرآن الكريم تتجدد في كل عصر ومع كل جيل، ومع توسعه في نطاق الدلالات والمعاني، فإن القرآن الكريم يسير متوازيًا مع عجلة الحياة والعصر الذي نعيش فيه، فحق له أن يكون معجزة علمية أيضًا،<sup>530</sup>.

### ج - معجزة القرآن النفسية

يتلخص كلام الشيخ المفسر حول هذا الموضوع في أن الله عز وجل قد أنزل هذا القرآن ليكون رحمة ونورًا للناس. فالنفوس التي أشربت في قلبها ودمها عبادة الأصنام فإن نزول القرآن الكريم في حقهم كان يمثل ضربة قاسية. فقد دعاهم القرآن إلى ترك ونبت تلك العبادة التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ولكنهم أبوا. هذه الدعوة القرآنية الجديدة شكلت لهم تحديًا كبيرًا للغاية، ومع ذلك فقد كانوا ينقادون ويساقون إلى القرآن شيئًا فشيئًا. إن معجزة القرآن الروحية والنفسية أخذت تؤثر في نفوسهم وقلوبهم شيئًا فشيئًا، مما جعلهم معترفين بحقيقته، ولكنهم دون وعي منهم قالوا له: سحر!! و الشاهد على ذلك قصة أحد صناديد وفصحاء قريش، الوليد بن المغيرة.

<sup>530</sup> انظر تفسير الشيخ شريف أحمددي، ص:14-16، و حول معجزة القرآن اللغوية و الموضوعية للشيخ المفسر الحاج شريف أحمددي له بحثان قيمان في كتاب له بعنوان: **Komente dhe Mendime Islame**، ( آراء و اجتهادات إسلامية )، الكتاب من مطبوعات المشيخة الإسلامية في عاصمة كوسوفا - بريشتنا، عام 1996، ط1، فراجع البحثين فإن فيهما فوائد جلية، ص: 300-306، و 307-317

## 5 - من خصائص القرآن:

### أولاً - جمعه في الصدور

أما عن جمع القرآن وحفظه في الصدور والسطور، فذكر الشيخ أن القرآن الكريم نزل على قوم أميين من العرب الذين لا يعرفون الكتابة ولا القراءة، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، [ الجمعة:2]. فهم تميزوا عن بقية الشعوب بقوة الذاكرة والحفظ، حيث كانوا يحفظون مئات نصوص الشعر والخطب مع أسماء القائلين وأنسابهم. ولما نزل عليهم القرآن ودخلوا في الإسلام تخلوا عن حفظ الأشعار واتجهوا إلى حفظ القرآن، لأنهم قد وجدوا بغيتهم الفكرية وضالتهم اللغوية فيه، ثم انتشروا في الآفاق والأمصار لتعليم الآخرين. وحفظ القرآن عن ظهر قلب من خصائص هذه الأمة المحمدية، و هي هدية مهداة من الله عز وجل، لأنه تعالى يسر عليهم حفظه قائلاً: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، [ القمر:17]

### ثانياً: جمعه في السطور

هذه خاصية ثانية من خصائص الأمة المحمدية. فقد كان لدى رسول الله ﷺ كتاب للوحي يكتبون ما يوحى إليه، وأدوات الكتابة لم تكن متوفرة في ذلك الوقت، ولم يكن عندهم الورق، إلا ما كان يصنع عند الفرس والروم، بل وحتى عندهم لم يكن يصنع بكثرة، فكتبوا القرآن على الأحجار الملساء وجلود الإبل وجريد النخيل وغيرها من الأدوات والوسائل المتيسرة في ذلك الوقت<sup>531</sup>.

<sup>531</sup> راجع التفسير المختصر للشيخ شريف أحمد، ص: 19-20



ثم ذكر الشيخ المفسر أنه بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وأداء الأمانة، وبسبب مقتل القراء في معركة اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق، فقد أشار عمر بن الخطاب إلى سيدنا أبي بكر الصديق بجمع القرآن في الصحف أو في مصحف واحد خشية ضياع القرآن بموت الحفاظ. في بادئ الأمر تردد أبو بكر الصديق ثم وافق عمر بن الخطاب على ذلك.

أما جمع القرآن الكريم في عهد عثمان عفان رضي الله، ففي خلافته اتسعت رقعة الإسلام إلى ما وراء جزيرة العرب، حتى فتحت أرمينيا و أذربيجان، وقد لاحظ الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه اختلافاً في قراءة القرآن من العرب وغيرهم بالأحرف والقراءات الأخرى وبطرق مختلفة، فسارع إلى عثمان بن عفان قائلاً له: أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف إلى كتابها كما اختلفت اليهود والنصارى. فما كان من عثمان رضي الله عنه إلا أن جمع الصحابة وشاورهم، وبعد اتفاقهم أمر أن تنسخ عدة نسخ وأن توزع على الأمصار. ويتضح من هذا أن الفرق بين جمع أبي بكر الصديق و جمع عثمان بن عفان رضي الله عنهما، هو أن أبا بكر أمر بجمعه خشية ضياع القرآن بموت الحفاظ، بينما خشى عثمان -رضي الله عنه - الاختلاف في القراءة..<sup>532</sup>.

## 6 - مسألة تفسير وترجمة القرآن الكريم إلى لغة أخرى

وفي آخر مقدماته تناول الشيخ المفسر أهمية تفسير القرآن الكريم، حيث قال: " إن توضيح وتفسير كلام الله عز وجل على النحو الذي يريده الله عز وجل من عباده يكون أولاً بأن نفسر كلامه بكلامه، أي تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن

<sup>532</sup> المصدر السابق، 21-22 بتصرف

بالسنة، ثم تفسيره بكلام الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. وأما التفاسير المتأخرة التي لم تستند إلى المصادر الأولى السابقة، هي تفاسير عقلية بحتة - تفاسير بالرأي الجائز -.

إن ترجمة معاني القرآن هي مسألة ضرورية ومطلوبة، لأنه من خلالها يتعرف الناس إلى مبادئ القرآن الكريم وإرشاداته وآدابه القيمة، مع التأكيد أن الترجمة النصية أو الحرفية للقرآن الكريم إلى لغة أخرى هو أمر غير جائز لتعذر ذلك ولاستحالة بقاء الأسلوب البياني والبلاغي الأصلي للقرآن الكريم، لأن في الترجمة تضيع الأصالة وروح العربية للنص، كما أن فصاحة القرآن وبلاغته تفتقدان من خلالها. والله يغفر و يتجاوز عن الأخطاء غير المقصودة.. " 533.

---

533 راجع تفسير الشيخ المفسر شريف أحمددي، ص: 22

## 7- قراءة الكتاب المنظور والكتاب المسطور

كان من فضل الله عز وجل على الإنسان أن يسر له كتابين للقراءة والاستفادة منهما، حتى يهتدي إليه سبحانه. الكتاب الأول هو الكتاب المنظور، أي هذا الكون الفسيح الذي من حولنا خلقه تعالى ليتدبره الإنسان من خلال البحث والتأمل والدراسة لظواهرها الطبيعية. هذا الكتاب المنظور غير ناطق ولا لسان له، وإنما لسان حاله: المخلوقات والنباتات والمعادن والكائنات المختلفة الحية. فالباحثون والدارسون لهذا الكتاب هم الذين يخشون من الله حق الخشية، قال تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾، [فاطر: 28].

و أما الكتاب الثاني الناطق، هو هذا الكتاب المسطور، أي القرآن الكريم الذي بين أيدينا، فقد أكد الشيخ المفسر على ضرورة القراءة للكتابين والتوفيق بينهما، لأن القرآن الكريم لا يزال معيناً لا ينضب للمعاني الجديدة للأجيال القادمة، و هذه هي معجزة القرآن العلمية والموضوعية.

## 8- التفسير الذي أراده الشيخ تقديمه للقراء

لقد بين الشيخ المفسر رحمه الله منهجه في التفسير باختصار، قاصداً أن يصبغ على التفسير والترجمة صبغة الإيمان والأخلاق وروح الشريعة والمقاصد الإسلامية.<sup>534</sup>

<sup>534</sup> انظر تفسير الشيخ الحاج شريف أحمد، 743-750

## الفصل الثاني: دراسة و تحليل تفسير الشيخ المفكر شريف أحمدى رحمه الله

المبحث الأول: مصادر تفسير الشيخ الحاج شريف أحمدى و تحقيق القول فيه

لقد ذكر الشيخ شريف أحمدى المصادر التي اعتمد عليها في معرفة موضوعات السور، تفسير ومعاني الآيات القرآنية:

- 1- كتاب: (صفوة التفاسير)، للأستاذ الشيخ المفسر محمد علي الصابوني.
- 2- كتاب: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، للشيخ صديق حسن خان.
- 3- كتاب: (المصحف المفسر)، للكاتب الموسوعي فريد وجدى.
- 4- كتاب: (قاموس قرآني)، للشيخ حسن محمد موسى، وأحياناً كان يرجع إلى التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للإمام الفخر الرازي، و (تفسير القرآن العظيم)، للإمام ابن كثير، إضافة إلى بعض المصادر الأخرى التي لم يذكرها الشيخ شريف أحمدى رحمه الله تعالى<sup>535</sup>.

هذه هي مصادر الشيخ رحمه الله في تفسيره و التي ذكرها بنفسه. ويرجع سبب اختيار الشيخ لهذه المصادر التفسيرية والاقتصار عليها دون غيرها، هو أن أصحاب تلك التفاسير هم من المعاصرين الذين ركزوا في تفاسيرهم لكتاب الله تعالى على إبراز المعاني والجوانب والدروس والعبير الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية ومعالجة المشاكل العصرية الراهنة في ضوء القرآن والسنة، وعلى هذا المنهج سار الشيخ شريف أحمدى في تفسيره، وبناء على ذلك اعتبرناه أحد رواد الاتجاه الاجتماعي عند الألبان، والله أعلم.

<sup>535</sup> راجع تفسير الشيخ شريف أحمدى، ص: 750

## المبحث الثاني: منهج الشيخ شريف أحمددي وطريقته في تفسيره

- من خلال دراستي و قراءتي لهذا التفسير المختصر رأيت أنه رحمه الله سلك في منهجه لتفسير القرآن هذه الطريقة وهذا الأسلوب:
- يذكر المكي والمدني لسور القرآن، وعدد آياتها.
  - يذكر الموضوعات التي اشتملت عليها السورة، مع ذكر أسماء السور، كما فعل في تفسيره لسورة الفاتحة..<sup>536</sup>.
  - يذكر المعنى الإجمالي للآيات عامة، دون الوقوف عند كل آية بالتفسير، وإنما يكفي بالترجمة في أعلى الصفحة فقط..<sup>537</sup>.
  - يذكر أحياناً فضائل السورة، مستدلاً من كتب السنة والصحيحين..<sup>538</sup>.
  - يفرّد لكل سورة مقدمة تناسبها ويعرض فيها باختصار المواضيع التي تطرقت السورة لمعالجتها، إلا أنه رحمه الله أثناء عرضه لتلك الموضوعات لا يذكر موضوعات السورة مرتبة كما عرضتها السورة..<sup>539</sup>.
  - يعلل ويشرح بعض الكلمات القرآنية التي لها أكثر من معنى، و يبين الفرق بينها وبين الكلمات المتشابهة، مثل كلمة: الحمد، المدح، الشكر، فيذكر معنى الكلمة لغة واصطلاحاً، و يحدد المعنى المراد و الراجع من الآية..<sup>540</sup>.

<sup>536</sup> المصدر السابق، ص: 26

<sup>537</sup> المصدر السابق، ص: 10، 40

<sup>538</sup> المصدر السابق، ص: 26

<sup>539</sup> راجع تفسيره، ص: 29

<sup>540</sup> راجع تفسيره، ص: 27، 31

- يذكر معاني الكلمات مفصلة مع ذكر مصادر تلك الكلمات النحوية، كما أنه يذكر أحياناً المعاني المشابهة لها محيلاً إلى الآيات المماثلة الواردة في السور الأخرى، مشيراً إليها بالأرقام فقط دون ذكر الآيات، و يثبت تنوع دلالات الكلمات..<sup>541</sup>.
- يذكر المسائل النحوية والصرفية المتعلقة بالآية باختصار شديد..<sup>542</sup>.
- يتعرض أحياناً إلى ذكر المسائل العقديّة، ويختار الآراء الراجحة والقريبة إلى رأي أهل السنة و الجماعة..<sup>543</sup>.
- أحياناً يفسر القرآن بالقرآن، مع عدم ذكر لتلك الآيات، مكتفياً بالإشارة إلى أرقامها..<sup>544</sup>، ولم يسر على هذا المنهج دائماً كما بين في مقدماته.
- ينقل آراء المفسرين جملة حول موضوع واحد، كما ذكر موقف كل من الزمخشري وابن تيمية وابن كثير حول معاني الحروف الهجائية المقطعة في بدايات السور القرآنية..<sup>545</sup>، ولكنه لا يحيل القارئ إليها، ولا يذكر أرقام الصفحات والأجزاء لتلك المصادر.
- يوضح معاني بعض الاصطلاحات الدينية التي قد تكون غامضة على القراء، مثل كلمة: سجدة، إبليس، الجنة، بني إسرائيل، البدعة..<sup>546</sup>.

<sup>541</sup> المصدر السابق، ص: 27، 28

<sup>542</sup> راجع تفسيره، ص: 549، 265

<sup>543</sup> راجع تفسيره، ص: 28، 272

<sup>544</sup> المصدر السابق، ص: 28، 210، 236، 262

<sup>545</sup> المصدر السابق، ص: 31، 59

<sup>546</sup> المصدر السابق، ص: 38، 265، 48

- يذكر الإسرائيليات في تفسيره، ولكن باختصار شديد، كما ذكر قصة فرعون عندما رأى رؤية أن طفلاً من بني إسرائيل سيولد وسيكون هلاكه على يد ذلك المولود، وكما ذكر أسماء أولاد سيدنا نوح واسم زوجته عندما غرقوا<sup>547</sup>.
- أثناء تفسيره للآيات، يجري أحياناً مقارنة بين شريعتنا وشريعة من قبلنا، مبيناً نقاط الاتفاق والاختلاف التي بين الشريعتين، وذلك في قصة القتل في بني إسرائيل عندما أمرهم موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة و يضربوا ببعضها القتل، فذكر أن القاتل يحرم من الميراث، وهذا الحكم موجود في شريعتنا وشريعة موسى عليه السلام ..<sup>548</sup>.
- يذكر أسباب النزول، تارة على لسان المفسرين، وتارة على لسانه هو، لكن دون الإحالة أو الإسناد...<sup>549</sup>.
- يتطرق أحياناً إلى ذكر الناسخ والمنسوخ باختصار...<sup>550</sup>.
- يستشهد بالأحاديث القدسية والأحاديث النبوية من صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم وكتب السنة الأخرى...<sup>551</sup>، ولكنه لم يلتزم طريقة واحدة في تخرجه للأحاديث، تارة يسندها إلى مصادرها وتارة أخرى لا يسندها إلى مصادرها...<sup>552</sup>.
- يناقش آراء الدهريين والطبيعيين ومواقفهم من البعث والنشور باختصار...<sup>553</sup>.

<sup>547</sup> راجع تفسيره، ص: 38، 265، 378

<sup>548</sup> راجع تفسير الشيخ شريف أحمد، ص: 41، 43

<sup>549</sup> المصدر السابق، ص: 45، 79

<sup>550</sup> المصدر السابق، ص: 47

<sup>551</sup> المصدر السابق، ص: 48، 440

<sup>552</sup> المصدر السابق، ص: 54، 79، 106، 128، 130، 132

<sup>553</sup> المصدر السابق، ص: 48

- يرد على اليهود المغضوب عليهم والنصارى الضالين، ويبين أنه كان من الواجب عليهم اتباع هذا الدين، وأن هذا الإسلام هو الذي صبغ الله به عباده، وليس الماء والزيت الذي يصبغ بهما اليهود والنصارى أنفسهم للتبرك..<sup>554</sup>.
- يصحح بعض المفاهيم المغلوطة لدى بعض الناس و يبين وجه الصواب فيها، مثل تناوله لحقيقة الجنة وأوصافها ونعيمها وحقيقتها لا يعلمها أحد إلا الله تعالى، وكتناوله لمفهوم وحقيقة حياة الشهيد، فذكر بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، دون الخوض في كيفية وحقيقة حياتهم، وذكر أنه من الخطأ الاعتقاد بأن أجسامهم لا تبلى و لا تتلاشى، لأن الله تعالى يقول: ( أحياء عند ربهم ) وليس عندكم أو في مفهومكم أنتم أيها الناس..<sup>555</sup>.
- يركز في تفسيره على استنباط الدروس والعبر والقواعد الفقهية العامة، مبيناً الأبعاد الاجتماعية والدينية للآية، كما يظهر ذلك في تفسيره لآية القصاص<sup>556</sup>، حيث قال رحمه الله: " يظن كثير من الناس أن قطع يد السارق عقوبة في غاية الشدة والقسوة في هذا العصر المتحضر. إن أمثال تلك الآراء والفلسفات المخطئة والضالة، جعلت الفساد الإداري والاقتصادي في نمو وازدياد. - و الحكومات التي لا تنفذ الحدود - تقوم بتعذيب الجاني أو مرتكب الجريمة بالسجن مما جعلت السجون مملأى بالسارقين والغاصبين

<sup>554</sup> راجع التفسير المختصر للشيخ شريف أحمددي، ص: 51

<sup>555</sup> المصدر السابق، ص: 53، 295

<sup>556</sup> المصدر السابق، ص: 58، 59، 60، 62



وقطاع الطرق المفسدين الظالمين. إن قطع يد واحدة تعالج وتشفي مدينة بأكملها.. " 557.

- لا يذكر الأحكام الفقهية المستنبطة من الآية، وإنما يكتفي بالإحالة إلى مظانها، كأنه يريد أن يقول، إن مجال الأحكام الفقهية ليس في علم التفسير، وإنما مجالها الفقه، كما يظهر ذلك في آيات الحج و العمرة.. 558.

- يطبق القواعد الأصولية في تفسيره و يسير على ضوئها في دلالات الآيات.. 559.

- يذكر الخصائص العامة للإسلام، ويذكر جماله وعظمته في عدم حمله الناس على الإيمان به والانقياد لأوامره وهم مُكرهون، مبيناً أن الإسلام كلٌّ لا يتجزأ.. 560.

- لا يتعرض إلى ذكر القراءات القرآنية في تفسيره أبداً 561 .

- يركز على بيان أمراض المجتمع مبيناً طريقة القرآن الكريم في معالجتها، ويبين اهتمام القرآن في بناء المجتمع السليم، وذلك من خلال العلاقة الشرعية بين

557 المصدر السابق، ص: 148

558 المصدر السابق، ص: 59، 60، 61، 81

559 المصدر السابق، ص: 63

560 المصدر السابق، ص: 63، 64

561 و يرجع سبب ذلك والله أعلم في عدم اهتمام علماء الألبان بهذا الفن قديماً وحديثاً لعدم وجود شخصيات علمية متخصصة في هذا المجال. ولقد شاءت حكمة البارئ عز وجل أن يظهر هذا الفن العلمي القرآني إلى الساحة العلمية الألبانية في العصر الحديث من جديد ولأول مرة، وذلك عندما تخرج طالبان ألبانيان من كوسوفا من كلية القرآن الكريم و الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1994م و 1995م، وهما: 1- العبد الضعيف الفقير إلى عفو مولاه كاتب هذه السطور والمجاز في القراءة والحاصل على السند المتصل إلى رسول الله ﷺ برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية، 2- والأخ الأستاذ الشيخ الحافظ صفوت خوجة حفظه الله، مدرس مادة تلاوة القرآن الكريم في الكلية الإسلامية في بريشتنا عاصمة كوسوفا وفي الثانوية الشرعية (علاء الدين) في مدينة بريزن، والحمد لله أولاً و آخراً.

- الزوجين، وسرّ دوام هذه العلاقة إذا كان للزوجين دين واحد، وأما إذا اختلف دينهما فهذا الاختلاف يجعل العلاقة بينهما قصيرة العمر وغير مستديمة..<sup>562</sup>.
- يذكر مقاصد الأحكام الشرعية، مثل ما ذكر أن المقصد من الزواج هو الإحصان من الزنا والحفاظ على النوع الإنساني..<sup>563</sup>.
- يرجح بين الآراء ويكتفي بذكر الرأي الراجح فقط، مثل ما ذكر قصة خلق آدم وحواء عليهما السلام، مكتفياً بما ورد في القرآن بأن الناس أصلهم من آدم وأن حواء خلقت من نفس الأصل..<sup>564</sup>.
- لا يرد على الفرق المبتدعة بعينها، ولا يتوسع في ذكر المسائل العقدية..<sup>565</sup>.
- أحياناً يقول بالمجاز، كما يظهر ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾، [ آل عمران:12]، يقول رحمه الله ما نصه: " اعتبر مكانهم في جهنم مثل المهده، والمراد إخبار الأعداء المستكبرين بأنهم سيكونون عاجزين وضعفاء مثل الطفل العاجز في مهده، لا يملك شيئاً، يتصرف فيه غيره " <sup>566</sup> .
- وفي تفسيره لسورة القدر، علق على قوله تعالى: [ أنزلناه ]، ذكر أن فيه مجازاً مرسلاً في علم البلاغة، لأن النزول صفة للأجرام، والقرآن ليس كذلك، ولكن

<sup>562</sup> المصدر السابق، ص: 66، 70، 73

<sup>563</sup> المصدر السابق، ص: 66

<sup>564</sup> راجع تفسير الشيخ شريف أحدي، ص: 109

<sup>565</sup> المصدر السابق، ص:

<sup>566</sup> المصدر السابق، ص: 82

- لما حُمِّلَ به من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا شبه ذلك بنزول الجرم من أعلى إلى أسفل..<sup>567</sup>.
- في نهاية ترجمته وتفسيره للسورة، يعيد خلاصة كلامه في نصف صفحة ويبين الموضوعات التي اشتملت عليها السورة، مشيراً إلى مقاصد القرآن في هذه السورة، ومن تلك المقاصد القرآنية جذب قلوب العباد إلى معرفة الخالق، من خلال نظرهم إلى الخلق أو المخلوقات...، والقرآن يقول بلسان حاله للناس اقرؤوا القرآن المكتوب في السطور ثم بعد ذلك اقرؤوا وتدبروا هذا الكتاب المنظور، وهو الكون، فستجدون بينهما توافقاً وانسجاماً كبيراً..<sup>568</sup>.
- يتطرق إلى معالجة القضايا الاجتماعية الراهنة باختصار شديد، مستنبطاً من الآيات العبر والعظات، كما تناول مسألة كشف العورة، سواء للرجال أو النساء، حيث ذكر أن ذلك من تلبس إبليس وأن ذلك لا يعد حضارة ولا تقدماً..<sup>569</sup>.
- لا يتبنى آراء شاذة، ولا يخرج عن قول جمهور العلماء، ويتقيد بما هو الراجح فقط، وهذه الميزة يُشكر عليها صاحبه رحمه الله تعالى..<sup>570</sup>.
- أحياناً يوفق بين دلالات الآيات والتي ظاهرها التعارض ويجمع بينهما لإزالة اللبس والتعارض..<sup>571</sup>.
- يهتم جداً في إبراز العبر والعظات من القصص القرآني<sup>572</sup>.

<sup>567</sup> المصدر السابق، ص: 724

<sup>568</sup> المصدر السابق، ص: 107

<sup>569</sup> المصدر السابق، ص: 189

<sup>570</sup> المصدر السابق، ص: 211

<sup>571</sup> راجع تفسير الشيخ شريف أحمددي، ص: 221، 222

<sup>572</sup> المصدر السابق، ص: 272، 277، 279

- يربط أحياناً سرّ الآيات بالاكتشافات الحديثة ليلفت عقل الإنسان إلى عظمة قدرة الله تبارك وتعالى. يظهر ذلك جلياً في تفسيره لقوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، [ النحل:8] ، فذكر لذلك الجبل المخاطب وقت النزول أن في هذه الآيات إشارة إلى أن الله عز وجل قادر على أن يخلق وسائل مواصلات من نوع آخر، غير التي كانوا يستخدمونها من خيل أو بغال أو حمير..<sup>573</sup> .
- يبرز أسرار الآيات القرآنية في ورودها بعبارات وصيغ مختلفة، مثل قوله تعالى: { يتفكرون }، وقوله: { يعقلون }، وقوله: { يتذكرون }.. " والسر في ذلك أنه بلا تفكير عميق للظواهر الطبيعية لا يحصل التعقل المطلوب.. " <sup>574</sup> .
- لا يفسر الآيات تفسيراً علمياً، وإذا ورد شيء من ذلك فإنه يحيل إلى أهل الاختصاص، مثل القضايا المتعلقة بالجبال والبحار، ويرد على الذين يفسرون الآيات القرآنية حسب أهوائهم وشهواتهم دون أن يستندوا إلى علم صحيح محقق..<sup>575</sup> .
- يضرب أمثلة عقلية وعلمية لإثبات البعث والنشور من خلال تفسيره للآيات التي تناولت موضوع الكائنات من نبات و حيوان و إنسان..<sup>576</sup> .
- يرد على الذين ينكرون حجية السنة والإجماع والقياس، و يظهر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ

<sup>573</sup> المصدر السابق، ص: 312

<sup>574</sup> المصدر السابق، ص: 313

<sup>575</sup> المصدر السابق، ص: 618-619

<sup>576</sup> المصدر السابق، ص: 319

مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾، [الحشر:7] ، حيث استدل بها على حجية السنة، كما استدل بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾، [النساء:115]، على حجية الإجماع، ويقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ يُيَوِّمُهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾، [الحشر:2] ، على حجية القياس..<sup>577</sup>.

- فيما يخص الحروف المقطعة ذكر رحمه الله أنها من المتشابهات، كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء مع وجود آراء أخرى حول هذه المسألة..<sup>578</sup> .
- أما طريقته رحمه الله في تفسير آيات الأسماء والصفات، ففيها تفصيل. فهو رحمه الله تارة يثبت وتارة يؤول ، وتارة ليس له موقف واضح من التأويل أو الإثبات. ومن خلال استعراضنا لهذه النماذج سيتضح لنا منهجه في هذه المسألة المهمة، والمجال هنا مجال استشهاد لا مجال استقصاء، فأقول وبالله التوفيق:

<sup>577</sup> المصدر السابق، ص: 322

<sup>578</sup> المصدر السابق، ص: 361

## أولاً: أمثلة على مواضع الإثبات

● في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾، [المائدة:64]، نجده رحمه الله أنه في هذا الموضع في ترجمته أثبت صفة اليدين لله تعالى كما ورد في الآية دون تحريف<sup>579</sup> أو تبديل أو تغيير .

● و في ترجمته وتفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾، [الفتح:10]، أثبت الشيخ في الترجمة والتفسير باللغة الألبانية صفة: اليد - Dora، فهنا أيضاً الشيخ رحمه الله أثبت ولم يقول.. 580.

● في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذريات:47] قال في ترجمتها: " .. ونحن بقوتنا رفعنا السماء " 581.

<sup>579</sup> راجع تفسيره، ص: 151، و انظر تفسير الطبري، ج4، ص: 639، فقد ذكر رحمه الله عدة آراء و أقوال حول تفسير هذه الآية. فمنهم من أثبت صفة اليد أو اليدين لله تعالى، و منهم من أول صفة اليد بمعنى الملك والنعمة والعطاء.. و الله أعلم.

<sup>580</sup> انظر المصدر السابق، ص: 589، بينما نجد شيخ المفسرين الإمام الطبري رحمه الله في ج 11، ص: 338 ذكر أن فيها وجهين للتأويل، الأول: أنه أثبت صفة اليد لله تعالى دون تأويل، و الوجه الآخر: ذكر أن اليد هنا بمعنى: القدرة. <sup>581</sup> المصدر السابق، ص: 603-604، و قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: ﴿بأيدي﴾ أي بقوة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد"، راجع تفسيره ج4، ص: 303، و قال الطبري: " وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: عن ابن عباس قوله ﴿ والسما بنيناها بأيدي ﴾ يقول: بقوة... وعن مجاهد قوله ﴿ بأيدي ﴾ قال: بقوة... وحد ثنا سعيد عن قتادة ﴿ والسما بنيناها بأيدي ﴾ أي بقوة... راجع تفسيره: ج: 11، ص: 472

- وفي تفسيره لآيات رؤية الله عز وجل يوم القيامة، ذكر رحمه الله: " أن العلماء اختلفوا في هذه المسألة إلى عدة أقوال، والراجح منها قول من قال بأن المؤمنين سيرون الله تعالى...و أن هذا هو مذهب أهل السنة و الجماعة.. " 582.
- و في تفسيره و تعليقه على قوله تعالى: ﴿ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِمِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي ﴾، [طه: 39]، قال في ترجمته لهذه الآية: " .. ولتربي تحت رعايتي.. " 583.
- وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾، (القلم: 42)، نجد الشيخ أنه فسر معنى ( الساق )، ب: هول و شدة ذلك اليوم.. 584 .

و قال الإمام البغوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنِينَاهَا بَأْيَدٍ ﴾ بقوة وقدرة..انظر: ج 1، ص: 379

582 المصدر السابق، ص: 178، 204، 684

583 انظر المصدر السابق، ص: 362. قال الإمام محمد بن علي الشوكاني، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي ﴾

﴿: " أي ولتربي وتغذى بمرأى مني.. "، راجع تفسيره: ج 3، ص: 521؛ و قال ابن كثير: " ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي ﴾ قال

أبو عمران الجوني: تربي بعين الله، وقال قتادة: تغذى على عيني، وقال معمر بن المثنى ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي ﴾ بحيث

أرى.. "، راجع تفسير ابن كثير: ج 3، ص: 199

584 المصدر السابق، ص: 663-665، قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: " ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ يعني يوم

القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمر العظام... وعن عكرمة عن ابن عباس:

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ قال: هو يوم القيامة يوم كرب وشدة. رواه ابن جرير... وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿ يَوْمَ

يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ قال: شدة الأمر، وقال ابن عباس: هي أول ساعة تكون في يوم القيامة. وقال ابن جرير عن مجاهد

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ قال: شدة الأمر وجده، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله [﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ

سَاقٍ ﴾ هو الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة... والله أعلم.. "، راجع تفسير ابن كثير: ج 4، ص: 525

- و في ترجمته وتفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾، [طه:41]، ذكر في الترجمة: " .. أي اخترتك حمل رسالتي .. " 585.
- و في تفسيره وترجمته لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ، [القصص: 88]، ذكر الشيخ الحاج شريف أحمددي رحمه الله: " ... أن كل شيء سيهلك وسيزول إلا الله سبحانه و تعالى، فإنه باق ودائم.. " 586.

- أما منهجه في تفسير الاستواء، فهو تارة أثبت وتارة أول. ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بَأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ، [الأعراف:54]، فهنا أثبت الاستواء دون أي تحريف أو تبديل أو تغيير .. 587.
- قال في بيان ذلك:

“Qendrimin e Zotit mbi Arshin duhet besuar bindshem e pa kurfare komentimi.”

585 المصدر السابق، ص: 362، و قال ابن كثير: ج3، ص: 207: " وقوله: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ أي اصطفتك واجتبيتك رسولا لنفسي أي كما أريد وأشاء." و قال البغوي: " قوله عز وجل: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ أي اخترتك واصطفتك لوحبي ورسالتي يعني لتتصرف على إرادتي ومحبي.. " ج 1، ص: 274

586 المصدر السابق، ص: 452، و قال ابن كثير: " وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فعبّر بالوجه عن الذات، وهكذا قوله ههنا: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي إلا إياه. وقد ثبت في الصحيح من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد. ألا كل شيء ما خلا الله باطل ". وقال مجاهد والثوري في قوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي إلا ما أريد به وجهه.. " ج3، ص: 533

587 راجع تفسير الشيخ شريف أحمددي، ص: 192



أي: " إن استواء الله على العرش مسألة يجب الإيمان والتصديق بها دون أدنى شك، ودون أي تفسير لمعنى وكيفية الاستواء.. " 588.

فأنت ترى أن الشيخ رحمه الله تعالى في هذه الآية كان واضحًا للغاية في موقفه من مسألة الاستواء. فهو لم يقول ولم يحرف، بل أمرها كما جاءت 589.

● وفي تفسيره لآية الاستواء في سورة يونس ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾، [يونس:3] قال فيها:

“Ai nuk pati as nuk ka nevoje per vend, por pasi krijoi gjithesine qendroi mbi Arshin. Para krijimit te gjithise nuk pati nevoje per vend, nuk pati nevoje as pas krijimit; po perse atehere tha: qendron mbi Arsh? Kjo eshte pune e Tij, e askujt tjeter !”

أي: " إن الله عز وجل لم يكن بحاجة إلى مكان، لا قبل خلق الكون ولا بعد خلقه، ولكنه تعالى بعد أن خلق الكون أخبر أنه استوى على العرش. ما السرُّ والحكمة فيها ولم كان ذلك؟ هذه القضية تخصه هو سبحانه وتعالى وليس لأحد أن يعترض على ذلك.. " 590.

588 المصدر السابق، ص: 193

589 انظر: سالم، إبراهيم بن حسن؛ قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين. بيروت، دار قتيبة، ط1، 1993

590 المصدر السابق، ص: 245-246

## ثانياً: أمثلة على مواضع التأويل والغموض

● و أما في تفسيره للاستواء في سورة الرعد، ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِعَيزٍ عَمَدٍ تَرْوَاهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾، [الرعد:2]، فإنه رحمه الله ترجم الاستواء بـ: " Ai mbizoteroi Arshin.." بمعنى: أنه تعالى استولى على العرش. كما أنه رحمه الله أسقط تفسير الاستواء في تفسيره لهذه الآية، و لم يتعرض لها أبداً..<sup>591</sup>.

● كما أنه رحمه الله أسقط ترجمة و تفسير معنى الاستواء كلياً في تفسيره لقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ}، [طه:5]، فقال في ترجمته للآية ما نصه:

“( E Ai eshte) Meshiruesi qe krijoi token dhe qiejt e larte...”

أي " هو الرحمن الذي خلق الأرض والسموات العلى.."، هذا نص كلامه في الترجمة، فأنت ترى أن ذكر الاستواء لم يرد على لسانه قط..و أما في تفسيره لهذه الآية فقد ذكر ما نصه.."

“...qe krijoi gjithcka dhe prej frontit te vet udheheq me gjithcka..” أي: أن الله الذي خلق كل شيء ومن العرش يدير الله عز وجل الأمور.."<sup>592</sup>.

<sup>591</sup> المصدر السابق، ص: 289 - 290

<sup>592</sup> انظر تفسير الشيخ شريف أحمد، ص: 359، و 361

فأنت ترى ما في هذا الكلام من الغموض و عدم الوضوح فيما يخص مسألة استواء الله تعالى على العرش و موقف المفسر منها، و الله أعلم.

● و أيضاً في ترجمته لكلمة الاستواء في سورة الفرقان، ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ حَبِيرًا﴾، [الفرقان:59]، وجدناه رحمه الله أنه قد أول الاستواء بـ:

“...e pastaj mbizoteroi Arshin” أي أنه تعالى استولى على العرش. و لم يتعرض الشيخ شريف أحمددي لتفسير الآية مطلقاً..<sup>593</sup>.

● و نجده رحمه الله أيضاً أنه قد أول معنى الاستواء في سورة السجدة، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِّن وَّلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة:4]، بمثل الذي قلنا سابقاً بمعنى الاستيلاء: “...e pastaj mbizoteroi arshin” و أعاد نفس هذا المعنى في تفسيره، فذكر أنه تعالى استولى على الكون، قال في بيان ذلك: “qe mbizoteroi gjithsine”<sup>594</sup>.

● و نجده رحمه الله أيضاً قد أول معنى الاستواء في سورة الحديد ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:4]، بمثل الذي ذكرنا سابقاً.. “...pastaj mbisundoi Arshin” أي أنه بعد خلق

<sup>593</sup> المصدر السابق، ص: 417-418

<sup>594</sup> المصدر السابق، ص: 475-476

السموات و الأرض استولى على العرش. و أما في تفسيره فلم يتعرض لتفسير الاستواء أبداً...<sup>595</sup>.

هذه المسألة العلمية العقديّة الشائكة أشغلت بال كثير من العلماء قديماً وحديثاً، وعند التحقيق والتأصيل لهذه المسألة العلمية الغيبية، نجد أن القلب يطمئن ويميل ويرجح رأي مذهب السلف الصالح في عدم تأويل تلك الآيات وتفسيرها بتفسيرات بعيدة كل البعد عن منهج السلف الصالح، و أن الصحيح والواجب هو إمرارها كما جاءت لسلامة مذهبهم وقوة أدلتهم في هذه المسألة، والله أعلم<sup>596</sup>.

---

<sup>595</sup> المصدر السابق، ص: 625

<sup>596</sup> ولقد ناقشت هذه المسألة في رسالتي للدكتوراه بإسهاب فليرجع إليها لمن يريد المزيد، في ص: 268-293، وللمزيد حول هذه المسائل العقديّة المهمّة و مسألة الأسماء والصفات.. انظر: أبو حنيفة، النعمان بن ثابت بن زطي الخزاز الكوفي: الشرح الميسر على الفقهاء الأيسر والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة - القسم الثاني: رواية أبي مطيع البلخي عن أبي حنيفة، تح: د/محمد بن عبد الرحمن الخميس، (عجمان: مكتبة الفرقان، ط1، 1999م)، ص 159

<sup>596</sup> الغالي، بلقاسم: أبو منصور الماتريدي - حياته و آراؤه العقديّة، ص 179، نقلاً عن: الشيخ زادة: نظم الفرائد وجمع الفوائد، فريدة: 14 ص 22-23.؛ الماتريدي، أبو منصور: التوحيد، ص 74؛ ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج4، ص1-2

## المبحث الثالث: نماذج من تفسيره رحمه الله، فيها البعد المقاصدي والإجماعي

● قال في بيان موقفه من الحكمة في استبدال جلود أهل جهنم: قال رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ، [النساء:56]، قال ما نصه:

" جلود أهل جهنم ستبدل كلما احترقت ونضجت. و إبدال الجلد وتجديده يجعلنا نفهم أن ذلك يكون في مقدور الله عز وجل فقط، و هو الذي يملك أن يعذب الجاني على كل جرم ارتكبه بتبديل جلده. وليس في مقدور الناس فعل ذلك. إنهم يعذبون الجاني الذي ارتكب مائة جريمة بتعذيب أو قتل واحد مرة واحدة فقط. و السر في إحراق الجلد و التركيز عليه هو أن الجلد من أشد المواضع إحساساً بالألم مقارنة ببقية الأعضاء.." <sup>597</sup>.

● قال في بيان موقفه من الحكمة في مشروعية الجهاد:

"..كلما ذكر القتال أو الجهاد في القرآن، ذكر معه ( في سبيل الله )، للإشعار بأن الهدف من الجهاد ليس احتلال أرض العدو، ولا الغنيمة من الحرب أو غير ذلك، و إنما الهدف منه الحرية التامة لقبول الاعتقاد الصحيح وتنفيذ حدود الله، والناس أحرار، والجهاد في سبيل الله ليس خسارة لأن المقتول في ساحة القتال يكون شهيداً،

<sup>597</sup> انظر التفسير المختصر للشيخ شريف أحمد، ص:120

وأن الذي لم يكن له نصيب الشهادة، فله نصيب الجهاد لنشر العدل، و بناء عليه، فإن أجره سيكون عظيماً.. " 598.

● قال في بيان موقفه من تنفيذ الحدود:

" يظن كثير من الناس أن قطع يد السارق، هو عقوبة في غاية الشدة والقسوة في هذا العصر المتحضر. إن أمثال تلك الآراء والفلسفات المخطئة والضالة، جعلت الفساد الإداري الاقتصادي في نمو وازدياد - والحكومات التي لا تنفذ الحدود - تقوم بتعذيب الجاني أو مرتكب الجريمة بالسجن مما جعلت السجن مليئة بالسارقين والغاصبين وقطاع الطرق المفسدين الظالمين. إن قطع يد واحدة تعالج و تشفي مدينة بأكملها.. " 599.

● قال في بيان موقفه من الزواج ونكاح المتعة:

"..و كذلك يحرم الزواج المؤقت لمصلحة مادية، لأنه ليس من مقاصد الزواج إشباع الشهوات فقط، وإنما الزواج له مقصد إنساني سام، هذا الجانب الإنساني يجب أن يكون منبعاً ودافعاً لتربية الأجيال القادمة.. " 600...والزواج له مقاصد، منها إنجاب الذرية الصالحة والعفة و الحب المتبادل بين الطرفين، وليس فقط إشباع الغرائز، كما أن نكاح المتعة لأجل معلوم حرام.. 601.

598 المصدر السابق، ص: 60، و انظر أيضاً، ص: 123

599 المصدر السابق، ص: 148

600 راجع تفسير الشيخ شريف أحمد، ص: 115

601 المصدر السابق، ص: 115

● قال في بيان موقفه من الربا:

"... يجرم التعامل مع الربا في الشريعة الإسلامية، لأن واجب الأغنياء مساعدة الفقراء والمحتاجين في تحسين أوضاعهم الاقتصادية وليس أن يثقلوا عليهم الأعباء والمشقات بمطالبة المزيد منهم.."<sup>602</sup>، "... ويحرم استغلال المال أو الحصول عليه بلا كد وتعب، مثل السرقة، والغش، والربا والغصب.."<sup>603</sup>.

● المعاصي من منظور الشيخ المفسر:

"... لا ينظر إلى المعصية من حيث صغرها وكبرها، وإنما العبرة بالنتائج المولدة عنها.."<sup>604</sup>، "... وأن الله لا يحب العصاة المستكبرين، لكونهم لا يحترمون أي مبدأ إنساني أو رباني، مثل عبادة الله، والإحسان إلى الوالدين والأقارب والأيتام، كما أنه تعالى لا يقبل الأعمال التي كان صاحبها يرائي فيها.."<sup>605</sup>، "... والظالمون مآلهم الهلاك والزوال، إما عاجلاً أو آجلاً، وكل ظالم سيهلك وسيزال من الوجود، مثل ظالمو مكة وغيرهم.."<sup>606</sup>.

● بيان موقفه من التفسير العلمي:

موقفه من التفسير العلمي ظهر لي من خلال قراءتي لبحوثه ومقالاته في المصادر الأخرى، في المجالات الإسلامية باللغة الألبانية التي كانت تصدر في المشيخة الإسلامية

<sup>602</sup> راجع تفسير الشيخ شريف أحمددي، ص: 78، 98

<sup>603</sup> المصدر السابق، ص: 116

<sup>604</sup> راجع تفسير الشيخ شريف أحمددي، ص: 116

<sup>605</sup> المصدر السابق، ص: 117

<sup>606</sup> المصدر السابق، ص: 167

في كوسوفا<sup>607</sup>. خلاصة كلامه في هذه المسألة.. "أنه يجب التريث والتأني فيها، لأن العلم كل يوم في شأن، كما أنه لا يجوز أن نحمل القرآن أو أن نكلف العلماء بتصديق الاكتشافات العلمية بالآيات القرآنية. فعلينا التأكد أولاً من أن تلك الاكتشافات هي حقائق وليست فرضيات، وثانياً أن القرآن الكريم ليس كتاب جغرافيا أو كيمياء أو الطب... إنما هو كتاب هداية وعقيدة، وإنما فيه إشارات ومفاتيح إلى تلك العلوم العصرية.."<sup>608</sup>.

وقد ذكر أهل العلم بعض الضوابط والشروط التي ينبغي مراعاتها عند القيام بهذا النوع من التفسير، نذكر منها ما يلي: 1- أن لا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية والإعجاز، 2- أنه لا حرج على المفسر أن يستدل بالاكتشافات والحقائق العلمية ما يغني و يثري المعنى الوارد في النص القرآني وما يتوافق مع روح النص ومقاصد الشريعة الإسلامية، 3- وأن يؤتى بذكر تلك الاكتشافات على سبيل الاستئناس وإلقاء مزيد من الضوء على عظمة الآية الكريمة. 4- أن لا نصاب بالهزيمة النفسية حتى تثبت أمام الناس أنه كلما ظهر شيء جديد نقول إن ذلك من إعجاز القرآن حتى يؤمنوا بالقرآن، 5- أن القرآن نزل ليحقق لنا السعادة في الدنيا والآخرة. و قد ناقشت هذه المسألة بإسهاب في رسالتي للدكتوراه، فمن أراد المزيد والتوسع فليرجع إليها في ص: 221 - 236، (مبحث عرض المنهج العلمي في الميزان)، وللمزيد انظر: أبو الخير، محمد عادل. 1988. **اجتهادات في التفسير العلمي في القرآن الكريم**، القاهرة: مركز الدلتا للطباعة، اسبورتنج، ط1؛ أبو حجر، أحمد عمر. 1991. **التفسير العلمي للقرآن في الميزان**. (بيروت: دار قتيبة للطباعة و النشر، ط1).

<sup>608</sup> راجع المجلة: التربية الإسلامية: **Edukata Islame**، تصدرها اللجنة التنفيذية باللغة الألبانية جماعة من العلماء في بريشتنا - كوسوفا، العدد: 46-47، ص: 3-8، سنة الطبع: 1986. وللشيخ المفسر شريف أحمددي عموده الخاص لتفسير القرآن الكريم على شكل الحلقات في المجلة المذكورة في هذه الأعداد:

33- 34، سنة الطبع: 1982، ص: 3- 8، 30-32، بعنوان: (مصادر الإيمان والإسلام والعلاقات الإنسانية)

37- 38، سنة الطبع: 1983، ص: 73-78، الآيات: 26-70 من سورة البقرة

39، سنة الطبع: 1984، ص: 3-8، 37-44، قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾

41-42: سنة الطبع: 1985، ص: 60-68، الآيات: 201-286 من سورة البقرة، و ص: 3-11 سورة الزلزلة.

48-49، سنة الطبع: 1987، ص: 13-22، الآيات: 156-200 من سورة آل عمران



● موقفه من السحر،

قال ما نص كلامه: "السحر ليس له أي جدوى، و يجب عدم الإيمان بتأثيره إلا بإذن الله تعالى، كما أنه ليس له حقيقة، مطلقاً. ما هو إلا ضرب من الخداع.." 609.

● موقفه من النسخ

قال ما نص كلامه: "..جمهور العلماء على أن النسخ وقع في القرآن في الأحكام و الآيات، ومن العلماء من يرى أن النسخ لم يقع في القرآن، و إنما وقع النسخ في الشرائع السابقة.." 610.

موقفه من البدعة

قال ما نص كلامه: "كل بدعة في الدين أو العبادة و التي ليس لها أصل في الشرع، فهي ملعونة و مذمومة، و إن كان لها أصل في الشرع فهي مقبولة و محمودة.." 611.

---

609 المصدر السابق، ص: 46

610 المصدر السابق، ص: 47، و أفضل ما رأيته من الباحثين المعاصرين من فصل القول في هذه المسألة، هو الأستاذ الدكتور: جمال الحسيني أبو فرحة، في كتابه: النبي الخاتم- هل وجد؟ و من يكون؟، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1،

203، ص: 91 - 100

611 المصدر السابق، ص: 47

● موقفه من تكفير المسلمين

قال ما نص كلامه: " ..هناك قبلة واحدة لجميع المسلمين أين ما كانوا، و ما داموا مستقبلين إلى قبلة واحدة، فإنه يحرم تحريماً قطعياً تكفير أحد المستقبلين إلى القبلة..".<sup>612</sup>

● موقفه من التقليد الأعمى

قال ما نص كلامه: " ..تقليد الآباء و الأجداد مع العلم بأن تلك العادات والتقاليد ضارة، فذلك خطأ فادح و إثم كبير، لأن ذلك من أعمال المشركين... و أما العادات والتقاليد النافعة فمطلوب حفاظها واحترامها..".<sup>613</sup>

● موقفه من اتباع الأنبياء

قال ما نص كلامه: " حقيقة المحبة لله تعالى لا تنال إلا بطاعة واتباع أنبيائه ورسله، لأن الله اختارهم واصطفاهم..".<sup>614</sup>

● قال في بيان موقفه من تعلم المرأة:

فقد أشار الشيخ المفسر رحمه الله في مقال له خاص في مصدر آخر بعنوان: (الإسلام وتعلم المرأة)، " ...بأن الإسلام لا يمنع من تعلم المرأة وتثقيفها، بالعكس فإن في تعلمها إحياء لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنة أصحابه

<sup>612</sup> المصدر السابق، ص: 53

<sup>613</sup> المصدر السابق، ص: 56

<sup>614</sup> المصدر السابق، ص: 86

الكرام، لأن بالتثقف والتعلم يجارب الجهل وتمحى الأمية لكونهما ألد أعداء الإسلام. الإسلام طلب من المسلمين أن يحتلوا جميع ميادين العلوم، الدينية والكونية دون استثناء، واعتبر في ذلك الرجال و النساء على حد سواء، ولأجل ذلك علم الله نبيه محمداً أن يسأل مزيداً من العلم، فقال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه:114]، وأنه لا فصل بين الدين والدنيا، كما فعل النصارى في عصور الانحطاط المظلمة في أوروبا. فكل علم يخدم الدين أو الدنيا، دنيوياً كان أو أخروياً ويدفع بالأمة إلى الحرية والتقدم وإلى الخروج من قبضة المستعمر؛ فهو مطلوب من منظور القرآن، والعلم لا جنسية له ولا عنصرية، كما أنه ليس لفئة أو طائفة معينة من الناس دون الآخرين، فهو ملك للجميع، للرجال و النساء على حد سواء. " 615.

#### • بيان موقفه من خطورة اليهود:

أدرك الشيخ المفسر خطورة اليهود على مدى التاريخ البشري، أي منذ عهد موسى عليه السلام إلى يومنا هذا، و هذا يظهر بوضوح و جلاء في تفسيره. فقد عرف هؤلاء القوم بالخبث والحيانة والغدر والقتل والحيل.. كل هذه الصفات المذمومة لليهود استطاع الشيخ شريف أحمددي أن يضعها بين يدي القارئ الألباني..<sup>616</sup>

<sup>615</sup> للمزيد راجع كتاب الشيخ المفسر: **Komente dhe Mendime Islame** ( آراء و اجتهادات

إسلامية)، 351-354

<sup>616</sup> راجع تفسيره مثلاً في ص: 84، 149، 142، 151

## المبحث الرابع: بعض الملحوظات المنهجية على تفسيره، الاقتراحات، الشكر والخاتمة

إن الموضوعية والأمانة العلمية تقتضيان أن نبين أيضاً بعض المآخذ والملحوظات التي استطعنا أن نقف عليها أثناء دراستنا وقراءتنا لهذا التفسير المختصر القيم، فأقول وبالله التوفيق:

### أولاً: الملحوظات المنهجية:

- 1- إن القارئ لا يمكنه التركيز ولا التطابق بين المعاني المترجمة للآيات وبين التفسير الإجمالي أو المختصر للآيات في أسفل الصفحة. هناك فصل وانقطاع بين معاني الآيات المترجمة و بين المعاني التفسيرية لها في الصفحات. فتجد في أعلى الصفحة الآيات المترجمة، بينما لا تجد في أسفل الصفحة ذاتها معاني أو تفسير لتلك الآيات. بعد مضي صفحة ونصف صفحة تجد التفسير لتلك الآيات السابقة. وهذا العمل يبدو لي أنه خلل فني ومطبعي، و لا يلام المفسر على ذلك، والله أعلم.
- 2- هناك سقط لمعاني بعض الآيات وقلب لمعناها في الترجمة تماماً. راجع على سبيل المثال تفسير الآية وترجمتها لقوله تعالى ﴿ ولا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ ﴾، [النساء:25] ، حيث تجده أنه أسقط معنى الآية و أثبت مكانها معنى خلاف ذلك المعنى، حيث قال في معنى الخِدن: "زانيات في السر والعلن" <sup>617</sup> !!!

<sup>617</sup> انظر تفسيره، ص:114

- 3- بينما تجده في سورة المائدة، أثبت في ترجمته معنى: الخدن - الذي هو لصاحب أو صاحبة، في قوله تعالى: ﴿ولا متخذي أخدان﴾، [المائدة:5]<sup>618</sup>.
- 4- الشيخ رحمه الله كان يشعر القارئ في تفسيره بأنه قد رجع إلى مصادر أخرى غير تلك التي ذكرها في مقدمته. ولكن عند التحقيق تبين لنا أن تلك المصادر الأخرى والتي لم يذكرها في مقدمته، كانت في حقيقة الأمر مصادر ومراجع لهؤلاء المفسرين الذين نقل منهم، بينما في حقيقة الأمر هو لم يرجع إليها ولم ينقل منها، فكان من الأولى في حقه رحمه الله تمثيلاً مع الأمانة والمنهجية العلمية أن يكتفي بذكر تلك المصادر التي نقل منها مباشرة ورجع إليها هو شخصياً، والله أعلم.
- 5- ومن هذه المصادر التي لم يذكرها في مقدمته ويظن القارئ بأنه قد رجع إليها، وهو في حقيقة الأمر لم يرجع إليها، نذكر منها: تفسير الزمخشري، وتفسير القرطبي، وتفسير أبي السعود، وتفسير البحر المحيط، وتفسير الطبري، وتفسير سيد قطب..<sup>619</sup>، والأحاديث النبوية الصحيحة، وكتب السنة الستة ومسند الإمام أحمد..<sup>620</sup>، وكتب علوم القرآن والناسخ والمنسوخ، وكتب قصص الأنبياء والتاريخ، وكتب السيرة النبوية، وكتب أصول الفقه..<sup>621</sup>، والكتب العلمية العصرية المختلفة، وآثار

<sup>618</sup> انظر تفسيره، ص: 140

<sup>619</sup> راجع تفسيره في هذه الصفحات: 584، 570، 558، 419، 408، 385، 257، 222، 172، 153

<sup>620</sup> راجع تفسيره، ص: 440

<sup>621</sup> راجع تفسيره، ص: 115

الصحابة وكلامهم رضي الله عنهم..<sup>622</sup>، وآثار والأئمة الكبار مثل الإمام الشافعي..<sup>623</sup>. وغيرهم، والله أعلم.

---

<sup>622</sup> راجع تفسيره، ص: 184, 212

<sup>623</sup> راجع تفسيره، ص: 559

## الخاتمة والتوصيات وعرافان بالجميل

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين وأزواجه الطاهرات، وسلم تسليمًا كثيرًا.

الحمد لله الذي وفقنا لدراسة هذا التفسير المختصر وعرض وبيان منهج صاحبه رحمه الله. و لقد امتاز هذا التفسير بالأسلوب المشوق والجذاب والعبارات السلسة والسهلة. وكان صاحبه رحمه الله واضحًا في تفسيره وفي عرض دروسه المستفادة وبيان معاني الآيات وإبراز مقاصد القرآن، وقد ساعده على ذلك خبرته في التدريس باللغة الألبانية فترة من الزمن غير قصيرة وتمكنه من ناصية اللغة الألبانية والعربية. لقد كان بليغًا فصيحًا غير متكلف، كل من يقرأ تفسيره يندفع إليه ولا يستطيع المفارقة لحلاوة أسلوبه وطلاوة تعبيره.

كان رحمه الله تعالى قمة في الأخلاق والأدب في تعامله مع الآراء المخالفة، بعيداً عن التطرف والتعصب والهوى، متبعاً للحق والدليل الصحيح..<sup>624</sup>.

ولقد أفدت كثيراً من خلال معاشتي لهذا التفسير، وتعرفت على فكر الشيخ المفسر عن كتب، حيث كان ملتزماً بمذهب أهل السنة و الجماعة عمومًا ولم يشذ عنهم إلا في بعض المسائل العقديّة مثل موقفه من السحر ومسألة تأويل " استواء الله على العرش " في بعض المواضع الأخرى. و لا شك أن هذا التقصير من صفات البشر وأن الكمال المطلق لله عز وجل. وللشيخ المفسر رحمه الله مقالات تفسيرية

<sup>624</sup> راجع تفسيره من أوله إلى آخره، فستقف على هذه الحقيقة.

أخرى في بعض المجالات المتسلسلة باللغة الألبانية والتي كانت تصدر من قبل المشيخة الإسلامية في دولة كوسوفا المسلمة..<sup>625</sup>.

نسأل الله عز وجل أن يتغمده برحمته وأن يسكنه فسيح جنته وأن يجزيه عما قدم للإسلام و المسلمين خير الجزاء إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه. و لا يسعني في هذا المجال بعد شكر الله عز وجل و توفيقه إياي لإتمام هذا البحث، وأنه لم يكن لهذا البحث أن يظهر على هذه الصورة لو لا الاقتراحات والملحوظات اللغوية والموضوعية القيمة لأصحاب الفضيلة العلماء والأساتذة الزملاء وأخص بالذكر، الأستاذ الدكتور حكمت بشير يسين، أستاذ التفسير في الجامعة الإسلامية بكلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة سابقاً، والأستاذ الدكتور محمد باجعمان، أستاذ الحديث والعقيدة المساعد بكلية التربية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة، والأستاذ الدكتور محمد عبد القادر هنادي، أستاذ اللغة العربية بكلية التربية بجامعة طيبة، والأستاذ الدكتور جمال الحسيني أبو فرحة، أستاذ العقائد والأديان المساعد بكلية المجتمع جامعة طيبة، والأستاذ الدكتور أيمن سيد الصياد، الأستاذ المساعد للغة العربية وآدابها بكلية المجتمع بجامعة طيبة، فأنا لهم جميعاً شاكر ومقدر على كل ما بذلوه من جهد طيب ومشكور.

وأما عن توصياتي و اقتراحي في هذا الصدد فيمكن تلخيصها في الآتي:

<sup>625</sup> انظر المجلة السنوية بعنوان: **Takvim-Kalendar** ، من مطبوعات المشيخة الإسلامية في بريشتنا -كوسوفا، سنة الطبع 1984، ص: 36-47، ص: 103-111، و انظر أيضاً المجلة المذكورة، سنة 1986، ص: 55-67، و انظر أيضاً المجلة المذكورة، سنة 1987، ص: 50-60. و للمزيد من آراء و اجتهادات الشيخ المفسر رحمه الله راجع كتابه المرجع بعنوان: **H.Sherif Ahmeti-Komente dhe Mendime Islame** (اجتهادات و آراء إسلامية)، ط1، 1995، بريشتنا 0 كوسوفا، ص: 351 - 354 ، ص: 340-344، ص: 82 - 90



أولاً: فإنني أناشد الجهات العلمية العليا والمعنية بهذا الشأن في الدول العربية والإسلامية بأن تخصص فريقاً علمياً ألبانياً متمكناً من العلوم الدينية والشرعية واللغة العربية والألبانية وعلومهما، حتى يراجعوا هذا التفسير المختصر ويستدركوا على الشيخ المفسر رحمه الله في تصحيح بعض المسائل التي ذكرناها آنفاً، ومن ثم يعيدوا طباعة هذا التفسير من جديد، مراعين عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الأسماء والصفات وغيرها من القضايا الأخرى.

ثانياً: أدعو إخواني العلماء والباحثين من الألبان رجال الفكر والمعرفة، أصحاب الفكر السليم، فرسان أهل السنة والجماعة، راغبين وجه الله عز وجل ورضوانه، قاصدين نشر رسالة القرآن إلى الناس أجمعين، واعين ومدركين لواقع حال الألبان الديني والاجتماعي والسياسي في الأراضي الألبانية وخارج أراضيها، أدعوهم إلى مشروع علمي خالد، إلى كتابة تفسير آخر باللغة الألبانية أكثر شمولية وعمقاً من هذا الذي بين أيدينا. و هذا لا يتم إلا بالاجتهاد والعمل الجماعي لأن الجماعة لا تجتمع على الضلالة، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا و نبينا محمد و على آله و سلم،  
و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى عفو مولاه وخادم القرآن والسنة

الدكتور خير الدين خوجة ( الكوسوفي )

الدوحة - قطر 2012

---

وقمت مراجعة الدراسة مجدداً قبل النشر في هذا المجلد يوم السبت 24 من ذي القعدة

1437هـ - الموافق 27 أغسطس 2016 بدوحة الخير والبركة - قطر



## خريطة الأمن الروحي والفكري والإجتماعي في القرآن الكريم

نموذج قرآني فريد - رؤية تفسيرية<sup>626</sup>

- الجزء الأول -

بقلم

الأستاذ الدكتور خيرالدين خوجة ( الكوسوفي )

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية المشارك

كلية المجتمع - الدوحة - قطر

2016

---

<sup>626</sup> هذه الدراسة قدمت في المؤتمر العالمي عن الأمن والأمان في الكتب المقدسة برعاية مركز حوار الأديان في الدوحة عام 2016، و قريبا سننشر في مجلة علمية محكمة إن شاء الله.

أخي الكريم تذكر دائماً أنه:

"لا سلام لعالمٍ ضميرُ الفرد فيه لا يستمتع بالسلام" <sup>627</sup>

و أن:

"الإسلام منهج. منهج حياة. حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها. منهج يشمل التصور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة (الوجود)، ويحدد مكان (الإنسان) في هذا الوجود، كما يحدد غاية وجوده الإنساني.. ويشمل النظم والتنظيمات الواقعية التي تنبثق من ذلك التصور الاعتقادي وتستند إليه، وتجعل له صورة واقعية متمثلة في حياة البشر، كالنظام الأخلاقي والينبوع الذي ينبثق منه، والأسس التي يقوم عليها، والسلطة التي يستمد منها. والنظام السياسي وشكله وخصائصه. والنظام الاجتماعي وأساسه ومقوماته. والنظام الاقتصادي وفلسفته وتشكيلاته. والنظام الدولي وعلاقاته وارتباطاته..." <sup>628</sup>

و أننا:

"بالعقيدة نحيا في هذه الحياة، ولا حياة للفرد الفاني في هذا الكون الهائل إذا ما انتزعت من أمشاجه قوة العقيدة. فبالعقيدة يستطيع الإنسان أن يؤثر في كل شيء ويتأثر به، ويملك أن يحس الوجود في الماضي، والإستقرار في الحاضر، والإمتداد في الآتي.." <sup>629</sup>

قطب، سيد؛ الإسلام والسلام العالمي ص 15<sup>627</sup>

قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين، ص 2 <sup>628</sup>

قطب، سيد؛ الإسلام والسلام العالمي، ص 3 <sup>629</sup>

## بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْإِيمَانَ بِهِ وَالتَّصَدِيقَ بِوَجُودِهِ مَصْدَرًا لِتَحْقِيقِ وَحْصُولِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، وَوَعَدَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْهُدَايَةِ وَالْغَفْرَانِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَى بِهِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، وَسَلَّمَنَا وَوَقَانَا مِنْ عَذَابِ الْإِبْتِلَاءِ، وَجَعَلَ هَذِهِ الْبِلَادَ وَبِلَادَ الْحَرَمِينَ أَمْنَةً مَطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رِغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ. وَلَهُ الْحَمْدُ سُبْحَانَهُ أَنْ لَمْ يَبْتَلِنَا بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ، كَمَا ابْتُلَيْتَ بَعْضَ الْبِلَادِ الْأُخْرَى بِالْحَرْبِ وَالْقِصْفِ وَالدَّمَارِ وَالنِّيرَانِ، وَالْقَتْلِ وَالْفَقْرِ، وَالْخَوْفِ وَالْخُطْفِ وَالْحَرَمَانَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَجَابَ دَعْوَةَ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الْبِلَادِ بِرِغْدِ الْعَيْشِ وَالْأَمْنِ الرُّوحِيِّ وَالْفِكْرِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ وَالْأَمَانِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَعَدَ عِبَادَهُ الْمُحْسِنِينَ بِالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ مِنْ فِزَعِ يَوْمِ الزَّحَامِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا مَنَّهَا وَهُمْ مِنْ فِزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩]

[ ويا رب لك الحمد والشكر أن بينت لنا أن هذه الحياة الدنيا هو ولعب ومتاع وإنما الذي يقربنا إليك يوم القيامة و يرفع منازلنا في الجنات ويحقق لنا الأمن والأمان هو الإيمان والتقوى والعمل الصالح، فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧]

والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وأفضل رسل الله محمد بن عبد الله صاحب الشفاعة العظمى وحامل لواء الأمن والأمان يوم الفرع الأكبر ، ويوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والمؤيد بأفضل المعجزات والآيات وعلى آله وصحبه الأطهار وأزواجه الطاهرات، أمهات المؤمنين والمؤمنات، والذي وعد أتباعه بالنصر والتمكين والأمن والأمان إن هم تمسكوا بسنته وسنة خلفائه من بعده، وساروا على هديه ونهجه وسلم تسليماً كثيراً. وبعد؛ فلم يشهد التاريخ الإسلامي المعاصر ولا القديم مرحلة أشد ذلاً وتخلفاً، ولا أضعف وأجبن موقفاً للأمة الإسلامية قاطبة من هذه المرحلة الراهنة التي كُتبت لنا العيش فيها - القرن الحادي والعشرون-، قرن التقدم والإزدهار والثورة التكنولوجية والصناعية؟! قرن الدعاية والتطويل لحقوق الإنسان والحوار والمفاوضات والتسامح الفكري والديني؟! قرن العولمة والعلمنة؟! قرن الهواتف الذكية والتطبيقات المعاصرة الجذابة والفتانة، شرها أكثر من خيرها، وضررها أكثر من نفعها! جيل من المسلمين حُقّ لنا أن نطلق عليهم: جيلٌ فيسبوكي! جيل وايبيري! جيل واتسابي! جيل تويتري... إلخ؟! أجيال في صورة الأشباح والخيالات؟! لا يرى ولا يبصر إلا أنفها وأنامل أصابعها من كثرة الاستخدام والنظر إلى شاشة الجوال والعبث بالقييل والقيل

ونشر المرذول من الأقوال والصور والمقالات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم رب الأرض والسماوات.

إن أكبر دليل وأعظم برهان على هذه الحقيقة المؤلمة والمرّة؛ الحروب والغزوات التي وقعت في العراق وأفغانستان وبلاد البلقان في البوسنة والهرسك وكوسوفا ومقدونيا مؤخرًا، وبلاد القوقاز ( الشيشان ) سابقاً. و إنه لمن دواعي الأسف وأنا أسطر هذه الكلمات فإن الحرب جارية ومخزية في سوريا، حيث القصف الروسي بتعاون مع النظام السوري يومياً لمواقع المدنيين والأبرياء والعزل من الشيوخ والنساء والأطفال! البراميل المتفجرة والقنابل العنقودية والكيماوية تنهال عليهم من السماء ليل نهار، صباح و مساء !! بحجة محاربة الإرهاب والإرهابين! ويا لها من خيبة أمل! ويا لها من عار على المجتمع الدولي والوطن العربي والإسلامي المتفرج والعاجز عن أخذ أي قرار لوقف هذا العدوان الإجرامي المشترك الروسي والسوري، وسبحان الله وكأن : - سوريا - و - روسيا - وجهان لعملة واحدة؛ حتى في البنية التركيبية في الإسم والشكل لهاتين الدولتين الظالمتين المجرمتين فهما متساويتان ومشابھتان في الإسم والمسمى، في المهمة والهدف؛ فقط تقديم وتأخير للأحرف، وإلا فهما عملة واحدة!! أصل الحروف: ( ر و س ي ا ) هدف واحد و منهج واحد ونظام واحد و رسالة واحدة...تشابه وتوحيد في المضمون والشكل والأداء...!! فاعتبروا يا أولي الأبصار! خمسون شهرا خلت على المجازر والمذابح السورية والقتل الجماعي الممنهج على أرض الشام؛ والإبادة الجماعية وحمامات الدماء لا تتوقف! والقصف والتدمير مستمر! القتل والتشريد وموجات الهجرة الجماعية واللجوء إلى أبواب أوروبا والدول البلقانية عندنا على قدم وساق! صيفا وشتاء! وعلى مدار العام! صرخات الثكالي والأيتام والأرامل والأطفال والشيوخ العزل وصلت عنان السماء مستغيثة؛ وا

معتصماه! و واُعمره! أقول: أسمعَت أيتها الثكالي وأيها المستغيثون لو ناديتم الضمائر الحية من المسلمين! ولكن لا حياة لمن تنادون في هذا الزمان المتعفن من سوء الفِعال وشنيع الأقوال! ألا هل من نخوة معتصم معاصر يستجيب لصرخات هؤلاء المضطرين؟ هل من نخوة صلاح الدين المعاصر يلي دعوات هؤلاء المنكوبين؟

السؤال: إلى أين المفرّ؟ الجواب: كلا لا وزر! إلى قرآن ربك المستقر! يُنبأ الناس والمسلمون أجمعون في هذا الزمان أن الإستقرار والأمن والأمان يكون بالعودة إلى كتاب ربنا المنان، الملك القدوس الرحمن، المنزّل للقرآن الذي فيه هدى وبيان، قال تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِيَّيْكُمْ مِنْهُ نَدِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: 50]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ. وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ. أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ. أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ. بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: 54-59]

إن مما ينبغي على الناس جميعاً إدراكه دون استثناء أن من رحمة الله بالناس أن تكون دعوة الإسلام عامة للناس أجمعين فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]، كما أن عليهم أن يدركوا أن القرآن الكريم نزل من لدن رب العالمين لتنظيم شؤون أمر العباد والبلاد؛ عقدياً واجتماعياً وأخلاقياً وسياسياً وأمنياً واقتصادياً. وكيف لا يكون القرآن منظماً لحياتنا العامة والخاصة وقد جاء



ليكون مخلصاً لنا وللناس أجمعين من كل أنواع الشبهات والظلمات ومخرجاً لنا والناس أجمعين إلى نور الحقائق الفكرية والروحية والأمنية. لقد أكد القرآن الكريم وذلك عندما زكى الله كتابه الكريم ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم عندما قال: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: ١١]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

## دوافع البحث

إن مما دفعني إلى للقيام بهذا البحث جملة من الدوافع منها: بيان ضرورة العودة إلى القرآن الكريم مجدداً لحل مشاكلنا الأمنية روحياً وفكرياً واجتماعياً، وبيان منهج وطريقة السلف الصالح في التعامل مع القرآن الكريم والإستفادة منه لكيفية الخروج من هذه الأزمة الراهنة. لقد جعل الله عز وجل القرآن الكريم مصدر عزة ورفعة للمسلمين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]، قال المفسرون أي فيه شرفكم وعزتكم وفخركم وقوتكم في الدنيا. ولقد كان من نهج وهدى السلف الصالح التحاكم إليه في كل شأن من شؤون حياتهم الخاصة والعامة وفي كل أمر من أمور الدنيا والدين، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وكان هذا الاحتكام إلى القرآن بكل طواعية وانقياد دون أدنى مقاومة أو ارتياب، تعبداً لله وتقرباً إليه وانقيادا لأوامره سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ

وَرَسُولُهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿﴾ [الأحزاب: ٣٦]. كما أن الجيل الأول الذي عاصر نزول القرآن من الصحب الكرام توجهوا إلى القرآن بغرض التلقي والتنفيذ، وبغرض التعلم والعمل وليس بغرض مجرد الحفظ والتسلية والإكثار من المحفوظات فكانوا سُرُجاً هداة مباركين وموفقين بهذا المنهج المستقيم الذي أَرْضَى اللهُ رب العالمين، وفتحوا بذلك القلوب والعقول قبل فتح القلاع والحصون.

غير أنه خلف من بعدهم خلفٌ من المسلمين ورثوا الكتاب أقاموا حروف القرآن وأضاعوا حدوده، وأقاموا شعار القرآن وأضاعوا شعيرة العمل بالقرآن، عندما توجهوا إلى القرآن وعكفوا عليه بغرض القراءة المجردة والحفظ المجرد، والثقافة المحضة للإكثار من المحفوظات والبيانات، ومعرفة مسائل الخلاف والمتشابهات، وإثارة الشكوك وطرح الشبهات، من أمثال العلمانيين والعلمانيات، والمستشرقين والمستشركات، والليبراليين والليبراليات، والمتقفين والمتقفات، العربيات والأجنبيات، أساتذة وأستاذات في بعض الكليات والجامعات! ومما يؤسف له أيضاً عملٌ بعض طلبة العلم الشرعي والقراء الكرام في مختلف البلاد، مكتفين بحسن التلاوات وحرص على المشاركات في المسابقات للحصول على الجوائز والشهادات والإجازات بمختلف القراءات والروايات! هذا المنهج ربما يغضب رب العالمين ورسوله الكريم محمداً صلى الله عليه وسلم لمخالفتهم منهجه صلى الله عليه وسلم ومنهج أصحابه الكرام في الحفظ والتعامل مع القرآن، المبني على ركن وقاعدة الحفظ لخمس أو عشر آيات بينات، ثم العمل بهنّ في الحياة وعدم تجاوزها والإنتقال إلى غيرها قبل العمل بها إلى الممات. منهجية ربانية تلقوها في المدرسة المحمدية، صلى الله عليه وسلم على صاحب هذه المدرسة ورضي الله عن تلامذتها أجمعين.

ولقد آن الأوان لأمة الإسلام أن تنهض من جديد بهذا القرآن وأن تنفض من فكرها غبار وأساطير الخلافات في النحويات والصرفيات، والبلاغيات والبيانيات، والفقهيات والمذهبيات، والجدليات العقيمة في باب الفلسفيات والمناظرات، والمتراكمة عبر القرون والأزمنة إلى يومنا هذا، حتى يكونوا من أحباب الرحمن بحسن التدبير والتفسير لكتاب رب الأنام، والفهم والعمل بهدي الفرقان، والدعوة والمحبة للقرآن؛ اقتداء بسيد ولد عدنان نبينا محمد عليه أفضل الصلاة أتم السلام ومن اتبع منهج من الصحب الكرام.

### أهمية البحث:

إن القيان بمثل هذه البحوث باتت من الأهمية بمكان لا يجادل عنها عاقلان، في عصر تعددت السبل والمناهج للوصول إلى رضى الرحمن، حيث انفجرت الأحداث والوقائع مثل البراكين، يستنجد فيه الملهوف ويشكو الحليم من الحيران، وهذه من علامات الساعة في آخر الزمان كما ثبت ذلك عن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. عصر لا يهتدي فيه المسلم بيسر إلى الله جل وعلا، ولا إلى كتابه الكريم لكثرة القيل والقال! و من خصائص الزمان المضطرب حديثاً للموضوعات السياسية والإقتصادية والفكرية، والنقاش جار على الهواء مباشرة في الفضائيات وسط أجواء متوترة من الصراخ والعياط، وعراك بالأيدي وقذف بالألسن وإلقاء للأقلام والأوراق على وجوه الضيوف المتحدثين في البرنامج! ووصف بالعمالة والنفاق والشقاق إلى غير ذلك ما هنالك من الأوصاف والتعبيرات تنوء بحملها الجبال الشامخات لهذا الوضع المأساوي لحال المسلمين والمسلمات والمتقفين والمتقفات والمذيعين والمذيعات!! ظلمات بعضها فوق بعض! كل ذلك بحجة البحث والنقاش والسؤال عن المخارج

من الأزمات، وبحثاً عن ملاذات و كهوف الأمن والأمان الفكري والروحي والإجتماعي في هذا الزمان. وأسفاه على هذا الزمان الذي ليس فيه أمان! فمن من هؤلاء من يرى أن تحالف الأوطان الإقليمية والدولية وتجييش الجيوش العربية والإقليمية لمحاربة الإرهاب وحزب الشيطان، والتبادل الإستخباراتي والمعلوماتي فيما بينهم لمعرفة كيد ومكر المتعاونين بالشيطان؛ ربما يحل مشكلة الخوف والقلق ويحل محله الهدوء ويستتب الأمن والأمان!

ومن الناس من يرى أن رفع نسبة الموازنة المالية لوزارة الدفاع ف العالم لكي تتمكن الدول من التسليح وشراء المزيد من الأسلحة المتطورة لضرب وقصف المشبوهين وقتل المجرمين وملاحقة أصحاب المشاكل و التخلص منهم والزج بهم في السجون؛ قد يعيد هذا العمل الأجواء الأمنية والنفسية والإجتماعية في البلاد والعباد! إن هذه المحاولات الظاهرة والشكلية لإخماد نار الفتنة والإرهاب واسترجاع الأمن والأمان لا تكفي وحدها، ولا تعالج هذه الظاهرة المرضية من جذورها كما يريد الخالق الرحمن في كتابه المّان – وكما أكد ذلك صاحب السمو الأمير الشيخ تميم بن حمد حفظه الله: أمير دولة قطر، في العديد من المقابلات الشخصية في الفضائيات العالمية مشيراً إلى أهمية البحث عن الأسباب المؤدية إلى الإرهاب وعدم الإكتفاء بمحاربة الإرهاب فقط.

إن هذه المحاولات السابقة الذكر – مع تقديرنا لها – أرى أنها غير كافية لمعالجة المشكلة في أساسها وبشكل دائم. وإن نجحت هذه المحاولات و كانت مجدية فهو علاج مؤقت وغير ضامن لجلب الاستقرار وتحقيق الأمن والأمان على المدى البعيد. لقد نسي هؤلاء وهؤلاء أن جذور المشكلة أعمق من ذلك بكثير وأكبر مما

تبدو في الوهلة الأولى للعيان. إن جذورها ضاربة في الأعماق الفكرية والعقدية والتربوية. فلا بد إذن من المعالجة الفكرية والتربوية والعقدية والتعليمية<sup>630</sup>.

### أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى وضع خطة عملية مرنة قابلة للتطبيق في حياة الناس عامة والمسلمين خاصة ابتداء من المؤسسات وأجهزة الدولة في القطاع العام والخاص، والمؤسسات التعليمية والتربوية والدينية في جميع المراحل والمستويات الدراسية. هذه الخطة فيها بيان تفصيلي لمنابع الأمن الروحي والفكري والاجتماعي، وفق النظرة الإسلامية الشاملة للكون والحياة والإنسان وذلك من خلال الرجوع إلى آيات القرآن الكريم عموماً وعلى الآيات التي تحدثت بصريح العبارة و واضح الدلالة على الموضوعات الأمنية في المجال الفكري والروحي والاجتماعي.

والقرآن الكريم حافل بالآيات الدالة على كيفية تحصيل وتحقيق الأمن والأمان في مختلف المجالات، كما أنه أرشدنا ودلنا على كيفية المحافظة عليهما. وكيف لا يدل القرآن الكريم على ذلك وقد حفل بالآيات التشريعية وبيان الأنظمة التفصيلية في الجانب العقدي والأخلاقي الاجتماعي والأسري والسياسي والاقتصادي والأمني.

### إشكالية البحث:

إن الأمة الإسلامية بعد الخلافة الراشدة إلى يومنا هذا عاشت ولا تزال تعيش بين الآمال و الوعود القرآنية للنهضة الفكرية والعلمية والاجتماعية تارة، وبين دركات

630 خوجة، خيرالدين؛ مجلة "الحكمة" دراسة بعنوان: ظاهرة الإرهاب بين التشخيص والعلاج، العدد 37، شهر رجب، 1427 هـ، ص 399-458 المركز الإسلامي " البخاري " مانشستر - بريطانيا - والمقرر الرئيسي للمجلة بالمدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

السقوط والهاوية والتخلف والرجعية تارة أخرى. فهي في الوقت الراهن تعاني محلياً وعالمياً من الضعف والتمزق الداخلي والطائفي المذهبي، وفقدان للأمن الروحي والفكري والإجماعي، وفقدان لمنهج السير على الهدى الرباني رغم امتلاكها لكل المقومات الطبيعية والبشرية والاقتصادية والفكرية والروحية. إنها لم تهتد إلى القرآن سبيلاً؛ لا منهجاً في التمسك بالعقيدة الصحيحة ولا عملاً بما يرضي الله رب العالمين، ولا إلى الله عز وجل ثقة وإيماناً، ولا إلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم تمسكاً واتباعاً.

إن القرارات الصادرة من مجلس الأمن! كلها قرارات فضائية عبثية لا وجود لها على أرض الواقع لحماية دماء وأوطان المسلمين! لقد وجدوا في الأزمة السورية واليمنية والمصرية والليبية الحالية وأزمات الأمة الإسلامية والعربية عامة مرتعاً خصباً للممطالة في عدم اتخاذ القرارات الحاسمة لمحاسبة المجرمين والقتلة. هذا الخذلان العالمي للمسلمين والبلاد العربية من المجتمع الدولي و مجلس الأمن، وعدم حسم الأمور بجديّة لوقف إطلاق النار كان بغية تحقيق أهدافهم الاستعمارية والتبشيرية والتخريبية للأوطان العربية والإسلامية، مما دفع ذلك الشباب المسلم من كافة أنحاء العالم إلى فكرة الانتقام من هؤلاء - المجتمع الغربي والأمريكي والعربي - بشتى الطرق والوسائل الانتقامية التي باتت معلومة للقاصي والداني. هذه هي إشكالية هذه الدراسة.

إن هذه الأوضاع الراهنة والدائمة المريعة ولدت مزيداً من القلق والإرهاب وفقدان للأمن والأمان على مختلف المجالات. إن العالم العربي والإسلامي والعالم الغربي والأمريكي؛ هؤلاء جميعاً يبحثون عن الأمن والأمان الفكري والروحي والاجتماعي. إنهم جميعاً قلقون وجلون! مترقبون حائرون! بإمكانهم أن يسمعوا في أية لحظة دوي الانفجار من انتحاري أو انتحارية أو دهس بالسيارة أو طعن بالسكين أو غير

ذلك. حقا لقد فقدنا جميعا الأمن والأمان الفكري! لقد فقدنا نحن وهؤلاء الأمن والأمان الإجتماعي! لقد فقدنا الأمن والأمان الوظيفي! بل ولقد فقدنا الأمن والأمان الأسري أيضاً! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

### الدراسات السابقة:

هنالك بعض دراسات وجهود حول هذه القضية المهمة، ولكن من المؤكد أن تلك الدراسات والجهود غلب عليها طابع العلاج الدبلوماسي المبني على الجهد البشري المحدد بعيدا عن روح النظام الإسلامي والمنهجية القرآنية. إذن، هذه الدراسة محاولة جادة لتحقيق الأمن والأمان في كل المستويات وفق التشريعات الإسلامية والنظام الإسلامي من خلال رسم خطة عملية قابلة للتطبيق والتنفيذ.

### أسئلة البحث:

هذه الورقة ستحاول بإذن الله الإجابة على بعض القضايا والتساؤلات المتعلقة بالأمن الفكري والروحي والاجتماعي من منظور القرآن الكريم، وذلك من خلال تسليط الأضواء على جهود و آراء بعض المفسرين المتقدمين والمعاصرين في تفسيرهم للآيات القرآنية التي تحدثت بصراحة و وضوح عن مسألة الأمن والأمان:

- أ - ما حال الجيل الأول من الصحابة مع القرآن الكريم وكيفية تأثيرهم به؟
- ب - ما التصور القرآني لسرّ مفهوم العقيدة والشريعة؟

ج - ما النموذج القرآني والرؤية القرآنية لمفهوم الأمن الروحي والفكري والاجتماعي؟

د - ما الأسباب الموجبة والطرق الموصلة إلى تحقيق الأمن الروحي والفكري؟

### منهج البحث

اتبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي النقدي المقارن.



## تمهيد:

## دعائم الخطة العملية الضامنة للنجاح:

حتى تنجح هذه الخطة و تؤتي أكلها بإذن ربها، ولكي تستقيم حياة العباد ويضبط أمر البلاد لا بد من وجوب تحقيق هذا الشرط، ألا وهو طاعة ولي الأمر. فقد أوجب الله عز وجل طاعته جل وعلا وطاعة رسوله و طاعة أولي الأمر من المسلمين، فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. و كما هو معلوم أن المراد من طاعة أولي الأمر من المسلمين طاعة: الأمراء والعلماء كما ذهب إلى ذلك كثير من أهل العلم والمفسرين من السلف والخلف. قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية:

"... وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ يعني أهل الفقه والدين، وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن البصري وأبو العالية "وأولي الأمر منكم" يعني العلماء. والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء كما تقدم...، وفي الحديث الصحيح المتفق على صحته عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله ومن أطاع أمري فقد أطاعني"<sup>631</sup> ومن عصا أميري فقد عصاني " فهذه أوامر

<sup>631</sup> وانظر تفسير الإمام الطبري لهذه الآية في الموسوعة التفسيرية <http://mosshaf.com/main>

بطاعة العلماء والأمرء ولهذا قال تعالى "أطيعوا الله" أي اتبعوا كتابه وأطيعوا الرسول أي خذوا بسنته وأولي الأمر منكم أي فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما تقدم في الحديث الصحيح "إنما الطاعة في المعروف" 632.

ولالإمام الطاهر بن عاشور رحمه الله في تفسيره لهذه الآيات كلام في غاية الروعة والدقة، حيث تطرق إلى أبعاد ودلالات الآية الكريمة وتطبيقاتها المعاصرة بشكل مفصل أكثر وأشمل ونحن بأمس الحاجة إليه. قال رحمه الله:

"....وقوله: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ يعني: ذويه وهم أصحاب الأمر والمتولون له. والأمر هو الشأن، أي ما يهتم به من الأحوال والشؤون، فأولو الأمر من الأمة ومن القوم هم الذين يسند الناس إليهم تدبير شؤونهم ويعتمدون في ذلك عليهم، فيصير الأمر كأنه من خصائصهم، فلذلك يقال لهم: ذوو الأمر وأولو الأمر، ويقال في ضد ذلك: ليس له من الأمر شيء. ولما أمر الله بطاعة أولي الأمر علمنا أن أولي الأمر في نظر الشريعة طائفة معينة، وهم قدوة الأمة وأمنائها، فعلمنا أن تلك الصفة تثبت لهم بطرق شرعية إذ أمور الإسلام لا تخرج عن الدائرة الشرعية، وطريق ثبوت هذه الصفة لهم إما الولاية المسندة إليهم من الخليفة ونحوه، أو من جماعات المسلمين إذا لم يكن لهم سلطان، وإما صفات الكمال التي تجعلهم محل اقتداء الأمة بهم وهي الإسلام والعلم والعدالة. فأهل العلم والعدول: من أولي الأمر بذاتهم، لأن صفة العلم لا تحتاج إلى ولاية، بل هي صفة قائمة بأربابها الذين اشتهروا بين الأمة بها، لما جرب من علمهم وإتقانهم في الفتوى والتعليم. قال مالك: «أولو الأمر: أهل

632 انظر: الموسوعة الإلكترونية الشاملة للقرآن الكريم: تفسير ابن كثير

القرآن والعلم» يعني أهل العلم بالقرآن والاجتهاد ، فأولو الأمر هنا هم من عدا الرسول من الخليفة إلى والي الحسبة، ومن قواد الجيوش ومن فقهاء الصحابة والمجتهدين إلى أهل العلم في الأزمنة المتأخرة ، وأولو الأمر هم الذين يطلق عليهم أيضاً أهل الحلّ والعقد... " 633 .

---

<sup>633</sup> انظر: الموسوعة الإلكترونية الشاملة للقرآن الكريم: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور

## المبحث الأول : حال الجيل الأول مع القرآن فهماً وتطبيقاً

المطلب الأول: ضوابط لتوحيد مصدر التلقي – تحقيقاً للأمن الفكري والروحي

لقد كان للإسلام فضل عظيم في إنقاذ الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد الخالص، من ظلمات الجور إلى نور العدل والمساواة، من ظلمات الخرافة والتقليد الأعمى إلى نور العقل والبرهان الساطع، من ظلمات الفرضيات والشكوك إلى نور الحقائق واليقينيات. إن الذي نريد أن نؤكد عليه في هذا المطلب هو معرفة سر تأثير القرآن الكريم على فكر وقلوب الجيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين عاصروا نزول القرآن الكريم. و سبب تركيزنا على هذه النقطة هو اعتراض المعترض في عدم تأثرنا نحن المسلمين بالقرآن الكريم! فكيف يمكن قبول الأطروحات القرآنية في مسألة الأمن والأمان الفكري والروحي والاجتماعي ونحن أصلاً لم نتذوق حلاوة القرآن ولم نختد إليه سبيلاً بالمحبة والإجلال والتدبر والترتيل والتفسير والعمل والدعوة إليه، فكان لزاماً علينا أن نأتي ببعض النماذج المشرقة من تاريخ السلف الصالح حتى نفتدي بهم. لقد وجه الله عز وجل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهدي الذين هداهم الله من قبله من الرسل والأنبياء فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 90] وأفضل من رأيت من أشار إلى هذه المسألة المهمة هو المفسر الأستاذ سيد قطب رحمه الله عندما قال:

" جاء الإسلام، وفي العالم ركام هائل، من العقائد والتصورات، والفلسفات، والأساطير، والأفكار والأوهام، والشعائر والتقاليد، والأوضاع والأحوال... يختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالزائف، والدين بالخرافة، والفلسفة بالأسطورة... والضمير البشري - تحت هذا الركام الهائل - يتخبط في ظلمات وظنون، لا يستقر منها على يقين. والحياة الإنسانية - بتأثير هذا الركام الهائل - تتخبط في فساد وانحلال، وفي ظلم وذل، وفي شقاء وتعاسة، لا تليق بالإنسان، بل لا تليق بقطيع من الحيوان!"<sup>634</sup>. ويرى الأستاذ سيد قطب رحمه الله أن القرآن الكريم هو كتاب ومصدر دعوتنا ومنهج حياتنا في الأمور كلها؛ الدينية والدينية، حيث قال :

" هذا القرآن هو كتاب هذه الدعوة. هو روحها وبعثها. وهو قوامها وكيانها. وهو حارسها وراعيها. وهو بيانها وترجمانها. وهو دستورها ومنهجها. وهو في النهاية المرجع الذي تستمد منه الدعوة - كما يستمد منه الدعاة - وسائل العمل ، ومنهاج الحركة ، وزاد الطريق... " <sup>635</sup>.

كما أنه رحمه الله يحذر الأمة الإسلامية من الوقوع في أخطاء منهجية في التعامل مع القرآن<sup>636</sup>، منبهاً إلى نقطة في غاية الأهمية أن الذي يعصم الأمة الإسلامية من الوقوع في هذه الأخطاء المنهجية في التعامل مع القرآن هو: استحضار حال الجليل الأول الذي عاصر نزول القرآن وكيفية تعامله مع هذا الكتاب. لقد تمثل القرآن الكريم عندهم في حسهم وفي حياتهم وفي واقع معاشهم، فقال رحمه الله:

<sup>634</sup> قطب، سيد؛ خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص 19

<sup>635</sup> قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، دار الشروق، ط2، 1980، القاهرة، ج2، مقدمة تفسير سورة آل عمران في الظلال

<sup>636</sup> حول كيفية التعامل الأمثل مع القرآن الكريم تلاوة وحفظاً وفهماً وتدبراً وتفسيراً... راجع كتاب الدكتور يوسف القرضاوي: كيف نتعامل مع القرآن، ص: 10 - 175، دار الشروق، ط1، 1999، القاهرة.

"...ولكن ستظل هنالك فجوة عميقة بيننا وبين القرآن ما لم نتمثل في حسنا، ونستحضر في تصورنا أن هذا القرآن خوطبت به أمة حية، ذات وجود حقيقي؛ ووُجِهت به أحداث واقعية في حياة هذه الأمة؛ ووُجِهت به حياة إنسانية حقيقية في هذه الأرض؛ وأديرت به معركة ضخمة في داخل النفس البشرية وفي رقعة من الأرض كذلك. معركة تموج بالتطورات والانفعالات والاستجابات..."<sup>637</sup>.

وعلى رحمه الله ابتعاد الأمة الإسلامية من القرآن الكريم بأن هنالك حاجز معنوي بمثابة الران على القلب الذي حال بينها وبين القرآن الكريم. ويتمثل هذا الحاجز في تلاوات وتراتيل المسلمين الذين يتلون كتاب الله بألسنتهم ولا تتجاوز حناجرهم؛ فهم غير مباليين بتطبيق المعاني المستنبطة من القرآن في واقع حياتهم، فقال رحمه الله:

"...وسيظل هنالك حاجز سميك بين قلوبنا وبين القرآن، طالما نحن نتلوه أو نسمعه كأنه مجرد تراتيل تعبدية مهومة، لا علاقة لها بواقعات الحياة البشرية اليومية التي تواجه هذا الخلق المسمى بالإنسان، والتي تواجه هذه الأمة المسماة بالمسلمين! بينما هذه الآيات نزلت لتواجه نفوساً ووقائع وأحداثاً حية، ذات كينونة واقعية حية؛ ووُجِهت بالفعل تلك النفوس والوقائع والأحداث توجيهاً واقعياً حياً..."<sup>638</sup>.

وتكمن ضرورة الاقتداء بمنهج الجيل الأول - منهج السلف الصالح - في التعامل مع القرآن الكريم؛ في كون القرآن معجزة حية باقية إلى قيام الساعة. فمعجزة القرآن الكريم لم تنته بنزوله في وقت مضى وعلى أمة قد خلت! كلا إنها معجزة مستمرة باقية إلى قيام الساعة، قادرة على مواجهة الواقع البشري المرير بكل ألوانه.

<sup>637</sup> قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، ج2، ص 2-3

<sup>638</sup> قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، ج2، ص 4

فالقرآن الكريم كتاب حيّ قادرٌ حركي ينبض بالحياة والحركة لمواجهة ومقاومة التحديات المختلفة. قال رحمه الله:

"...ومعجزة القرآن البارزة تكمن في أنه نزل لمواجهة واقع معين في حياة أمة معينة، في فترة من فترات التاريخ محددة، وخاض بهذه الأمة معركة كبرى حولت تاريخها وتاريخ البشرية كله معها، ولكنه - مع هذا - يعايش ويواجه ويملك أن يوجه الحياة الحاضرة، وكأنما هو يتنزل اللحظة لمواجهة الجماعة المسلمة في شؤونها الجارية، وفي صراعها الراهن مع الجاهلية من حولها، وفي معركتها كذلك في داخل النفس، وفي عالم الضمير، بنفس الحيوية، ونفس الواقعية التي كانت له هناك يومذاك..."<sup>639</sup>.

أقول: إن نظرة الأستاذ سيد قطب إلى طريقة تعامل الجيل الأول - جيل السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين - مع القرآن الكريم فهماً وعملاً، تلقياً وتنفيذاً في واقع حياتهم، لعبت دوراً أساسياً في صقل فهمه لإدراك قوة القرآن الفاعلة وحقيقة حيويته الكامنة ف توجيه المسلم بل والأمة الإسلامية<sup>640</sup>. لقد أدرك الأستاذ سيد قطب رحمه سر تأثير القرآن الكريم في النظر في طريقة معايشة الجيل الأول للقرآن الكريم وفي كيفية تعامله المباشر معه في شؤونه اليومية. لقد كان القرآن خير معلم لهم؛ بسط لهم كلتا يديه لكي يربيههم ويثقفهم وينهض بهم إذا ما عثروا خطوة خطوة بالتدرج، تماماً مثل الإنساني المرابي المشفق والمهتم بمن يريه، فقال رحمه الله:

<sup>639</sup> المصدر السابق، الجزء والصفحة، وانظر أيضا: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب في تفسيره لقوله تعالى في سورة

الإسراء: الآية رقم 9، قوله تعالى [ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ]

"...أجل ... يجب أن نعيش مع تلك الجماعة الأولى؛ ونتمثلها في بشريتها الحقيقية، وفي حياتها الواقعية، وفي مشكلاتها الإنسانية؛ ونتأمل قيادة القرآن لها قيادة مباشرة في شؤونها اليومية وفي أهدافها الكلية على السواء؛ ونرى كيف يأخذ القرآن بيدها خطوة خطوة. وهي تعثر وتنهض. وتحميد وتستقيم. وتضعف وتقاوم. وتتألم وتحتمل. وترقى الدرج الصاعد في ببطء ومشقة، وفي صبر ومجاهدة، تتجلى فيها كل خصائص الإنسان، وكل ضعف الإنسان، وكل طاقات الإنسان...<sup>641</sup>

وبعد بيان الأستاذ لهذه الحقيقة التاريخية والمعلم المنهجي في كيفية التعامل مع القرآن الكريم؛ أكد بقوة بأن الأمة الإسلامية بإذن الله ستعيد مجدها وقوتها وفعاليتها بهذا القرآن الكريم؛ إن تعاملت مع القرآن الكريم وفق تلك الأسس والضوابط، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يقال للقرآن إنه كتاب قديم لا يصلح لقيادة البشرية؛ كما لا يصلح أن يقال إن الشمس قديمة ولا بد من استبداله بنجم جديد، فهذا أمر مضحك! قال رحمه الله:

"...إننا بهذه النظرة سنرى القرآن حياً يعمل في حياة الجماعة المسلمة الأولى؛ وبملك أن يعمل في حياتنا نحن أيضاً. وسنحس أنه معنا اليوم وغداً. وأنه ليس مجرد تراتيل تعبدية مهومة بعيدة عن واقعنا المحدد، كما أنه ليس تاريخاً مضى وانقضى وبطلت فاعليته وتفاعله مع الحياة البشرية. إن القرآن حقيقة ذات كينونة مستمرة كهذا الكون ذاته. الكون كتاب الله المنظور. والقرآن كتاب الله المقروء. وكلاهما شهادة ودليل على صاحبه المبدع؛ كما أن كليهما كائن ليعمل...والكون بنواميسه ما زال يتحرك ويؤدي دوره الذي قدره له بارئته. الشمس ما زالت تجري في فلكها وتؤدي دورها، والقمر والأرض، وسائر النجوم والكواكب لا يمنعها تطاول الزمان من

<sup>641</sup> قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، ج2، ص 2 - 4



أداء دورها...، والقرآن كذلك أدى دوره للبشرية، وما يزال هو هو. فالإنسان ما يزال هو هو كذلك. ما يزال هو هو في حقيقته وفي أصل فطرته. وهذا القرآن هو خطاب الله لهذا الإنسان - فيمن خاطبهم الله به. خطاب لا يتغير، لأن الإنسان ذاته لم يتبدل خلقاً آخر، مهما تكن الظروف والملابسات قد تبدلت من حوله، ومهما يكن هو قد تأثر وأثر في هذه الظروف والملابسات ... والقرآن يخاطبه في أصل فطرته وفي أصل حقيقته التي لا تبدل فيها ولا تغيير... " 642.

لقد أدرك رحمه الله أنه يجب أن يكون التعامل مع القرآن الكريم مباشراً دون واسطة، كما أنه ينبغي أن يجعل النص القرآني هو الأساس والمحور يحتكم إليه وينقاد له، ولا ينبغي إخضاع النص القرآني لآرائنا ومعتقداتنا السابقة كما هو الحال مع بعض المنتسبين للعلم. إن كلام العلماء والمفسرين للنصوص القرآنية ليس إلا مجرد جسور مساعدة لكيفية التعامل مع القرآن، وليس كلام العلماء هو الهدف والمقصد بعينه. فهم - رحمه الله جميعاً وجزاهم الله خيراً - قاموا بدور الوسيط والجسر، وبينوا ما فهموا في إطار اجتهادهم الشخصي، ومعارفهم وعلومهم وميولاتهم الشخصية والعلمية مع تفاوت نسبي ملحوظ في هذا الشأن، ولكنهم - والله الحمد - لم يغلقوا أبواب الفهم للنصوص القرآنية أو النبوية لمن جاء بعدهم إذا توفرت فيهم آليات الفهم للقرآن الكريمي. إذ العبرة في هذا أنه:

" ليس لقدم العهد يُفضل القائل و لا لحدّثان عهد يُهتَمُّ المصيب، ولكن يُعطى كل ما يستحق "، " والشيء إنما يستجد و يُستردّل لجودته أو رداءته، لا

642 المصدر السابق، وانظر: زروق، نصير؛ مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب، دار السلام، ط1، القاهرة، 2009، ص 341 - 363، وانظر: خوجة: خيرالدين؛ خريطة الدعوة إلى رب الأنام في تفسير الأستاذ سيد قطب لسورة الأنعام، ط1، متروفيسا - كوسوفا، 2015، ص 104

لتقدمه أو تأخره.. " 643 فهذه حقيقة علمية ينبغي أن لا ننساها. يقول الأستاذ رحمه الله:

"... سلكت منهجاً قد يكون غريباً بعض الشيء على القارئ الحديث الذي تعود- حتى في البحوث الإسلامية الخالصة، أن يرى الآيات القرآنية تساق لمجرد الاستشهاد في مواضع من البحث على القضية التي يقرها الكاتب بعبارة... المنهج الذي سلكناه هنا على النقيض من هذا.. منهجنا يحاول أن يجعل النص القرآني هو الأصل الذي يتولى تقرير الحقائق التي يتألف منها البحث، وأن يجعل عبارتنا البشرية مجرد عامل مساعد... نريد لهذا القارئ أن يتعود التعامل مع القرآن ذاته تعاملًا مباشرًا. كلما أعوزته حقيقة في شأن من شؤون الحياة كلها، وأراد أن يصل إلى الحق..." 644

ويقرر الأستاذ سيد هذه القاعدة؛ قاعدة الاستلham المباشر من القرآن الكريم دون مقررات أو روايب سابقة و يربطها بفهمنا للعقيدة الإسلامية مباشرة من معينها الأول، لأن القرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم .

قال الإمام الفخر الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: 9] قال رحمه الله:

" البحث الثاني: قوله: " للتي هي أقوم " [ الإسراء: 9] نعت لموصوف محذوف، والتقدير: يهدي للملة أو الشريعة أو الطريقة التي هي أقوم الملل والشرائع والطرق،

643 انظر: العذب النمبر من مجالس الشنقيطي في التفسير - اعتنى به وعلق عليه فضيل الشيخ الأستاذ الدكتور خالد

السبت - أستاذي و شياخي حفظه الله ورعاه بكلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة 1992 م، ص 13،

دار بن عفان، ط 1، 2003، القاهرة

644 قطب، سيد؛ مقومات التصور الإسلامي، ص 39

ومثل هذه الكناية كثيرة الاستعمال في القرآن كقوله: " ادفع بالتي هي أحسن " [فصلت: 34] أي بالخصلة التي هي أحسن... " 645 . وأن على الدعاة والعلماء أن يفهموا العقيدة الإسلامية صافية بأسلوبها الخاص وليس على أسلوب الطريقة الفلسفية. قال رحمه الله:

"منهجنا إذن أن نستلهم القرآن الكريم مباشرة، وألا نواجهه بمقررات سابقة إطلاقاً، لا مقررات عقلية ولا مقررات شعورية من رواسب الثقافات التي لم نستقها من القرآن ذاته، نحاكم إليها نصوصه، أو نستلهم معاني تلك النصوص وفق تلك المقررات السابقة. لقد جاء النص القرآني -ابتداءً- لِيُنشئ المقررات الصحيحة التي يريد الله أن تقوم عليها تصورات البشر، وأن تقوم عليها حياتهم، وأقل ما يستحقه هذا التفضل من العلي الكبير، أن يتلقوها وقد فرغوا قلوبهم وعقولهم من كل غبشٍ دخيل، ليقوم تصورهم الجديد نظيفاً من كل رواسب الجاهليات -قديمها وحديثها على السواء- مستمداً من تعليم الله وحده، لا من ظنون البشر، التي لا تغني من الحق شيئاً... لا بد أن تُعرض العقيدة بأسلوب العقيدة، إذ أن محاولة عرضها بأسلوب الفلسفة يقتلها ويطفئ إشعاعها وإيجاءها، ويقصرها على جانب واحد من جوانب الكينونة الإنسانية الكثيرة" 646.

من هنا ندرك سر اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم في تحديد وتوحيد مصدر التلقي والتعلم في فترة التكوين الأولى لجيل الصحابة؛ وهو التركيز والاعتماد على كتاب الله سبحانه وحده، لتخلص نفوسهم له وحده ويستقيم عودهم على منهجه وحده. ومن ثم غضب أن رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستقي العلم

645 انظر تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب في الموسوعة التفسيرية <http://mosshaf.com/main>

646 قطب، سيد؛ خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص13

والمعرفة من نبع آخر - هنا إشارة جلييلة إلى تحقيق الأمن والأمان الفكري والروحي  
- عندما رأى صحيفة من التوراة - أي في يد عمر -، كل ذلك حصل بغرض صنع  
جيل خالص القلب، خالص العقل، خالص التصور، خالص الشعور، خالص  
التكوين، مصون من مؤثر آخر غير المنهج الإلهي..<sup>647</sup>.

ولا يمكننا صناعة جيل تلك هي صفاتهم ومناقبهم إلا بالتعلم من طريقة ذلك  
الجيل في تعاملهم مع القرآن الكريم، والذي عاصر نزول القرآن وملابساته وظروفه  
الاجتماعية والنفسية. ولقد نوه الأستاذ سيد قطب أكثر من مرة إلى أن الجيل الأول  
كان يقرأ القرآن ليتلقى أمر الله في خاصة شأنه وشأن الجماعة التي يعيش فيها بهدف  
العمل والتطبيق وليس بهدف الدراسة والثقافة والمتاع:

"... إن منهج التلقي للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول. ومنهج  
التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرج الأجيال التي تليه"<sup>648</sup>.

ومن خصائص ذلك الجيل الأول أن أحدهم عندما كان يعتقد الإسلام فهو  
يبدأ عهداً جديداً في حياته ويطوي صفحة الماضي - الجاهلية - بأكملها؛ وينعزل  
من الماضي عن طريق عزلة شعورية في داخل نفسه، وإن بدى في ظاهر الأمر أنه  
يتاجر ويتعامل مع المجتمع الجاهلي من حوله. لقد أشار الأستاذ المفسر إلى هذه  
الحقيقة قائلاً:

"...لقد كان الرجل حين يدخل الإسلام يخلع على عتبه كل ماضيه في  
الجاهلية. كان يشعر في اللحظة التي يجيء فيها إلى الإسلام أنه يبدأ عهداً  
جديداً...، كانت هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضي المسلم في جاهليته وحاضره

<sup>647</sup> قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ط1، 1988، ص17

<sup>648</sup> قطب، سيد؛ معالم في الطريق، دار القلم، ط3، بيروت، 2001، ص: 19

في إسلامه، تنشأ عنها عزلة كاملة في صلاته بالمجتمع الجاهلي من حوله وروابطه الاجتماعية...، حتى ولو كان يأخذ من بعض المشركين ويعطي في عالم التجارة - اليومي - فالعزلة الشعورية شيء والتعامل اليومي شيء آخر... " 649.

### المطلب الثاني: سرّ التصور الإعتقادي للإسلام لدى الجيل الأول

إن الإسلام منهج إلهي شامل وكامل منظم لحياة الإنسان بأكملها وفي كل المجالات، ولكون الإسلام موصوفاً بهذه الخصائص والمميزات، فقد تعب الأعداء ولا يزالون يتعبون نفسياً وفكرياً وجسدياً في توجيه الهجمات المختلفة على الإسلام، يرى الأستاذ سيد قطب أن المبادئ الإسلامية في جملتها ما هي إلا:

"...منهج يشمل التصور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة الوجود ويحدد مكان الإنسان في هذا الوجود، كما يحدد غاية وجوده الإنساني...، ويشمل النظم والتنظيمات...، كالنظام الأخلاقي...، وخصائصه، والنظام الاجتماعي وأسس ومقوماته، والنظام الاقتصادي وفلسفته وتشكيلاته، والنظام الدولي وعلاقته وارتباطاته 650.

ولإبراز أهمية وحقيقة التصور الاعتقادي للإسلام وكيفية تفاعل الجيل الأول مع القرآن، فإننا نفضل عرض ذلك التصور و الفهم للقرآن الكريم لدى الصحب الكرام من خلال مقتبسات شرح وتحليل الأستاذ سيد قطب مدعوماً

649 قطب، سيد؛ معالم في الطريق، ص 19-20

650 قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين، ص 3

بكلام بعض العلماء و المفسرين الآخرين لهذه المسألة من خلال النقاط الآتية التي أشار إليها الأستاذ رحمه الله:

### أولاً: أثر العقيدة الإسلامية على الناس كافة وإمكانية عودتها مجدداً

ولكون الإسلام منهجاً إلهياً فإن أثره وفضل هذا المنهج الإلهي كان علينا كبيراً، يظهر ذلك واضحاً في كونه استطاع خلال فترة تاريخية وجيزة أن يؤثر في فكر وحياة البشر وعاداتهم وعقائدهم وأن يجعل منهم أئمة وقادة للعالم بعد أن كانوا في أحط المستوى البشري سواء من الناحية الدينية أو السياسية أو الاجتماعية والخلقية. قال رحمه الله:

" لقد استطاعت تلك الفترة أن تنشئ في واقع الحياة البشرية عدداً كبيراً من الشخصيات النموذجية تتمثل فيها الإنسانية العليا بصورة غير مسبقة، فإن البناء الروحي والاجتماعي والسياسي، الذي قام على أساس هذا المنهج السامق الفريد والذي لم يستغرق بناؤه سوى قرن واحد من الزمان - بل ونصف قرن في الحقيقة، قد ظل يقاوم...، جميع العدوات التي ساورته وجميع الهجمات الوحشية التي شنت عليه...، أكثر من ألف عام...، فما تزال هذه الأصول قادرة على البعث الجديد حين يعتنقها جيل جديد" <sup>651</sup>.

قال الداعية الشيخ الشعراوي في تفسير قوله تعالى في سورة الحج: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [ الحج: ٣٩ ]، قال رحمه

<sup>651</sup> قطب، سيد؛ خصائص التصور الإسلامي: ص28

الله: "... بأسباب يُمكنهم منها، أو بغير أسباب فتأتهم قوة خفية لا يرونها، وقد رأوا نماذج من ذلك فعلاً..."<sup>652</sup>

ويرى الأستاذ سيد قطب أن ازدهار الشريعة الإسلامية في فترة تاريخية مضت لا يعني عدم قدرة عودتها مرة أخرى! لأن الذي حدث لم تكن معجزة خارقة لا تتكرر! وإنما تم ذلك بجهد بشري وحدود طاقتهم، قال رحمه الله:  
"... وهذا الذي يحدث لم يتم بمعجزة خارقة لا تتكرر ولكنه تحقق - وفق سنة الله الدائمة - بجهد بشري وفي حدود الطاقة البشرية فدللت هذه السابقة على إمكان تكرار هذه الظاهرة"<sup>653</sup>.

### ثانياً: جوع لا يسدها إلا هذه العقيدة و أحقية القيادة الإسلامية

وأما عن عظمة هذا المنهج الإلهي وحاجة الناس إليه وكيفية فهم الجيل الأول له، فيقارنها الأستاذ بنوع خاص من الجوع الذي لا يسد مكانه إلا هذا الغذاء الروحي الرباني؛ وهو الإيمان بالله العلي الكبير، قائلاً:  
" ولقد يُشغل الإنسانُ بعضَ الوقتِ بجوعه الجسد، وما يتعلق بها من الإنتاجِ بشتى وسائله وصنوفه، ومن المتاع الحسي بشتى ألوانه ومذاقاته... ولكن هذه الجوعه وكل ما يتعلق بها لا تستغرق الكينونة الإنسانية، وإشباعها لا يسد سائر الجوعات (الإنسانية). وما أن تهدأ هذه الجوعه حتى تتحرك في الكائن الإنساني جوعه أخرى. جوعه لا يسدها الطعام، ولا يرويها الشراب، ولا يكفيها الكساء، ولا تسكنها كل

<sup>652</sup> انظر: تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي في الموسوعة التفسيرية <http://mosshaf.com/main>

<sup>653</sup> قطب، سيد؛ خصائص التصور الإسلامي: ص45

ضروب المتاع...! إنها جوعه من نوع آخر! جوعه إلى الإيمان بقوة أكبر من البشر؛ وعالم أكبر من المحسوس؛ ومجال أكبر من الحياة الدنيا...! وجوعه إلى الوثام بين ضمير الإنسان وواقعه، بين الشريعة التي تحكم ضميره والشريعة التي تحكم حياته. بين منهج حركته الذاتية ومنهج الحركة الكونية من حوله. جوعه إلى (إله) واحد؛ يتلقى منه شريعة قلبه وشريعة مجتمعه على السواء... 654.

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. وللشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي كلام نفيس في تفسيره لهذه الآية أرى من الضروري إثباته هنا: قال رحمه الله: " يخاطب تعالى جميع الناس، ويخبرهم بحالهم ووصفهم، وأنهم فقراء إلى الله من جميع الوجوه:

- 1- فقراء في إيجادهم، فلولا إيجادهم إياهم، لم يوجدوا.
  - 2- فقراء في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح، التي لولا إعداده إياهم لما استعدوا لأي عمل كان.
  - 3- فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعمة الظاهرة والباطنة، فلولا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور، لما حصل من الرزق والنعمة شيء.
  - 4- فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكاره، وإزالة الكروب والشدائد.
- فلولا دفعه عنهم وتفريجه لكرباتهم وإزالته لعسرهم لاستمرت عليهم المكاره والشدائد.

654 قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين، ص 69؛ وانظر: فصل: ألوهية وعبودية، من كتاب: مقومات التصور



- 5- فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية، وأجناس التدبير.
- 6- فقراء إليه، في تألههم له، وحبهم له، وتعبدهم، وإخلاص العبادة له تعالى، فلو لم يوفقهم لذلك، هلكوا، وفسدت أرواحهم، وقلوبهم وأحوالهم.
- 7- فقراء إليه، في تعليمهم ما لا يعلمون، وعملهم بما يصلحهم، فلولا تعليمه، لم يتعلموا، ولولا توفيقه، لم يصلحوا.
- 8- فهم فقراء بالذات إليه، بكل معنى، وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه وديناه، ويتضرع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يعينه على جميع أموره، ويستصحب هذا المعنى في كل وقت، فهذا أخرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه، الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها. " 655

فإذا ما اعترف الإنسان المسلم بهذا المنهج الإلهي، فإنه يجب أن يتذكر بأن دين الله لا يمكن أن يكون محكوماً أو مقوداً، وإنما يكون حاكماً أو قائداً، متبوعاً وليس تابعاً. يقول رحمه الله: " ... كلا إن (دين الله) لا يرضى إلا أن يكون سيداً مهيمناً قوياً متصرفاً، عزيزاً كريماً، حاكماً لا محكوماً. قائداً لا مقوداً... " 656.

655 انظر تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير في تفسير كلام المنان في الموسوعة التفسيرية

<http://mosshaf.com/main>

656 المرجع السابق، ص 93. وانظر: فصل: ألوهية وعبودية مقومات التصور الإسلامي، ص 87؛ وراجع أيضاً هذه الصفحات: 107، 109، 132، 134 من نفس المصدر؛ وانظر: نحو مجتمع إسلامي، للأستاذ سيد قطب، فصل: نظام رباني، ص 150-152، وأيضاً: مقومات التصور الإسلامي، فصل: ألوهية، ص 146

### ثالثاً: مواصفات المنهج الإسلامي والعقيدة الربانية

ومقابل هذا الإفلاس القيمي عند هؤلاء يأتي المنهج الإسلامي منقداً للإنسانية جمعاء، موصوفاً بقيم وخصائص ربانية المصدر وربانية الوجهة و ربانية الغاية. إنه منهجي مبني على العلم والقوة والحكمة والعبودية المطلقة لله سبحانه، حيث يقول رحمه الله:

"...قاعدة المنهج الرباني الصادر عن علم بدل الجهل وكمال بدل النقص وقدرة بدل الضعف وحكمة بدل الهوى القائم على أساس: إخراج البشر من عبادة العباد إلى<sup>657</sup>، عبادة الله وحده دون سواه.. " 658 ..

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المك: 14].

قال الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية:

" عني ألا يعلم السر من خلق السر . يقول أنا خلقت السر في القلب أفلا أكون عالماً بما في قلوب العباد . وقال أهل المعاني : إن شئت جعلت " من " اسماً للخالق جل وعز ؛ ويكون المعنى: ألا يعلم الخالق خلقه. وإن شئت جعلته اسماً للمخلوق , والمعنى : ألا يعلم الله من خلق . ولا بد أن يكون الخالق عالماً بما خلقه وما يخلقه... ( وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ) وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني : من أسماء صفات الذات ما هو للعلم ؛ منها " العليم " ومعناه تعميم جميع المعلومات .

<sup>657</sup> المرجع السابق، ص4، ويراجع فصل " الربانية " في كتاب: خصائص التصور الإسلامي ، للأستاذ سيد قطب،

ص43. وانظر: فصل "الألوهية وعبودية " في كتاب: مقومات التصور الإسلامي، للأستاذ سيد قطب، ص152

<sup>658</sup> قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين، ص 3- 7

ومنها " الخبير " ويختص بأن يعلم ما يكون قبل أن يكون. ومنها " الحكيم " ويختص بأن يعلم دقائق الأوصاف. ومنها " الشهيد " ويختص بأن يعلم الغائب والحاضر ومعناه أن لا يغيب عنه شيء، ومنها الحافظ ويختص بأنه لا ينسى. ومنها " المحصي " ويختص بأنه لا تشغله الكثرة عن العلم؛ مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الأوراق؛ فيعلم عند ذلك أجزاء الحركات في كل ورقة. وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق! وقد قال: " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير<sup>659</sup>. "

هذه المفاهيم مما لا شك فيها أن الأستاذ سيد قطب توصل إليها من خلال قراءته وفهمه للآيات القرآنية، ومن أمثال هذه الآيات كانت هذه المنطلقات الفكرية والقراءات العقدية مثل قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14]، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: 30]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: 19].

#### رابعاً: لا فصل للدين عن الدنيا في النظام الإسلامي

ولقد فهم السلف الصالح رحمهم الله أن من أهم صفات وخصائص هذا الدين الإلهي المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصية الشمول؛ فلا يعقل لدين هذه ميزته أن ينفصل عن تنظيم كافة شؤوننا في الحياة الدنيا؛ سياسياً و اقتصادياً و

<sup>659</sup> تفسير الإمام القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن.. الموسوعة التفسيرية <http://mosshaf.com/main>

اجتماعياً و أخلاقياً، إذ لا معنى لهذا الدين والنظام الإلهي أن ينحصر في ركن ضيق من أركان العبادة فقط! يقول الله عز وجل : ﴿ وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّلْكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: 89]. قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية:

" نزل عليك يا محمد هذا القرآن بيانا لكل ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب...، قال ابن مسعود: أنزل في هذا القرآن كل علم وكل شيء قد بين لنا في القرآن.. " 660. وفي هذا الصدد يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

"... فإنه لا معنى للدين أصلاً إذا هو تخلى عن تنظيم الحياة الواقعية، بتصوراته الخاصة، ومفاهيمه الخاصة وشرائعه الخاصة، وتوجيهاته الخاصة... 661،  
و"ليس من طبيعة (الدين) أن ينفصل عن الدنيا، وليس من طبيعة المنهج الإلهي أن ينحصر في المشاعر الوجدانية والأخلاقيات التهذيبية والشعائر التعبديّة أو في ركن ضيق من أركان الحياة البشرية... ركن ما يسمونه (الأحوال الشخصية... 662،

و"ليس من طبيعة (الدين) أن يشرع طريقاً للآخرة لا يمر بالحياة الدنيا! طريقاً ينتظر الناس في نهايته فردوس الآخرة عن غير طريق العمل في الأرض وعمارتها، والخلافة فيها عن الله وفق منهجه الذي ارتضاه... " 663. قال تعالى: ﴿ مَا قَرَّبْنَا فِي

660 تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، في الموسوعة التفسيرية:

<http://mosshaf.com/main>

661 : قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين ، ص25

662 المرجع السابق، ص27

663 المرجع السابق، ص18

الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴿[الأنعام: 38]﴾. قال الإمام بن كثير في تفسيره لهذه الآية: " وقوله " ما فرطنا في الكتاب من شيء " أي الجميع علمهم عند الله ولا ينسى واحدا من جميعها من رزقه وتدييره سواء كان برياً أو بحرياً كقوله " وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين " أي مفصح بأسمائها وأعدادها ومظانها وحاصر لحركاتها وسكناتها.. "664.

و قال الإمام أبو حيان في البحر المحيط في تفسيرها:

" أي ما تركنا وما أغفلنا والكتاب اللوح المحفوظ . والمعنى وما أغفلنا فيه من شيء لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت ، قاله الزمخشري ولم يذكر غيره ... ، وكثيراً ما يستدل بعض الظاهرية بقوله ﴿ مَا فَطَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ويشير إلى أن الكتاب تضمن الأحكام التكليفية كلها.. "665.

وقال العلامة السعدي في تفسيرها:

" ما أهملنا ولا أغفلنا، في اللوح المحفوظ شيئاً من الأشياء، بل جميع الأشياء، صغيرها وكبيرها، مثبتة في اللوح المحفوظ، على ما هي عليه، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم. و في هذه الآية، دليل على أن الكتاب الأول، قد حوى جميع الكائنات، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر، فإنها أربع مراتب: علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الموجودات، ومشئته وقدرته النافذة العامة لكل شيء، وخلقها لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد. ويحتمل أن المراد بالكتاب، هذا القرآن، وأن المعنى كالمعنى في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ..

664 تفسير بن كثير، تفسير القرآن العظيم... انظر: الموسوعة التفسيرية <http://mosshaf.com/main>

665 تفسير أبي حيان، البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم.. انظر: الموسوعة التفسيرية

وعند التأمل لكلام المفسرين السابقين نجدهم رحمهم الله أنهم قد ربطوا المعنى المتبادر من الآية كما رأيتها، غير أن ظاهر النص يحتمل أكثر مما ذكر نظرا لورود بعض ألفاظ العموم، أي أن هذا القرآن الكريم قد جاء بنظام شمولي مفصل لجميع ما يحتاجه إليه العباد من شؤون دينهم ودنياهم، أي - الأسس والمبادئ - بينما التفاصيل فهي متروكة لكل عصر ولكل مصر يحددها العرف السائد في البلد والله أعلم.

والذين فصلوا الشؤون الدنيوية عن الدين سمي الأستاذ سيد قطب هذا الفصل للدين عن الدنيا ب: **الفصام النكد**، والذي تولد في ظل ظروف أوربية نكدة خاصة بها وبالكنييسة الأوربية<sup>666</sup> ولا علاقة لها بالإسلام وتاريخ المسلمين البتة، وكان من نتائجه فصل الدين عن الدولة والعقل عن الوحي المنزل في القرآن والسنة. قال رحمه الله:

"... لقد تم ذلك ( الفصام النكد) في ظروف نكدة! وكانت له آثاره المدمرة في أوروبا...، ثم في الأرض كلها، حين طغت التصورات الغربية، والأنظمة الغربية، والأوضاع الغربية، على البشرية كلها في مشارق الأرض ومغاربها...، ولم يكن بد- وقد انفصمت حياة المخاليق عن منهج الخالق- أن تسير في هذا الطريق البائس؛ وأن تنتهي إلى هذه النهاية التعيسة؛ وأن تحيط بالبشر الدائرة التي يتعذبون الآن في داخلها، ويذوق بعضهم بأس بعض، بينما هم عاجزون عن معرفة طريق الخلاص منها.. وهم يصطرخون فيها...!!<sup>667</sup>."

<sup>666</sup> للتفاصيل حول الكنيسة والمسيحية واليهودية المحرفة... انظر: يوسف، محمد حسن؛ الصفحة السوداء للكتاب

المقدس، دار الكتاب العربي، ط 1، 2006، القاهرة، ص: 79-121

<sup>667</sup> قطب، سيد؛ المستقبل لهذا الدين، ص 18-19

فيما مضى من الكلام رأينا من خلال تلك الفقرات المذكورة سر التصور العقدي والشمولي للنظام الإسلامي والمنهج القرآني من خلال تحليلنا لكلام بعض المفسرين المتقدمين من السلف والمعاصرين رحمهم الله جميعاً. والكلام الذي في هذا المبحث كان بمثابة تمهيد وتأسيس لذكر الخطة التفصيلية عن الأمن والأمان و بيان النظرة القرآنية الذي سنذكره الآن، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

## المبحث الثاني: نموذج قرآني لتحقيق الأمن والأمان الفكري والروحي والإجتماعي

### المطلب الأول: صفات المجتمع المسلم-نموذج عن الأمن والأمان الفكري والروحي والإجتماعي

وقبل ذكر الخطة التفصيلية التي حددها ورسم معالمها المفسر الأستاذ سيد قطب وغيره من المفسرين، يجدر بنا أن نورد كلامه رحمه الله وأسكنه فسيح جناته تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: 208]، حيث تطرق إلى بيان الأبعاد النفسية والدلالات الإيمانية والآثار الإيجابية لحقيقة الدخول في الإسلام والاستسلام الحقيقي لله عز وجل ومنهجه القويم الذي جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية والجيل الأول من الصحابة وأثر ذلك في تحقيق الأمن والأمان الفكري والروحي والإجتماعي وعلاقتها بسلوكياتنا وأخلاقياتنا وعقيدتنا مقارنة مع بعض الدول الغربية، حيث قال رحمه الله:

"إنها دعوة للمؤمنين باسم الإيمان. بهذا الوصف المحبب إليهم، والذي يميزهم ويفردهم، ويصلهم بالله الذي يدعوهم... دعوة للذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة... وأول مفاهيم هذه الدعوة أن يستسلم المؤمنون بكلياتهم لله، في ذوات أنفسهم، وفي الصغير والكبير من أمرهم... استسلام الطاعة الواثقة المطمئنة الراضية. الاستسلام لليد التي تقود خطاهم وهم واثقون أنها تريد بهم الخير والنصح والرشاد؛



وهم مطمئنون إلى الطريق والمصير، في الدنيا والآخرة سواء...، وهي دعوة توجه في كل حين للذين آمنوا؛ ليخلصوا ويتجردوا؛ وتتوافق خطرات نفوسهم واتجاهات مشاعرهم مع ما يريد الله بهم، وما يقودهم إليه نبيهم ودينهم، في غير ما تلجج ولا تردد ولا تلفت. والمسلم حين يستجيب هذه الاستجابة يدخل في عالم كله سلّم وكله سلام. عالم كله ثقة واطمئنان، وكله رضى واستقرار. لا حيرة ولا قلق، ولا شرود ولا ضلال. سلام مع النفس والضمير. سلام مع العقل والمنطق. سلام مع الناس والأحياء. سلام مع الوجود كله ومع كل موجود. سلام يرف في حنايا السريرة. وسلام يظلل الحياة والمجتمع. سلام في الأرض وسلام في السماء...، هي عقيدة جميلة فوق أنها عقيدة كريمة. عقيدة تسكب في روحه السلام؛ وتطلقه يعانق الوجود كله ويعانق كل موجود؛ ويشيع من حوله الأمن والرفق، والحب والسلام. والاعتقاد بالآخرة يؤدي دوره الأساسي في إفاضة السلام على روح المؤمن وعالمه؛ ونفي القلق والسخط والقنوط... إن الحساب الختامي ليس في هذه الأرض؛ والجزاء الأوفى ليس في هذه العاجلة...، إن الحساب الختامي هناك؛ والعدالة المطلقة مضمونة في هذا الحساب...، فأولى به ألا يغدر ولا يفجر؛ وأولى به ألا يغش ولا يخدع؛ وأولى به ألا يطغى ولا يتجبر؛ وأولى به ألا يستخدم أداة مدنسة ولا وسيلة خسيصة. وأولى به كذلك ألا يستعجل المراحل، وألا يعتسف الطريق، وألا يركب الصعب من الأمور...، وشعور المؤمن بأنه يمضي مع قدر الله، في طاعة الله، لتحقيق إرادة الله... وما يسكبه هذا الشعور في روحه من الطمأنينة والسلام والاستقرار؛ والمضي في الطريق بلا حيرة ولا قلق ولا سخط على العقبات والمشاق...، والتكاليف التي يفرضها الإسلام على المسلم كلها من الفطرة ولتصحيح الفطرة. لا تتجاوز الطاقة؛ ولا تتجاهل طبيعة

الإنسان وتركيبه؛ ولا تحمل طاقة واحدة من طاقاته لا تطلقها للعمل والبناء والنماء...،" 668

ويواصل الأستاذ سيد قطب قائلاً:

"...والمجتمع الذي ينشئه هذا المنهج الرباني، في ظل النظام الذي ينبثق من هذه العقيدة الجميلة الكريمة، والضمانات التي يحيط بها النفس والعرض والمال...، كلها مما يشيع السلم وينشر روح السلام. هذا المجتمع المتواد المتحاب المترابط المتضامن المتكافل المتناسق. هذا المجتمع الذي حققه الإسلام مرة في أرقى وأصفى صورته. ثم ظل يحققه في صور شتى على توالي الحقب، تختلف درجة صفائه، ولكنه يظل في جملة خيراً من كل مجتمع آخر صاغته الجاهلية في الماضي والحاضر، وكل مجتمع لوثته هذه الجاهلية بتصوراتها ونظمها الأرضية! هذا المجتمع الذي تربطه آصرة واحدة - آصرة العقيدة - حيث تذوب فيها الأجناس والأوطان، واللغات والألوان، وسائر هذه الأواصر العرضية التي لا علاقة لها بجوهر الإنسان...،" 669

ثم يضيف رحمه الله:

"...هذا المجتمع الذي يسمع الله يقول له: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]...، والذي يرى صورته في قول النبي الكريم: [مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى]...." 670.

668 قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، ج 1، 210، وانظر تفسير الشيخ السعدي رحمه الله في الموسوعة التفسيرية

<http://mosshaf.com/main> فقد أشار إلى بعض المعاني اللطيفة و في غاية الأهمية.

669 المصدر السابق

670 صحيح مسلم، انظر الموسوعة العلمية: <http://dorar.net/hadith?keys>

"... هذا المجتمع الذي من آدابه: ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء: 86]، ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ... ﴾ [لقمان: 18]، ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾، [فصلت: 34] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ [الحجرات: 11]...، [كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله]...<sup>671</sup>

ثم هذا المجتمع النظيف العفيف الذي لا تشيع فيه الفاحشة؛ ولا يتبجح فيه الإغراء، ولا تروج فيه الفتنة، ولا ينتشر فيه التبرج، ولا تتلفت فيه الأعين على العورات، ولا تترف فيه الشهوات على الحرمات، ولا ينطلق فيه سعار الجنس وعرامة اللحم والدم كما تنطلق في المجتمعات الجاهلية قديماً وحديثاً...، هذا المجتمع الذي تحكمه التوجيهات الربانية الكثيرة، والذي يسمع الله - سبحانه - يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجْبُونَ أَن تَشِيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، [النور: 19]، ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: 2]... ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ... ﴾ [النور: 30]، ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ... وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ... ﴾ [النور: 31]...<sup>672</sup>.

<sup>671</sup> صحيح مسلم، وانظر الموسوعة: <http://dorar.net/hadith?keys>

<sup>672</sup> قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، ج1، ص 211

"...وفي مثل هذا المجتمع تأمن الزوجة على زوجها، ويأمن الزوج على زوجته، ويأمن الأولياء على حرماهم وأعراضهم، ويأمن الجميع على أعصابهم وقلوبهم. حيث لا تقع العيون على المفاتن، ولا تقود العيون القلوب إلى المحارم. فإما الخيانة المتبادلة حينذاك وإما الرغائب المكبوتة وأمراض النفوس وقلق الأعصاب... بينما المجتمع المسلم النظيف العفيف آمن ساكن، ترف عليه أجنحة السلم والطهر والأمان ! ..."

673

ثم يتابع الأستاذ سيد قطب قائلاً:

وأخيراً إنه ذلك المجتمع الذي يكفل لكل قادر عملاً ورزقاً، ولكل عاجز ضماناً للعيش الكريم، ولكل راغب في العفة والحصانة زوجة سالحة، والذي يعتبر أهل كل حي مسؤولين مسؤولية جنائية لو مات فيهم جائع؛ حتى ليرى بعض فقهاء الإسلام تغريمهم بالدية. والمجتمع الذي تكفل فيه حريات الناس وكراماتهم وحرماهم وأموالهم بحكم التشريع، بعد كفالتها بالتوجيه الرباني المطاع. فلا يؤخذ واحد فيه بالظنّة، ولا يتسور على أحد بيته، ولا يتجسس على أحد فيه متجسس، ولا يذهب فيه دم هدرًا والقصاص حاضر؛ ولا يضيع فيه على أحد ماله سرقة أو نهباً والحدود حاضرة. المجتمع الذي يقوم على الشورى والنصح والتعاون. كما يقوم على المساواة والعدالة الصارمة التي يشعر معها كل أحد أن حقه منوط بحكم شريعة الله لا بإرادة حاكم، ولا هوى حاشية، ولا قرابة كبير...، هذه كلها بعض معاني السّلم الذي تشير إليه الآية وتدعو الذين آمنوا للدخول فيه كافة. ليسلموا أنفسهم كلها لله؛ فلا يعود لهم منها شيء، ولا يعود لنفوسهم من ذاتها حظ؛ إنما تعود كلها لله في طواعية

673 قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، ج1، ص 211، وانظر زهرة التفاسير لإمام محمد أبي زهرة في الموسوعة التفسيرية

http://mosshaf.com/main، فقد ذكر كلاماً مفصلاً وجيلاً لها علاقة قوية بواقعنا المعيش.

وفي انقياد وفي تسليم... ولا يدرك معنى هذا السِّلْم حق إدراكه من لا يعلم كيف تنطلق الحيرة وكيف يعربد القلق في النفوس التي لا تطمئن بالإيمان، في المجتمعات التي لا تعرف الإسلام، أو التي عرفتته ثم تنكرت له، وارتدت إلى الجاهلية، تحت عنوان من شتى العنوانات في جميع الأزمان... هذه المجتمعات الشقية الحائرة على الرغم من كل ما قد يتوافر لها من الرخاء المادي والتقدم الحضاري، وسائر مقومات الرقي في عرف الجاهلية الضالة التصورات المختلفة الموازين... " 674

### المطلب الثاني: قوة العقيدة الإسلامية في صراعها مع الباطل

يرى المفسر الأستاذ سيد قطب رحمه الله أن لعقديتنا الإسلامية قوة هائلة، كما أن لها قوة عميقة وتأثير كبير في كياننا ولا يتخلى عنها صاحبها في زحمة الصراع إلا أن يكون به حرق أو سفه. وإن هذه الخطة البيانية لتحقيق الأمن والأمان لن تعطي ثمارها على الفرد والمجتمع والناس عامة. إن التمسك بتعاليم هذه الوصفة الطيبة المستخلصة من روح النظام والمنهج الإسلامي الرباني، الشامل، الإنساني، الوسطي، الواقعي، المرن، الثابت، المتوازن، والمبني على الآيات القرآنية والهدي النبوي الشارح والمفسر والمبين لأبعاد وتفاصيل هذا المنهج؛ أقول: إن التمسك به ضروري وشرط أساسي لنجاح وفلاح هذه الخطة. يقول الأستاذ رحمه الله:

" ونحن نواجه صراعاً ضخماً من حولنا، نواجه قوى هائلة مُتَكَبِّلة أكبر من طاقتنا المجردة. فإذا كانت عقيدتنا تسعفنا في هذا الصراع الضخم بقوى حقيقية

674 قطب سيد، في ظلال القرآن، ج1، ص 211

واقعية، وبحلول عملية واقعية كذلك.. فأني ضمير يملك أن يفرط في تلك القوى وأن يتخلى عن هذه الحلول..<sup>675</sup>.

ويرى الأستاذ سيد قطب أن النظم الوضعية الراهنة أو التي سبقتنا أو التي ستلحقنا مستقبلا قد تقدم حلولاً لبعض المشكلات الدنيوية المؤقتة، ولكن قيمة العقيدة الإسلامية التي ندعو إليها ليست مجرد تقديم الحلول المؤقتة للمشكلات الوقتية فقط! إن النظام الرباني في العقيدة يقدم معها القوة الضامنة لتحقيقها وضمانها وحمايتها. إن هذه العقيدة لها قوة فطرية عميقة لا تملأ فراغه فكرة فلسفية ولا مذهب اجتماعي ولا نظرية اقتصادية<sup>676</sup>.

إن العقيدة ينبغي أن تكون هي نقطة ارتكاز تتجمع إليها خيوط حياته ونشاطه، فلا تتمزق شخصيته وتتبعثر، ولا يدركها القلق والحيرة والاضطراب...، والعقيدة التي تتسع لكل ألوان النشاط الإنساني هي عقيدة أفضل وأكمل من العقيدة التي تنظم بعض ألوان النشاط وتقتصر عن بعضها.<sup>677</sup> وقد أشار الأستاذ سيد قطب إلى ضرورة التمسك بالعقيدة الإسلامية من خلال هذه المقارنة الشاملة العجيبة في حياتنا قائلًا:

" والعقيدة الروحية التي لا رأي لها في السلوك الاجتماعي والعلاقات الاقتصادية والنظم العالمية... كالنظرية الاجتماعية التي لا رأي لها في الاعتقاد الروحي والخلق والسلوك... كالفكرة الفنية التي لا علاقة لها بالسلوك أو الاعتقاد أو النظام، كلها محاولات ناقصة، لا تملك أن تنظم للإنسانية حياتها كاملة، ولا أن تحقق للشخصية الإنسانية التماسك والاتساق...، والعقيدة الإسلامية هي المثال الواحد

<sup>675</sup> قطب، سيد: السلام العالمي والإسلام، ط 15، 2015، دار الشروق، ص 9

<sup>676</sup> المرجع السابق، ص 11

<sup>677</sup> المرجع السابق، ص 11

الذي عرفته الإنسانية في تاريخها الطويل في هذا المجال. إنها العقيدة التي تتسع فتشمل كل نشاط الإنسان في كل حقول الحياة، فلا تقتصر مهمتها على حقل دون حقل، ولا على اتجاه دون اتجاه. إنها لا تدع ما لقيصر لقيصر و ما لله لله. فما لقيصر وقيصر ذاته؛ في العقيدة الإسلامية: كله لله...، وإنها لا تتولى روح الفرد و تحمل عقله وجسده، أو تتولى شعائره و تحمل شرائعه، أو تتولى ضميره و تحمل سلوكه، وإنها لا تتولاه فردا و تحمل جماعه، ولا تتولاه في حياته الشخصية و تحمل نظام حكمه أو علاقات دولته و مجتمعه بسائر الدول والمجتمعات. إنها الفكرة الكاملة الشاملة التي تمتد خيوطها في الحياة والإنسانية امتداد الشرايين في الكان الحي وامتداد الأعصاب...<sup>678</sup>. وقد أدرك الأستاذ سيد قطب رحمه الله مشكلة السلام العالمي وفقدان الأمن والأمان قبل قرابة ستين عاما عندما صرح قائلاً:

"وأمامنا اليوم مشكلة السلام التي تواجهها البشرية جميعا، ونواجهها نحن ضمنا. فهل للإسلام فيها رأي؟ ولها عنده حل؟"

هذا السؤال التاريخي الذي طرحه الأستاذ على نفسه أولا ثم على الناس والمفكرين والعلماء ثانيا؛ أجاب عنه رحمه الله في كتاب مستقل سماه: "الإسلام والسلام العالمي".

لقد شرع الأستاذ حديثه في بيان طبيعة السلام في الإسلام بحديث حول النظرة الكلية الشاملة للإسلام، وأن كل ما في هذا الكون ينفي عن الإله صفة الثنائية أو التعدد، وينفي عن الكون صفة التناثر والتقاطع، وفي الإنسانية يثبت وحدتها، ووحدة الرسالة، ووحدة الهدف. والسلم في الإسلام أوسع مما يُتعارف عليه الآن في مجال الحروب.

وهو يبدأ بالسلام في العلاقة بين الفرد بنفسه وبربه، متمثلاً في سلام الضمير، وسلام البيت والمجتمع ثم سلام العالم.

إن أبعاد و دلالات وتفصيل هذا الجواب التاريخي القرآني المعجز عن ذلك السؤال الهام نؤجله إلى الجزء الثاني من هذه الدراسة، إذ المقام هنا لا يتسع أكثر من هذا القدر، فترقبوا الجزء الثاني من هذه الدراسة إن شاء الله في وقت قريب جداً في إحدى المجالات المحكّمة عن الدراسات القرآنية والتفسيرية، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.



## الخاتمة والنتائج

الحمد لله الواحد القهار والكبير المتعال والذي بقدرته ولطفه يوفق عباده الضعفاء إلى إتمام بحوثهم وإنجاز أعمالهم، فلو لا فضل الله ورحمته علينا لما كنا من الموفقين، وبعد؛

بحمد الله وتوفيقه فقد توصلت في هذه الدراسة إلى عدة نتائج منها:

- 10- بينت الدراسة أن الجيل الأول من الصحابة والتابعين تميز بمنهج فريد يعتمد على التلقي والتعلم للعمل والتنفيذ وليس التلقي لغرض المتاع والدراسة والثقافة.
- 11- أثبتت الدراسة أن المعرفة تتحول إلى العمل والحركة ولا يجوز اختزال المعارف في الأذهان و لا يريد الإسلام مجرد الإكثار من المعلومات.
- 12- أظهرت الدراسة أن رابطة العقيدة هي مقدمة على بقية الروابط الاجتماعية.
- 13- برهنت الدراسة أن العقيدة الإسلامية هي بمثابة القاعدة للبيان. فلا يمكن تنفيذ شيء من الأوامر والأحكام والمبادئ الشرعية إلا بعد غرس العقيدة أولاً في قلوب المسلمين.
- 14- تمخضت من هذه الدراسة بيان نموذج قرآني لتحقيق الأمن والأمان الفكري والروحي والاجتماعي
- 15- أبطلت الدراسة كثيراً من الشبهات والشائعات الجائرة عن الإسلام ونظامه العادل في التعامل مع غير المسلمين.
- 16- دعت الدراسة الناس عامة والمسلمين خاصة إلى فهم وإدراك منهج الإسلام الشمولي المتناسق مع جميع الكون والحياة والإنسان.

- 17- بينت الدراسة أن الناس جميعا من لدن آدم عليه السلام إلههم واحد ودينهم واحد و رسالتهم واحدة.
- 18- قررت الدراسة أن الأصل هو السلم والسلام ، وأن الحرب ضرورة واستثناء يفرضها الواقع الظالم على منهج الله وسلطانه ونظامه والمسلمين لتكون كلمة الله هي العليا، أي شريعته وإرادته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.  
وكتبه الفقير إلى عفو مولاه في كل أحواله:  
خادم القرآن والمسلمين:  
الدكتور خيرالدين خوجة ( الكوسوفي )  
- كلية المجتمع -الدوحة - قطر

---

وقمت مراجعة الدراسة مرة أخرى قبل النشر يوم السبت في 16 من ذي الحجة 1437  
هـ، الموافق 17 من سبتمبر 2016  
2015-12-30



توظيف علوم القرآن في الدعوة - علم المكي والمدني أنموذجا  
رؤية نقدية تطويرية معاصرة

بقلم

الدكتور/ خيرالدين خوجة ( الكوسوفي )  
أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية المشارك  
كلية المجتمع بقطر

2016

## ملخص البحث 679

إن القرآن الكريم هو أشرف ما ينبغي أن تفنى في دراسته الأعمار، ولقد كان المقصد الأسمى من نزوله هو هداية الناس؛ غير أن هذا المقصد الأسمى والهدف الأسمى لا يتنافى مع ما فيه من دلالات وبشارات ومفاتيح لبعض العلوم الإنسانية والاجتماعية. ومن جملة مظاهر حفظ الله لهذا القرآن الكريم أنه قد حظي بالرعاية والاهتمام حفظاً في الصدور، وجمعاً في السطور، وتلاوة على الألسنة، وتفسيراً في الكتب، وتحفيظاً وتدريساً في الكتاتيب والمدارس والجامعات، وتدويناً لكل العلوم والفنون المتعلقة به أمثال؛ علم المكي والمدني، العام والخاص، المطلق والمقيد، وعلم القراءات والأحرف السبعة، والأقسام والأمثال، والقصص القرآني والبلاغة... إلخ، فسبحان من زرع في قلوب عباده المخلصين حب الخدمة لكتابه الكريم. ولقد أجمع العلماء قديماً وحديثاً على أن أشرف العلوم على الإطلاق هي تلك العلوم التي تتعلق بكتاب الله عز وجل وتخدمه. كما قد أجمعوا على كون القرآن الكريم - شكلاً - من حيث رسمه وعدد آياته وسوره وكلماته وجمله - ومضموناً - من حيث التشريعات والأحكام والمبادئ - معجزة إلهية لكل العصور والأمصار عجزت البشرية الجمعاء عن مضاهاتها أو الإتيان بمثلها. وعليه، فإن كل علم يتعلق بخدمة كتاب الله عز وجل؛ هو أيضاً علم فيه إعجاز في جانب معين لكونه متعلقاً بالكتاب المعجز، وتتضح لنا صور إعجاز هذا العلم عندما نقوم بتقسيم وتفكيك هذه العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم والنظر في مقاصدها الأساسية والخفية - وما أكثرها في مقرر علوم القرآن - إلى جزئيات فرعية قابلة للتطبيق والتنفيذ، بحيث تتجمع لدينا معان ظاهرة للعيان

679 هذه الدراسة تم تحكيمةا ونشرها على شكل كتاب بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بسلطنة بروناي عام

وأخرى خفية. هذه الدراسة تدعو إلى منهجية جديدة للتعامل مع علوم القرآن، وذلك من خلال التوظيف الإيجابي لتلك العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم في حياتنا العامة والخاصة وإبراز معانيها الخفية للناس على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، سواء ما تعلق منها بالجوانب والقضايا التربوية أو الدعوية أو الأكاديمية أو الأخلاقية. ولعل هذه البادرة الشخصية الأولى يكتب لها القبول والتطوير فيما بعد في الدراسات اللاحقة عن القرآن الكريم.

هذه الدراسة ستتطرق إلى دراسة أحد العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم ألا وهو؛ علم المكي والمدني ومعرفة كيفية توظيفيه والاستفادة منه في المجالات المذكورة آنفاً، متبعاً المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي المقارن. الكلمات المفتاحية: علوم القرآن، المكي والمدني، توظيف، إعجاز، مقاصد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا  
ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين،  
وبعد:

فإن القرآن الكريم هو أشرف ما ينبغي أن تصرف لأجله الأوقات وأن تفنى  
في دراسته الأعمار. لقد أكرم الله عز وجل الأمة الإسلامية إذ بعث فيهم رسولا من  
أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ  
مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ  
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:  
١٦٤]، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس حينما كانوا يأمرن بالمعروف وينهون عن  
المنكر، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ  
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، كما أن الله عز وجل جعل القرآن  
الكريم هاديا للتي هي أقوم فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ  
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، وجعله نورا  
وبرهانا للعالمين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ  
نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، ووعد الله المؤمنين بالنصر والتأييد والقوة والتمكين  
شريطة اتباع القرآن ونصرة دين الإسلام، وطاعته سبحانه، وطاعة رسوله صلى الله  
عليه وسلم، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، وإقامة حدوده وتحليل حلاله وتحريم حرامه،  
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:



[٧]، وقال عز وجل: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥]. ولقد كان المقصد الأسمى من نزول القرآن الكريم هو هداية الناس وإرشادهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فقال تعالى: ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل: ٢]، وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢]، وقال تعالى: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [السجدة: ٢]. غير أن هذا المقصد الأسمى والهدف الأسمى لا يتنافى مع ما في القرآن العظيم من دلالات وبشارات ومفاتيح لبعض العلوم الإنسانية والاجتماعية. فقد ورد في ثنايا آيات القرآن الكريم الحديث عن علم الفلك وعلم الكيمياء والفيزياء والرياضيات والهندسة وعلم طبقات الأرض ( الجيولوجيا ) وعلم البحار وعلم الأجنة وعلم الطب وعلم الاقتصاد وغير ذلك من العلوم والفنون، الأمر الذي دفع بعض العلماء الأجلاء إلى القول بأن القرآن الكريم قد اشتمل واحتوى علوم الأولين والآخريين.

ومن جملة مظاهر حفظ الله لهذا القرآن الكريم أنه قد حظي بالرعاية والاهتمام حفظاً في الصدور، وجمعاً في السطور، وتلاوة على الألسنة، وتفسيراً في الكتب، وتحفيظاً في الكتاتيب والمدارس والجامعات، وتدويناً لكل العلوم والفنون المتعلقة به أمثال؛ علم المكي والمدني، العام والخاص، المطلق والمقيد، وعلم القراءات والأحرف السبعة، والأقسام والأمثال، والقصص القرآني والبلاغة والإعجاز وعلم تنجيم القرآن والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، وغير ذلك من المباحث والموضوعات، فسبحان من زرع في قلوب عباده المخلصين حب الخدمة لكتابه الكريم، وما ذلك إلا لكون

هذا الكتاب الخاتم معجزة ربانية للأجيال في كل عصر ومصر، ولكون هذا الكتاب كتاب الزمن كله وكتاب الإنسانية كلها إلى قيام الساعة.

لقد أجمع العلماء قديماً وحديثاً على أن أشرف العلوم على الإطلاق هي تلك العلوم التي تتعلق بكتاب الله عز وجل وتخدمه. كما أجمعوا على كون القرآن الكريم - شكلاً - من حيث رسمه وعدُّ آياته وسوره وكلماته وجمله وحروفه - ومضموناً - من حيث التشريعات والأحكام والمبادئ، معجزة إلهية لكل العصور والأمصار عجزت البشرية جمعاء عن مضاهاتها أو الإتيان بمثلهما. وبناء على ما ذكر، فإنني أود التأكيد هنا على قضية مهمة جداً، ألا وهي أن كل علم يتعلق بخدمة كتاب الله عز وجل؛ هو أيضاً علم فيه إعجاز في جانب معين لكونه متعلقاً بالكتاب المعجز، وتتضح لنا صور إعجاز هذا العلم عندما نقوم بتفكيك هذه العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم - وما أكثرها في مادة علوم القرآن - إلى جزئيات فرعية قابلة للتطبيق والتنفيذ. وبعبارة أخرى فإنني أدعو من خلال هذه الدراسة إلى منهجية جديدة للتعامل مع علوم القرآن، وذلك من خلال التوظيف الإيجابي لتلك العلوم في حياتنا العامة والخاصة، على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، سواء ما تعلق منها بالجوانب والقضايا التربوية أو الدعوية أو الأكاديمية أو الأخلاقية. ولعل هذه البادرة الشخصية والخطوة الأولى يكتب لها القبول والتطوير فيما بعد في الدراسات اللاحقة عن القرآن الكريم من قبل الباحثين والدراسين.

## الفصل التمهيدي:

المبحث الأول: منطلقات هذه النظرة التطويرية  
والتوظيفية:

- 1- علم القراءات والأحرف السبعة
- 2- علم جمع القرآن الكريم وتدوينه
- 3- علم المحكم والمتشابه

## المبحث الثاني:

- 1- هدف الدراسة
- 2- دوافع الدراسة
- 3- الدراسات السابقة
- 4- إشكالية الدراسة
- 5- أسئلة الدراسة
- 6- منهج الدراسة

تمهيد :

منطلقات هذه النظرة التطويرية والتوظيفية مع ذكر ثلاث نماذج فقط

## 1- علم القراءات والأحرف السبعة:

من خلال تجربتي في تدريس مقرر علوم القرآن بمختلف المستويات في عدة جامعات عالمية مرموقة تولدت لدي جملة من الأسئلة حول العديد من موضوعات علوم القرآن الكريم. فمثلا في مبحث القراءات القرآنية والأحرف السبعة؛ وعند ذكر واستعراض كلام أهل العلم حول المراد والحكمة من الأحرف السبعة؛ ورد أن من معانيها هو: التيسير والتخفيف على الشيخ الكبير والصغير والمتعلم والامي وعامة المسلمين في القبائل العربية المختلفة...إلخ. خلصتُ إلى النتيجة بأن الحكمة الإلهية اقتضت من خلال مسألة الأحرف السبعة والقراءات القرآنية المتعددة أن نفهم نحن المسلمين أن التيسير والتخفيف على المسلمين في إطار التشريع الإسلامي هو أمر مرغوب ومندوب إليه ومقصد إسلامي سام؛ بل قد يكون فريضة في ظل هذه الظروف الاجتماعية والإنسانية والدينية التي نعيشها.

إذن، بهذا التحليل ذي الأبعاد الفكرية والسلوكية والمنهجية وبهذا التوظيف الإيجابي لعلوم القرآن نكون قد استفدنا من علوم القرآن عامة - ومن مبحث القراءات خاصة مرتين؛ مرة في معرفة كل ما يتعلق بجهود العلماء في حفظ النص القرآني رسماً وتلاوة وتفسيرا، وهذا هو الجانب النظري المهم، وثانية نكون قد استفدنا من هذا العلم روح الإسلام ومقصده النبيل والسامي؛ ألا وهو التيسير والتخفيف على

**الناس**، لأن فن التصعيب والتعقيد يجيده كثير من الناس، بينما التيسير والتخفيف وتحبيب الناس إلى الإسلام فقليل من الناس من يجيده. هذا هو الإعجاز الخفي لكل علم يتعلق بخدمة القرآن الكريم. فالرسالة التي نستخلصها من هذه النظرة التوظيفية الجديدة في كيفية التعامل مع علوم القرآن عامة هي: **العودة إلى التخفيف والتيسير** وتحبيب الناس إلى الله وإلى الإسلام من جديد. فهذه ومضات سريعة ليس مجالها للتوسع وإنما كان القصد منها هو توضيح الفكرة.<sup>680</sup>

## 2- علم جمع القرآن الكريم وتدوينه:

وما قيل عن مبحث وعلم القراءات والأحرف السبعة؛ يقال عن علم ومبحث جمع القرآن الكريم وتدوينه وحفظه. ترى ما الرسالة الخفية في هذا العلم المهم المتعلق بالقرآن الكريم؟ عرفنا تاريخ جمع القرآن، وعرفنا عدد مرات جمع القرآن، وعرفنا اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بجمع القرآن، وعرفنا القراء الشهداء في معركة اليمامة... الخ. فهذا كله متعلق بالناحية النظرية العلمية التاريخية البحتة والمتعلقة بتاريخ جمع القرآن الكريم، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: ثرى لِمَ هذا كله؟ الجواب في هذه المبادرة الجديدة لتفعيل هذا العلم الجديد قائلا: إن على المسلمين التثبت والتأكد من الأخبار والشائعات وعدم تلقي كل ما يقال أو يكتب... كما أن على المسلمين أيضا التحلي بالأمانة والمحافظة عليها وعدم تغيير أو تبديل أو تزوير في شيء من هذه الأمانات التي أوثمنوا عليها. لِمَ هذا كله؟ من أين لنا هذا الدرس؟ الجواب

<sup>680</sup> انظر للمزيد: كيف نفهم التيسير - وقفات مع كتاب: إفعال ولا حرج، تقديم معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان،

فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعد، تأليف: فهد بن سعد أبا

حسين، توزيع دار المحدث، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1. (1428 هـ)

هو: في تاريخ حفظ الصحابة والمسلمين لجمع القرآن الكريم ونقله إلينا بالتواتر وعدم نسخ أو حذف شيء منه أثناء جمعه أو حفظه إلا بإذن من الوحي الإلهي. ومن خلال النظرة التجديدية يمكننا القول: إن أي فساد إداري أو قانوني أو علمي أو معرفي أو ثقافي يعتبر خيانة عظمى في حق الله وفي حق المسلمين عامة، وعادة هذا الفساد يكون من شأن غير المسلمين الذين لا يتبعون شرع الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّا بُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥]، فجواب المسلمين والإداريين والقانونيين والمسؤولين إذا ما طُلب منهم أي تغيير أو تزوير أو خيانة أو تحريف يكون وفقا للنص القرآني السابق: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، لا تغيير ولا تبديل إلا بأمر من الله العلي الكبير أو الخليفة أو الأمير أو الكبير... إذن من خلال هذه النظرة التجديدية نقول للفساد أيا كان نوعه: كلا وألف كلا.

### 3- علم المحكم والمتشابه:

وكما لا يخفى على أولي الألباب والمشتغلين بعلوم القرآن ومباحثه وموضوعاته، فإن موضوع المحكم والمتشابه يعد أحد أهم موضوعاته. وقد اختلف علماء علوم القرآن في تحديد المراد من المحكم والمتشابه وذهبوا مذاهب شتى. فمن قائل إن المحكم هو الواضح الذي لا لبس فيه ولا خلط في فهم المراد، وهذا هو الغالب في القرآن الكريم فأكثر آياته من هذا القبيل، أي لا لبس ولا خلط في فهم المراد من الآيات. فالآيات المحكمات هي الآيات

الواضحات البيّنات هن أم الكتاب وأصل الكتاب وأساس الكتاب التي لا  
تحتمل أكثر من معنى ولا تفسح مجالاً لأي اجتهاد أو معنى إضافي خارج  
الآية ذاتها. وأما المتشابه من الآيات فهو الذي يشتهبه أمره وفهم مراده على  
بعض الناس ولا يشتهبه على البعض الآخر، أو هو ما علم معناه العلماء  
وجهل معناه العوام، أو أن المتشابه ما له أكثر من معنى وذكروا لذلك أمثلة  
من الآيات القرآنية مثل: **قل هو الله أحد..**، ومثل قوله تعالى: **فاجلدوهم**  
**ثمانين جلدة**، فعدد (ثمانين) من الألفاظ المحكمة الواضحة البيّنة لا تخفى  
على أحد، ولا يفهم من (ثمانين) (سبعين أو ستين). وأما الألفاظ المتشابهة  
التي لها أكثر من معنى فأهل الزيغ والمشاكل والذين تلوثوا بالفكر المسموم  
يتبعون هذه المنهج ابتغاء الفتنة والتحريف والتضليل، وربما على أقل التقدير  
يبحثون عن معنى جديد ملائم إن كان هذا المعنى له علاقة بمعنى الآية (ابتغاء  
تأويله). فالواجب على الباحث والمسلم والطالب عند إلتباس المعنى والتردد  
في معرفة معنى المتشابه هو رد هذا المتشابه (المشكل) إلى المعنى المحكم  
الواضح الذي لا لبس فيه للحسم في المسألة والخروج من الخلاف. فالمعنى  
لمحكم هو بمثابة القاضي والحكم العدل للفصل بين معاني الآيات التي تتخاصم  
فيما بينها أيهما أصدق قيلاً وأصدق حديثاً، شهادة المركز القرآني أو معيار  
المركز القرآني.<sup>681</sup>

وأما عن كيفية تطوير وتوظيف هذا العلم والإستفادة منه في حياتنا  
وأفكارنا وتعاملنا مع النصوص الشرعية ومع الناس فهو أننا نعلم جميعاً أن  
هنالك نصوصاً شرعية ثابتة وواضحة لا تحتل تفسيرات ثنائية أو جانبية

<sup>681</sup> انظر: السيوطي، جلال الدين؛ الإتيقان في علوم القرآن، ج 1، ص 592

فهي من قبيل المحكمات البيّنات الوضّحات، هن أم الكتاب وأصل الكتاب وأساسه. فمثلا من يناقش عن موضوع وحدانية الله أو توحيد الله، أو صدق وصحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو أمر فرضية الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو الحجاب أو الربا... الخ، فنقول إن المسائل المذكورة آنفا هي من قبيل المحكمات والأصول الثابتة في الشريعة الإسلامية فلا يجوز النقاش حولها لأنها من قبيل المحكمات والأمهات والقواعد الراسخة التي لا يجوز العبث بها أو البحث عنها.

وأما إن كانت المسائل التي يراد النقاش حولها من قبيل الأمور والقضايا الفرعية أو الجانبية ( أي من الأمور المتشابهة التي لها أكثر من معنى وتحتل أراء واجتهادات آخر ) فيمكن النقاش حولها للبحث عن المعنى الأصوب أو الأحكم، مثل كيفية تحديد شكل وطريقة تطبيق مبدأ الشورى أو طريقة انتخاب الرئيس أو الخليفة أو الأمير، أو تحديد مواصفات الحجاب الشرعي أو لونه أو تصميمه وغير ذلك؛ فهذه الأمور خاضعة للعرف ويمكن النقاش حولها والبحث عن المعاني المتشابهة أو البديلة أو المحتملة شريطة أن لا تخالف أصلا من أصول الشريعة. **فها هنا تظهر فائدة توظيف المحكم والمتشابه في كيفية التعامل مع الأحكام الشرعية.**

وأما عن جانب آخر في كيفية توظيف وتطوير علم المحكم والمتشابه في العلاقات الشخصية والحكم على الأشخاص. فعندنا مثلا شخص مسلم معروف بفكره وعقيدته ومنهجه وأنه ملتزم وموضوعي ومنصف وغير ظالم. فهذه الأوصاف والمناقب من قبيل المحكمات والأصول والأسس القوية والواضحة والصفات المعروفة عن هذا المفكر أو الدكتور. لنضرب مثلا بمنهج



الإمام القرطبي في تفسيره. معلوم عنه أنه يركز في تفسيره على الأحكام الشرعية المستنبطة من الآيات القرآنية، فهذا الأمر معلوم عنه بالتواتر... هذه محكمات وأصول وحقائق تتعلق بمنهج وفكر الإمام القرطبي .

وإذا بلغنا عن الإمام القرطبي أنه حاد عن منهجه أو فكره أو عقيدته؛ فهذا يعتبر من قبيل المعاني أو الأخبار المتشابهة التي لا يمكن قبولها بإطلاق وبسهولة دون فحصها أو نقدها أو رد هذا الخبر أو المعنى إلى الأخبار المحكمة الواضحة المعروفة عنه ومقارنتها بما هو معروف عنه، ولا نشيع هذا الخبر عنه مباشرة. فكل منا له محكمات فكرية وسلوكية ومنهجية يعرف بها، وإن شاع عنا شيء مخالف عما نحن عليه فنرد هذه الشائعات إلى المحكمات من الأصول والصفات لمعرفة وجه الصواب. فهنا تظهر فائدة وعظمة هذا العلم وأهمية توظيفه في حياتنا.

إذن، فتوظيف علم القراءات القرآنية ومسألة الأحرف السبعة وعلم جمع القرآن الكريم وعلم المكي والمدني وغيره من علوم القرآن توظيفا إيجابيا في الأمور المقاصدية والدعوية والاجتماعية والإدارية والقانونية بات أمرا ضروريا. هذا هو الجديد في هذه المسألة، وهذا هو المطلوب منا معشر أهل القرآن والتفسير.

المبحث الثاني: هدف الدراسة، دوافع الدراسة، الدراسات السابقة، إشكالية الدراسة، أسئلة الدراسة، منهج الدراسة

### هدف الدراسة:

الذي نهدف إليه في هذه الدراسة هو التطرق إلى أحد علوم القرآن المباركة ألا وهو؛ علم علم المكّي والمدني لمعرفة كيفية توظيف هذا العلم وكيفية الاستفادة منه في المجالات المذكورة آنفاً، وأعتقد؛ أننا بهذه المنهجية الجديدة في التعامل مع علوم القرآن المختلفة، بل وحتى مع علوم السنة أو القواعد الأصولية أو الفقهية وتوظيفها في واقعنا المعاصر؛ سنسهم بطريقة مباشرة في الخروج من عالم النظريات والمثاليات إلى عالم الانجازات والتطبيقات للأحكام والمبادئ الإسلامية، وهذه هي الثمرة الحقيقية للعلوم والمعارف؛ الشرعية منها وغير الشرعية، إذ إن ثمرة العلم: العمل به. وما أحوجنا إلى مثل هذه النقلة النوعية للتعامل مع العلوم التي خدمت القرآن الكريم قديماً وحديثاً أو التي ستخدمها في المستقبل إن شاء الله تعالى.

### دوافع الدراسة:

هذه المبادرة الجديدة في التعامل مع علوم القرآن هي مبادرة شخصية محضّة، حفزني إليها دافعان أساسيان: **الأول**: معاشتي وممارستي وانخراطي المباشر في مهنة الدعوة والإمامة والخطابة في بلدي الأم كوسوفا وفي بعض البلاد الغربية والخليجية والآسيوية مثل ألمانيا وسويسرا وماليزيا وسلطنة بروناي والمدينة المنورة وقطر، إن عملي المباشر في الدعوة واحتكاكي بالدعاة والعلماء من الألبان والأتراك والبوسنيين، والماليزيين والإندونيسيين والبروناويين والصينيين والهنود والباكستانيين والسعوديين

والقطريين والعراقيين والسوريين واليمنيين والمصريين والسودانيين والجزائريين والمغاربة والموريتانيين والآفارقة.

الثاني: تجربتي الأكاديمية في التدريس لمادة "علوم القرآن" و"التفسير" و"التلاوة" و"الإعجاز القرآني" و"الاتجاهات المعاصرة في التفسير" و"المدخل إلى القرآن والسنة"، و"مناهج المفسرين" و"التفسير الموضوعي" و"التفسير والتحليلي" وغيرها من المقررات التفسيرية، للطلاب والطالبات باللغتين العربية والإنكليزية، في مرحلتي البكالوريوس والدراسات العليا، والإشراف والمناقشة لبعض الرسائل العلمية في مرحلة الماجستير وخطط رسائل الدكتوراه، إذن فقد مارست مهنة التدريس، ولا أزال أمارسها والله الحمد والمنة عقدين ونيف من الزمن بالجامعات العالمية المختلفة.

### الدراسات السابقة – نظرة في معاييرها

جرت سنة الله في خلقه أن لا تخلو قضية من القضايا العلمية أو الفكرية إلا أن تكون هنالك جهود ومبادرات علمية وبجته سابقة. غير أن هذا لا يعني بحال من الأحوال أن السابقين لم يتركوا شيئاً للمتأخرين! كلا، فالأمر ليس كما قد يتوهم البعض فلكل مجاله وجهده ونشاطه الخاص في إطار حدود الجهد البشري القاصر واللا معصوم. فكم ترك الأول للآخر؟ حدث ولا حرج! وبناء على هذه الحقيقة العلمية المتفق عليها فإنني أقول: إن شأن الباحثين أو الدراسات السابقة حول علم المكي والمدني كان من هذا القبيل.

لقد رأيت من خلال بحثي العلمي تفاوتاً نسبياً في قدرات هؤلاء الأفاضل في تناولهم لموضوع المكي والمدني. لقد تناول كل منهم هذه الجزئية العلمية من منظوره

العلمي والفكري الخاص وفي ضوء اجتهاده الشخصي. غير أن نظرة فاحصة لتلك الجهود المباركة في هذ الدراسات تجعلنا ندرك تماماً بأن ثلة قليلة منهم قد تناول موضوع توظيف علم المكي والمدني في الدعوة أو التربية، بينما جاءت دراسات الأكثرين من السابقين واللاحقين في قوالب وأشكال مختلفة دون تغيير جوهري في المضمون، كما سنرى بعد قليل.

وقد وقفت على دراسة منشورة على موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، رأيت من الفائدة العلمية الاستفادة من بعض الدراسات للمتقدمين:

1	نزول القرآن	للضحاك بن مزاحم الهلالي ت 104/ هـ
2	نزول القرآن	لعكرمة أبي عبد الله القرشي البربري ت 105/ هـ
3	نزول القرآن	للحسن بن أبي الحسن البصري ت 110/ هـ
4	تنزيل القرآن	لمحمد بن مسلم بن شهاب الزهري ت 124/ هـ
5	التنزيل في القرآن	لعلي بن الحسن بن فضال الكوفي ت 224/ هـ
6	فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة	لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس ت 294/ هـ
7	بيان عدد سور القرآن وآياته وكلماته ومكيه ومدنيه	لأبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي ت 400/ هـ

ومن الدراسات المعاصرة المتعلقة بالمكي والمدني، أذكر:

9	التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم - عرض ونقد	منى محمد يحي الدين الشافعي
10	العلمانيون والقرآن الكريم - تاريخية النص	د. أحمد إدريس الطعان
11	الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم - دراسة ونقد	د. أحمد محمد الفاضل
12	الآيات المكية: دراسة من منظور التربية الحركية	زوهرياتيننت يوسف.
13	فقه القرآن المكي	عبد القادر بالخضر
14	المكي والمدني و أثرها في الدعوة	د. عمار محمد العمار
15	المدني والمكي - مناقشات وتعليقات	فواز أحمد طوقان
16	نظرة جديدة في مكي السور ومدنيها	عبد العال الصعيدي
17	القول الشجي في المكي والمدني	الحسين طلعت خطاب.
18	الخطاب الدعوي في السور المكية	معتمص عبد الكريم المطري
19	المكي والمدني في القرآن الكريم	رنا أحمد القدسي
20	المكي والمدني: الضوابط والمعطيات	السيد سلام زين العابدين

فكما قد رأيت أن أغلب الدراسات المذكورة لها علاقة غير مباشرة وجزئية مع بحثي، وبعضها لها علاقة مباشرة، إذن، فدراسة كيفية التوظيف الإيجابي لعلم المكي والمدني والاستفادة أمر جديد وفي غاية الأهمية<sup>682</sup>.

<sup>682</sup> انظر:

<http://qurancomplex.gov.sa/Tree.asp?section=2&TabID=2&SubItemID=1&l=a rb&SecOrder=2&SubSecOrder=1>

وعليه، فإنني أقول: إن دراستي العلمية للنهوض بعمل التوظيف الإيجابي لعلوم القرآن ليس تكراراً أو تحصيل حاصل، وإنما هي مبادرة إلى منهجية ورؤية جديدة. فمن خلال بحثي واهتمامي بهذا الموضوع - موضوع المكي والمدني - يمكنني القول إن الدراسات السابقة عن هذا الموضوع كانت لها معايير واعتبارات عديدة. يمكن تصنيفها كما يلي:

- معايير إحصائية، أي من حيث عدّ وإحصاء الآيات والسور المكية والمدنية والتي اختلف عليها.
- معايير ضبطية، أي من حيث ذكر علامات وضوابط الآيات والسور المكية والمدنية.
- معايير تاريخية، أي من حيث ذكر ملابسات ومناسبات نزول الآيات والسور المكية والمدنية.
- معايير تربوية، أي من حيث رصد لبعض الجوانب والأساليب التربوية في الآيات المكية والمدنية.
- معايير دعوية، أي من حيث تحليل القضايا الدعوية التي تناولتها بعض الآيات والسور المكية والمدنية.
- معايير مقاصدية، أي من حيث معرفة سر تركيز القرآن على المقاصد الشرعية في الآيات والسور المكية والمدنية.

معايير الدراسات السابقة

الدراسات  
السابقة

معايير إحصائية    معايير ضبطية    معايير تاريخية    معايير تربوية    معايير دعوية    معايير مقاصدية

المطلوب

الدراسات ذات المعايير التوظيفية لعلوم القرآن - وهذه الدراسة الجديدة  
هي النموذج المقترح

والمطلوب: دراسات توظيفية لعلوم القرآن الكريم



### إشكالية الدراسة:

ليست هنالك إشكالية علمية أو معرفية لهذه الدراسة في مبلغ علمي وحدود معرفتي بمعنى الكلمة للإشكالية، بقدر ما هنالك ميسس الحاجة إلى القيام بمثل هذا النوع من الدراسات التجديدية أو التطويرية لعلوم القرآن الكريم، والخروج من عالم النظريات والدخول إلى عالم الحِكم الباطنية والأسرار والدلالات المخفية لهذه العلوم المتعلقة بالقرآن على وجه الخصوص، ومع إبراز أهمية هذا النوع من الدراسات يمكن أن تكون هذه الدراسة دعوة ومبادرة لإحياء وتجديد وتطوير علوم القرآن لتحقيق معنى الإعجاز الكامل والشامل للقرآن الكريم مع كل علم يتعلق بخدمة القرآن الكريم.

### إذن؛ فما الجديد في هذه الدراسة؟

إن الجديد في هذه الدراسة يكمن في أمرين اثنين، لا ثالث لهما:

**الأول:** في التتبع والرصد لكلام العلماء السابقين والمعاصرين حول كيفية الاستفادة من علم المكي والمدني جملة أو جزئياً، وإن كان هؤلاء جميعاً رحمهم الله لم يفرّدوا مصنفات خاصة حول هذا الموضوع.

**الثاني:** القيام بالتوظيف الإيجابي والتطبيق العملي لتلك المسائل المتعلقة بعلم المكي والمدني، مثل الاستفادة من الخصائص الأسلوبية والموضوعية للآيات المكية والمدنية في مجال الدعوة والتربية. فانطلاقاً من هذه الحقائق، سأحاول بيان كيفية التوظيف والاستفادة من علم المكي والمدني من خلال التجربة الشخصية التي عايشتها في المجال الدعوي والأكاديمي، وأرجو من الله أن تكون هذه الدراسة أو الرؤية التطويرية لعلوم القرآن إسهاماً بناءً في هذا السبيل، وهي فضلاً عن ذلك تسعى بجد وإخلاص لتقترب نفسها على المهتمين بالدراسات القرآنية والعاملين في ميادين التربية والتعليم،

والمنشغلين بمحوم الإصلاح والتغيير، والدعوة والخطابة، الرافعين لواءه بالقرآن وعلى طريقة القرآن وهدى القرآن ومنهاجه.

### أسئلة الدراسة:

هذه الدراسة محاولة جادة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

- 1- إلى أي مدى كان اهتمام المفسرين وعلماء علوم القرآن ببيان ضرورة التطوير والتوظيف الإيجابي لعلوم القرآن في الدعوة؛ خاصة لعلم المكي والمدني؟
- 2- إلى أي مدى كان اهتمام المستشرقين في التوظيف السيء لعلم المكي والمدني؟
- 3- ما الآثار السلبية الناجمة عن جهل أبعاد ودلالات علم المكي والمدني؟
- 4- ما النموذج المثالي المعاصر من المفسرين في بيان أبعاد ودلالات التوظيف الإيجابي لعلم المكي والمدني؟

### منهج الدراسة:

سيعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الإستقرائي الوصفي التحليلي النقدي المقارن. هذا، قد تم توزيع فقرات البحث ومحتوياته إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

## الفصل الثاني: بيان الحاجة إلى مثل هذا النوع من الدراسات التطويرية لعلوم القرآن

### المبحث الأول: ومضات من كلام السلف الصالح حول ضرورة تطوير العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم

إن الحاجة إلى القيام بمثل هذا النوع من الدراسات التطويرية لعلوم القرآن ماسة. ينبغي للمشتغلين بعلوم القرآن وخدمته التأمل فيها ملياً والبحث عن آليات التوظيف الإيجابي لمباحث علوم القرآن. ومما يثير الدهشة والاستغراب من تنامي الدراسات القرآنية المختلفة مع غياب دراسات علمية ومنهجية متكاملة متخصصة حول كيفية التوظيف الإيجابي لبعض العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، حتى تعم الفائدة العلمية الإعجازية للقرآن الكريم ليس فقط من خلال البحث في حكمة التشريعات القرآنية المنزلة، وإنما أيضاً من خلال البحث في كل علم يتعلق بخدمة القرآن الكريم، وقد علمت أن العلماء أجمعوا على أن كتاب الله عز وجل هو أشرف الأشياء على الإطلاق وأقدسها، وأشرف ما صرفت لأجله الأوقات وفنيت في دراسته الأعمار.

ورحم الله الإمام أبا بكر الباقلاني (ت 402 هـ) حينما أشار إلى بعض هذه المعاني قائلاً:

" ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه وأولى ما يلزم بحثه؛ ما كان لأصل دينهم قواماً ولقاعدة توحيدهم عماداً ونظاماً، وعلى صدق نبينهم برهاناً، ولمعجزته ثبناً وحجة، ولا سيما أن الجهل ممدود الرواق، شديد النفاق، مستولٍ على

الآفاق، والعلم إلى عفاء ودروس، وعلى خفاء وطموس، وأهله في جفوة الزمن البهيم يقاسون من عبوسة لقاء الأسد الشتيم، حتى صار ما يكابدونه قاطعاً عن الواجب من سلوك مناهجه والأخذ في سبله. فالناس بين رجلين؛ ذاهبٌ عن الحق ذاهلٌ عن الرشد، وآخر مصدودٌ عن نصرته، مكدودٌ في صنعته. فقد أدى ذلك إلى خوض الملحدين في أصول الدين وتشكيكهم أهل الضعف في كل يقين. وقد قل أنصاره، واشتغل عنه أعوانه، وأسلمه أهله، فصار عرضة لمن شاء أن يتعرض فيه، حتى عاد مثل الأمر الأول على ما خاضوا فيه عند ظهور أمره... " 683.

فالإمام الباقلاني رحمه الله وأجزل له الجزاء، قد كفانا بكلامه السابق مؤنة حال توصيف كثير من الدراسات والتي تحسب نفسها أنها خادمة للقرآن الكريم، وهي ربما تكون بعيدة عن ذلك لانشغالها بقضايا علمية ونظرية جانبية، لا تكون لأصل دين الله قواماً، ولا لتوحيده عماداً ونظاماً، ولا لصدق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم برهاناً وبيانا، ولمعجزته حجة وقياماً. كما أنه بإمكاننا الفهم من كلام الإمام الباقلاني بأن كل علم له علاقة بخدمة القرآن الكريم سواء من الناحية البيانية أو البلاغية، هو أيضاً معجزة لكونه يخدم هذا الكتاب المعجز. فالعلاقة بينهما شديدة الاتصال غير قابلة للإنفصال. فإذا كان القرآن الكريم مفجراً للعلوم كلها – أو أن القرآن الكريم قد أشار إلى أمهات تلك العلوم – فإنني أقول إن كل علم يخدم القرآن هو أيضاً مفجر لعلوم آخر، علم ذلك من علم وجهله من جهل، لأن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ولا علومه ولا فنونه، فهو جديد على الدوام وكأنه الآن يتنزل، وكل يوم يقول هلمّ و أقبل إلي أيها الإنسان لتجد الحياة الطيبة والسعادة الحقة والمعرفة المفقودة

683 الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، إيجاز القرآن، دار المعارف – القاهرة، تحقيق:

السيد أحمد صقر، ص:4

والعلم الجديد والمفيد. وقد اشار إلى هذا المعنى أحد المشتغلين والعاملين بعلوم القرآن بأنه خلال تدبره للقرآن الكريم استخرج عدداً من العلوم الجديدة لم يتناولها أسلافنا، مثل علم: فن الزينة في القرآن، والعلم الثاني هو: فن الضحك والمضحك، ثم علم آخر: علم الأجنة...<sup>684</sup>.

وأما الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله تعالى (ت 471 هـ) فقد أشار إلى توظيف علم آخر من علوم القرآن فائدته لا تقل عن العلوم الأخرى المتعلقة بالقرآن الكريم؛ هو علم الأمثال أو التمثيل في القرآن الكريم، حيث بين رحمه الله أهمية هذا العلم في هذا الصدد قائلاً:

" واعلم أنّ مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعْرِضه، ونُقِلت عن صُورِها الأصلية إلى صورته، كساها أَجْهَةً، وكَسَبها مَنقِبَةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُوها في تحريك التُّفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبايةً وكلفاً، وقَسَرَ الطِّباع على أن تُعطيها محبةً وشغفاً، فإن كان مدحاً، كان أُنْجَى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهزَّ للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممْتَدِّح، وأوجب شفاعة للمادح، وأقضى له بَعْرَ المواهب المنائح، وأسَيَّر على الألسن وأذَكَر، وأولى بأن تَعَلِّقه القلوب وأجدر، وإن كان ذمّاً، كان مسْتُهُ أوجع، وميسمُهُ أذع، ووقعه أشده، وَحَدُّهُ أَحَدٌ، وإن كان حِجاباً، كان بُرْهانهُ أنور، وسلطانهُ أقهر، وبيّانهُ أبهر، وإن كان

<sup>684</sup> هو الشيخ الدكتور عبد القادر منصور، إمام وخطيب مسجد سيف الدولة بـحلب، - والتي أسأل الله عز وجل أن يفرج عن أهل حلب وغيرها من المدن السورية في القريب العاجل إن شاء الله من شبيحة النظام الأسدي القاتل الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد وتجاوزوا الصرب المجرمين في بشاعة القتل والتنكيل للعرّال والشيوخ والنساء والأطفال - للمزيد انظر: موسوعة علوم القرآن، دار القلم العربي، ط1، 2002، ص 7

افتخاراً، كان شأؤه أمدّ، وشرفه أجدّ، ولسانه ألدّ، وإن كان اعتذاراً، كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أحلب، وللسخائم أسلّ، ولعزب الغضب أفلّ، وفي عقد العقود أنفث، وعلى حُسن الرجوع أبعث، وإن كان وعظاً، كان أشقى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والرّجر، وأجدر بأن يُجَلِّي العيَاية، ويُبصِّر الغاية، ويُبرئ العليل، ويَشْفِي الغليل، وهكذا الحُكم إذا استقرت فنون القول وضروبه، وتبعت أبوابه وشعوبه...<sup>685</sup>. وكما قد رأيت، أن مثل هذا العلم وغيره من العلوم الأخرى المتعلقة بالقرآن الكريم، إذا أحسنا توظيفها في المجالات الدعوية والتربوية والتثقيفية؛ ما من شك أننا سنوفق إلى حد كبير في أداء رسالتنا الدينية في تبليغ الدعوة الإسلامية وتربية الأجيال تربية سليمة في ضوء الآيات القرآنية والعلوم المتعلقة به.

وقد أشار الإمام المفسر أبو السعود في تفسيره إلى أهمية هذا العلم قائلاً: "... إنَّ التمثيل ليس إلّا إبراز المعنى المقصود في معرض الأمر المشهور، وتحلية المعقول بحلية المحسوس، وتصوير أوابد المعاني بهيئة المأنوس، لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل، واستعصائه عليه في إدراك الحقائق الخفيّة، وفهم الدقائق الأبيّة؛ كي يتابعه فيما يقتضيه، ويشايعه إلى ما لا يرتضيه، ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية والكلمات النبوية، وذاعت في عبارات البلغاء، وإشارات الحكماء. إن التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه، وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغيبي، وقمع سورة الجامح الأبّي، كيف لا، وهو رفع الحجاب

<sup>685</sup> المرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، مكتبة مشكاة الإسلامية على الإنترنت،

عن وجوه المعقولات الخفية، وإبرازها لها في معرض المحسوسات الجلية، وإبداء للمنكر في صورة المعروف، وإظهار للوحشي في هيئة المؤلف...<sup>686</sup>.

وأما الإمام السيوطي رحمه الله (ت 911 هـ) فله كلام مهم حول هذه المسألة عندما قال قولته المشهورة:

"وبعد فإن العلم بحر زخار لا يدرك له من قرار، وطود شامخ لا يسلك إلى قنته ولا يصار، من أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولاً، ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلاً، كيف وقد قال تعالى مخاطباً لخلقه ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وإن كتابنا القرآن هو مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هدي وغي، فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام، وفيه من القصص والأخبار، ما يذكر أولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها.."<sup>687</sup>.

ويبدو للناظر المتأمل في كلام السيوطي رحمه الله وضوح الرسالة والمعنى التي أشار إليها، وأعتقد بأننا لا نحتاج إلى شرح وبيان لاستبيان مراده، حتى لا نعكر صفوة المعنى الواضح بالتعليق الزائد والحشو الفائض. إن وجه الدلالة من هذا الكلام يكمن في قول الإمام: "وإن كتابنا القرآن هو مفجر العلوم ومنبعها.."، "فترى كل ذي

<sup>686</sup> العمادي، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ت 982)، ط2،

دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2006، ج1، ص 50

<sup>687</sup> السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين؛ الاتقان في علوم القرآن، ج1، ص 18-19

فن منه يستمد وعليه يعتمد.."، وإن كان ظاهر كلامه يوحي بأنه ربما يقصد شيئاً آخر عرفنا ذلك من خلال الدراسة والتحليل لكلام العلماء السابقين حول كون القرآن مشتقاً وحاوياً لعلوم الأولين والآخرين، والمسألة مختلف فيها - ليس هذا مجال البحث -<sup>688</sup>، حيث إنني أرى وأبيح لنفسي القول: إن كلام الإمام السيوطي ينبغي أن يكون دافعاً ومشجعاً قوياً لنا لهذا النوع من الدراسات التطويرية حتى نرى بركات الإعجاز القرآني الشامل في الجوانب الدعوية والتربوية والسلوكية والفكرية. وما لنا لا نقوم بهذا التطوير وهذه المراجعة لتلك العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم! حتى نتأكد أن تلك العلوم التي نضجت واحتترقت لا داعي لتطويرها، وإنما نبقئها للاستفادة منها إلى قيام الساعة، مثل علم النحو والقواعد والصرف والبلاغة والمعاني والبدیع، ونحافظ عليها من أيدي العابثين. بينما تلك التي لم تنضج بعد، سَعِينَا إِلَىٰ إِنْضَاجِهَا مِنْ خِلَالِ التَّطْوِيرِ وَإِعَادَةِ النِّظَرِ فِي بَعْضِ أَنْوَاعِهَا - وَمَا أَكْثَرُهَا - لِلِاسْتِفَادَةِ مِنْهَا فِي عَصْرِنَا.

ثم إنني أثناء مطالعتي للكتب المتعلقة بهذا الشأن، ومصادقاً لما تفضل به السابقون من العلماء، ظفرت بدراسة هي الأخرى مهمة للغاية لا تقل شأنًا ولا وزناً عن أية دراسة في استنباط العلوم الجديدة في القرآن الكريم. عنوان هذه الدراسة: **علم الجمال - رؤية في التأسيس القرآني**<sup>689</sup>.

<sup>688</sup> وقد ناقشت هذه المسألة في رسالتي الدكتوراه باللغة العربية، الموسومة: *الاتجاهات الفكرية والدينية في الدراسات القرآنية لدى علماء الألبان في القرن التاسع عشر والعشرين* - في مبحث التفسير العلمي، والكتاب مطبوع باللغة الألبانية - ترجمة د. محمد مصطفى، ط 1، 2009، دار أكرم كابي، مدينة تيتوفا - مقدونيا.

<sup>689</sup> للدكتور عبد العظيم الصغيري؛ كتاب الأمة - سلسلة دورية تصدر كل شهر عن إدارة البحوث والدراسات الإسلامية - قطر، العدد 151، رمضان 1433 هـ.



إن الوصول إلى تصور كامل لهذه الفكرة يحتاج منا إلى بيان واضح لكيفية التوظيف الإيجابي لبعض العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم؛ كما أننا بحاجة إلى بيان الصورة المعاكسة للتوظيف السيئ والسلي لبعض العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم من قبل جنود الدجل والتخريف - المستشرقون ومن نُهج نُهجهم واتبع سبيلهم-، حتى نكون على بينة من الأمر.

ولعل الجواب يكمن في نظرنا إلى طريقة أعداء الإسلام وتحليل أساليبهم في تعاملهم مع القرآن الكريم من خلال التوظيف السيئ والمذموم لكثير من العلوم والقضايا القرآنية، للنيل من هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

## المبحث الثاني: التوظيف السيئ من قبل المستشرقين لعلم المكي والمدني

إجابة عن السؤال السابق حول التوظيف السيئ لكثير من علوم القرآن من قبل الخادمين المخلصين لإبليس وجنوده من الإنس؛ خادمي الاستعمار والتبشير والتنصير والعملة والعلمنة والإلحاد والصهيونية والماسونية، فقد رأيناهم للأسف الشديد قد سبقونا من خلال الجهود الفردية أو المؤسسية إلى توظيف علم المكي والمدني لأغراض دينية، بغية الطعن والتشكيك في مصداقية القرآن المكي والمدني، سواء ما تعلق منها بأسلوب الآيات أو خصائصها الدعوية والبلاغية.

إن مسالك<sup>690</sup> المستشرقين للنيل من كتاب الله عز وجل والتشكيك فيه قد تعددت وتنوعت لإثبات مقررات سابقة، وقد اعتمد أكثرهم المنهج الذاتي<sup>691</sup>، وهو يقوم على استحضار المستشرق لانتماءاته الفكرية والثقافية والعقدية السابقة سواء أكانت دينية، أم علمية أم تاريخية، عند دراستهم لمباحث العلوم الإسلامية، بحيث جاء نتائجهم وبدرجات متفاوتة، مستجيباً وموافقاً لثقافتهم، لا لما تفرضه الدراسة العلمية للمصادر الإسلامية من نظريات ورؤى.<sup>692</sup>

وأما عن طريقة الطعن وكيفية ولوج المستشرقين إلى باب علم المكّي والمدني، فقد سلكوا في ذلك منهج أجدادهم أساتذة الدجل والخرافات من أمثال:

- 1- ريجس بلاشير<sup>693</sup> Regis Blachere في كتابه (القرآن)،
- 2- ثيودر نولدكة Theodor Noldeke في كتابه (تاريخ القرآن)،
- 3- إغناز غولد تسيهر Ignaz Gold Tsiher في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي)،
- 4- وجوزيف شاخت Joseph Schacht في كتابه (أصول الفقه الحمدي)،

<sup>690</sup> انظر أيضاً: برجستراسر، جوتلف؛ أصول نقد النصوص ونشر الكتب - محاضرات المستشرق الألماني ألقاها بكلية الآداب عام 1932 من إعداد وتقديم: محمد حمدي البكري، ط2، 1995، مكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ص 10-35

<sup>691</sup> انظر أيضاً: أبو ليلة، محمد محمد؛ القرآن من المنظور الاستشراقي، ط1، 2002، درا النشر للجامعات، مصر، ص 191-231، 237-254

<sup>692</sup> انظر: العيص، زيد بن عمر: المكّي والمدني في عيون المستشرقين، ص 8-9

<sup>693</sup> راجع سلسلة المقالات المتعلقة بمنهج هذا المستشرق في <http://www.alukah.net/sharia/0/44563> تم تصفح الموقع 25/10/15 بعد الظهر.

- 5- ووليام موئير William Muir وكتابه ( القرآن: تأليفه وتعاليمه ) ،  
 6- وريتشارد بل Richard Bell وكتابه: ( المدخل إلى القرآن )،  
 7- ومكسيم رودنسون Maxim Rodinson وكتابه: ( حياة محمد )  
 غيرهم كثير،

وعوّل المستشرقون كثيراً على الفروق بين المكي والمدني، حتى قالوا إنها تدل على وجود قرآن - يقصدون قرآناً متناقضاً - مكي، وآخر مدني تنقطع<sup>694</sup> الصلة بينهما ، من حيث الأسلوب والمضمون، وهو ما رَوَّج له بلاشير Blachere في كتابه (القرآن)، وهو ما يعني عندهم تأثر القرآن الكريم بالبيئتين المكية والمدنية، وما بينهما من تفاوت ظاهر، الأمر الذي يدل بزعمهم على بشرية القرآن، وهي الفرية التي ما فتئ المستشرقون حولها يدندنون، وأن السور المكية فيها عنف، وشدة وسباب<sup>695</sup>، وتقريع لأهل مكة، وهذا يدل على تأثر النبي صلى الله عليه وسلم بالبيئة المكية، وتكَيَّف حديثه مع ما يمتاز به أهل مكة من غلظة وجهل وعناد...!!، وسعى المستشرقون إلى تضخيم هذه الخصائص، وإلى توظيفها بطريقة سيئة<sup>696</sup>.

<sup>694</sup> حول تحبط وتشكيك بعض المستشرقين والمبشرين العرب حول مسألة الآيات المكية والمدنية.. من أمثال: الخوري الحداد وغيرهم، انظر ردود الأستاذ الشيخ محمد عزة دروزة رحمه الله في كتابه الموسوم بـ: القرآن والمبشرون، ط3، المكتب الإسلامي، 1978، دمشق، ص: 94-115

<sup>695</sup> انظر: العيص، زيد بن عمر: المكي والمدني في عيون المستشرقين، ص 8 - 9؛ وانظر: البوطي، محمد سعيد رمضان؛ كبرى اليقينيات الكونية، ط9، 1997، دار الفكر المعاصر، دمشق، ص 31 - 74

<sup>696</sup> لقد رأيت ردوداً علمية مقنعة قوية حول هذه الشبهات المثارة حول المكي والمدني من الآيات عند كل من الشيخ الدكتور محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه: مناهل العرفات في علوم القرآن، و الشيخ د. أحمد محمد الفاضل في كتابه: الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن، والدكتور أحمد إدريس الطعان في كتابه: العلمانيون والقرآن الكريم، والأستاذة الباحثة منى محمد بديهي في كتابها: التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم، فجزاهم الله خير الجزاء.

فكما رأينا من تلك النماذج السابقة من الدراسات الإستشراقية أنهم لم يغادروا صغيرة ولا كبيرة في أي علم يتعلق بالقرآن الكريم إلا قد أحصوها وصنفوا المصنفات عنها، حتى يتمكنوا من خلالها زرع المطاعن والشبهات ونشرها في عقول المثقفين من المسلمين أو غيرهم. فعملهم هذا ينبغي أن يؤخذ بعين الإعتبار وعدم الإستخفاف بها.

ولعل سر اهتمامهم بتلك القضايا القرآنية يظهر ويبين أهمية فكرنا ومبادرتنا في هذه الدراسة، وقد فطنت إلى أهمية هذه المسألة قبل أن أطلع على جهودهم السابقة والله الحمد والمنة. فالغرض من ذكرنا لهذا الكلام هو الإشارة فقط، وليس المناقشة لتلك الشبهات المثارة حول المكي والمكي، لأن مجال دراستنا ليس هذا، ولكن الغرض هو الانتباه إلى خطورة هذا التوظيف السيء من قبل هؤلاء. فما على المسلمين إلا القيام بالتوظيف الإيجابي لهذه العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم وأسلوبه وتاريخه وقصصه ومعانيه، عسى الله أن يجعل بيننا وبين الذين هجروا القرآن تلاوة وتدبرا وعملا أن يعودوا إليه مجددا.

## المبحث الثالث: أهمية علم المكي والمدني وفوائد معرفتهما مع بيان سر

### نزول القرآن منجماً

لم ينزل القرآن الكريم جملة واحدة ولكنه نزل مفزراً حسب الوقائع والتساؤلات والأحداث، وكان لهذا النوع من التنزيل جملة من الأحكام والأسرار والدروس والعبر<sup>697</sup>. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢] <sup>698</sup>.

مما لا شك فيه أن نزول القرآن الكريم منجماً احتوى أسراراً وحكماً دينية واجتماعية وتربوية وفكرية كثيرة. ذكر الإمام السيوطي رحمه قائلًا إن: " العادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحونه فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاحهم وسعادتهم وقيام دينهم وديناهم.. " <sup>699</sup>.

ويعقب الأستاذ سيد قطب رحمه الله في بيان الحكمة من نزول القرآن منجماً

قائلاً:

" لقد جاء هذا القرآن ليربي أمة وينشئ مجتمعاً وقيم نظاماً، والتربية تحتاج إلى زمن و إلى تأثير وانفعال بالكلمة وإلى حركة تترجم التأثير والانفعال إلى واقع،

<sup>697</sup> انظر دراستنا باللغة الإنكليزية من ضمن أعمال المؤتمر العالمي في اليابان بعنوان:

*The Wisdoms behind the gradual revelation of the Noble Qur'an: Religious, Spiritual, Social and Educational wisdoms – International Conference on Religion, Ethics and Philosophy – Osaka – Japan 28–30 March 2012*

<sup>698</sup> انظر دراستنا بعنوان: نحو منهج قرآني لتدريس العلوم الشرعية – نزول القرآن الكريم منجماً، من ضمن أعمال المؤتمر

العالمي بعنوان: دراسات أصول الدين في مؤسسات التعليم العالي – التحديات والآفاق، 3-4 أبريل 2011، بكلية أصول الدين – جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بسلطنة بروناي.

<sup>699</sup> السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن؛ الإتيقان في علوم القرآن، ج2، ص: 469

والنفس البشرية لا تتحول تحولاً كاملاً شاملاً بين يوم وليلة بقراءة كتاب كامل شامل للمنهاج الجديد، إنما تتأثر بعد يوم بطرف من هذا المنهاج وتتدرج في مراقبه رويداً رويداً وتعتاد على حمل تكاليفه شيئاً فشيئاً فلا تجفل كما تجفل لو قدم لها ضخماً ثقيلاً عسيراً وهي تنمو في كل يوم بالوجبة المغذية فتصبح بالتالي أكثر استعداداً للانتفاع بالوجبة التالية و أشد قابلية لها و التذاذا بها.. " 700 .

ويشير الإمام الطاهر بن عاشور إلى كلام الإمام الزمخشري في بيان الحكمة من التنجيم:

" وجاء في بيان حكمة إنزال القرآن منجماً بكلمة جامعة وهي ﴿ نبت ﴾ لأن تثبيت الفؤاد يقتضي كل ما به خير للنفس، فمنه ما قاله الزمخشري: الحكمة في تفريقه أن نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه، لأن المتلقن إنما يقوي قلبه على حفظ العلم يلقي إليه، إذ ألقى إليه شيئاً بعد شيء وجزءاً عقب جزء، وما قاله أيضاً " أنه كان ينزل على حسب الدواعي والحوادث وجوابات السائلين " اه، أي فيكون أوعى لما ينزل فيه لأنهم بحاجة إلى علمه، فيكثر العمل بما فيه وذلك مما يثبت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ويشرح صدره...وقلت: إن نزوله منجماً أعون لحفظه على فهمه وتدبره " 701 .

وبما أننا في هذا المبحث نتحدث عن نزول القرآن في المرحلة المكية والمدنية فلا بأس أن نشير إشارة سريعة دون الإستدلال بالآيات القرآنية إلى أهم الحكم والأسرار من ظاهرة نزول القرآن منجماً:

700 قطب، سيد؛ في ظلال القرآن: ج 5 ، ص: 2562

701 ابن عاشور، الطاهر محمد؛ التحرير والتنوير، ج 19، ص 44

1. تفخيم شأن القرآن وشأن من نزل عليه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وشأن من سينزل إليهم وهي الأمة الإسلامية<sup>702</sup>.
2. تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم لمواجهة التحديات والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والأخلاقية الصعبة، وحثه على الصبر أمام السلوكيات القمعية التي كان يتعرض لها من قبل المشركين. فالله عز وجل كان يقص عليه أنباء الرسل السابقين من أولي العزم وغيرهم حتى يقتدي بهم صلى الله عليه وسلم..،
3. ففي التنجيم تقوية لقلبه صلى الله عليه وسلم وتسلية له، وتحديد لعهد مع جبريل عليه السلام لكي يكون القرآن الكريم له نافذة أمل وبسمة رجاء يمدده بالقوة ويعده بالنصر مرة بعد مرة، لأنه صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا، يصيبه ما يصيبنا من الحزن والفرح والضعف والقوة والهلم والغم والموت والحياة..،
4. بيان تناقضات المشركين وتهمهم الباطلة في حق الرسول صلى الله عليه وسلم وحق القرآن الكريم. لقد سجل لنا القرآن الكريم تلك الافتراءات إلى قيام الساعة، فتارة قالوا ساحر وتارة مجنون، وأخرى كذاب أشر... إلخ.
- 4- يتبين من خلال هذا النزول المنجم سلوك الصحابة الكرام وطلیعة الجيل الإسلامي الأول وكيفية تعامله وتفاعله مع القرآن الكريم...،
- 5- تصويب حركة التطبيق والتنفيذ أو الدلالة على مواطن الخطأ ووجوه التقصير في تنفيذ الأحكام والتشريعات<sup>703</sup>، أو وجود ضعف في صفوف المسلمين...،

<sup>702</sup> القطان، مناع؛ مباحث في علوم القرآن: ص 52، أبو شهبة، محمد؛ المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص 53، 69

<sup>703</sup> انظر: زرزور، عدنان؛ مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص 97 - 98

- 6- إثبات مصدر القرآن وأنه تنزيل من حكيم حميد، لا بدليل أسلوبه ونظمه وعدم اختلاف مضمونه فقط، بل بدليل وقوع الأحداث والبشائر على النحو الذي تحدث عنه القرآن وأشار إليه طلية عصر التنزيل...<sup>704</sup>.
- 7- مسaire الحوادث والطوارئ في تجدها وتفرقتها. فكلما جدت حادثة أو وقعت واقعة نزل القرآن حكماً عدلاً في فصل القضية، وتشتمل هذه الحكمة أمرين اثنين: أولاهما: إجابة السائلين على أسئلتهم عندما يوجهونها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في شتى المجالات، ومن خلال تنجيم القرآن تبين لنا حال المؤمن حينما كان يستفتي و يسترشد، و تبين لنا حال المكذب حينما كان يستشكر و يجادل<sup>705</sup>.
- 8- هناك سر لغوي أو لطيفة بلاغية في قوله تعالى: ﴿ورتلناه﴾ هي: أن الترتيل هو التمهّل والتأني في الكلام والتبيين له للتمكين والتحقيق وبناء المعرفة في المتلقين بناء تكاملياً، وذلك لا يحصل بإنزاله جملة واحدة، بل يحصل بإنزاله في دروس تعليمية قسماً بعد قسم مع الاستفادة من الأحداث والمناسبات.<sup>706</sup>
- 9- تسهيل حفظ القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم و المؤمنين كلون من ألوان الحفظ الذي تكفل الله تعالى بحفظ القرآن، حيث إنه صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فنزوله منجماً ساعد الرسول على تدبره وحفظه، بل حتى هذا القدر اليسير الذي كان يتنزل عليه في فترات مختلفة كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخشى من ذهابه ونسيانه..
- 10- إن من حكم هذا التنجيم في نزول القرآن الكريم رسم وانعكاس صورة المجتمع الآخر أو الفئات الثانية من المنافقين والمشركين وفضح سرائرهم ونواياهم

704 انظر: دراز، عبد الله؛ النبأ العظيم: ص 61

705 انظر: المرجع السابق، ص 139 - 162

706 انظر: الميداني، عبد الرحمن جنبكة؛ تدبر سورة الفرقان: ص: 176 - 178



مؤامراتهم<sup>707</sup>، وموالاته تقريع الكفار بالحجة بعد الحجة وتحديد تذكيرهم بانحرافهم وسوء عقيدتهم، ولو نزل القرآن دفعة واحدة لواجه الكفار التقريعات وتألّموا لها أول مرة ثم ألفوها ونسيها الناس...<sup>708</sup>.

11- التدرج في التشريع والتكليف وإزالة المنكرات والظواهر السلبية، وذلك في الأمور المتمكنة من الأفراد والمجتمع، لاسيما المجتمع الجاهلي حتى يتخلى عن مفاصله والعادات المتعلقة بأخلاقهم وعقيدتهم فإنه لا بد من الوقت والمهلة، لأنه من العسير جداً تغييرهم في وقت قصير والوقت الكافي عامل مهم في العلاج وتربية الأمة الناشئة وإعدادها لبنة لبنة بحيث يتم بناء الأمة في نهاية المطاف من خلال الهدى الإلهي...<sup>709</sup>

12- الانتقال المتدرج من الأحكام المؤقتة أو المرحلية إلى الأحكام النهائية الدائمة المستقرة، وقد حدث هذا في حكم الجهاد بالسيف حيث إنه لم يكن مأذوناً به أول الأمر في مكة ثم نزل الإذن بالقتال في أول عام بعد الهجرة، ثم بعد ذلك نزل ما يدل على وجوب الدفاع عن النفس بالقتال.<sup>710</sup>

13- إن في تعدد النزول وأمكنته مبالغة في نفي الشك عن القرآن و زيادة للإيمان به وبعثاً على الثقة فيه، لأن الكلام إذا سجل في سجلات متعددة وصحت له وجودات كثيرة، كان ذلك أنفى للريب عنه و أدعى إلى تسليم ثبوته و أدنى إلى وفرة الإيمان مما لو سجل في سجل واحد أو كان له وجود واحد<sup>711</sup>. فمن القرآن ما نزل

<sup>707</sup> زرزور، عدنان؛ مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: ص: 89 - 92، طعيمة، صابر؛ هذا القرآن قصة الذكر الحكيم:

ص: 25-27

<sup>708</sup> أبو سليمان، صابر حسن محمد؛ روائع البيان في علوم القرآن: ص: 41 - 42

<sup>709</sup> انظر: زرزور، عدنان؛ مدخل إلى تفسير القرآن: ص: 92

<sup>710</sup> ابن القيم، زاد المعاد، ج 1، ص 30

<sup>711</sup> الرزقاني، عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن: ج 1، ص 39 - 40

ليلاً ونهاراً، وصيفاً وشتاءً، في السلم والحرب<sup>712</sup>، ومكة والمدينة، وتبوك وحديبية وعرفات وبدر وأحد... الخ.

14- ذكر الإمام الشوكاني قول النحاس رحمه الله قائلاً: " وقال النحاس وكان

ذلك أي إنزال القرآن منجماً من أعلام النبوة لأنهم لا يسألونه عن شيء إلا أجيبوا عنه وهذا لا يكون إلا من نبي، فكان ذلك تثبيتاً لفؤاده و أفئدتهم " 713 .

واستمر نزول الوحي على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرين عاماً مفرقا في كلتا المرحلتين؛ المكية والمدنية. فعلم المكي والمدني وسائر علوم القرآن الكريم والتفسير والنحو والقواعد واللغة علم البلاغة والبيان والبديع... إلخ، لم تكن موجودة في عصر نزول القرآن الكريم ولا في حياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، لأنهم كانوا شهود عيان لنزول الآيات وكانوا أهل لسان وبيان وفصاحة وكلام، ولم يكونوا يحتاجونه بطبيعة الحال إلى تلك العلوم. كيف وهم يشاهدون نزول الوحي ومكانه وزمانه وأسبابه عياناً وليس بعد العيان بيان، كما أشار إلى ذلك بعض أهل العلم<sup>714</sup>.

ثم تولى الله عز وجل حفظ القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: 9]، ويشمل هذا الحفظ الإلهي علم المكي والمدني اقتضاء كما أنه يشمل حفظ السنة المطهرة، لأنها شارحة ومبينة ومفصلة للقرآن الكريم. ولا يتسنى للمسلم الاستفادة الكاملة من هذا التنزيل الا بمعرفة أسباب وأماكن وملابسات نزول الآيات<sup>715</sup>. فمن هذا الحفظ الإلهي نستنبط بعداً ثقافياً عريقاً ألا وهو سعي

712 السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن؛ الإتيان في علوم القرآن، ج 1، ص 27

713 الشوكاني، محمد؛ تفسير فتح القدير، ج 4، ص: 74

714 الزرقاني، محمد عبد العظيم؛ مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 1، ص 196

715 وبعض أهل العلم أطلق على علم المكي والمدني: علم أزمنة النزول وعلم أمكنة النزول.

الأمم إلى المحافظة لتراثها الفكري ومقوماتها الحضارية. فالقرآن الكريم هو الكتاب الذي قامت الأمة الاسلامية على أساسه، ولذا واجب علينا نحن المسلمين الاعتناء بكل ما هو سبب لبقاء هذه المعجزة الخالدة؛ من علم أسباب النزول وعلم التجويد وعلم المكي والمدني وعلوم اللغة وغيرها. ويلاحظ أهمية هذا البعد الثقافي والعلمي في قول ابن مسعود رضي الله عنه عندما قال: "والله الذي لا إله غيره، ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت. ولو أعلم أن أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"<sup>716</sup>.

### المطلب الأول: أهمية علم المكي والمدني من منظور بعض العلماء المتقدمين

لم أجد - في حدود بحثي - للعلماء السابقين كتابات مستقلة حول كيفية التوظيف للعلوم القرآنية عامة وعلم المكي والمدني أو علم تنجيم القرآن وكيفية الاستفادة منها في المجالات المختلفة، إلا ما ندر، سواء ما تعلق منها بالمجال الدعوي أو التربوي أو المقاصدي. كل الذي وجدته لدى كثير منهم أنهم قد تناولوا مباحث علم المكي والمدني في ذكر وبيان كيفية معرفتهما وبيان ضوابطهما وأسلوبهما والطريق الموصلة إليهما وخصائصهما الموضوعية أو البلاغية.

<sup>716</sup> انظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن)، تحقيق: محمد فؤاد عبد

الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط3، 1425 هـ، رقم الحديث: 3088

وعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد الإمام القرطبي رحمه الله في خطبة كتابه "الجامع لأحكام القرآن"، مبيناً علوّ شأن المفسرين وفيما ينبغي على مفسّر القرآن أن يعلمه قائلاً:

"وينبغي له أن يعرف المكي من المدني، ليفرق بين ما خاطب بين الله به عباده في أول الإسلام وما ندبهم إليه في آخر الإسلام، وما افترض الله في أول الإسلام، وما زاد عليه من الفرائض في آخره. فالمدني هو الناسخ للمكي في أكثر القرآن، ولا يمكن أن ينسخ المكي المدني؛ لأن المنسوخ هو المتقدم في النزول قبل الناسخ له... "717.

ثم وجدت الإمام الشاطبي رحمه الله في موسوعته الأصولية والفقهية والتفسيرية "الموافقات" قائلاً:

"المسألة الحادية عشرة: المدني من السور ينبغي أن يكون منزلاً في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع بعض، والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنزيل، وإلا لم يصح، والدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي، كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبني على متقدمه، دل على ذلك الاستقراء، وذلك إنما يكون ببيان مجمل، أو تخصيص عموم، أو تقييد مطلق، أو تفصيل ما لم يفصل، أو تكميل ما لم يظهر تكميله"718.

717 القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر؛ الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان،

تحقيق: د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006، ج1، مقدمة الكتاب، ص4

718 الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير (المتوفى 790هـ)، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور

بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1997م، ج4، ص256. هذا وما يجدر ذكره في هذا المقام هو أني

وقفت على دراسة مهمة لمباحث علوم القرآن عند الإمام الشاطبي، قام بها د. شايح بن عبده بن شايح الأسمرى، عضو هيئة

التدريس بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بعنوان: مع الإمام الشاطبي في مباحث من علوم القرآن

وقد تناول الإمام بدر الدين الزركشي في موسوعته القرآنية " البرهان في علوم القرآن"،<sup>719</sup>. هذا الموضوع بأبعاده المختلفة تأصيلاً وتنظيراً، إلا أنه رحمه الله لم يتطرق إلى مسألة توظيف علم المكي والمدني لأغراض وأهداف دعوية وتربوية ومن جملة الفوائد في معرفة علم المكي والمدني نذكر:

- 1- تمييز الناسخ من المنسوخ.
- 2- معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام.
- 3- تعميق الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد.
- 4- تعزيز الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالماً من التغيير والتحريف.
- 5- معرفة اهتمام المسلمين بعلم المكي والمدني، حتى ليعرفون ويتناقلون ما نزل منه قبل الهجرة وما نزل بعدها وما نزل بالحضر وما نزل بالسفر وما نزل بالنهار وما نزل بالليل وما نزل بالشتاء وما نزل بالصيف وما نزل بالأرض..<sup>720</sup>.

بينما وجدنا الإمام السيوطي رحمه الله قد تناول موضوع المكي والمدني تقريباً بالطريقة نفسها التي تناولها الإمام الزركشي دون التطرق إلى مسألة توظيف لعلم المكي والمدني أو غيرها من العلوم الأخرى لأغراض دعوية وتربوية<sup>721</sup>.

---

وتفسيره، حيث رصدت هذه الدراسة المباركة جل القضايا المتعلقة بالقرآن الكريم وتفسيره و شروط المفسر من منظور الإمام الشاطبي فارجع إليها إن شئت.

<sup>719</sup> انظر: البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي، ج1، 168

<sup>720</sup> البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 187-188

<sup>721</sup> انظر: الإتيقان في علوم القرآن، ج1، 34-74

أما الإمام بن عقيلة المكي في موسوعته القرآنية "الزيادة والإحسان في علوم القرآن"<sup>722</sup>، أيضاً لم أجد فيها ما يروي ظمئ حول هذه المسألة. حتى هذه الدراسة المباركة التي ظفرت بها والموسومة بـ: "علوم القرآن من خلال مقدمات التفسير"، للشيخ محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، لم أجد فيها شيئاً عما أنا يصدده. وأخيراً وقفت على دراسة أخرى بعنوان: "علوم القرآن عند ابن عبد البر" فلم أجد فيها شيئاً عن موضوع التوظيف الإيجابي لعلوم القرآن لأغراض دعوية أو تربوية. هذا فيما يتعلق بجهود هؤلاء المتقدمين من السلف حول هذه المسألة، وكما رأيت أنهم لم يدرسوا هذه القضية التي أنا بصددتها، والله أعلم.

#### المطلب الثاني: أهمية علم المكي والمدني من منظور بعض المفسرين المعاصرين

أما فيما يتعلق الأمر بجهود بعض المعاصرين حول هذا الموضوع، فأقول: لقد عدت إلى "تفسير المنار" للشيخ رشيد رضا رحمه الله للبحث في المقدمات المهمة التي ذكرها في تفسيره، والتي يجب توافرها لدى المفسر قبل تفسيره لكتاب الله، فلم أظفر فيها بشيء مما كنت أبحث عنه للأسف<sup>723</sup>. ثم إني تابعت مسيرة البحث في "تفسير الشيخ أحمد المراغي"، أيضاً فلم أجد أثراً عن ضالتي وفكرتي العلمية<sup>724</sup>. واصلت مسيرتي البحثية في تفسير "التحرير والتنوير" للعلامة الطاهر بن عاشور آملاً أن أجد شيئاً في المقدمات العشرة التي أفردها في تفسيره قبل الشروع في تفسير القرآن،

<sup>722</sup> انظر: بن عقيلة، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ط1، 2006، من مطبوعة كلية الشريعة - جامعة الشارقة،

الإمارات العربية المتحدة، 1، 268،

<sup>723</sup> انظر: رضا، السيد محمد رشيد؛ تفسير المنار، ط2، دار المنار بالقاهرة، 1947، ص 17

<sup>724</sup> انظر: المراغي، أحمد مصطفى؛ تفسير المراغي، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، 1946، ص 24-30

فلم أجد رحمة الله قد تناول شيئاً عن المكي والمدني<sup>725</sup>. ثم قمت بمراجعة كتاب "مقدمة التفسير المسمى نزل كرام الضيفان في ساحة حدائق الروح والريحان"<sup>726</sup> للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهري الشافعي، فلم أجد فيه أيضاً شيئاً عما أنا بصدد البحث عنه. أما الشيخ المفسر محمد عزة دروزة رحمه الله، فقد أشار في تفسيره "التفسير الحديث" إلى تميز أسلوب المكي من أسلوب المدني، وأن أسلوب المكي متصل بالدعوة إلى المكارم الاجتماعية والروحية والإنسانية والتحذير من الآثام والفواحش؛ أسلوب دعوة وحض وتشويق وتنديد وتنويه. كما أن من أسلوب المكي اللهجة الخطابية القوية النافذة إلى الأعماق والقارة للأسماع والقلوب، كما يغلب على الأسلوب المكي وصايا الصبر والتطمين والتسكين وعدم المبالاة بمواقف الكفار. وأما الأسلوب المدني ففيه ذكر للمبادئ والتكاليف التعبديّة والأخلاقية والاجتماعية والقضائية والسلوكية بصيغة التقنين والتعديد، والاستفتاءات والأسئلة القضائية والاجتماعية والأخلاقية والأسروية وأجوبتها التشريعية..<sup>727</sup>.

بينما دراسة الأستاذ الشيخ د. صبحي صالح رحمه الله بعنوان "مباحث في علوم القرآن"، فقد ألفت عنده طرْحاً جديداً لعلم المكي والمدني وعلم تنجيم القرآن. وفي موضوع المكي والمدني أشار إلى أن كلتا المرحلتين كان لهما مراحل ابتدائية ووسطية وختامية - ولعله رحمه الله استقى هذه الفكرة من كلام الإمام أبي القاسم النيسابوري رحمه الله - وأن علم المكي والمدني بحاجة إلى تمحيص الروايات وتحقيق النصوص والتحاكم إلى التاريخ الصحيح، وهذا العلم أحوج إلى هذا من علم أسباب النزول

<sup>725</sup> انظر: بن عاشور، محمد الطاهر؛ تفسير التحرير والتنوير، ط1، الدار التونسية، 1984، تونس، ص: 10-130

<sup>726</sup> ط1، 2001، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.

<sup>727</sup> دروزة، محمد عزة؛ التفسير الحديث - ترتيب السور حسب النزول، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ص

وأن كل سورة من سور القرآن معلوم الهوية و واضحة السيرة، فإذا اختلقت بغير زمرتها أخضعها العلماء الثقات لمقاييسهم النقدية الدقيقة، لأن علم المكّي والمدني في آن واحد؛ ترتيب زماني، وتحديد مكاني، وتبويب موضوعي، وتعيين شخصي، وبهذا المنهاج التاريخي الزمني الذي لا يتغاضى عن الآفاق النفسية والأطوار الاجتماعية، ولا يتجاهل أثر البيئة في الحياة والأحياء، شددوا في مأخذهم به حتى منعوا الجاهل بمراحل الدعوة الإسلامية أن يتصدى لكتاب الله مفسراً لآياته أو خائضاً فيه<sup>728</sup>، كما ورد ذلك عن الإمام أبي القاسم النيسابوري. وهذا الاهتمام الكبير من المسلمين بالرواية والروايات وتمحيصها وتدقيقها وضبطها في ترتيب السور والآيات القرآنية تبعاً لتطورات الدعوة وأدق جزئياتها جعل المستشرقين يدعون بالويل والثبور على الرواة والروايات ويشككون في مدى إمكان ترتيب القرآن اعتماداً على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>729</sup>.

أما دراسة أ.د. الشيخ محمد محمد أبو شهبه، قد اشتملت على قضايا مهمة، غير أنها لم تتطرق إلى هذه الجزئية التي أنا بصددتها. لقد اشتملت على ردود بعض الشبهات إجمالاً دون تسمية القائلين أو تحديد<sup>730</sup> مصادر تلك الشبهات. وفي جهود الشيخ مناع القطان رحمه الله في كتابه "مباحث علوم القرآن" لا جديد فيها بهذا الاعتبار حول هذه المسألة، اللهم إلا إشارات في مسألة الحكم والعبر من نزول القرآن الكريم منجماً<sup>731</sup>. وأما دراسة أ.د. عدنان زرزور حفظه الله في كتابه "علوم

<sup>728</sup> صالح، صبحي؛ مباحث في علوم القرآن، ص 168 - 169

<sup>729</sup> انظر المرجع السابق، بتصرف، ص 169، 184

<sup>730</sup> انظر: أبو شهبه، محمد محمد؛ المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط2، 2001، دار اللواء، بيروت، لبنان، ص 219 -

261

<sup>731</sup> انظر: القطان، مناع؛ مباحث في علوم القرآن، ط5، 2002، مؤسسة الرسالة، بيروت.



القرآن إعجازه وتاريخ توثيقه " فقد رأيت عنده إشارات مختصرة عن هذه المسألة التي أنا بصدددها. إذ أشار إلى أهمية فهم المواقف والأحوال والوقوف على خطوات التربية والبناء، حيث أن هذا العلم فيه تمهيد لمعرفة الخصائص البيانية والأسلوبية للمكي والمدني، مبيناً أن موضوع الآيات المكية العقيدة بينما موضوع الآيات المدنية الشريعة؛ والإسلام والقرآن: عقيدة ونظام وتشريع وأحكام<sup>732</sup>.

وأما بالنسبة لفئات الناس الذين يستفيدون من علم المكي والمدني وكيفية توظيفهم لهذا العلم. نقول إن الناس لهم مذاهب شتى في كيفية التوظيف لهذا العلم، وكل حسب طاقته الفكرية والمعرفية. فالعلماء الراسخون في الشريعة والدعوة لهم طرقهم ومناهجهم في كيفية التوظيف لهذا العلم. وأصحاب التخصص الدقيق في التفسير وعلوم القرآن لهم طرقهم ومناهجهم في كيفية التوظيف. وعموم طلاب العلم الشرعي لهم أساليبهم. وعامة الناس أيضاً لهم طرائقهم في كيفية التوظيف لهذا العلم. إذن؛ ليس هذا العلم خاصة بفئة دون غيرها، إنما الناس في ذلك سواء والله أعلم.<sup>733</sup>.

إن معرفة علم المكي والمدني يشكل عماداً قوياً يستند إليه كل داعية إلى الله عز وجل في معرفة أسلوب الدعوة وألوان الخطاب والتدرج في الأحكام والتكاليف والبناء والتكامل. والدعوة إلى الله عز وجل فنُّ نبوي راقٍ، ومهنة شريفة وعمل مقدس، لها ذوق قرآني خاص، لا يعرف طعمها ولا يذوق حلاوتها إلا من عاش في حديقتهما وتحت ظلال أشجارها، وتكيف بهوائها الطلق وشرب من مائها العذب. إنها تحتاج إلى نهج خاص في أسلوبها إزاء كل فساد في العقيدة والتشريع والخلق والسلوك. ولا تفترض تكاليفها إلا بعد تكوين النواة الصالحة لها في تربية اللبنة التي تأخذ على

<sup>732</sup> انظر: زرزور، عدنان؛ علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، ط1، 2005، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ص 211

213-

<http://www.tafsir.net/vb/tafsir29336/#ixzz278nwAKzN>:<sup>733</sup>

عائقها القيام بها، ولا تسن أسسها التشريعية ونظمها الاجتماعية إلا بعد طهارة القلب وتحديد الغاية حتى تكون الحياة على هدى من الله وبصيرة، قال تعالى: ﴿قُلْ هُدًى سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]

والذي يقرأ القرآن الكريم يجد للآيات المكية خصائص ليست للآيات المدنية في وقعها ومعانيها<sup>734</sup>، وإن كانت الثانية مبنية على الأولى في الأحكام والتشريع كما أشار إلى ذلك الإمام الشاطبي في موسوعته "الموافقات" <sup>735</sup>.

وبعد جهد متواصل في البحث والتحري في جهود دراسات المعاصرين هدايني الله عز وجل إلى مصدر مهم؛ هو كنز مبارك لفكرتي العلمية والحمد لله أولاً وآخراً، وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله، وجزى الله خير الجزاء صاحب هذا الكنز العلمي العظيم خير الجزاء. أندرون من هو؟ إنه الأستاذ سيد قطب رحمه الله وتفسيره المسمى بـ: "في ظلال القرآن" إضافة إلى بعض مؤلفاته الأخرى<sup>736</sup>، فقد كان له الفضل - بعد الله عز وجل - في هذه المسألة بلا نزاع، حيث كان له اهتمام بالغ للغاية حول كيفية توظيف علم المكي والمدني والوقوف عندهما طويلاً. لقد رأيت رحمه الله قد أطل في مقدمة تفسيره لسورة الأنعام وغيرها من السور القرآنية، وهو في هذه الوقفة الدعوية أشار أصلاً هذا العلم تأصيلاً قرآنياً فريداً مشيراً إلى جملة من القضايا التربوية

<sup>734</sup> العيص، زيد عمر عبد الله، المكي والمدني في عيون المستشرقين - عرض ونقض، ص 5، وانظر أيضاً هذه الدراسة المهمة الموسومة بـ: مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، للدكتور حسن عزوزي، حيث تطرق حفظه الله إلى بيان أهم النقاط والمنطلقات الفكرية والبحثية التشكيكية التي ينطلق منها المستشرقون لدراسة القرآن والسنة...، أنصح القارئ الكريم أن يرجع إليها فإنه فيها فوائد جمة، والكتاب متوفر في نسخة إلكترونية على الشبكة العنكبوتية

<http://www.muslim-library.com/book,415,1.html>

<sup>735</sup> انظر: الشاطبي، الموافقات، ج 1، ص 256، وانظر: صالح، صبحي؛ مباحث في علوم القرآن، ص 184

<sup>736</sup> راجع تفسيره في مقدمة سورة الأنعام في تفسيره: في ظلال القرآن، لترى هذه الحقيقة بارزة

والدعوية في هذا الصدد يجدر بنا معشر الأساتذة والأكاديميين والتربويين والدعاة إلى الله الوقوف عندها طويلاً للتأمل والدراسة في كيفية توظيفها والاستفادة منها. قال رحمه الله في مقدمة تفسيره لسورة الأنعام ما نصه:

" هذه السورة مكية.. من القرآن المكي...القرآن الذي ظل يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاماً كاملة، يحدثه فيها عن قضية واحدة. قضية واحدة ولم يتجاوز القرآن المكي هذه القضية الأساسية إلى شيء مما يقوم عليها من التفريعات المتعلقة بنظام الحياة، إلا بعد أن علم الله أنها قد استوفت ما تستحقه من البيان، وأنها استقرت استقراراً مكيناً ثابتاً في قلوب العصابة المختارة من بني الإنسان، التي قدر الله لها أن يقوم هذا الدين عليها؛ وأن تتولى هي إنشاء النظام الواقعي الذي يتمثل فيه هذا الدين... " 737.

نفهم من كلام الأستاذ سيد قطب السابق أن القرآن المكي لم يتجاوز قضية العقيدة الصافية المبنية على التوحيد الخالص لله عز وجل إلى غيرها من التشريعات والأوامر الفرعية. إنها قضية الإيمان بالله عز وجل التي تنبني عليها التشريعات وكافة التكاليف الدينية الأخرى، فلا يمكن للفروع في السماء أن تؤتي أكلها إلا بعد استقرار وثبات الأصل في القلب.

737 قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، ج2، ص 3-24

## الفصل الثالث: الخصائص الأسلوبية والموضوعية للمكي والمدني مع بعض التطبيقات الدعوية العملية في كيفية التوظيف الإيجابي

فيما يلي من الحديث سيكون تركيزنا منصبا على ذكر بعض فروع علم المكي والمدني فقط، وليس كل ما يتعلق به؛ ثم بيان علاقته بموضوع التوظيف الإيجابي لهذه الفروع العلمية المتعلقة بعلم المكي والمدني. نتطرق هنا إلى الخصائص والمميزات الأسلوبية والموضوعية فقط ومن ثم سنجري مقارنة بما هو مشاهد وملموس في حياتنا الواقعية في الدعوة والتربية. أي أنني أهدف إلى جعل هذا الجزء العلمي في علم المكي والمدني "ميزاناً أو شهادة القرآن المركزية للإحتكام إليها - **Criteria of Center**" في كافة قضايانا المتعلقة بالدعوة والتربية.

كما أنني لن أتوسع في هذه المسألة إلا ما لا بد منه، حتى يكون ذلك خطوة علمية تنبني عليها فيما بعد الخطوات الأخرى. كما أنني لن أتناول شبهات ومطاعن المستشرقين أو العلمانيين والحداثيين المتلوثين والمسمومين بالفكر الغربي - الاستشراق العلماني الحداثي التنويري العربي وغير العربي - قاطبة حول جدلية النص وأنسنة النص وأرخته النص القرآني في مسألة المكي والمدني، فهذا له مجال آخر، خصوصاً وأنه قد تولى الرد على تلك الشبهات بعض العلماء الفضلاء، فيمكن الرجوع إلى دراساتهم والاستفادة منهم في هذه المسألة<sup>738</sup>.

<sup>738</sup> نذكر على سبيل المثال لا الحصر دراسة الشيخ الدكتور محمد عبد العظيم الزرقاني في موسوعته: *مناهل العرفان في علوم القرآن*، في مبحث المكي والمدني، ج1، ص 168، ودراسة الشيخ د. محمد أحمد الفاضل في كتابه: *الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن - دراسة ونقد*، ص 276 - 307، ودراسة د. أحمد إدريس الطعان بعنوان: *العلمانيون والقرآن الكريم - تاريخية النص*، مبحث المكي والمدني والتوجه الحداثي، ص 530 - 589، ودراسة الأستاذة منى محمد بهي الدين بعنوان: *التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم - عرض ونقد*، ص 212-302

## المبحث الأول: الخصائص الأسلوبية والموضوعية للمكي والمدني

مما لا شك فيه أن كل علم نريد تأصيله لا بد من الرجوع إلى أمهات مصادر ذلك العلم، وإلا لم يكن للبحث العلمي فائدة علمية يطمئن القلب إليها ويجد العقل راحته فيها. فما يتعلق بموضوعنا لا بد من الرجوع إلى أقطاب العلماء في مجال علوم القرآن رحمهم الله، والذين أجمعت الأمة على إمامتهم وريادتهم في هذه العلوم القرآنية. أقصد هنا الإمامين الجليلين هما: الإمام الزركشي والإمام السيوطي رحمهما الله. فكل من جاء بعدهما في العلوم القرآنية فهو عالية عليهما، وإن كان بعض المتأخرين قد تميزوا في الطرح والعرض والتحليل لعلوم أسلافهم، ولكن يبقى الفضل للسابق وإن أحسن وأبدع اللاحق. وفعلاً هذا الذي رأيت في هذه المسألة، فقد ذكر الإمام الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" كل القضايا المتعلقة بعلم المكي والمدني<sup>739</sup>. وقد اتبع الإمام السيوطي رحمه الله منهج سلفه في "الإتقان في علوم القرآن" بالتفصيل، غير أن الطريقة التي سرد فيها هذه المسائل المتعلقة بالمكي والمدني وضوابطها وسماتها وخصائصها تحتاج إلى شيء من الترتيب والتهديب<sup>740</sup>.

<sup>739</sup> الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بشار (المتوفى 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، 1428 هـ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج1، ص 187، وانظر: الزيادة والإحسان في علوم القرآن

لابن عقيلة (ت 1150 هـ)، ج1، ص 216

<sup>740</sup> الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 167

أما دراسة الشيخ د. محمد عبد العظيم الزرقاني رحمه الله " مناهل العرفان في علوم القرآن " لقد رأيت عنده ترتيباً وعرضاً أفضل فيما يتعلق بعلم المكي والمدني، فأرى من الفائدة العلمية ذكر الخصائص الأسلوبية والموضوعية المتعلقة بهذه المسألة باختصار حيث قال رحمه الله: " ونذكر من خواص القسم المكي ما يأتي:

- أنه - أي القرآن المكي - حمل حملة شعواء على الشرك والوثنية وعلى الشبهات التي تذرع بها أهل مكة للإصرار على الشرك والوثنية.
- ولما عاندوا واحتجوا بما كان عليه آباؤهم نعى عليهم أن يمتهنوا كرامة الإنسان إلى هذا الحضيض من الذلة للأحجار والأصنام، وسقّه أحلامهم وأحلام آباؤهم الذين أهملوا النظر في أنفسهم وفي آيات الله في الآفاق.
- أنه فتح عيونهم على ما في أنفسهم من شواهد الحق وعلى ما في الكون من أعلام الرشد ونوع لهم في الأدلة ونفنن في الأساليب وقاضاهم إلى الأوليات والمشاهدات ثم قادهم من وراء ذلك قيادة راشدة حكيمة إلى الاعتراف بتوحيد الله في ألوهيته وربوبيته والإيمان بالبعث ومسؤوليته والجزاء العادل ودقته.
- أنه تحدث عن عاداتهم القبيحة كالقتل وسفك الدماء وواد البنات واستباحة الأعراض وأكل مال الأيتام.
- أنه شرح لهم أصول الأخلاق وحقوق الاجتماع شرحاً عجيباً، كره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وفوضى الجهل وجفاء الطبع وقذارة القلب وخشونة اللفظ، وحبب إليهم الإيمان والطاعة والنظام والعلم والمحبة والرحمة والإخلاص واحترام الغير وبر الوالدين وإكرام الجار وطهارة القلوب ونظافة الألسنة إلى غير ذلك.

- أنه قص عليهم من أنباء الرسل وأممهم السابقة ما فيه أبلغ المواعظ وأنفع العبر من تقرير سننه تعالى الكونية في إهلاك أهل الكفر والطغيان وانتصار أهل الإيمان والإحسان مهما طالت الأيام وامتد الزمان ما داموا قائمين بنصرة الحق وتأييد الإيمان.
- أنه سلك مع أهل مكة سبيل الإيجاز في خطابه حتى جاءت السور المكية قصيرة الآيات صغيرة السور. لأنهم كانوا أهل فصاحة ولسان، صناعتهم الكلام وهمتهم البيان، فيناسبهم الإيجاز والإقلال دون الإسهاب والإطناب.
- كما أن قانون الحكمة العالية قضى بأن يسلك سبيل التدرج والارتقاء في تربية الأفراد وأن يقدم الأهم على المهم. ولا ريب أن العقائد والأخلاق والعبادات، أهم من ضروب العبادات ودقائق المعاملات..<sup>741</sup>

أما عن خواص المدني فقد ذكر فيه ما يأتي:

- التحدث عن دقائق التشريع وتفاصيل الأحكام وأنواع القوانين المدنية والجنائية والحربية والاجتماعية والدولية والحقوق الشخصية وسائر ضروب العبادات والمعاملات. انظر إن شئت في سورة البقرة والنساء والمائدة والأنفال والقتال..
  - دعوة أهل الكتاب من يهود ونصارى إلى الإسلام ومناقشتهم في عقائدهم الباطلة وبيان جناياتهم على الحق وتحريفهم لكتب الله ومحاکمتهم إلى العقل والتاريخ. اقرأ إن شئت سورة البقرة وآل عمران والمائدة والفتح ونحوها.
- ويبدو لي في نهاية هذا المطلب أن هذا المقدار من الحديث عن خصائص وسمات الآيات المكية والمدنية كافٍ لقياس بعض التطبيقات الدعوية المعاصرة ومدى مطابقتها لهذا العلم.

<sup>741</sup> انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم؛ مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص 193 - 203

## المبحث الثاني: تطبيقات عملية ونماذج معاصرة سلبية لعدم فقه أبعاد ودلالات علم المكي والمدني

أما كيفية توظيف هذا العلم في حياتنا الدعوية مع المدعويين من مختلف الشرائح، فإنه يتحتم علينا تحليل ما نسمع وما نرى في الوسائل الإعلامية المختلفة لمقارنة أساليب وموضوعات تلك الخطب والمحاضرات ومن ثمّ عرضها على ميزان الأسلوب والمنهج القرآني مع المدعويين حديثي عهد بالإسلام، وكل من يتعدى هذا المنهج القرآني في الدعوة إلى الله فقد باء بالفشل. أعتقد بقوة أن حال مجتمعاتنا المسلمة المعاصرة في الغرب والشرق لا يختلف كثيراً عما كان عليه حال المجتمع المكي والمدني عندما كان يتنزل القرآن الكريم عليهم مصوباً مسارهم العقدي والأخلاقي والاجتماعي. إننا يجب أن نركز مع المدعويين إلى الإسلام على بيان الدلائل العلمية والبراهين الكونية على وجود الله عز وجل الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد. علينا التركيز على جمال الإسلام وجمال الخالق والصانع المدبر الحكيم سبحانه وتعالى، فلا يمكن رؤية هذا الجمال الإلهي إلا من خلال النظر والتأمل في المخلوقات التي خلقها هذا الخالق العظيم من حولنا حتى يزداد إيمان هؤلاء. قبل أن تستقر هذه الفكرة وحلاوة الإيمان في قلب المدعو لا يجوز لنا بحال من الأحوال الانتقال إلى موضوع آخر. هذا التصرف هو جنيّ للثمار قبل نضجها وحصاد لها قبل أوانها. ولعل حديث الصحابي الجليل معاذ بن جبل الذي رواه لنا عبد الله بن عباس [ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مَعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعوكَ ، فَأَعْلِمَهُمْ : أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ



في كلِّ يومٍ وليلةٍ ، فإن هم أطاعوك ، فأعلمهم : أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد افترضَ عليهم صدقةً في أموالهم ، تؤخذُ من أغنيائهم فتوضعُ في فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلكَ فأياكَ وكرائمَ أموالهم ، واتَّقِ دعوةَ المظلوم ، فإنَّها ليسَ بينها وبينَ الله عزَّ وجلَّ حجابٌ] <sup>742</sup>. فقد بين له النبي صلى الله عليه وسلم خطوات الدعوة التي يجب أن يتبعها مع هؤلاء أهل الكتاب في اليمن خير شاهد على هذا. إن الحديث عن الأحكام الشرعية قبل استقرار العقيدة في القلب هو مجرد إهدار للوقت والعبث بالمدعو ومخالفة صريحة للمنهج القرآني وعصيان بواح للهدي النبوي في الدعوة إلى الله. هذا، وقد يسأل سائل عن الحكمة والسر في بدابة الدعوة الإسلامية في المرحلة المكية بالدعوة إلى ترسيخ العقيدة الصحيحة والإيمان بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم دون غيرها من الدعوات الإصلاحية، ولعلنا في التحليل الآتي للأستاذ سيد قطب رحمه الله في تفسيره " في ظلال القرآن " في مقدمته لسورة الأنعام نجد الجواب الكافي والبلسم الشافي، حيث قال رحمه الله:

" وأصحاب الدعوة إلى دين الله، وإقامة النظام الذي يتمثل فيه هذا الدين في واقع الحياة؛ خليقون أن يقفوا طويلاً أمام هذه الظاهرة الكبيرة .. ظاهرة تصدي القرآن المكي خلال ثلاثة عشر عاماً.. لتقرير هذه العقيدة؛ ثم وقوفه عندها لا يتجاوزها إلى شيء من تفصيلات النظام الذي يقوم عليها والتشريعات التي تحكم المجتمع المسلم الذي يعتنقها... لقد شاءت حكمة الله أن تكون قضية العقيدة هي القضية التي تتصدى الدعوة لها منذ اليوم الأول للرسالة، وأن يبدأ رسول الله صلى الله عليه

<sup>742</sup> صحيح النسائي بتصحيح الإمام محمد ناصر الدين الألباني، رقم الحديث 2521، مكتب التربية العربي لدول

الخليج الطبعة: الأولى سنة الطبع 1409 هـ.

وسلم أولى خطواته في الدعوة، بدعوة الناس أن يشهدوا أن لا إله إلا الله؛ وأن يمضي في دعوته يعرف الناس برهم الحق ويعبدهم له دون سواه.. " 743.

أقول: إننا بحاجة إلى استحضار هذه الحقائق المغيبة في محاضراتنا وكتاباتنا وندواتنا ومؤتمراتنا وخطبنا وحوارنا مع الآخرين. إننا نواجه اليوم ظروفاً وحالات وأناس أشبه ما تكون بظروف أمس القريب في المرحلة المكية. وفيما يلي سأذكر حالات ونماذج مما رأيته وعاشته في حياتي الشخصية، حيث رأيت في هذه الحالات اتجاهات معاكساً لما يأمرنا به قرآننا وترشدنا سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أقول: لقد رأيت كثيراً من الدعاة إلى الله في البلاد العربية والأوربية وعندنا في الجزيرة البلقانية - البوسنة والهرسك و كوسوفا والجبل الأسود ومقدونيا وألبانيا و صربيا - متغافلين عن هذه الحقيقة الكبرى في الدعوة إلى الله، بل وفي غيرها من دول العالم. لقد رأيت كثيراً منهم ينسى أو يتناسى فهم طبيعة وخصائص القرآن المكي، وإليكم بعض الحالات والمظاهر :

- ❖ لقد رأيت كثيراً منهم في لقاءاتي العلمية واستمعت إلى كثير منهم في مقاطع الفيديو المسجلة التي بثت على الشبكة العنكبوتية على الانترنت متحدثين عن الأمور الفرعية في الإسلام وقد ابتعدوا عن الأولويات والحقائق الكبرى التي ركز عليها القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية.
- ❖ لقد رأيت بعضهم يطالب بإقامة الحدود الشرعية في ظل تلك الحكومات العلمانية والمعادية للإسلام في بلادهم قبل التركيز على تقوية العقيدة في نفوسهم!

<sup>743</sup> انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم؛ مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص 193 - 203

❖ رأيت بعضاً من هؤلاء الأفاضل يأمرّون الناس بتغيير المذهب الفقهي السني الذي ينتمون إليه في بلادهم، والذي توارثوه عن أجدادهم عبر القرون، داعين إلى اعتناق مذهب آخر مستورد من بعض البلاد العربية مبيناً أن المذهب الفلاني لم يؤسس إلا على بضعة أحاديث واهية، لا يصلح السير عليه ولا العمل بقواعد تلك المذهب!؟

❖ لقد رأيت كثيراً منهم يثير الفتنة والبغضاء بين أطراف المجتمع المسلم الذي ينتمون إليه، وذلك من خلال استيراد بعض الفتاوى من بعض البلاد العربية والتي من شأنها أن تتصادم مع الأعراف السائدة، مثل عدم جواز قيادة المرأة للسيارة في البلاد الأوروبية وعدم جواز مشاركتها في البرلمان أو في الحياة الاجتماعية العامة في الإطار الإسلامي المباح! <sup>744</sup>.

❖ لقد رأيت بعضاً من هؤلاء الدعاة في يطعنون في الشخصيات التاريخية والرموز القومية والسياسية والوطنية في الدولة، مما أحدث ذلك ردة فعل سلبي لدى الدوائر الحكومية وفتح باب التحقيق والتشكيك في المؤسسات الدينية الرسمية في البلاد.

أقول.. لقد استعجل هؤلاء ثمار دعوتهم، وللأسف الشديد كانت النتائج غير مبشرة بالخير، وما ذلك إلا بسبب غفلتهم عن هذه الحقائق الدعوية مع أناس حالتهم كحال المسلمين الجدد في المرحلة المكية.

1- أين مراعاة الأسلوب القرآن الكريم في المرحلة المكية والمدنية؟

2- أين مراعاة الموضوعات القرآنية في المرحلة المكية والمدنية؟

<sup>744</sup> انظر: أبو شقة، عبد الحليم؛ تحرير المرأة في عصر الرسالة، ط5، 1999، دار القلم، الكويت، ج1، 69-102

- 3- أين مراعاة الألفاظ والكلمات والجمل في المرحلة المكية والمدنية ؟  
4- أين مراعاة التكاليف والأحكام في المرحلة المكية و المدنية ؟

هذا من جانب، ومن جانب آخر تنكرهم وتطاولهم على بعض العلماء والدعاة المتقدمين السابقين في تلك البلاد، واصطدامهم مع الأعراف والتقاليد السائدة في البلاد التي يقيمون فيها، فكان عاقبة أمرهم خسراً وهم يحسبون أنهم بحسنون صنعاً.<sup>745</sup>

ولعل ما ذكرته في الصفحات السابقة من أمثلة كافية لبيان الآثار السلبية الناتجة عن عدم فهم طبيعة القرآن المكي وأهمية استخدامها في حياتنا الدعوية مع المدعوين المعاصرين أينما حلنا وارتحلنا<sup>746</sup>.

---

<sup>745</sup> ولو جاز لي شرعاً لذكرت للقارئ أسماء هؤلاء الدعاة فرداً فرداً وأسماء المواقع على الانترنت فرداً فرداً، ولأشرت إلى مقاطع فديواتهم المتنوعة هؤلاء على يوتيوب وفايسوك وتويتر باللغات المختلفة، الألبانية والبوسنية والإنكليزية والعربية أيضاً، ولكنني لا أذكرها حتى لا تخرج المسألة من مسارها العلمي والمنهجي الصحيح، ونحن في البحث العلمي لا نتمنا أشخاص بأعيانهم بقدر ما نتمنا معالجة الفكرة أو الظاهرة المنتشرة، وأحيل القارئ الكريم إلى الاستماع لبعض هؤلاء شخصياً، والله أعلم.

<sup>746</sup> إن نظرة عشوائية فاحصة وسريعة على بعض المقاطع المنشورة لبعض المحاضرات باللغة الألبانية والبوسنية على الانترنت لتدرك هذه الحقيقة التي أتحدث عنها. كما أن نظرة فاحصة على مئات المقاطع المنشورة باللغة العربية أيضاً لترى هذه الأمور التي يدندنون حولها، تاركين كبرى القضايا الدينية والانشغال بالأمر الفرعية.

## المبحث الثالث: نموذج مثالي معاصر في كيفية التوظيف الإيجابي لعلم المكي والمدني في الدعوة

أقول: إن على المسلمين أن يجددوا الخطاب الديني الذي يقدمونه للناس، والتركيز في المحاضرات والخطب والندوات والمؤلفات والنقاشات لا بد أن ينصب على تثبيت العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص الصحيح أولاً المبني الكتاب والسنة الصحيحة؛ وعلى حب الله عز وجل وحب رسوله صلى الله عليه وسلم واتباع سنته في أقوالنا وأحوالنا وأفعالنا، وحب أصحابه الكرام وسلف هذه الأمة، وتحبيب الناس إلى الله وما أعدده للمسلمين من أجر عظيم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

ثم إننا بأمس الحاجة إلى تبني المنهج القرآني في معالجة الموضوعات والقضايا الفكرية والإيمانية والعقدية التي اهتم بها القرآن المكي، بعيداً عن الدخول في المناقشات الفرعية، ونركز على الموضوع بقدر ما ركز القرآن الكريم على تلك الموضوعات، ولا نزيد ولا نقص، لأن الالتزام بالكتاب والسنة كما ينبغي ينجم عنها الإلتزام في الأمور الفرعية.

والآن حان الوقت لتحليل كلام الأستاذ سيد قطب رحمه الله و مقارنة دعوة وحال هؤلاء المذكورين آنفاً مع رؤية وتوجيه الأستاذ سيد قطب رحمه الله مبيناً لنا طبيعة القرآن المكي وسر الابتداء بالعقيدة في المرحلة المكية دون غيرها من الدعوات. لقد استطاع رحمه الله أن يوظف علم المكي والمدني توظيفاً إيجابياً عملياً في دعوته للناس وشرح وبيان الحقائق الإسلامية في مؤلفاته وكتبه. وما كان له و

لغيره أن ينجح في حسن بيان صورة الإسلام وحقيقة الإسلام والأحكام والتكاليف الشرعية قبل إدراك وفهم حقيقة وأبعاد ودلالات علم المكي والمدني. قال رحمه الله:

" ولم تكن هذه - في ظاهر الأمر وفي نظرة العقل البشري المحجوب - هي أيسر السبل إلى قلوب العرب ! فلقد كانوا يعرفون من لغتهم معنى: " إله " ومعنى: " لا إله إلا الله " .. كانوا يعرفون أن الألوهية تعني الحاكمية العليا.. وكانوا يعرفون أن توحيد الألوهية وإفراد الله - سبحانه - بها، معناه نزع السلطان الذي يزاوله الكهان ومشيخة القبائل...، ورده كله إلى الله، السلطان على الضمائر، والسلطان على الشعائر، والسلطان على واقعيات الحياة...، السلطان في المال، والسلطان في القضاء، والسلطان في الأرواح والأبدان...، فلم كانت هذه نقطة البدء في هذه الدعوة ؟ ولم اقتضت حكمة الله أن تبدأ بكل هذا العناء.. "

ثم يواصل الأستاذ سيد قطب كلامه معقباً ومحللاً لهذه الدروس - والاحتمالات الثلاثة - حتى تكون لنا جميعاً وللعاملين في حقل الدعوة الإسلامية عامة - بغض النظر عن لغاتهم وأوطانهم - أن الذي يجيد عن فهم وإدراك هذه الحقائق التاريخية في الدعوة إلى الله، وأن الذي يتعد عن اتباع المنهج القرآني في الدعوة، في كلتا المرحلتين؛ المكية أو المدنية؛ كما أن الذي لا يستفيد من علوم القرآن الكريم في كيفية التعامل مع هذا الكتاب العظيم تلاوة وفهماً وتدبراً وتفسيراً ودعوة إليه ومحبة..<sup>747</sup>، حريٌّ بهؤلاء عدم النجاح وعدم التوفيق. يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

<sup>747</sup> من أروع ما رأيت في هذه المسألة كتاب فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي الموسوم بـ: كيف نتعامل مع القرآن الكريم، وكتاب فضيلة الشيخ الداعية محمد الغزالي الموسوم أيضاً بـ: كيف نتعامل مع القرآن الكريم. أوصي القارئ الكريم

- تحليل الإحتمال الأول -

"...لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين، وأخصب بلاد العرب وأغناها ليست في أيدي العرب؛ إنما هي في يد غيرهم من الأجناس! بلاد الشام كلها في الشمال خاضعة للروم، يحكمها أمراء من العرب من قبل الرومان. وبلاد اليمن كلها في الجنوب خاضعة للفرس يحكمها أمراء من العرب من قبل الفرس...، كان في استطاعته أن يثيرها قومية عربية تستهدف تجميع قبائل العرب، التي أكلتها الثارات، ومزقتها النزاعات، وتوجيهها وجهة قومية لاستخلاص أرضها المغتصبة من الإمبراطوريات المستعمرة...، ولو دعا يومها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الدعوة لاستجابت له العرب قاطبة - على الأرجح - بدلاً من أن يعاني ثلاثة عشر عاماً في اتجاه معارض لأهواء أصحاب السلطان في الجزيرة! وربما قيل: إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان خليقاً بعد أن يستجيب له العرب هذه الاستجابة...! ولكن الله - سبحانه - وهو العليم الحكيم، لم يوجه رسوله صلى الله عليه وسلم هذا التوجيه! إنما وجهه إلى أن يصدع بلا إله إلا الله: وأن يحتمل هو والقتلة التي تستجيب له كل هذا العناء! لماذا؟ إن الله - سبحانه - لا يريد أن يعنت رسوله والمؤمنين معه...، إنما هو - سبحانه - يعلم أن ليس هذا هو الطريق...، إن الأرض لله ويجب أن تخلص لله. ولا تخلص لله إلا أن ترتفع عليها راية: " لا إله إلا الله... " وليس الطريق أن يتحرر الناس في هذه الأرض من طاغوت روماني أو طاغوت فارسي... إلى طاغوت عربي... فالطاغوت كله طاغوت

بالعودة إليهما والاستفادة منهما في هذا الشأن، وأيضاً إلى غيرها من المؤلفات المتعلقة بعلوم القرآن الكريم، مثل كتاب: قواعد التفسير - جمعاً ودراسة، لأستاذي وشيخي الفاضل الدكتور خالد السبت حفظه الله، وكتاب الداعية عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: قواعد التدبر الأمثل للقرآن الكريم، وغيرها كثير.

! إن الناس عبيد لله وحده، ولا يكونون عبيداً لله وحده إلا أن ترتفع راية: " لا إله إلا الله" ... " لا إله إلا الله " كما كان يدركها العربي العارف بمدلولات لغته: لا حاكمية إلا لله، ولا شريعة إلا من الله، ولا سلطان لأحد على أحد، لأن السلطان كله لله...، ولأن الجنسية التي يريدتها الإسلام للناس هي جنسية العقيدة، التي يتساوى فيها العربي والروماني والفرسي وسائر الأجناس والألوان تحت راية الله. وهذا هو الطريق...،<sup>748</sup>

### - الاحتمال الثاني -

"... وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين، والمجتمع العربي كأسوأ ما يكون المجتمع توزيعاً للثروة والعدالة... قلة قليلة تملك المال والتجارة؛ وتتعامل بالربا فتضاعف تجارتها ومالها. وكثرة كثيرة لا تملك إلا الشظف والجوع... والذين يملكون الثروة يملكون معها الشرف والمكانة، وجماهير كثيفة ضائعة من المال والمجد جميعاً! وكان في استطاعة محمد صلى الله عليه وسلم أن يرفعها راية اجتماعية؛ وأن يثيرها حرباً على طبقة الأشراف؛ وأن يطلقها دعوة تستهدف تعديل الأوضاع ورد أموال الأغنياء على الفقراء! ولو دعا يومها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الدعوة، لانقسم المجتمع العربي صفيين: الكثرة الغالبة فيه مع الدعوة الجديدة، في وجه طغيان المال والشرف. بدلاً من أن يقف المجتمع كله صفاً في وجه: " لا إله إلا الله" التي لم يرتفع إلى أفقها في ذلك الحين إلا الأفذاذ من الناس. وربما قيل: إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان خليفاً بعد أن تستجيب له الكثرة؛ وتولييه قيادها؛ فيغلب بها القلة ويسلس له مقادها...، أن يستخدم مكانه يومئذ وسلطانه في إقرار

<sup>748</sup> قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج2، مقدمة تفسير سورة الأنعام، بتصرف.



عقيدة التوحيد التي بعثه بها ربه، وفي تعبيد الناس لسلطان ربه بعد أن عبدهم لسلطانه ! ولكن الله - سبحانه - وهو العليم الحكيم، لم يوجهه هذا التوجيه...، لقد كان الله - سبحانه - يعلم أن هذا ليس هو الطريق.. كان يعلم أن العدالة الاجتماعية لا بد أن تنبثق في المجتمع من تصور اعتقادي شامل؛ يرد الأمر كله لله؛ ويقبل عن رضى وعن طوعية ما يقضي به الله من عدالة في التوزيع، ومن تكافل بين الجميع...، فلا تمتلئ قلوب بالطمع ولا تمتلئ قلوب بالحق، ولا تسير الأمور كلها بالسيف والعصا؛ وبالتخويف والإرهاب! ولا تفسد القلوب كلها وتحتق الأرواح؛ كما يقع في الأوضاع التي نراها قد قامت على غير: " لا إله إلا الله"...

### - الاحتمال الثالث -

"... وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستوى الأخلاقي في الجزيرة العربية في الدرك الأسفل في جوانب منه شتى - إلى جانب ما كان في المجتمع من فضائل الخامة البدوية. كان التظالم فاشياً في المجتمع، تعبر عنه حكمة الشاعر: زهير بن أبي سلمى: (ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم - ومن لا يظلم الناس يظلم) ، ويعبر عنه القول المتعارف<sup>749</sup>: " أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ". كانت الخمر والميسر من تقاليد المجتمع الفاشية ومن مفاخره ذلك ! يعبر عن هذه الخصلة الشعر الجاهلي بجملته...، وكانت الدعارة - في صور شتى - من معالم هذا

<sup>749</sup> يقصد الأستاذ سييد قطب بهذا التعبير المنطق العربي الجاهلي ما قبل الإسلام... الذي كانوا يتفخرون به ولا يباليون من ينصرون؟! أو لمن ينتصرون؟! هذا الحديث هو من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . فقال رجل: يا رسول الله ، أنصره إذا كان مظلوماً ، أفرايت إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال : تحجزه ، أو تمنعه ، من الظلم فإن ذلك نصره ]، وهو حديث صحيح رواه الإمام البخاري في صحيحه. انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق: محب الدين الخطيب، مكتبة السلفية، القاهرة، ط1، 1430هـ، رقم الحديث 2444

التجمع.. كالذي روته عائشة رضي الله عنها: إن النكاح في الجاهلية<sup>750</sup> كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم...<sup>751</sup>، وكان في استطاعة محمد صلى الله عليه وسلم أن يعلنها دعوة إصلاحية، تتناول تقويم الأخلاق، وتطهير المجتمع، وتزكية النفوس، وتعديل القيم والموازن...، وربما قال قائل: إنه لو صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فاستجابت له - في أول الأمر - جمهرة صالحة؛ تتطهر أخلاقها، وتزكو أرواحها، فتصبح أقرب إلى قبول العقيدة وحملها... بدلا من أن تثير دعوة أن لا إله إلا الله المعارضة القوية منذ أول الطريق! ولكن الله - سبحانه - وهو العليم الحكيم، لم يوجه رسوله صلى الله عليه وسلم إلى مثل هذا الطريق.. لقد كان الله - سبحانه - يعلم أن ليس هذا هو الطريق! كان يعلم أن الأخلاق لا تقوم إلا على أساس من عقيدة، تضع الموازين، وتقرر القيم وتقرر السلطة التي ترتكن إليها هذه الموازين والقيم؛ كما تقرر الجزاء الذي تملكه هذه السلطة وتوقعه على الملتزمين والمخالفين. وأنه قبل تقرير تلك العقيدة تظل القيم كلها متأرجحة؛ وتظل الأخلاق التي تقوم عليها متأرجحة كذلك؛ بلا ضابط وبلا سلطان، وبلا جزاء!

فلما تقرر العقيدة - بعد الجهد الشاق - وتقررت السلطة التي ترتكن إليها هذه العقيدة... لما عرف الناس ربهم وعبدوه وحده... لما تحرر الناس من سلطان العبيد، ومن سلطان الشهوات سواء... لما تقرر في القلوب: "لا إله إلا الله" ... صنع الله بها وبأهلها كل شيء مما يقترحه المقترحون... تطهرت الأرض من الرومان والفرس... لا ليتقرر فيها سلطان العرب... ولكن ليتقرر فيها سلطان الله.. لقد

<sup>750</sup> رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، رقم الحديث 5127

<sup>751</sup> أحيل القارئ الكريم إلى نص الحديث في صحيح الإمام البخاري، خشية الإطالة في هذه الورقة العلمية المحدودة.

تطهرت من الطاغوت كله: رومانيا وفارسيا وعربيا على السواء. وتطهر المجتمع من الظلم الاجتماعي بجملته. وقام النظام الإسلامي يعدل بعدل الله، ويزن بميزان الله ويرفع راية العدالة الاجتماعية باسم الله وحده؛ ويسميتها راية الإسلام، لا يقرن إليها اسما آخر؛ ويكتب عليها: "لا إله إلا الله" ! وتطهرت النفوس والأخلاق، وزكت القلوب والأرواح؛ دون أن يحتاج الأمر إلى الحدود والتعازير التي شرعها الله - إلا في الندرة النادرة - لأن الرقابة قامت هنالك في الضمائر؛ ولأن الطمع في رضى الله وثوابه، والحياء والخوف من غضبه وعقابه قد قامت كلها مقام الرقابة ومقام العقوبات...، وارتفعت البشرية في نظامها، وفي أخلاقها، وفي حياتها كلها، إلى القمة السامقة التي لم ترتفع إليها من قبل قط...، ولقد تم هذا كله لأن الذين أقاموا هذا الدين في صورة دولة ونظام وشرائع وأحكام؛ كانوا قد أقاموا هذا الدين من قبل في ضمائرهم وفي حياتهم، في صورة عقيدة وخلق وعبادة وسلوك، لما أن علم الله منهم ذلك كله، علم أنهم قد أصبحوا - إذن - أمناء على هذه الأمانة الكبرى . أمناء على العقيدة التي يتفرد فيها الله سبحانه بالحاكمة في القلوب والضمائر وفي السلوك والشعائر، وفي الأرواح والأموال، وفي الأوضاع والأحوال ...، ولم يكن شيء من هذا المنهج المبارك ليتحقق على هذا المستوى الرفيع ، إلا أن تبدأ الدعوة ذلك البدء، وإلا أن ترفع الدعوة هذه الراية وحدها.. راية لا إله إلا الله .. ولا ترفع معها سواها.. وإلا أن تسلك الدعوة هذا الطريق الوعر الشاق في ظاهره ؛ المبارك الميسر في حقيقته. وما كان هذا المنهج المبارك ليخلص لله، لو أن الدعوة بدأت خطواتها الأولى دعوة قومية أو دعوة اجتماعية، أو دعوة أخلاقية.. أو رفعت أي شعار إلى جانب شعارها الواحد: " لا إله إلا الله" ... "752 .

752 قطب، سيد؛ في ظلال القرآن، ج2، مقدمة سورة تفسير سورة الأنعام

إذن الأولوية لم تكن لإصلاح النظام السياسي ولا الاجتماعي ولا الاقتصادي ولا الأخلاق، بل لأن هذه الأنظمة والأخلاقيات الحاكمة لها إنما هي بمثابة تجليات للنظام العقدي لأنه بإصلاح العقيدة وغرس التوحيد في النفوس إصلاح كل الأنظمة الأخرى.

إن الأستاذ سيد قطب رحمه الله غاص في أعماق علم المكي والمدني - فلسفة المرحلة المكية والمدنية - دارساً الأبعاد الفكرية والنفسية والاجتماعية لهذه المرحلة في الدعوة إلى الله، وأراد أن يبين لهؤلاء المشتغلين بالدعوة والمستعجلين لثمارها حقيقة الإيمان بالله والألوهية المطلقة لله جل وعلا، وشمولية هذا الدين الرباني قائلاً:

" إن طبيعة هذا الدين هي التي قضت بهذا... فهو دين يقوم كله على قاعدة الألوهية الواحدة... كل تنظيماته وكل تشريعاته تنبثق من هذا الأصل الكبير... وكما أن الشجرة الضخمة الباسقة الوارفة المديدة الظلال المتشابكة الأغصان، الضاربة في الهواء... لا بد لها أن تضرب بجذورها في التربة على أعماق بعيدة، وفي مساحات واسعة؛ تناسب ضخامتها وامتدادها في الهواء...، فكذلك هذا الدين...، إن نظامه يتناول الحياة كلها؛ ويتولى شؤون البشرية كبيرها وصغيرها؛ وينظم حياة الإنسان لا في هذه الحياة الدنيا وحدها، ولكن كذلك في الدار الآخرة؛ ولا في عالم الشهادة وحده ولكن كذلك في عالم الغيب المكنون عنها؛ ولا في المعاملات الظاهرة المادية، ولكن في أعماق الضمير ودنيا السرائر والنوايا...، فهو مؤسسة ضخمة هائلة شاسعة مترامية...، ولا بد له إذن من جذور وأعماق بهذه السعة والضخامة والعمق والانتشار أيضاً...، هذا جانب من سر هذا الدين وطبيعته؛ يحدد منهجه في بناء نفسه وفي امتداده؛ ويجعل بناء العقيدة وتمكينها،

وشمول هذه العقيدة واستغراقها لشعاب النفس كلها...، ضرورة من ضرورات النشأة الصحيحة، وضمانا من ضمانات الاحتمال والتناسق بين الظاهر من الشجرة في الهواء، والضارب من جذورها في الأعماق...، ومتى استقرت عقيدة: " لا إله إلا الله " في أعماقها الغائرة البعيدة، استقر معها في نفس الوقت النظام الذي تتمثل فيه: " لا إله إلا الله "؛ وتعين أنه النظام الوحيد الذي ترتضيه النفوس التي استقرت فيها العقيدة...، واستسلمت هذه النفوس ابتداء لهذا النظام حتى قبل أن تعرض عليها تفصيلاته، وقبل أن تعرض عليها تشريعاته. فالاستسلام ابتداء هو مقتضى الإيمان...، ويمثل هذا الاستسلام تلقت النفوس تنظيمات الإسلام وتشريعاته بالرضى والقبول، لا تعترض على شيء منه فور صدوره إليها ولا تتلأأ في تنفيذه بمجرد تلقيها له. وهكذا أبطلت الخمر، وأبطل الربا، وأبطل الميسر، وأبطلت العادات الجاهلية كلها، أبطلت آيات من القرآن، أو كلمات من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينما الحكومات الأرضية تجهد في شيء من هذا كله بقوانينها وتشريعاتها ونظمها وأوضاعها، وجندها وسلطانها، ودعايتها وإعلامها...، فلا تبلغ إلا أن تضبط الظاهر من المخالفات؛ بينما المجتمع يعج بالمنهيات والمنكرات!<sup>753</sup>.

ويعقب الأستاذ سيد قطب قائلاً مبيناً سرّاً آخر من أسرار المرحلة المكية والمدنية وضرورة الوقوف عندها:

"... والمسلمون في مكة لم يكن لهم سلطان على أنفسهم ولا على مجتمعهم. وما كانت لهم حياة واقعية مستقلة هم الذين ينظمونها بشريعة الله...، ومن ثم لم ينزل

<sup>753</sup> المرجع السابق

الله في هذه الفترة تنظيمات وشرائع؛ وإنما نزل لهم عقيدة، وخلقاً منبثقاً من العقيدة بعد استقرارها في الأعماق البعيدة...، فلما صارت لهم دولة في المدينة ذات سلطان تنزلت عليهم الشرائع؛ وتقرر لهم النظام؛ الذي يواجه حاجات المجتمع المسلم الواقعية؛ والذي تكفل له الدولة بسلطانها الجديدة والنفاذ...، ولم يشأ الله أن ينزل عليهم النظام والشرائع في مكة، ليختزنوها جاهزة، حتى تطبق بمجرد قيام الدولة في المدينة! إن هذه ليست طبيعة هذا الدين! إنه أشد واقعية من هذا وأكثر جدية! إنه لا يفترض المشكلات ليفترض لها حلولاً...، إنما هو يواجه الواقع بحجمه وشكله وملابساته لصوغه في قالبه الخاص، وفق حجمه وشكله وملابساته... " 754 .

ورحم الله الإمام العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين عندما أشار في تفسيره للقرآن الكريم إلى فوائد معرفة المكي والمكي، فعد منها: 1- ظهور بلاغة القرآن في أعلى مراتبها حيث يخاطب كل قوم بما تقتضيه حالهم من قوة وشدة، 2- تربية الدعاة إلى الله تعالى وتوجيههم إلى أن يتبعوا ما سلكه القرآن في الأسلوب والموضوع، من حيث المخاطبين، بحيث يبدأ بالأهم فالأهم، وتستعمل الشدة في موضعها والسهولة في موضعها.. 755

والآن و في الختام أتساءل؟ أين هؤلاء الإخوة الدعاة من إدراك وفهم هذه الحقيقة؟ لِمَ يستعجل هؤلاء الإخوة الدعاة في جني ثمار الدعوة بين عشية وضحاها؟ ما الذي جعلهم يعرضون عن هذا المنهج القرآني؟ هل ما زال هؤلاء الدعاة يتبعون سلطان أهوائهم؟ ما بال هؤلاء المعرضين عن فهم الأسرار الدعوية

754 المرجع السابق،

755 العثيمين، محمد بن صالح؛ تفسير القرآن الكريم، ط1، 1423 هـ، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية،

والتربوية لعلم المكّي والمدني والاستفادة من خصائص وأساليب المرحلة المكية والمدنية! أين ذلك الخلق الفكري الرفيع في تعاملهم مع المدعوين؟ ما حقيقة خطابهم الديني والدعوي؟ أم أن المدعوين في واد والدعاة في واد آخر!؟ وما يعقل أهمية تلك الحقائق الدعوية المفقودة والمنسية التي أشرنا إليها وأشار إليها الأستاذ سيد قطب رحمه الله؛ إلا العالمون.

رحم الله الأستاذ سيد قطب والإمام العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمة واسعة، و رزقنا الله جميعاً حسن الفهم لكتابه الكريم. وهكذا، وقد وصلنا بحمد الله وتوفيقه إلى نهاية هذه الدراسة. أرجو الله عز وجل أن يكتب لها القبول، وأن يجعل هذا الجهد المتواضع لوجهه الكريم وأن يدخر لي أجره ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلى من أتى الله بقلب سليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

وبعد، فإنني أحمد الله عز وجل أن منّ عليّ ووفقني إليه من إتمام و تحرير هذه الدراسة حول التوظيف الإيجابي لعلم المكّي والمدني. ومن خلال معاشتي و وقوفي على مباحثها وجزئياتها ومحاولتي للإستناد إلى كثير مما أستطيع الاعتماد عليه من أقوال ونقولات أهل العلم موثقة؛ فإنني أسجل للقارئ الكريم أهم النتائج التي توصلت إليها والتي تمخضت من هذه الدراسة. فأقول وبالله التوفيق:

- 1- أثبتت الدراسة أن هنالك حاجة ماسة للقيام بمثل هذا النوع من الدراسات التوظيفية والتطويرية لعلوم القرآن، وأن على المشتغلين بعلوم القرآن إحياء هذا النوع من الدراسات القرآنية بغرض التوظيف الإيجابي، وهو أمر ممكن كما رأينا.
- 2- تمخضت من الدراسة أن أغلب العلماء المتقدمين من السلف وأغلب المعاصرين لم يتطرقوا إلى مثل هذا النوع من الدراسات الإحيائية لتوظيف علوم القرآن، إلا قلة قليلة تنبهوا إلى هذه الأهمية مثل الأستاذ سيد قطب والشيخ بن عثيمين وبعض أهل العلم رحمهم الله ممن أشرنا إليهم في هذه الدراسة.
- 3- تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن أكثر المستشرقين المتقدمين والمعاصرين قاموا بالتوظيف السيء للعلوم المتعلقة بالقرآن، ولا سيما علم المكّي والمدني لزراع الشكوك وبث الشبهات والطعن في مصداقية القرآن الكريم.



- 4- رأينا في هذه الدراسة أن كل علم يتعلق بخدمة القرآن الكريم هو وجه من وجوه الإعجاز؛ سواء أدركه الناس أم لم يدركوه. فكما أن القرآن الكريم معجز بذاته إلى قيام الساعة؛ فهذا العلم أيضاً لا يخلو من الإعجاز - مهما كان مستوى ذلك الإعجاز - لكونه متعلقاً بالكتاب المعجز.
- 5- أظهرت الدراسة أن السبب الرئيسي لظهور اتجاهات ومواقف وتيارات إسلامية متشددة لدى بعض الشباب المتحمسين في الدعوة، في كل البلاد دون استثناء؛ هو ابتعاد عن المنهجية القرآنية للمخاطبين، وجهل بطرق وأساليب كيفية معالجة القضايا العقدية والفكرية والأخلاقية والدعوية في المرحلة المكية والمدنية.
- 6- أظهرت الدراسة أن كثيراً من الدعاة في كل البلاد دون استثناء؛ على جهل كبير بطبيعة القرآن المكي والمدني وخصائصهما الموضوعية والأسلوبية والتربوية والدعوية.
- 7- شددت الدراسة على اعطاء الأولوية الاهتمام بالقضايا العقدية الكبرى أولاً لبناء مجتمع إسلامي سليم عقدياً وسلوكياً، وعدم الالتفاف إلى القضايا الثانوية إلا بعد تأسيس وتثبيت عقيدة التوحيد الخالص.
- 8- أفادت الدراسة أن الساحة الدعوية الإسلامية في كل أرجاء العالم يكتنفها كثير من الغموض والفوضى لدى الدعاة، فليس هنالك أجندة الأعمال الدعوية المنظمة بين المؤسسات الدعوية على مستوى الدولة أو الأمة في اتباع منهجية منظمة لمناقشة القضايا الدعوية أو الفكرية أو الأخلاقية، إذ كل داعية أو طالب علم يعمل على شاكلته! فأوصي

بإنشاء اتحاد مركزي عالمي للدعاة والدعوة إلى الله، بحيث يكون هناك تنسيق ومتابعة لجهود الدعاة ودعوتهم في كل بلد على حدة؛ سواء منها في الدول الغربية أو الآسيوية أو العربية وذلك لتنظيم عملية السير الدعوي مع مراعاة سلّم الأولويات الدعوية لكل مرحلة زمنية، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله صحبه وسلم تسليما كثيرا.

2 رمضان 1437 هـ - الموافق 7 يونيو 2016 م - الدوحة - قطر

وقمت مراجعة الدراسة مجددا قبل النشر في هذا المجلد يوم السبت 24 من ذي القعدة 1437 هـ - الموافق 27 أغسطس 2016 بدوحة الخير والبركة - قطر

---

## الدكتور خيرالدين خوجة الكوسوفي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية المشارك - كلية المجتمع بقطر

**Assoc.Prof.Dr.Hfz.Hajredin Hoxha**

خيرالدين بن بافتي خوجة من مواليد مدينة بريزن Prizren، عام 1968/10/1 جمهورية كوسوفا Kosova، أنهى المرحلة الإعدادية والثانوية الشرعية بمعهد الفرقان بدمشق، سوريا 1983-1989. واصل تعليمه الجامعي بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة 1990-1994. تخصص في الإقراء بعد التخرج وحصل على الإجازة في الإقراء بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ في تلاوة القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم. عمل إماماً وخطيباً في مسقط رأسه ومدرسا لمادة التلاوة في فرع الثانوية الشرعية علاء الدين بمدينة بريزن. حصل على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية - الجامعة الإسلامية العالمية بكوالالمبور - ماليزيا 2000-2003، عنوان الرسالة: " منهج الأستاذ الشهيد سيد قطب في فهم آيات الدعوة - دراسة تحليلية نقدية في تفسيره " في ظلال القرآن " - سورة الأنعام نموذجاً " . دكتوراه في التفسير والدراسات القرآنية من كلية معارف الوحي و العلوم الإنسانية - الجامعة الإسلامية العالمية بكوالالمبور - ماليزيا، عنوان الأطروحة: " الاتجاهات الفكرية والدينية في الدراسات القرآنية لدى علماء الألبان في العصر الحديث -القرن 19 و 20 " . درّس بالجامعة التي تخرج منها وبكلية المجتمع بجامعة طيبة بالمدينة المنورة وبكلية أصول الدين بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بسلطنة بروناي وبكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وحالياً يعمل بكلية المجتمع بقطر.

له مؤلفات والترجمات باللغة العربية والألمانية والإنكليزية. وبجانب اختصاصه في التفسير وعلوم القرآن له اهتمام خاص بطرق التربية والتعليم وإصلاح المناهج التعليمية والتربوية في المدارس والجامعات، مع التركيز على تعلم اللغات الأجنبية والاستفادة من التكنولوجيا المعاصرة وتوظيفها في تدريس علوم الشريعة. يجيد خمس لغات. يتمتع بفكر معتدل ميسر مبني على المنهجية القرآنية وهدى السنة النبوية الصحيحة ومنهج السلف الصالح في معالجة المشاكل الدينية والفكرية والاجتماعية. حريص على بناء جسور الحوار والتفاهم وتضييق دائرة الخلاف مع المخالفين دون الخوض في القضايا السياسية. حضر عشرات الدورات والندوات والورش العلمية والمهنية والتكنولوجية بلغات مختلفة، كما أنه شارك وقدم أبحاثاً علمية في عشرات المؤتمرات العالمية في الوطن العربي والإسلامي واليابان باللغة الإنكليزية والعربية. له عدة عضويات علمية واستشارية في العالم الإسلامي والعربي، وقام بتحكيم عدد كبير من البحوث العلمية باللغة العربية والإنكليزية وأشرف وناقش عدداً من بحوث التخرج ورسائل الماجستير والدكتوراه. له حضور مميز في وسائل الإعلام المحلية في كوسوفا وفي الخليج. أب لأربعة أولاد ومقيم في دولة قطر. تفاصيل أوفى تجدون في موقعه الشخصي على الإنترنت:

[www.drhafezi.net](http://www.drhafezi.net)

